

الكتاب
الفرج الأصفهاني

تأليف
أبي الفرج الأصفهاني

Leaf 172

Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES



W
Q
P 224

5) p. 208 (Bashar) [p. 129] /
h. B. 129

500 A
P. 59

39
p. 40

p. 62: 64
cp. 51 ff. 1 =

7. 26 " 8 rls 66 back

p. 20

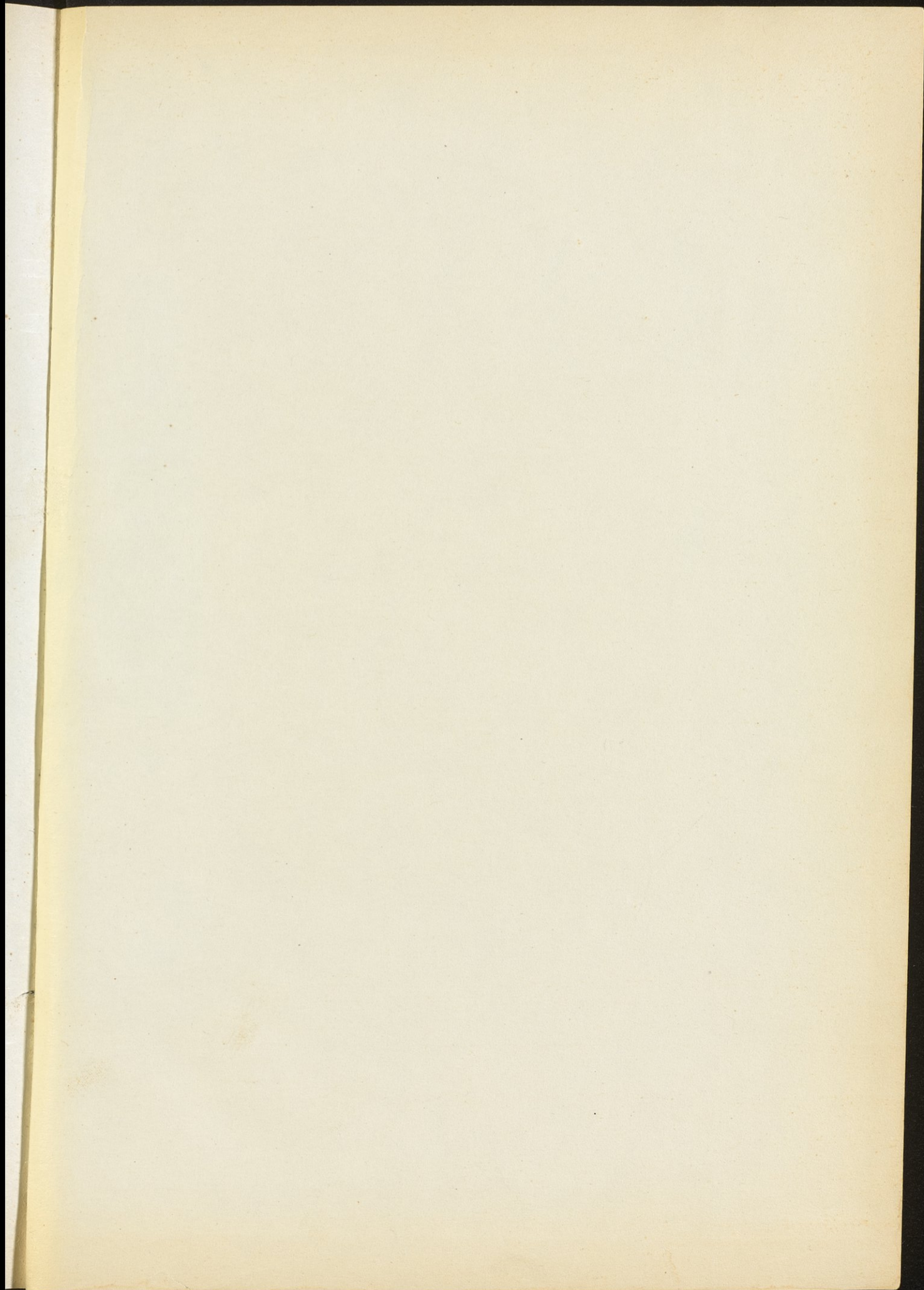
9-48

البينة p. 241

7.55

58

Handwritten signature: *John W. ...*



الكتاب
الأخضر
سأني

تأليف
أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الثالث

الناشر
دار الثقافة
بيروت

١٩٥٥

893.7Is1

035

v. 3

المجلد الثالث

المجلد الثالث من كتاب الاغاني

ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه

هو قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سُود بن ظَفَر، ويُكنى قيس
أبا يزيد .

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال حدثنا
حماد بن إسحاق عن أبيه قال :

أنشد ابن أبي عتيق قول قيس بن الخطيم :
بين سُكُولِ النساءِ خَلَقْتُهَا حَذُوءاً فَلَاجِلَةً^١ وَلَا قَضَفُ^٢

(١) سمي أبوه الخطيم لضربة كانت خطمت أنفه كما في ديوانه طبع ليبزج سنة ١٩١٤ ص ١ .

(٢) الشكول : الضروب .

(٣) الحذو : التقدير، ومنه حذو النعل بالنعل أي تقديرها على مثالها ، يريد أنها بين ضروب
النساء وسط لا هي بالسمنية ولا هي بالمهزولة .

(٤) الجيلة : الغليظة . وتروى « جيلة » والجللة : الضخمة .

(٥) القصف : دقة اللحم ، وهو وصف بالمصدر .

فقال : لولا أن أبا يزيد قال : حذوا ما درى الناس كيف يحشون هذا
الموضع .

أخذه بشار ذويه :

وكان أبوه الخطيم قُتل وهو صغير، قتله رجلٌ من بني حارثة بن الحارث بن
الخرَج، فلما بلغ قتل قاتل أبيه، ونسبت لذلك حروب بين قومه وبين الخرج
وكان سببها .

فأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرني أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن
الأعرابي عن الفضل قال :

كان سبب قتل الخطيم أن رجلاً من بني حارثة بن الحارث بن الخرج يقال
له مالك اغتاله فقتله، وقيس يومئذ صغير، وكان عديّ أبو الخطيم أيضاً قُتل قبله،
قتله رجل من عبد القيس، فلما بلغ قيس بن الخطيم وعرف أخبار قومه وموضع
ثأره لم يزل يلتمس غرة من قاتل أبيه وجده في المواسم حتى ظفر بقاتل أبيه
بيثرب فقتله، وظفر بقاتل جده بذي الحجاز، فلما أصابه وجده في ركبٍ عظيم
من قومه، ولم يكن معه إلا رهطٌ من الأوس، فخرج حتى أتى حذيفة بن
بدر القراري، فاستنجده فلم يُنجدْ، فأتى خدّاش بن زهير فنهض معه ببني عامر
حتى أتوا قاتل عديّ، فاذا هو واقفٌ على راحلته في السوق، فطعنه قيس بجربة
فقتله، ثم استمرّ. فأراد رهطُ الرجل، فحالت بنو عامر دونه؛ فقال في ذلك
قيس بن الخطيم :

ثارت عديّاً والخطيم فلم أضع^١ ولايةَ أشياخ جعلت^٢ إزاءها

(١) ذو الحجاز : موضع بعرفة ، وكانت تقام فيه في الجاهلية سوق من أسواق العرب .

(٢) جعلت إزاءها : جعلت القيم عليها ، يقال : هو إزاء مال أي يقوم عليه ويتمهده .

ضربتُ بذي الرُّجَيْنِ رِبْقَةً مَالِكٍ فَأُبْتُ بِنَفْسٍ قَدْ أَصَبْتُ شَفَاءَهَا
وساحني^١ فيها ابنُ عمرو بن عامرٍ خِداشٌ فَأَدَى نِعْمَةً وَأَفَاءَهَا
طعنتُ ابنَ عبد القَيْسِ طَعْنَةً ثَائِرَةً لَهَا نَفْذٌ لَوْلَا الشُّعَاعُ^٢ أَضَاءَهَا
ملكْتُ بها كَفِّي فَأَنْهَرْتُ^٣ فَتَقَّهَا يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

هذه رواية ابن الأعرابي عن المفضل . وأما ابن الكلبي فانه ذكر أن رجلاً من قريش أخبره عن أبي عبيدة أن محمد بن عمار بن ياسر، وكان عالماً بحديث الأنصار قال :

كان من حديث قيس بن الخطيم أن جدّه عدي بن عمرو قتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة يقال له مالك ، وقتل أباه الخطيم ابن عدي رجل من عبد القيس ممن يسكن هجر^٤ ؛ وكان قيس يوم قُتل أبوه صبيّاً صغيراً ، وقُتل الخطيم قبل أن يثأر بأبيه عدي ؛ فخشيت أم قيس على ابنها أن يخرج فيطلب بثأر أبيه وجدّه فيهلك ، فعمدت إلى كومة من تراب عند باب دارهم ، فوضعت عليها أحجاراً وجعلت تقول لقيس : هذا قبر أبيك وجدّك ، فكان قيس لا يشك أن ذلك على ذلك . ونشأ أَيْدِئاً شديداً الساعدين ، فنازع يوماً فتى من فتيان بني ظفر ، فقال له ذلك الفتى : والله لو جعلت شدة ساعديك على قاتل أبيك وجدّك لكان خيراً لك من أن تُخرجها علي^٥ ؛ فقال : ومن قاتل أبي وجدّي ؟ قال : سَلْ أَمَّكَ تُخْبِرْكَ ؛ فأخذ السيف ووضع قائمه على الأرض وذبابه^٦ بين

(١) الرُّج : الحديدة في أسفل الرمح .

(٢) الرِبْقَة : العروة ، يريد موضعها .

(٣) ساحني : تابعني ووافقي .

(٤) النفذ : الثقب . والشعاع : حمرة الدم . ويروى : « الشعاع » بفتح الشين وهو انتشار الدم .

يريد : لولا الدم لأضاءها النفذ حتى تستبين .

(٥) ملكت : شددت وضبطت .

(٦) أنهرت : أوسعت .

(٧) ذباب السيف : طرفه الذي يضرب به .

ثدييه وقال لأمه : أخبريني من قتل أبي وجدي ؟ قالت : ماتا كما يموت الناس
وهذان قبراهما بالفناء ؛ فقال : والله لتُخبريني^١ من قتلها أو لا تحاملن^٢ على هذا
السيف حتى يخرج من ظهري ؛ فقالت : أما جدك فقتله رجل من بني عمرو بن
عامر بن ربيعة يقال له مالك ، وأما أبوك فقتله رجل من عبد القيس من يسكن
هجر ؛ فقال : والله لا أنتهي حتى أقتل قاتل أبي وجدي ؛ فقالت : يا بُني إن
مالكاً قاتل جدك من قوم خدش بن زهير ، ولأبيك عند خدش نعمة هو
لها شاكر ، فأنته فاستشره في أمرك واستعنه يُعنك ؛ فخرج قيس^٣ من ساعته حتى
أتى ناضحه وهو يستقي نخله ، فضرب الجرير^٤ بالسيف فقطعه ، فسقطت الدلو في
البئر ، وأخذ برأس الجمل فحمل عليه غرارتين من تمر ، وقال : مَنْ يكفيني أمر
هذه العجوز ؟ (يعني أمه) فإن مت أنفق عليها من هذا الحائط حتى تموت ثم
هو له ، وإن عشت فما لي عائد إليّ وله منه ما شاء أن يأكل من تمره ؛ فقال رجل
من قومه : أنا له ، فأعطاه الحائط ثم خرج يسأل عن خدش بن زهير حتى دلّ^٥
عليه بمر الظهران^٥ ، فصار الى خبائه فلم يجده ، فنزل تحت شجرة يكون تحتها
أضيافه ، ثم نادى امرأة خدش : هل من طعام ؟ فأطلعت اليه فأعجبها جماله ،
وكان من أحسن الناس وجهاً ؛ فقالت : والله ما عندنا من نزل^٦ نرضاه لك إلا
تمرّاً ؛ فقال لا أبالي ، فأخرجني ما كان عندك ؛ فأرسلت اليه بقبّاع^٧ فيه تمر ، فأخذ
منه تمرة فأكل شقها وردّ شقها الباقي في القبّاع ثم أمر بالقبّاع فأدخل على امرأة

(١) كذا في الاصل : من غير تأكيد وهذا الوجه يميزه الكوفيون ، والبصريون يوجبون
توكيد الفعل في مثل هذا الموضع بالنون .

(٢) الناضح : البعير يستقي عليه الماء .

(٣) الجرير : الجبل .

(٤) الحائط : البستان .

(٥) الظهران : واد قرب مكة عنده قرية يقال لها «مر» تضاف اليه فيقال مر الظهران .

(٦) النزل : ما يهيا للضيف من قرى .

(٧) القبّاع : المكيال الضخم .

خداش بن زهير، ثم ذهب لبعض حاجاته. ورجع خداش فأخبرته امرأته خبر قيس، فقال: هذا رجل متحرّم^(١). وأقبل قيس راجعاً وهو مع امرأته يأكل رطباً؛ فلما رأى خداش رجله وهو على بعيره قال لامرأته: هذا ضيفك؟ قالت: نعم؛ قال: كأن قدمه قدم الخطيم صديقي الثري؛ فلما دنا منه قرع طُنب البيت بسنان رحه وأستأذن، فأذن له خداش فدخل إليه، فنسبه^(٢) فانتسب وأخبره بالذي جاء له، وسأله أن يُعينه وأن يشير عليه في أمره؛ فرحب به خداش وذكر نعمة أبيه عنده، وقال: إن هذا الأمر ما زلت أتوقعه منك منذ حين. فأما قاتل جدك فهو ابن عم لي وأنا أعينك عليه، فاذا اجتمعنا في نادينا جلستُ إلى جنبه وتحدثتُ معه، فاذا ضربتُ فخذه فثب إليه فأقتله. فقال قيس: فأقبلت معه نحوه حتى قمت على رأسه لما جالسه خداش، فحين ضرب فخذه ضربت رأسه بسيف يقال له: ذو الخرصين، فثار إلى القوم ليقتلوني، فحال خداش بينهم وبينني وقال: دُعوه فإنه ما قتل إلا قاتل جدّه. ثم دعا خداش بجمل من إبله فركبه، وانطلق مع قيس إلى العبدى الذي قتل أباه، حتى إذا كان قريباً من هجر أشار عليه خداش أن ينطلق حتى يسأل عن قاتل أبيه، فإذا دُلَّ عليه قال له: إن لصاً من لصوص قومك عارضني فأخذ متاعاً لي، فسألتُ مَنْ سيدُ قومه فدُلْتُ عليك، فانطلق معي حتى تأخذ متاعي منه؛ فإن أتبعك وحده فستنال ما تريد منه، وإن أخرج معه غيره فاضحك، فإن سألك ممّ تضحك فقل: إن الشريف عندنا لا يصنع كما صنعتَ إذا دُعِيَ إلى اللص من قومه، إنما يخرج وحده بسوطه دون سيفه، فإذا رآه اللص أعطى كل شيء أخذ هيبه له، فإن أمر أصحابه بالرجوع فسبيل ذلك، وإن أبى إلا أن يمضوا معه فأتني به، فإني أرجو أن تقتله وتقتل أصحابه. ونزل خداش تحت ظل شجرة، وخرج قيس حتى أتى العبدى فقال له ما أمره خداش فأحفظه، فأمر أصحابه فرجعوا ومضى مع قيس؛ فلما طلع على خداش، قال له:

(١) متحرّم: له عندنا حرمة وذمة.

(٢) نسبه: طلب إليه أن ينتسب.

أَخْتَرُ يَا قَيْسُ إِمَّا أَنْ أُعِينِكَ وَإِمَّا أَنْ أَكْفِيكَ ؛ قَالَ : لَا أُرِيدُ وَاحِدَةً مِنْهُمَا ، وَلَكِنْ إِنْ قَتَلَنِي فَلَا يُفْلِتَنَّكَ ؛ ثُمَّ ثَارَ إِلَيْهِ فَطَعَنَهُ قَيْسٌ بِالْحَرْبَةِ فِي خَاصِرَتِهِ فَأَنْفَذَهَا مِنْ الْجَانِبِ الْآخِرِ فَمَاتَ مَكَانَهُ ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ قَالَ لَهُ خَدَاشُ : إِنَّا إِنِ فَرَرْنَا الْآنَ طَلَبْنَا قَوْمَهُ ، وَلَكِنْ أَدْخَلْنَا مَكَانًا قَرِيبًا مِنْ مَقْتَلِهِ ، فَإِنْ قَوْمُهُ لَا يَظُنُّونَ أَنَّكَ قَتَلْتَهُ وَأَقَمْتَ قَرِيبًا مِنْهُ ، وَلَكِنْهُمْ إِذَا افْتَقَدُوهُ أَقْتَفَوْا أَثَرَهُ ، فَإِذَا وَجَدُوهُ قَتِيلًا خَرَجُوا فِي طَلَبِنَا فِي كُلِّ وَجْهِ ، فَإِذَا يَبْتَغُونَهُ رَجَعُوا . قَالَ : فَدَخَلْنَا فِي دَارَاتِهِ مِنْ رِمَالٍ هُنَاكَ ، وَفَقَدَ الْعَبْدِيُّ قَوْمَهُ فَاقْتَفَوْا أَثَرَهُ فَوَجَدُوهُ قَتِيلًا ، فَخَرَجُوا يَطْلُبُونَهَا فِي كُلِّ وَجْهِ ثُمَّ رَجَعُوا ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا قَالَ خَدَاشُ . وَأَقَامَا مَكَانَهُمَا أَيَّامًا ثُمَّ خَرَجَا ، فَلَمْ يَتَكَلَّمَا حَتَّى أَتَيَا مَنْزِلَ خَدَاشِ ، فَفَارَقَهُ عِنْدَهُ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ . فِي ذَلِكَ يَقُولُ قَيْسُ :

تَذَكَّرَ لَيْلَى حَسَنَهَا وَصَفَاءَهَا وَبَانَتْ فَمَا إِنْ يَسْتَطِيعُ لِقَاءَهَا
وَمِثْلُكَ قَدْ أَصَبْتُ لَيْسَتْ بِكُنَّةٍ وَلَا جَارَةٍ أَفْضَتْ إِلَيَّ خِبَاءَهَا
إِذَا مَا أَصْطَبَحْتُ أَرْبَعًا خَطَّ مِثْرِي وَأَتَّبَعْتُ دَلْوِي فِي السَّمَاحِ رِشَاءَهَا
ثَارَتْ عَدِيًّا وَالْخَطِيمَ فَلَمْ أُضِعْ وَصِيَّةَ أَشْيَاحٍ جُعِلَتْ إِزَاءَهَا
وهي قصيدة طويلة .

اعجاب بشعره :

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِسْرَائِيلَ قَالَ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى الْمِنْقَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ كَيَّانَ الْعُقَيْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو خَوْلَةَ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ :

(١) الكنة : امرأة الابن أو الأخ .

(٢) يريد أنه إذا شرب أربعا اختال حتى جرَّ ثوبه من الخيلاء .

(٣) يريد أنه بلغ في السباح منتهاه . يقال : أتبعت الدلو رشاءها وأتبعت الفرس لجامها إذا بذل آخر مجهوده .

جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس ليس فيه إلا خَزْرَجِيٌّ ثم
استشهدهم قصيدة قيس بن الخطيم، يعني قوله :

أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَأَطْرَادِ الْمَذَاهِبِ لَعَمْرَةَ وَحْشًا غَيْرَ مَوْقِفِ رَاكِبٍ
فَأَنشده بعضهم إياها، فلما بلغ الى قوله :

أَجَالِدُهُمْ يَوْمَ الْحَدِيقَةِ حَاسِرًا كَأَن يَدِي بِالسَّيْفِ مَخْرَاقٌ^١ لَاعِبٍ

فالتفت اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « هل كان كما ذكر » ؛
فشهد له ثابت بن قيس بن شماس وقال له : والذي بعثك بالحق يا رسول الله ، لقد
خرج الينا يوم سابع عرسه عليه غلالة وملحفة مورسة فجالدنا كما ذكر . هكذا
في هذه الرواية .

وقد أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي
مصعب قال :

لم تكن بينهم في هذه الأيام حروب إلا في يوم بُعث فإنه كان عظيمًا ، وإنما
كانوا يخرجون فيترامون بالحجارة ويتضاربون بالخشب .

قال الزبير وأنشدت محمد بن فضالة قول قيس بن الخطيم :

(١) الاطراد : التابع . والمذاهب : واحدها مذهب وهو جلد تجعل فيه خطوط مذهبة بعضها
في أثر بعض .

(٢) الحديقة : قرية في أعراض المدينة في طريق مكة ، كانت بها وقعة بين الأوس والخزرج
قبل الاسلام (كذا في ياقوت) .

(٣) المخرق : خرقة مفتولة يلعب بها الصبيان ، وتسمى في مصر « بالطرة » .

(٤) مورسة : مصبوغة بالورس وهو نبات أصفر تصبغ به الثياب ويتخذ منه طلاء للوجه .

(٥) بعث : موضع في نواحي المدينة ، كانت به وقائع بين الأوس والخزرج في الجاهلية .

أجالدهم يوم الحديقة حاسراً كأن يدي بالسيف مخراقٌ لأعب

فضحك وقال : ما أقتتلوا يومئذٍ إلا بالرطائب والسعف .

قال أبو الفرج : وهذه القصيدة التي أستنشدهم إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم من جيد شعر قيس بن الخطيم ، وما أنشده نابغة بني ذبيان فاستحسنه وفضله وقدمه من أجله .

مع النابغة :

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال قال أبو غزّية قال حسان بن ثابت :

قدم النابغة المدينة فدخل السوق فتزل عن راحلته ، ثم جثا على ركبتيه ، ثم اعتمد على عصاه ، ثم أنشأ يقول :

عرفتُ منازلًا بعُرَيَّتَيْنِ فَأَعْلَى الْجَزْعِ لِلْحَيِّ الْمَيِّنِ^٢

فقلت : هلك الشيخ ورأيتُه قد تبع قافيةً مُنْكَرَةً . قال ويقال : إنه قالها في موضعه ، فما زال يُنشد حتى أتى على آخرها ، ثم قال : ألا رجل يُنشد ؟ فتقدم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه وأنشده :

أتعرف رُسمًا كَأَطْرَادِ الْمَذَاهِبِ

حتى فرغ منها ؛ فقال : أنت أشعر الناس يا بن أخي . قال حسان : فدخلني منه ، وإني في ذلك لأجد القوة في نفسي عليهما ، ثم تقدمتُ فجلست بين يديه ؛ فقال : أنشد فوالله إنك لشاعر قبل أن تتكلم ، قال : وكان يعرفني قبل ذلك ، فأنشدته ؛

(١) عريّتان : وادٍ ذكره ياقوت في معجمه ، واستشهد بأبيات لداود بن شكيم أولها :

معرّسنا ببطن عريّتان ليجمعنا وفاطمة المسير

(٢) المين : المقيم .

فقال أنت أشعر الناس . قال الحسن بن موسى : وقالت الأوس : لم يزد قيس بن الخطيم النابغة على :

أتعرف رسماً كاطراد المذاهب

- نصف البيت - حتى قال أنت أشعر الناس .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير قال قال سليمان بن داود المجيعي :

كان قيس بن الخطيم مقرون الحاجبين أدعج العينين أحمر الشفتين براق الثنايا
كان بينها برقاً ، ما رآته حليلة رجل قط إلا ذهب عقلها .

مع حسان :

أخبرني الحسن قال حدثنا محمد قال حدثنا الزبير قال حدثني حسن بن موسى عن سليمان بن داود المجيعي قال :

قال حسان بن ثابت للحنساء : أهجي قيس بن الخطيم ؛ فقالت : لا أهجو
أحداً ابداً حتى اراه . قال : لجأته يوماً فوجدته في مشرقة ملتفاً في كساء له ،
فنجسته برجلها وقالت : قم ، فقام ؛ فقالت : أدبر ، فأدبر ؛ ثم قالت : أقبل ،
فأقبل . قال : والله لكانها تعترض عبداً تشتريه ، ثم عاد الى حاله نائماً ؛ فقالت :
والله لا أهجو هذا أبداً .

قال الزبير وحدثني عمي مصعب قال :

كانت عند قيس بن الخطيم حواء بنت يزيد بن سنان بن كرز بن زعوراء

(١) الدعج في العين : شدة سوادها مع سعتها .

(٢) المشرقة مثلثة الرء : موضع القعود في الشمس في الشتاء . وفي بعض النسخ : « مشربة » وهي (بفتح الرء وضمها) : الغرفة التي يشرب فيها ، وقيل : هي كالصفحة بين يدي الغرفة .

فأسلمت، وكانت تكتم قيس بن الخطيم إسلامها، فلما قدم قيس مكة عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام، فاستنظره قيس حتى يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة؛ فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجتنب زوجته حواء بنت يزيد، وأوصاه بها خيراً، وقال له: إنها قد أسلمت؛ ففعل قيس وحفظ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «وفى الأديع».

قال أبو الفرج وأحسب هذا غلطاً من مصعب، وأن صاحب هذه القصة قيس ابن شماس، وأما قيس بن الخطيم فقتل قبل الهجرة.

مصرعه :

أخبرني علي بن سليمان الأخفش النحوي عن أبي سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل :

أن حرب الأوس والخرج لما هدت، تذكرت الخرج قيس بن الخطيم ونكايته فيهم، فتوامروا وتواعدوا قتله؛ فخرج عشية من منزله في ملاءتين يريد مالا له بالشوط حتى مرّ بأطم بني حارثة، فرمي من الأطم بثلاثة اسهم، فوقع احدها في صدره، فصاح صيحة سمعها رهطه، فجاءوا فحملوه الى منزله، فلم يروا له كفتاً إلا أبا صعصة يزيد بن عوف بن مدرك النجاري، فأنس إليه رجل حتى أعتاله في منزله، ف ضرب عنقه وأشتمل على رأسه، فألقى به قيساً وهو بآخر رمق، فألقاه بين يديه وقال: يا قيس قد أدركت بئارك؛ فقال: عضضت

(١) توامروا: لغة غير فصيحة في تأمروا بمعنى تشاوروا. وبعض المحققين يصححه «فتذا مروا» بالذال المعجمة ومعناه تحاضوا على القتال.

(٢) الشوط: بستان بالمدينة، كذا ذكره ياقوت في معجمه واستشهد بأبيات لقيس بن الخطيم منها: وبالشوط من يثرب أعبد ستهلك في الخمر أثمانها

(٣) الأطم: الحصن.

بأير أبيك إن كان غير أبي صعصعة ! فقال : هو أبو صعصعة ، وأراه الرأس ! فلم يلبث قيس بعد ذلك أن مات .

مهاجاته حسان ابن ثابت :

أَجَدَّ بَعْمَرَةَ غُنْيَانُهَا

فما قيل يقوله قيس في عمرة بنت رَوَاحَة ، وقيل : بل قاله في عمرة : امرأة كانت لحسان بن ثابت ، وهي عمرة بنت صامت بن خالد . وكان حسان ذكر ليلى بنت الخطيم في شعره ، فكافأه قيس في ذلك ، وكان هذا في حربهم التي يقال لها يوم الربيع .

فأخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن زهير قال أخبرنا الزبير قال حدثني مصعب قال :

مرّ حسان بن ثابت بليلى بنت الخطيم - وقيس بن الخطيم أخوها بمكة حين خرجوا يطلبون الحلف في قريش - فقال لها حسان : اظعني فألحني بالحي فقد ظعنوا ، وليت شعري ما خلفك وما شأنك : أقلّ ناصرك أم راث رافدك ؟ فلم تكلمه وشمته نساؤها ؛ فذكرها في شعره في يوم الربيع الذي يقول فيه :

لقد هاج نفسك أشجانها وعادوها اليوم أديانها
تذكرت ليلى وأنى بها اذا قُطعت منك أقرانها
وحجل في الدار غربانها وخف من الدار سكّانها

(١) يوم الربيع : يوم من أيام الأوس والخزرج . والربيع موضع من نواحي المدينة .

(٢) الأديان : جمع دين وهو الداء ، يريد داء حبه القديم .

(٣) الأقران : جمع قرن وهو الحبل .

(٤) حجل بالتشديد كحجل بالتخفيف . والحجل : أن يرفع رجلاً ويقفز على الأخرى ، ويكون بالرجلين جميعاً ، إلا إنه قفز وليس بمشي .

وغيرها مُعْصِرَاتُ الرِّيحِ وَسَحُّ الْجَنُوبِ وَتَهْتَانُهَا
مَهَاةٌ مِنَ الْعَيْنِ تَمْشِي بِهَا وَتَتَّبَعُهَا شَمٌّ غَزْلَانُهَا
وَقَفْتُ عَلَيْهَا فَسَاءَ لَهَا وَقَدْ ظَنَنْتُ الْحَيُّ : مَا شَأْنُهَا
فَعَيَّتْ وَجَاوِبِي دُونَهَا بِمَا رَاعَ قَلْبِي أَعْوَانُهَا

وهي طويلة . فأجابه قيس بن الخطيم بهذه القصيدة التي أولها :

أَجَدَّ بَعْمَرَةَ غُنْيَانُهَا

وفخر فيها بيوم الربيع وكان لهم فقال :

وَنَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الرَّيِّعِ قَدْ عَلِمُوا كَيْفَ فُرْسَانُهَا
حَسَانُ الْوَجْهِ حَدَادُ السَّيْوِ فَيَتَنَدَّرُ الْمَجْدُ شُبَّانُهَا

وهي أيضاً طويلة .

الغناء بشعره :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرنا الأصمعيّ قال
حدثني شيخ قدم من المدينة ، وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة
قال حدثنا أبو غسان عن أبي السائب المخزومي ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن
حماد عن أبيه قال ذكر لي عن جعفر بن محرز السدوسي ، قالوا :

دخل النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيُّ الْمَدِينَةَ أَيَّامَ يَزِيدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَأَبْنِ الزُّبَيْرِ ،
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَخَفَقْتُ أَذْنَايَ مِنَ الْغِنَاءِ فَاسْمِعُونِي ؛ فَقِيلَ لَهُ : لَوْ وَجَّهْتَ إِلَى
عَزَّةٍ فَإِنَّهَا مَنْ قَدْ عَرَفَتْ ! قَالَ : إِي وَرَبِّ الْبَيْتِ ، إِنَّهَا لَمَنْ يَزِيدُ النَّفْسَ طِيبًا
وَالْعَقْلَ سَخَدًا ، إِبْعَثُوا إِلَيْهَا عَنْ رِسَالَتِي ، فَإِنْ أَبَتْ صَرْنَا إِلَيْهَا ؛ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ :

(١) يريد أوحشت أذناي من الغناء لطول عهدها به .

إن الثقلة تشدُّ عليها لِثَقَلِ بدنِها وما بالمدينة دابة تحملها؛ فقال النعمان : وأين
النجائب عليها الهودج ! فوجه إليها بنجيب فذكرتُ علةً ، فلما عاد الرسول الى
النعمان قال جليسه أنت كنت أخبرَ بها ، قوموا بنا ؛ فقام هو مع خواصِّ اصحابه
حتى طرَقوها ، فأذنتُ وأكرمتُ واعتذرتُ ، فقبل النعمانُ عُذرَها وقال : غَيِّبني ،
فَعَنَّتْهُ :

أَجَدَّ بِعُمَرَةِ غُيَّابُهَا فَتَهَجَّرَ أُمَّ شَانُنَا شَانُهَا

فأشير إليها أَنَّهَا أُمُّه فسكتت ؛ فقال : غَيِّبني فوالله ما ذكرتُ إِلَّا كرمًا
وِطْبِيًّا ! لا تَغَيِّبني سائرَ اليوم غيره ؛ فلم تزل تَغَيِّبُه هذا اللحن فقط حتى أنصرفت .

وتذاكروا هذا الحديثَ عند الهيثم بن عدي ، فقال : ألا أزيدكم فيه طريفةً !
قلنا بلى يا أبا عبد الرحمن ؛ قال قال لقيط : كنت عند سعيد الزُّبيريِّ قال سمعتُ
عامرا الشعبي يقول : إشتاق النعمان بن بشير الى الغناء فصار الى منزل عَزَّةَ ، فلما
انصرف اذا امرأةٌ بالباب منتظرة له ، فلما خرج شكتُ اليه كثرةَ غَشِيَانِ زوجها
إياها ؛ فقال لها النعمان بن بشير : لا قُضِيَنَّ بينكما بقضية لا تُرَدُّ عليَّ ، قد أحلَّ
الله له من النساء مَثْنِي وثلاث ورُبَاعَ ، فله امرأتان بالنهار وامرأتان بالليل . فهذا
يدلُّ على أنَّ المعنِيَّةَ بهذا الشعر عمرة بنت رواحة .

وأما ما ذكر أنه عَنِ عُمَرَةَ امرأةَ حسان بن ثابت ، فأخبرني الحسن بن علي
قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزُّبير بن بَكَّار عن عه :

أَنَّ قيس بن الخطيم لما ذكر حسانَ أختَه ليلي في شعره ذكر امرأته عمرة ،
وهي التي يقول فيها حسان :

أَزْمَعْتُ عُمَرَةَ صَرْمًا فَأَبْتَكِرُ

أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد قال حدثنا الزُّبير قال حدثني عَمِي مصعب
قال :

تَرَوِّجُ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ عَمْرَةَ بِنْتِ الصَّامِتِ بْنِ خَالِدِ بْنِ عَطِيَّةِ الْأَوْسِيَّةِ ثُمَّ
إِحْدَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، فَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَعْجَبًا بِصَاحِبِهِ ، وَإِنَّ الْأَوْسَ
أَجَارُوا مَخْلَدَ بْنَ الصَّامِتِ السَّاعِدِيَّ فَقَالَ فِي ذَلِكَ أَبُو قَيْسٍ بْنُ الْأَسْلَتِ :

أَجَرْتُ مَخْلَدًا وَدَفَعْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ صَالِحٌ مَا أَتَيْتُ

فَتَكَلَّمَ حَسَّانُ فِي أَمْرِهِ بِكَلَامٍ أَغْضَبَ عَمْرَةَ ، فَعَيَّرَتْهُ بِأَخْوَالِهِ وَفَخَّرَتْ عَلَيْهِ
بِالْأَوْسِ ؛ فَغَضِبَ لَهُمْ فَطَلَقَهَا ، فَأَصَابَهَا مِنْ ذَلِكَ نَدَمٌ وَشِدَّةٌ ، وَنَدِمَ هُوَ بَعْدُ فَقَالَ :

صوت

أَزْمَعْتُ عَمْرَةَ صَرْمًا فَأَبْتَكُرُ إِنَّمَا يُدْهِنُ^١ لِلْقَلْبِ الْخَصِرُ^٢
لَا يَكُنْ حُبُّكَ حَبًّا ظَاهِرًا لَيْسَ هَذَا مِنْكَ يَا عَمْرُ بَسِرُ^٣
سَأَلْتُ حَسَّانَ مَنْ أَخْوَالُهُ إِنَّمَا يَسْأَلُ^٤ بِالشَّيْءِ الْغُمُرُ^٥
قَلْتُ أَخْوَالِي بَنُو كَعْبٍ إِذَا أَسْلَمَ الْأَبْطَالُ عَوْرَاتِ الدُّبُرِ^٦

يُرِيدُ يُدْهِنُ الْقَلْبُ ، فَأَدْخَلَ اللَّامَ زَائِدَةً لِلضَّرُورَةِ . عَمْرُ : تَرْخِيمُ عَمْرَةَ .
وَالسَّرُ : الْخَالِصُ الْحَسَنُ . غَنَّتْ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ غَزَّةَ الْمَيْلَاءِ ثَانِي تَقِيلُ بِالْبِنْصَرِ
مِنْ رَوَايَةِ حَبَشٍ .

وتمام القصيدة :

رُبَّ خَالٍ لِي لَوْ أَبْصَرْتَهُ سَيْطُ الْمِشْيَةِ فِي الْيَوْمِ الْخَصِرِ^٧

(١) يدهن : ينافق ويصانع .

(٢) الخصر : الضيق .

(٣) الغمر مثله : من لم يجرب الامور والجاهل الأبله .

(٤) الخصر : البارد . يريد انه يسعى على الناس لا يقعد عنهم في اليوم البارد المجذب . وفي اللسان
مادة سبط : « سبط الكفين » وهو السمع الجواد . وفي هذه القصيدة سناد التوجيه وهو تغير حركة
ما قبل الروي المقيد (اي الساكن) بفتحة مع غيرها من ضمة أو كسرة ، وهو أقبح أنواع السناد
عند الخليل .

عند هذا الباب إذ ساكنه كل وجه حسن النقبة^١ حر^٢
يوقد النار إذا ما أطفئت^٣ يُعجل القدر بأثباح الجزر^٤
من يغر الدهر أو يأمنه من قبيل بعد عمرو وحجر^٥
ملكا من جبل الثلج الى جانبي أيلة^٦ من عبد وحر^٧
ثم كانا خير من نال التدى سبعا الناس بإقساط^٨ وبر^٩
فارسي خيل إذا ما أمسكت ربة الحدر بأطراف الست^{١٠}
أتيا فارس في دارهم فتناها بعد إعصار^{١١} بقر^{١٢}
ثم نادوا يا لغسان أصبروا إنه يوم مصاليت^{١٣} صبر^{١٤}
إجعلوا مغلها أيمانكم بالصفيح المصطفى غير الفطر^{١٥}
بضراب تأذن^{١٦} الجن له وطعان مثل أفواه الفقر^{١٧}
ولقد يعلم من حاربنا أننا ننفع^{١٨} قدما ونضر^{١٩}
صبر للموت إن حل بنا صادقوا البأس غطاريف^{٢٠} فخر^{٢١}
وأقام الغر فينا والغنى فلنا فيه على الناس الكبر^{٢٢}

- (١) النقبة بالضم : اللون، وبالكسر هيئة الانتقاب .
- (٢) أثباح الجزر : أواسطها ، يقول إذا أطفئت نيران الناس من الجذب أوقد ناره وأطعم .
- (٣) عمرو : من ملوك غسان .
- (٤) في شرح ديوان حسان : جبل الثلج بدمشق ، وأيلة ما بين الحجاز والشام .
- (٥) الإقساط : العدل .
- (٦) الإعصار : الزوبعة .
- (٧) المصاليت : جمع مصلات وهو الشجاع .
- (٨) الفطر : جمع فطير، والفطير من السيوف : المنثلم .
- (٩) تأذن : تستمع .
- (١٠) الفقر ج فقير: وهو مخرج الماء من فم القناة .
- (١١) الكبر بضم فسكون أو كسر فسكون : الشرف، وقد حركت الباء هنا لضرورة الشعر ، إذ للشاعر أن يحرك الساكن فيما قبل القافية بحركة ما قبله .

منهمُ أَصلي فمن يَفْخَرُ به يَعْرِفُ الناسُ بفخرِ المَفْتَخِرِ
نحنُ أهلُ الغرِّ والمجدِ معاً غيرُ أنْكَاسٍ ولا مِيلٍ عُسْرُ
فأسألوا عنا وعن أفعالنا كلُّ قومٍ عندهم علمُ الْخَبَرِ

قال الزبير فحدثني عمي قال: ثم إن حسان بن ثابت مر يوماً بنسوة فيهن
عمره بعد ما طلقها، فأعرضت عنه وقالت لامرأة منهن: إذا حاذاك هذا الرجل
فاسأليه من هو وأنسبيه وأنسي أحواله وهي متعرضة له، فلما حاذاهن سأله
من هو ونسبته فانتسب لها، فقالت: فمن أحوالك؟ فأخبرها، فبصقت عن شمالك
وأعرضت عنه؛ فحدد النظر إليها وعجب من فعلها وجعل ينظر إليها، فبصر
بأمراته وهي تضحك فعرفها وعلم أن الأمر من قبلها أتى، فقال في ذلك:

قالت له يوماً تخاطبه رياً الروادف غادة الصلب
أما المروءة والوسامة أو حشم الرجال فقد بدا، حسبي
فوددت أنك لو تجبرنا من والداك ومنصب الشعب
فضحكت ثم رفعت متصلاً صوتي كرفع المنطق الشعب
جدي أبو ليلى ووالده عمرو وأخوالي بنو كعب
وأنا من القوم الذين إذا أزم الشتاء بجلقة الجذب
أعطى ذوو الأموال مغيرهم والضارين بموطن الرعب

(١) يعرف: يقر ويعترف.

(٢) النكس: الضعيف الدنيء. والميل: جمع أميل وهو الذي به ميل خلقة، وعسر جمع اعسر وهو الذي يعمل بشماله.

(٣) المنصب: الأصل والمحتد.

(٤) قال صاحب الكشف: الشعب الطبقة الأولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة، فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العائر، والعمارة تجمع البطون، والبطن يجمع الأفخاذ، والفخذ تجمع الفصائل.

(٥) متصلاً: منتسباً، من قولهم: اتصل إلى بني فلان: انتمى وانتسب.

(٦) أزم: اشتد.

قال مصعب : وأبو ليلى الذي عناه حسّان : حرام بن عمرو بن زيد مناة .

ومما فيه صنعة من المائة المختارة من شعر قيس بن الخطيم

صوت

حوراء ممكورة^١ منعمة^٢ كأنما شفّ وجهها ترف^٣
تنام^٤ عن كبر شأنها فإذا قامت رويداً تكاد تنقص^٥
أوحش من بعد خلّة سرف^٦ فالمنحنى فالعقيق فالجرف^٧

الشعر لقيس بن الخطيم سوى البيت الثالث . والغناء لقفا النجّار ، ولحنه المختار ثاني ثقيل ، هكذا ذكر يحيى بن عليّ في الاختيار الواثقي . وهو في كتاب إسحاق لقفا النجّار ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى النّصر ، ولعلّه غير هذا اللحن المختار .

في المعامع :

وهذا الشعر يقوله قيس بن الخطيم في حرب كانت بينهم وبين بني جحججي وبني خطمة ، ولم يشهدا قيس ولا كانت في عصره ، وإنما أجاب عن ذكرها شاعراً منهم يُقال له : درهم بن يزيد . قال ابو المنهال عتيبة بن المنهال : بعث رجل من غطفان من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان الى يثرب بفرس وحلّة مع رجل

(١) المكورة : المدبجة الخلق .

(٢) النرف بضم فسكون وحرك هنا للضرورة : خروج الدم . أراد ان في لونهما مع البياض صفرة .

(٣) سرف : موضع على ستة أميال من مكة ، وهو مصروف وبعضهم يمنع صرفه على أنه اسم للبقعة . والمنحنى والعقيق والجرف : أسماء مواضع .

من غطفان وقال : ادفعهما الى أغز أهل يثرب - قال وقيل : إن الباعث بهما عبدُ ياليل بن عمرو التقي . قال وقيل : بل الباعثُ بهما علقمة بن علاثة - فجاء الرسول بهما حتى ورد سوق بني قينقاع فقال ما أمرَ به ، فوثب اليه رجلٌ من غطفان كان جاراً لمالك بن العجلان الخزرجي يقال له كعب الثعلبي ، فقال : مالك ابن العجلان أغز أهل يثرب ؛ وقام رجل آخر فقال : بل أُحِيحةُ بن الجلاح أغز أهل يثرب ، وكثر الكلام ؛ فقيل الرسول الغطفاني قول الثعلبي الذي كان جاراً لمالك بن العجلان ودفعهما الى مالك ؛ فقال كعب الثعلبي : ألم أقل لكم : إن حليفي أغزكم وأفضلكم ! فغضب رجلٌ من بني عمرو بن عوف يقال له سُمير فرصد الثعلبي حتى قتله ، فأخبر مالك بذلك ، فأرسل الى بني عمرو بن عوف بن مالك ابن الأوس : إنكم قتلتم منا قتيلاً فأرسلوا اليه بقاتله ؛ فلما جاءهم رسول مالك تراموا به : فقالت بنو زيد : إنما قتلته بنو جحجي ، وقالت بنو جحجي : إنما قتلته بنو زيد ، ثم أرسلوا الى مالك : إنه قد كان في السوق التي قُتل فيها صاحبكم ناسٌ كثير ، ولا يُدرى أيهم قتلته ؛ وأمر مالك أهل تلك السوق أن يتفرقوا ، فلم يبق فيها غير سُمير وكعب ، فأرسل مالك الى بني عمرو بن عوف بالذي بلغه من ذلك وقال : إنما قتلته سُمير ، فأرسلوا به إليّ أقتله ؛ فأرسلوا اليه : إنه ليس لك أن تقتل سُميراً بغير بيّنة ؛ وكثرت الرسل بينهما في ذلك : يسألهم مالك أن يعطوه سُميراً ويأبون أن يعطوه إياه . ثم إن بني عمرو بن عوف كرهوا أن يُنشبوا بينهم وبين مالك حرباً ، فأرسلوا اليه يعرضون عليه الدية فقيلها ؛ فأرسلوا اليه : إن صاحبكم حليف وليس لكم فيه إلا نصف الدية ، فغضب مالك وأبى أن يأخذ فيه إلا الدية كاملة أو يقتل سُميراً ؛ فأبى بنو عمرو بن عوف أن يعطوه إلا دية الحليف وهي نصف الدية ، ثم دَعَوْه أن يحكم بينهم وبينه عمرو بن أمريء القيس أحد بني الحارث بن الخزرج وهو جدّ عبد الله بن رَوَاحَة ففعل ، فأنطلقوا حتى جاءوه في بني الحارث بن الخزرج ، ففُضِيَ على مالك بن العجلان أنه ليس له في حليفه إلا

(١) عبد ياليل : رجل كان في الجاهلية ، وياليل : صنم أضيف اليه كعبد يغوث وعبد مناة وعبد ود وغيرها .

دية الحلية، وأبى مالك أن يرضى بذلك وآذن بني عمرو بن عوف بالحرب، وأستنصر قبائل الخزرج، فأبى بنو الحارث بن الخزرج أن تنصره غضباً حين ردّ قضاء عمرو ابن أموى القيس؛ فقال مالك بن العجلان يذكر خذلان بني الحارث بن الخزرج له وحذب بني عمرو بن عوف على سُمير، ويجرّض بني النجّار على نُصرته :

إن سُميراً أرى عشيرته قد حذبوا دونه وقد أنفوا
إن يكن الظن صادقاً ببني النجّار لا يطعموا الذي علفوا
لا يُسلمونا لمعشر أبداً ما دام منا بطنها شرف
لكن موالى قد بدا لهم رأي سوى ما لديّ أو ضعفوا

يقال : علفوا الضيم إذا أقرؤوا به ، أي ظني أنهم لا يقبلون الضيم .

صوت

بين بني جَجَجِي وبين بني زِيدٍ فآنى لجاري التَّلَفُ
يمشون في البَيْضِ والدروع كما تمشي جمالٌ مصاعبٌ قُطَفُ^٢
كما تمشي الأسودُ رَهَجٌ^٣ السموتِ إليه وكلّهم لَهْفُ

غنى في هذه الأبيات معبد خفيف ثقيل عن إسحاق ، وذكر الهشامي أن فيه لحناً من الثقيل الأوّل للعريض .

وقال درهم بن يزيد بن ضبيعة أخو سُمير في ذلك :

(١) الشرف : الشريف ، يقال هو شرف قومه وكرمهم أي شريفهم وكرمهم .

(٢) البيض : جمع بيضة وهي ما يلبس على الرأس من حديد كالخوذة للوقاية في الحرب .
والمصاعب : جمع مصعب وهو الفحل الذي لم يركب ولم يمسه جبل حتى صار صعباً . والقطف : السريعة الخطو .

(٣) الرهج : الغبار .

يا قوم لا تقتلوا سبيراً فإنَّ القتلَ فيه البوارُ والأسفُ
 إنَّ تقتلوه تَرِنًا نِسوتكم على كريمٍ ويُفَرِّعُ السِّلَفُ
 إني لعمري الذي يحجُّ له الناسُ ومن دون بيته سرفُ
 عَيْنُ بَرٍّ بالله مجتهدٍ يحلفُ إن كان ينفع الحلفُ
 لا زفعُ العبدِ فوقُ سُنَّتِهِ ما دام منَّا ببطنها شرفُ
 إنك لاقِ غداً غواةً بني عمي فأنظر ما أنت مُزْدَهَفُ^٢
 فأبدِ سِيَاكَ يَعْرِفوكَ كما يُبدونَ سِيَاهُم فتعترفُ

معنى قوله « فأبدِ سِيَاكَ » : أن مالك بن العجلان كان اذا شهد الحرب يغير
 لباسه ويتنكر لئلا يُعرف فيقتصد .

وقال درهم بن يزيد في ذلك :

يا مال لا تبغين ظلامتنا يا مال إنا معاشرُ أنفُ
 يا مال والحق إن قنعت به فيه وفينا لأمرنا نصفُ
 إن تجيراً عبدٌ فخذُ ثناً فالحق يُوفى به ويُعترفُ
 ثم أعلمن إن أردت ضيمَ بني زيدٍ فإني ومن له الحلفُ
 لا صبحن داركم بذي لبٍ جونٍ له من أمامه عزفُ^٣
 البيضُ حصنٌ لهم إذا قرعوا وسابغاتُ كأنها النطفُ^٤
 والبيضُ قد ثلثت مضاربها بها نفوسُ الكماةِ تحتطفُ
 كأنها في الأكفِ إذ لمعتْ وميضُ برقٍ يبدو وينكسفُ

(١) ترن نسوتكم : يرفعن اصواتهن بالبكاء .

(٢) مزدَهَف : مقتحم، أي انظر ما أنت مقتحمه ومقدم عليه من الشر .

(٣) العزف : الصوت وحرك للضرورة .

(٤) النطف : (بالتحريك أو بضم الاول وفتح الثاني) : جمع نطفة (بالتحريك أو الضم) وهي
 اللؤلؤة الصافية اللون أو قطرة الماء . وكتاها تشبه بها الدروع لصفائها .

وقال قيس بن الخطيم الظفريّ أحد بني النبيت في ذلك ، ولم يدركه وإنما قاله
بعد هذه الحرب بزمان ، ومن هذه القصيدة الصوت المذكور :

ردّ الحليطُ الجمالَ فأنصرفوا ماذا عليهم لو أنهم وقفوا
لو وقفوا ساعةً نسألهم ريث يضحى جماله السلف^١
فيهم لعوبُ العشاء أنسةُ الدّل عروب يسوءها الخلف^٢
بين شُكول النساء خلقتُها قصدٌ فلا جبلةٌ ولا قصف^٣
تنام عن كُبر شأنها فإذا قامت رويداً تكاد تنغرف^٤
تغترق الطرفَ وهي لاهيةٌ كأنما شفَّ وجهها نرف^٥
حوراءٌ جِداء يُستضاء بها كأنها خوطُ بانهٍ قصف^٦
قضى لها الله حين صورها الخالق أن لا يُكنَّها سدَف^٧
خودٌ^٨ يَغثُ الحديثُ ما صمَّتت وهو يفيها ذو لذة طرف^٩
تخرُّنه وهو مشتهى حسنٌ وهو إذا ما تكلمت أنف^{١٠}

-
- (١) الريث : مقدار المهلة من الزمان . ويضحى من الضياء وهو أن يرعى الإبل ضحى . والسلف :
القوم الذين يتقدمون الظعن ينفضون الطرق .
- (٢) لعوب العشاء : تسمر مع السمار وتلهو . والعروب : الحسناء المتحبة الى زوجها ، وقيل : الضحكة .
- (٣) تنغرف : تنقص من دقة خصرها .
- (٤) يريد : من نظر اليها استغرقت طرفه وبصره وشغلته عن النظر الى غيرها وهي لاهية
غير محتفلة .
- (٥) الحوراء : ذات الحور ، وهو سعة العين ، أو شدة سواد الحدقة مع شدة بياضها .
والجيداء الطويلة الجيد . والخوط : الغصن .
- (٦) معناه الخوار الناعم المشئي .
- (٧) السدف : الظلمة ، والمراد أنها مضيئة لا تسترهما ظلمة .
- (٨) الخود : الشابة الناعمة ما لم تصر نصفاً .
- (٩) الطرف : المستطرف المحبوب .
- (١٠) الأنف : المستأنف الجديد .

وهي طويلة يقول فيها :

أبلغ بني جحجي وإخوتهم زيراً بأنا وراءهم أنف^١
 إنا وإن قل نصرنا لهم أكبادنا من وراءهم تحنف^٢
 لما بدت نحونا جباؤهم حنت إلينا الأرحام والصحف^٣
 نفلي مجد الصفيح هاهمهم وفلينا هاهمهم بها جنف^٤
 يتبع آثارها إذا اختلجت سخن عبيط عروقه تكف^٥
 إن بني عمنا طعوا وبعوا ولج منهم في قومهم سرف^٦

فرد عليه حسان بن ثابت ولم يدرك ذلك :

ما بال عينيك دمعها يكف^١ من ذكر خود شطت بها قذف^٢
 بانت بها غربة تؤم بها أرضاً سوانا والشكل مختلف^٣
 ما كنت أدري بوشك بينهم حتى رأيت الحدوج تنقذف^٤
 دع ذا وعد القريض في نفر^٥ يرجون مدحي ومدحي الشرف^٦
 إن تدع قومي للمجد تليفهم أهل فعال يبدوا إذا وُصفوا^٧
 إن سمييراً عبد طعى سفهاً ساعده أعبد لهم نطف^٨

قال : ثم أرسل مالك بن العجلان الى بني عمرو بن عوف يؤذونهم بالحرب ،

(١) أنف : ذوو انفة ندفع الضيم عنهم وننصرهم . ورواية الديوان :

أبلغ بني جحجي وقومهم خطمة أنا وراءهم أنف

(٢) الصحف : العهود .

(٣) يقال : فلاه بالسيف إذا علاه . والصفيح : جمع صفيحة وهي السيف العريض . والجنف :

انحراف وميل عما توجهه القربى والرحم . يريد أن قتلنا إياهم عنف منا لأنهم قومنا وبنو عمنا .

(٤) اختلجت : انتزعت . وسخن عبيط : دم طري ساخن .

(٥) قذف : بعيدة ، يقال : نوى قذف ونية قذف : أي بعيدة تقذف بمنتهيها .

(٦) النطف بالتحريك : القرط ، وغلाम منطف ووصيفة منطقة بتشديد الطاء وفتحها أي

مقرطة ، قال الأعشى :

يسعى بها ذو ذجاجات له نطف مقلص أسفل السربال معتمل

ويعدهم يوماً يلتقون فيه، وأمر قومه فتهيأوا للحرب، وتحاشد الحيان وجمع بعضهم بعض. وكانت يهود قد حالفت قبائل الأوس والخزرج، إلا بني قريظة وبني النضير فإنهم لم يحالفوا أحداً منهم، حتى كان هذا الجمع، فأرسلت اليهم الأوس والخزرج، كل يدعوهم الى نفسه، فأجابوا الأوس وحالفوهم، والتي حالفت قريظة والنضير من الأوس أوس الله وهي خطمة وواقف وأمّية ووائل، فهذه قبائل أوس الله. ثم زحف مالك بن معه من الخزرج، وزحفت الأوس بمن معها من حلفائها من قريظة والنضير، فالتقوا بفضاء كان بين بئر سالم وقباء، وكان أول يوم التقوا فيه، فأقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انصرفوا وهم منتصفون جميعاً، ثم التقوا مرة أخرى عند أطم بني قينقاع، فأقتتلوا حتى حجز الليل بينهم، وكان الظفر يومئذ للأوس على الخزرج، فقال أبو قيس بن الأسلت في ذلك :

لقد رأيت بني عمرو فما وهنوا عند اللقاء وما هثموا بتكذيب
ألا فدى لهم أُمّي وما ولدت غداة يمشون إرقال المصاعيب
بكل سلهبة كالأيم ماضية وكل أبيض ماضي الحد مخشوب

- أصل المخشوب : الحديث الطبع، ثم صار كل مصقول مخشوباً؛ فشبهها بالحية في انسلالها - قال : فلبث الأوس والخزرج متحاربين عشرين سنة في أمر سيمر يتعاودون القتال في تلك السنين، وكانت لهم فيها أيام ومواطن لم تحفظ، فلما رأت الأوس طول الشر وأن مالكا لا ينزع^(١)، قال لهم سويد بن صامت الأوسي - وكان يقال له الكامل في الجاهلية، وكان الرجل عند العرب إذا كان شاعراً شجاعاً كاتباً ساجماً رامياً سمّوه الكامل، وكان سويد أحد الكلمة - : يا قوم، أرضوا هذا الرجل من حليفه، ولا تقيموا على حرب إخوتكم فيقتل بعضهم بعضاً ويطمع فيكم غيركم، وإن حملتم على أنفسكم بعض الحمل. فأرسلت الأوس الى مالك بن العجلان يدعونه الى أن يحكم بينه وبينهم ثابت بن المنذر بن حرام أبو

(١) السلهبة من الخيل : الطويلة على وجه الارض .

(٢) ينزع : يكف وينتهي .

حَسَّانَ بن ثابت، فأجابهم الى ذلك، فخرجوا حتى أتوا ثابت بن المنذر، وهو في البئر التي يقال لها سُمَيْحَة^١، فقالوا: إنا قد حَكَمْنَاكَ بيننا؛ فقال: لا حاجة لي في ذلك؛ قالوا: ولم؟ قال: أخاف أن تردوا حُكْمِي كما رددتم حكم عمرو بن أمريء القيس؛ قالوا: قَانَا لا نردَّ حكمك فاحكم بيننا؛ قال: لا أحكم بينكم حتى تُعْطُونِي مَوْرَثًا وعهدًا لَتَرْضَوْنَ بحكمي وما قضيتُ به وَلِتُسَلِّمَنَّ له؛ فأعطوه على ذلك عهودهم ومواريقهم، فحكم بأن يُودَى حليف مالك دية الصريح ثم تكون السنة فيهم بعده على ما كانت عليه: الصريح على ديتته والحليف على ديتته، وأن تُعَدَّ القتلى الذين أصاب بعضهم من بعض في حربهم ثم يكون بعضٌ ببعض ثم يُعْطُوا الدية لمن كان له فضلٌ في القتلى من الفريقين، فرضي بذلك مالكٌ وسَلِمَتْ الأوس وتفرقوا على أن على بني النجار نصف دية جارٍ مالكٍ معونةً لإخوتهم، وعلى بني عمرو بن عوف نصفها؛ فرأت بنو عمرو بن عوف أنهم لم يُخرجوا إلا الذي كان عليهم، ورأى مالكٌ أنه قد أدرك ما كان يطلب، ووُدِيَ جاره دية الصريح. ويقال: بل الحاكم المنذر أبو ثابت.

(١) هي بئر بالمدينة وقيل بناحية قديد.

ذكر طويس وأخباره

اسمه وكنيته :

طُؤيس لقبٌ غلب عليه ، واسمه عيسى بن عبد الله ، وكنيته أبو عبد المنعم وغيرها المختشون فجعلوها أبا عبد النعم ، وهو مولى بني مخزوم . وقد حدثني جحظة عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن الواقدي عن ابن أبي الزناد : قال سعد بن أبي وقاص : كُني طويس أبا عبد المنعم .

اول من غنى في المدينة :

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المسيبي ومحمد بن سلام الجمحي ، وعن الواقدي عن ابن أبي الزناد ؛ وعن المدائني عن زيد بن أسلم عن أبيه ، وعن ابن الكلبي عن أبيه وعن أبي مسكين ، قالوا :

أول من غنى بالعربي بالمدينة طويس ، وهو أول من ألقى الخنث بها ، وكان طويلاً أحول يُكنى أبا عبد المنعم ، مولى بني مخزوم ، وكان لا يضرب بالعود إنما كان ينقر بالدف ، وكان ظريفاً عالماً بأمر المدينة وأنساب أهلها ، وكان يُتقى للسان ، قالوا : وسئل عن مولده فذكر أنه وُلد يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفُطم يوم مات أبو بكر ، وُخت يوم قُتل عمر ، وزُوج يوم قُتل عثمان ، ووُلد له يوم قُتل علي رضوان الله عليهم أجمعين . قال وقيل : إنه وُلد له يوم مات الحسن بن علي عليهما السلام . قال : وكانت أمي تمشي بين نساء الأنصار بالنسيمة . قالوا وأول غناء غناه وهزج به :

صوت

كيف يأتي من بعيدٍ وهو يُخْفِيهِ القريبُ
نازحٌ بالشامِ عنّا وهو مِكْسَالٌ هَيُوبُ
قد براني الحبُّ حتى كدتُ من وجدي أذوبُ

قال إسحاق : أخبرني الهيثم بن عدي قال قال صالح بن حسان الأنصاري
أنبأني أبي قال :

حبه قريشاً :

اجتمع يوماً جماعةٌ بالمدينة يتذاكرون أمر المدينة الى ان ذكروا طويساً ،
فقالوا : كان وكان ؛ فقال رجل منّا : أمّا لو شاهدتموه لرأيتم ما تُسرّون به علماً
وظرفاً وحسنَ غناء وجودةَ نقرٍ بالدفّ ، ويُضحك كلّ ثكلي حرّى ؛ فقال بعض
القوم : والله إنه على ذلك كان مشؤوماً ؛ وذكر خبر ميلاده كما قال الواقدي ،
إلا أنه قال : وُلد يوم مات نبيّنا صلى الله عليه وسلم ، وفُطِمَ يوم مات صديقنا ،
وُخِنَ يوم قُتِلَ فاروقنا ، وزُوجَ يوم قُتِلَ نورنا ، ووُلد له يوم قُتِلَ أخو نبيّنا
وكان مع هذا مَخْنَتاً يَكِيدُنَا ويطلب عَثْرَاتِنَا ؛ وكان مُفْرِطاً في طوله مضطرباً في
خَلْقِهِ أَحُولَ . فقال رجل من جِلَّةِ أهل المجلس : لئن كان كما قلتَ لقد كان مُتَمَتِّعاً
فهِمّاً يُحَسِّنُ رِعَايَةَ مَنْ حَفِظَ لَهُ حَقَّ المَجَالِسَةِ ، ورِعَايَةَ حُرْمَةِ الخِدْمَةِ ، وكان لا
يحمل قول من لا يَرعى له بعض ما يَرعاه له . ولقد كان مُعْظِماً لمواليه بني مخزوم
وَمَنْ والاهم من سائر قريش ، ومسالماً لمن عاداهم دون التَّحْكِيكِ بِهِ ؛ وما يلام
من قال بعلم وتكلم على فهم ، والظالم المَلُوم ، والباديء أظلم . فقال رجل آخر :
لئن كان ما قلتَ لقد رأيتُ قريشاً يَكْتَنِفُونَهُ وَيُحْدِقُونَ بِهِ وَيُحِبُّونَ مَجَالِسَتَهُ

(١) يشير بقوله « أخو نبيّنا » الى علي بن أبي طالب .

وَيُنْصَتُونَ إِلَى حَدِيثِهِ وَيَتَمَنَّوْنَ غَنَاءَهُ، وَمَا وَضَعَهُ شَيْءٌ إِلَّا خَشَّهُ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا بَقِيَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ وَغَيْرِهِمْ إِلَّا أَدْنَاهُ.

أَخْبَرَنِي رِضْوَانُ بْنُ أَحْمَدَ الصَّيْدَلَانِيَّ قَالَ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنُ الْمُهْدِيَّ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَامِعٍ عَنْ سَيَاطٍ قَالَ :

كَانَ أَوَّلُ مَنْ تَغَنَّى بِالْمَدِينَةِ غَنَاءً يَدْخُلُ فِي الْإِيْقَاعِ طُؤِيسٌ، وَكَانَ مَوْلَدُهُ يَوْمَ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِطَامُهُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي تُؤْتَى فِيهِ أَبُو بَكْرٍ، وَخِتَانُهُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ عُمَرُ، وَبَنَاؤُهُ بِأَهْلِهِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ عُمَانُ، وَوُلْدَ لَهُ يَوْمَ قَتَلَ عَلِيٌّ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَوُلِدَ وَهُوَ ذَاهِبُ الْعَيْنِ الْيَمْنَى. وَكَانَ يَلْقَبُ بِالذَّائِبِ، وَإِنَّمَا لُقِبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ غَنَّى :

قَدْ بَرَانِي الْحُبُّ حَتَّى كَدْتُ مِنْ وَجْدِي أَذُوبُ

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَخْبَرَنِي ابْنُ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي مَسْكِينٍ قَالَ :

مع الخنثين :

كَانَ بِالْمَدِينَةِ مَخْنَثٌ يُقَالُ لَهُ التُّغَاشِيَّ، فَقِيلَ لِمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ : إِنَّهُ لَا يَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ شَيْئًا، فَبَعَثَ إِلَيْهِ يَوْمئِذٍ، وَهُوَ عَلَى الْمَدِينَةِ، فَاسْتَقْرَأَهُ أُمُّ الْكِتَابِ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا مَعِيَ بِنَاتُهَا، أَوْ مَا أَقْرَأُ الْبَنَاتُ فَكَيْفَ أَقْرَأُ أَهْنًا! فَقَالَ : أَتَهْزَأُ لَا أُمَّ لَكَ! فَأَمَرَ بِهِ فُقْتُلَ فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ بَطْحَانٌ، وَقَالَ : مَنْ جَاءَنِي بِمَخْنَثٍ فَلَهُ عَشْرَةُ دَنَانِيرَ. فَأُتِيَ طُؤِيسٌ وَهُوَ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْحَزْرَجِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ يَغْتَنِّي بِشَعْرِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ :

(١) الإيقاع : بناء الحان الغناء على موقعها وميزانها .

(٢) بطحان - بفتح أوله وكسر ثانيه كما ضبطه أهل اللغة - : واد بالمدينة وهو أحد أوديتها الثلاثة : العقيق وبطحان وقناة . والمحدثون ينطقونه بضم أوله وسكون ثانيه .

لقد هاج نفسك أشجانها وعادوها اليوم أديانها
تذكرت هنداً وما ذكرها وقد قطعت منك أقرانها
وقفت عليها فساءلتها وقد ظعن الحي ما شأنها
فصدت وجاب من دونها بما أوجع القلب أعوانها

فأخبر بمقالة مروان فيهم؛ فقال: أما فضلي الأمير عليهم بفضل حتى جعل في
فيهم أمراً واحداً! ثم خرج حتى نزل السويداء - على ليلتين من المدينة في طريق
الشام - فلم يزل بها عمره، وعمر حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك.

قال إسحاق وأخبرني ابن الكلبي قال أخبرني خالد بن سعيد عن أبيه
وعوانة قال:

قال هيت الخنث لعبد الله بن أبي أمية: إن فتح الله عليكم الطائف فسئل
النبي صلى الله عليه وسلم بادية بنت غيلان بن سلمة بن معتب، فإنها هيفاء شعوع^١
نجلاء، إن تكلمت تغنت، وإن قامت تثنت، تُثقل بأربع وتُدبر بثان^٢، مع
ثغر كأنه الأقران، وبين رجلين كالإنياء المكفوء، كما قال قيس بن الخطيم:

تغترق الطرف وهي لاهية كأنما شف وجهها تُرف
بين شُكول النساء خلقتها قصد فلا جبلة ولا قصف

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد «غلغلت النظر يا عدو الله»، ثم جلّاه
عن المدينة إلى الحمى. قال هشام: وأول ما اتُخذت النعوش من أجلها. قال:
فلما فتحت الطائف تزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له بريهة. فلم يزل هيت
بذلك المكان حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم؛ فلما ولي أبو بكر رضي الله

(١) الشموع: اللعوب الضحوك.

(٢) يريد أن عكن بطنها إذا أقبلت أربع وإذا أدبرت ثمان.

(٣) جمع نعش وهو شبه الحفة يحمل عليها الملك إذا مرض.

عنه كلّم فيه فأبى أن يرُدّه ؛ فلما وليَ عمر رضي الله عنه كلّم فيه فأبى أن يرُدّه وقال : إن رأيته لأضربنّ عنقه ؛ فلما وليَ عثمان رضي الله عنه كلّم فيه فأبى أن يرُدّه ؛ فقليل له : قد كبير وضعف واحتاج ؛ فأذن له أن يدخل كلّ جمعة فيسأل ويرجع إلى مكانه . وكان هيت مولى لعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي وكان طويس له ؛ فمن ثمّ قيل الحنث .

وجلس يوماً فغنى في مجلس فيه ولد لعبد الله بن أبي أمية :

تغترق الطرف وهي لاهية

إلى آخر البيتين ؛ فأشير إلى طويس أن أسكت ؛ فقال : والله ما قيل هذان البيتان في ابنة غيلان بن سلمة وإنما هذا مثلٌ ضربه هيت في أمّ بُريهة ؛ ثم التفت إلى ابن عبد الله فقال : يا ابن الطاهر ، أوجدت عليّ في نفسك ؟ أقسم بالله قسماً حقاً لا أغنيّ بهذا الشعر ابداً .

مع ابن جعفر :

قال إسحاق وحدثنا أبو الحسن الباهليّ الراوية عن بعض أهل المدينة ، وحدثنا الهيثم بن عديّ والمدائنيّ ، قالوا :

كان عبد الله بن جعفر معه إخوان له في عشية من عشايا الربيع ، فواحت عليهم السماء بمطر جودٍ فأسأل كل شيء ؛ فقال عبد الله : هل لكم في العقيق ؟ - وهو منزّه أهل المدينة في أيام الربيع والمطر - فركبوا دوابهم ثم أنتهوا إليه فوقفوا على شاطئه وهو يرُمي بالزبد مثل مدّ الفرات ، فإنهم لينظرون إذ هاجت السماء ، فقال عبد الله لأصحابه ليس معنا جنة نستجنّ بها وهذه سماء خليقة أن تبّل ثيابنا ، فهل لكم في منزل طويس فإنه قريب منا فنستكنّ فيه ويحدثنا ويضحكنا ؟ وطويس في النظارة يسمع كلام عبد الله بن جعفر ؛ فقال له عبد الرحمن ابن حسان بن ثابت : جعلت فداءك ! وما تريد من طويس عليه غضب الله : محنث

شائنٌ لمن عرفه؛ فقال له عبد الله : لا تقل ذلك ، فإنه مَلِيحٌ خَفِيفٌ لنا فيه أنسٌ ؛
 فلما أَسْتَوْفَى طويسُ كلامهم تعَجَّلَ الى منزله فقال لأمراته : وَيْحَكَ ! قد جاءنا عبد الله
 ابن جعفر سيدُ الناس ، فما عندك ؟ قالت : نَذَبِحُ هذه العَنَاقُ^١ ، وكانت عندها
 عُنَيْقَةٌ قد رَبَّتْها باللبن ، وأَخْتَبَزَ خَبْزاً رُقَاقاً ؛ فبادر فذبحها وعَجَنْتُ هي . ثم خرج
 فتلقاه مقبلاً اليه ، فقال له طويس : بأبي أنت وأمي ؛ هذا المطرُ ، فهل لك في
 المنزل فتستكن فيه الى أن تكفَّ السماء ؟ قال : إياك أريد ؛ قال : فأَمْضِ يا
 سيدي على بركة الله ، وجاء يمشي بين يديه حتى نزلوا ، فتحدثوا حتى أدرك الطعام ؛
 فقال : بأبي أنت وأمي تُكْرِمُنِي إذ دخلتَ منزلي بأن تتعشَّى عندي ؛ قال : هات
 ما عندك ؛ فجاءه بعَنَاقٍ سَمِينَةٍ ورُقَاقٍ ، فأكل وأكل القوم حتى تَمَلَّأُوا^٢ ، فأعجبه
 طيبُ طعامه ، فلما غسلوا أيديهم قال : بأبي أنت وأمي ، أَتَمَشَّى معك وأَغْنِيكَ ؟
 قال : افعل يا طويس ؛ فأخذ مِلْحَفَةً فَأَتَرَر بها وأرْخى لها ذَنْبَيْنِ ، ثم أخذ المَرْبَعَ^٣
 فتمشَّى وأنشأ يَغْنِي :
 يا خَلِيلِي نابي سُهْدِي لم تَم عيني ولم تَكْدِ
 كيف تَلْحُونِي على رجلِ آنسِ تَلْتَدُهُ كَيْدِي
 مثلُ ضوءِ البدرِ طَلَعَتْهُ ليس بالزُمَيْلَةِ النَكْدِ

فطرب القوم وقالوا أحسنت والله يا طويس . ثم قال : يا سيدي ، أتدري لمن
 هذا الشعر ؟ قال : لا والله ، ما أدري لمن هو ، إلا أنني سمعت شعراً حسناً ؛ قال :
 هو لفارعة بنت ثابت أخت حسان بن ثابت وهي تتعشق عبد الرحمن بن الحارث

(١) العناق وزن سحاب : الأنثى من ولد المعز .

(٢) تملأوا : امتلأوا من كثرة الأكل .

(٣) المربع : آلة من آلات الطرب ، يريد دفة لتربيعة .

(٤) لحاه يلحوه ويلحاه (من باي نصر وفتح) : لامه وعذله .

(٥) الزميلة : الرذل الجبان الضعيف ، يتزمل في بيته خوفاً وجبناً .

أَبْنُ هِشَامِ الْخَزَوِمِيِّ وَتَقُولُ فِيهِ هَذَا الشَّعْرُ : فَنَكَّسَ الْقَوْمُ رُؤُوسَهُمْ ، وَضَرَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِرَأْسِهِ عَلَى صَدْرِهِ^١ ، فَلَوْ شَقَّتْ الْأَرْضُ لَهُ لَدَخَلَ فِيهَا .

تعريض واغضاب :

قال وحدثني أَبْنُ الْكَلْبِيِّ وَالْمَدَائِنِيُّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحْرَزٍ قَالَ :

خَرَجَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَهُوَ عَلَى الْمَدِينَةِ ، إِلَى السَّوِيدَاءِ وَخَرَجَ النَّاسُ مَعَهُ ، وَقَدْ أَخَذَتِ الْمَنَازِلُ ، فَلَحَقَ بِهِمْ يَزِيدُ بْنُ بَكْرٍ بْنُ دَابِ اللَّيْثِيِّ وَسَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ ، فَلَقِيَهُمَا طُوَيْسٌ فَقَالَ لَهَا : يَا أُنْتَا وَأُمِّي ! عَرِّجَا إِلَى مَنزِلِي ؛ فَقَالَ يَزِيدُ لِسَعِيدٍ : مِلْ بِنَا مَعَ أَبِي عَبْدِ النَّعِيمِ ؛ فَقَالَ سَعِيدٌ : أَيْنَ تَذْهَبُ مَعَ هَذَا الْخَنَثِ ! فَقَالَ يَزِيدُ : إِنَّمَا هُوَ مَنزِلُ سَاعَةِ فَأَلَا ، وَأَحْتَمِلُ طُوَيْسُ الْكَلَامَ عَلَى سَعِيدٍ^٢ ، فَأَتَيَا مَنزِلَهُ فَاذَا هُوَ قَدْ نَضَحَهُ وَنَضَعَهُ^٣ ، فَأَتَاهُمَا بِفَاكِهِةٍ مِنْ فَاكِهِةِ الْمَاءِ ؛ ثُمَّ قَالَ سَعِيدٌ : لَوْ أَسْمَعْتُنَا يَا أَبَا عَبْدِ النَّعِيمِ ! فَتَنَاولَ خَرِيطَةً^٤ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا دُقًا ثُمَّ نَقَرَهُ وَقَالَ :

يَا خَلِيلِي نَابَنِي سُهْدِي	لَمْ تَنْمَ عَيْنِي وَلَمْ تَكْدِ
فَشَرَّايَ مَا أُسَيِّغُ وَمَا	أَشْتَكِي مَا بِي إِلَى أَحَدِ
كَيْفَ تَلْحُونِي عَلَى رَجُلٍ	أَنْسَ تَلْتَنُذُهُ كَيْدِي
مِثْلُ ضَوْءِ الْبَدْرِ صَوْرَتُهُ	لَيْسَ بِالزُّمَيْلَةِ النَّكِدِ
مَنْ بَنَى آلَ الْمُغِيرَةِ لَا	خَامِلٍ نَكْسٍ وَلَا جَعْدٍ
نَظَرْتُ يَوْمًا فَلَا نَظَرْتُ	بَعْدَهُ عَيْنِي إِلَى أَحَدٍ

(١) ضَرَبَ بِرَأْسِهِ عَلَى صَدْرِهِ : أَطْرَقَ اسْتَعْيَا وَخَجَلًا ، وَهُوَ يَرِيدُ بَعْدَ الرَّحْمَنِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ .

(٢) أَيِ حَفْظِهِ لَهُ وَأَضْطَفَنَ عَلَيْهِ مِنْ أَجَلِهِ :

(٣) يَرِيدُ أَنَّهُ رَشَهُ بِالْمَاءِ وَنَظَفَهُ .

(٤) الْخَرِيطَةُ : وَعَاءٌ مِنْ أَدَمٍ .

(٥) النَّكْسُ : الضَّعِيفُ الدَّنِيءُ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ . وَالْجَعْدُ : الْقَلِيلُ الْخَيْرِ .

ثم ضرب بالدفّ الأرضَ ، فقال سعيد : ما رأيتُ كالיום قطُّ شعراً أجودَ ولا
غناءً أحسنَ منه ؛ فقال له طويس : يا ابن الحُسام ، أتدري مَنْ يقوله ؟ قال : لا ؛
قال : قالته عمّتُك خولةُ بنتُ ثابتٍ تُسَلِّبُ بعمارةِ بن الوليد المغيّرةَ المخزوميّ ،
فخرج سعيد وهو يقول : ما رأيتُ كالיום قطُّ مثلاً ما أَسْتَقْبِلُنِي به هذا الخنث !
والله لا يُفْلِتُنِي ! فقال يزيدُ : دَعْ هذا وأُمِّته ولا ترفعْ به رأساً . قال أبو الفرج
الأصبهاني : هذه الأبيات ، فيما ذكر الحرّميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير بن بَكَّار ،
لأبن زُهَيْر الخنث .

مدح ابن سريج غناءه :

قال إسحاق وحدثني الهيثم بن عديّ عن ابن عيَّاش ، وابن الكلبيّ عن أبي
مسكين ، قالا :

قدم ابنُ سُرَيْج المدينةَ فغَنَّاهم ، فَاسْتَطَرَفَ الناسَ غناءه وآثروه على كلِّ مَنْ
غَنَّى ؛ وطلَّعَ عليهم طُوَيْسُ فسمعهم وهم يقولون ذلك ، فَاسْتَخْرَجَ دُفّاً من حِضْنِه
ثم نقر به وغَنَّاهم بشعرِ عمارةِ بن الوليد المخزوميّ في خولة بنت ثابت ، عارضها
بقصيدتها فيه :

يا خَلِيلِي نَابِي سُهْدِي لَمْ تَمَّ عَيْنِي وَلَمْ تَكْدِرْ

وهو :

تَناهَى فَيْكَمْ وَجْدِي وَصَدَّعَ حُبُّكُمْ كِبْدِي
فَقَلْبِي مُسَعَّرٌ خِزْنًا بَذَاتِ الْخَالِ فِي الْحَدِّ
فَمَا لَأَقَى أَخُو عَشْقٍ عَشِيرَةُ الْعُشْرِ مِنْ جَهْدِي

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمُ ابْنُ سُرَيْجٍ فَقَالَ : وَاللَّهِ هَذَا أَحْسَنُ النَّاسِ غَنَاءً

أخبرني وكيعٌ محمد بن خلف قال حدثنا إسماعيل بن مجمع قال حدثني
المدائني قال :

قدم ابنُ سُريج المدينة فجلس يوماً في جماعة وهم يقولون : أنت والله أحسن
الناس غناء ، إذ مرَّ بهم طويس فسمعهم وما يقولون ، فأستلَّ دُفَّهُ من حُضْنِهِ
ونقَّره وتغنَّى :

إِنَّ الْمَجْنِبَةَ^(١) التي مَرَّتْ بنا قبل الصَّباحِ
في حُلَّةٍ مَوْشِيَةٍ مَكِّيَّةٍ غَرَّتْ^(٢) الوِشاحَ^(٣)
زَيْنٌ لمشهدِ فِطْرِهِمْ وتَزِينُهُمْ يومَ الأَضاحي

— الشعر لابن زهير الخنث . والغناء لطويس هَرَجٌ ، أخبرنا بذلك الحرَمي
بن أبي العلاء عن الزُّبير بن بَكَار — فقال ابنُ سُريج : هذا والله أحسنُ الناس
غناءً لا أنا .

مع جارية :

قال إسحاق حدثني المدائني قال : حدثتُ أَنَّ طويساً تبعَ جاريةً فراوغته
فلم ينقطع عنها ، خَبَّتْ^(١) في المشي فلم ينقطع عنها ؛ فلما جازتُ بمجلسٍ وقفتُ ثم
قالت : يا هؤلاء ، لي صديقٌ ولي زوجٌ وموَلِيٌ يَنْكِحُنِي ، فسألوا هذا ما يريد مِنِّي !
فقال : أَضَيِّقُ ما قد وسَّعوه . ثم جعل يتغنَّى :

أَفَقْ يا قلبُ عن جُمْلٍ وجُمْلٌ قَطَعَتْ حَبْلِي
أَفَقْ عنها فقد عُنِيَتْ حَوْلًا في هَوَى جُمْلٍ
وكيف يُفنيقُ محزونٌ جُمْلٍ هائمٌ العقلِ

(١) المجنبه : وصف من جنبه إذا أبعده .

(٢) غرَّتْ الوشاح : خمصة البطن دقيقة الخصر .

(٣) خبت : أسرعت .

بَرَآه الحبَّ في جملٍ فحَسْبِي الحبُّ من ثَقُلِ
وَحَسْبِي فيكَ ما أَلْقَى من التَّفْنيدِ والعَذْلِ
وَقَدِّمًا لَامِنِي فِيهَا فلم أَحْفِلْ بِهِم أَهْلِي

مع الرجل المسحور :

قال إسحاق وقال المدائني قال مَسْلَمَةُ بن مُحَارِب حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالَ :

خَرَجْنَا فِي سَفَرَةٍ وَمَعَنَا رَجُلٌ ، فَأَنْتَهَيْنَا إِلَى وَادٍ فَدَعَوْنَا بِالْغَدَاءِ ، فَدَنَا الرَّجُلُ
يَدَهُ إِلَى الطَّعَامِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، وَهُوَ قَبْلَ ذَلِكَ يَأْكُلُ مَعَنَا فِي كُلِّ مَنْزِلٍ ، فَخَرَجْنَا
نَسْأَلُ عَنْ حَالِهِ فَلَقِينَا رَجُلًا طَوِيلًا أَحْوَلَ مُضْطَرِبَ الْخَلْقِ فِي زِيِّ الْأَعْرَابِ ، فَقَالَ
لَنَا : مَا لَكُمْ ؟ فَأَنْكَرْنَا سُؤَالَ لَنَا ، فَأَخْبَرَنَا خَبَرَ الرَّجُلِ ؛ فَقَالَ : مَا أَسْمُ صَاحِبِكُمْ ؟
فَقُلْنَا : أُسَيْدُ ؛ فَقَالَ : هَذَا وَادٍ قَدْ أَخَذَتْ سِبَاعُهُ فَأَرْحَلُوا ، فَلَوْ قَدْ جَاوَزْتُمُ الْوَادِي
اسْتَمَرَّ^(١) صَاحِبَكُمْ وَأَكَلَ . قُلْنَا فِي أَنْفُسِنَا : هَذَا مِنَ الْجَنِّ ، وَدَخَلْنَا قَرْعَةً^(٢) ؛ فَفَهِمُوا
ذَلِكَ وَقَالَ : لِيُفْرِخَ^(٣) رَوْعُكُمْ فَأَنَا طَوِيسٌ . قَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ مَعَنَا مِنْ بَنِي غِفَّارٍ أَوْ
مِنْ بَنِي عَبَسَ : مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا عَبْدِ النِّعَمِ ، مَا هَذَا الزَّيِّ ! فَقَالَ : دَعَانِي بَعْضُ
أَوْدَائِي مِنَ الْأَعْرَابِ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَخَطَّى الْأَحْيَاءَ فَلَا يُنْكِرُونِي .
فَسَأَلْتُ الرَّجُلَ أَنْ يَغْتَنِينَا ؛ فَأَنْدَفَعَ وَتَقَرَّ بِدُفٍّ كَانَ مَعَهُ مَرْبَعٌ ، فَلَقَدْ تَحَيَّلَ لِي أَنْ
الْوَادِي يَنْطِقَ مَعَهُ حَسَنًا ، وَتَعَجَّبْنَا مِنْ عِلْمِهِ وَمَا أَخْبَرَنَا بِهِ مِنْ أَمْرِ صَاحِبِنَا .

وكان الذي غَنَّى بِهِ فِي شَعْرِ عُرْوَةَ بن الورد في سلمى امرأته الغفارية حيث

رَهْنَهَا عَلَى الشَّرَابِ :

سَقَوْنِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكَنَّنَفُونِي عُدَاةُ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ
وَقَالُوا لَسْتَ بَعْدَ فِدَاءٍ سَلَمِي بُغْفَنِي مَا لَدَيْكَ وَلَا فَقِيرِ

(١) استمر : قوي واستقام أمره .

(٢) ليفرخ روعكم : ليذهب رعبكم وفزعكم .

فلا والله لو مُلِّكْتُ أَمْرِي وَمَنْ لِي بِالتَّدْبِيرِ فِي الْأُمُورِ
إِذَا لَعَصَيْتُهُمْ فِي حَبِّ سَلْمَى عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَسَكِ الصَّدُورِ
فِيَا لِلنَّاسِ كَيْفَ غُلِبْتُ أَمْرِي عَلَى شَيْءٍ وَيَكْرَهُهُ ضَمِيرِي

قصة عروة وامراته سلمى الغفارية :

قال إسحاق وحدثني الواقدي قال حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال :

لما غزا النبي صلى الله عليه وسلم بني النضير وأجلاهم عن المدينة خرجوا يريدون خيبر يضربون بدفوفٍ ويزمرون بالزماير وعلى النساء المعصفرات وحلي الذهب مظهرين لذلك تجلداً، ومرت في الظعن^١ يومئذ سلمى امرأة عروة بن الورد العبسي، وكان عروة حليفاً في بني عمرو بن عوف، وكانت سلمى من بني غفار، فسبها عروة من قومها وكانت ذات جمال فولدت له أولاداً وكان شديد الحب لها وكان ولده يعيرون بأثمهم ويسمون بني الأخيذة - أي السبية - فقالت : ألا ترى ولدك يعيرون ؟ قال : فإذا ترين ؟ قالت : أرى أن تردني الى قومي حتى يكونوا هم الذين يزوجونك فأنعم^٢ لها، فأرسلت الى قومها أن ألقوه بالحجر ثم أتركوه حتى يسكر ويشمل فإنه لا يسأل حينئذ شيئاً إلا أعطاه ؛ فلقوه وقد نزل في بني النضير فسقوه الحجر، فلما سكر سألوه سلمى فردّها عليهم ثم أنكحوه بعد . ويقال : إنما جاء بها الى بني النضير، وكان صعلوكاً يُغير، فسقوه الحجر، فلما أنتشى منعه ولا شيء معه إلا هي فرهنها، ولم يزل يشرب حتى غلقت^٣ ؛ فلما

(١) الحسك : الشوك، ويكنى به عن العداوة والحقد .

(٢) الظعن : جمع ظعينة وهي المرأة في هودجها، وقد يقال للمرأة ظعينة وإن كانت في بيتها لأنها تصير ظعينة أي مطلقاً بها . ويسمى الهودج أيضاً ظعينة سواء كانت فيه امرأة أم لا .

(٣) أنعم لها : قال لها نعم .

(٤) غلق الرهن في يد المرتين : استحققه، وذلك اذا لم يقدر الراهن على افتكاكه في الوقت المشروط .

قال لها : انطلقي قالت : لا سبيل الى ذلك ، قد أغلقتني . فبهذا صارت عند بني
النضير . فقال في ذلك :

سَقَوْنِي الْحَمْرَ تَكْنَفُونِي عُدَاةُ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ

هذه الأبيات مشهورة بأن لطويس فيها غناء ، وما وجدته في شيء من
الكتب مجتسماً فتذكر طريقته .

تحريشه بالغناء :

قال إسحاق وحدثني المدائني قال : كان طويس^١ ولعاً بالشعر الذي قالته الأوس
والخزرج في حروبهم ، وكان يريد بذلك الإغراء ، فقلّ مجلس^٢ اجتمع فيه هذان
الحيان فغنى فيه طويس^٣ إلا وقع فيه شيء ؛ فنهي عن ذلك ، فقال : والله لا
تركت الغناء بشعر الأنصار حتى يوسدوني التراب ؛ وذلك لكثرة تولّع القوم به ،
فكان يُبدي السرائر ويُخرج الضغائن ، فكان القوم يتشاءمون به .

وكان يُستحسن غناؤه ولا يُصبر عن حديثه ويُستشهد على معرفته ، فغنى يوماً
بشعر قيس بن الخطيم في حرب الأوس والخزرج وهو :

رَدَّ الْخَلِيطُ الْجَمَالَ فَأَنْصَرَفُوا مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ وَقَفُوا
لَوْ وَقَفُوا سَاعَةً نَسَأَلُهُمْ رَيْثَ يَضْجِي جِجَالَهُ السَّلَفُ
فَلَيْتَ أَهْلِي وَأَهْلَ أَثَلَةٍ فِي الدَّارِ قَرِيبٌ مِنْ حَيْثُ خُتِلَفُ

فلما بلغ الى آخر بيت غنى فيه طويس^٤ من هذه القصيدة وهو :

أَبْلَغُ بَنِي جَجَجِي وَقَوْمَهُمْ خَطْمَةٌ أَنَا وَرَاءَهُمْ أَنْفُ

تكلّموا وأنصرفوا وجرت بينهم دماء ، وانصرف طويس^٥ من عندهم سليماً لم
يكلّم ولم يُقل له شيء .

حرب الأوس والخزرج :

قال إسحاق فحدثني الواقدي وأبو البختري ، قالا :

قال قيس بن الخطيم هذه القصيدة لشعب أثاره القوم بعد دهر طويل . ونذكر سبب أول ما جرى بين الأوس والخزرج من الحرب :

قال إسحاق قال أبو عبد الله اليزيدي وأبو البختري ، وحدثني مشايخ لنا قالوا . كانت الأوس والخزرج أهل عزٍ ومنعةٍ وهما أخوان لأبٍ وأمٍ وهما أبنا حارثة ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وأُمهما قيلة بنت جفنة بن عتيبة بن عمرو ، وقضاعة تذكر أنها قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . وكانت أول حرب جرت بينهم في موالي كان لمالك بن العجلان قتله سُمير ابنُ يزيد بن مالك ، وسمير رجل من الأوس ثم أخذ بني عمرو بن عوف ، وكان مالك سيد الحيين في زمانه ، وهو الذي ساق تبعاً الى المدينة وقتل الفطيون صاحب زهرة ، وأذل اليهود للحيين جميعاً ، فكان له بذلك الذكر والشرف عليهم ، وكانت دية المولى فيهم - وهو الحليف - خمساً من الإبل ، ودية الصريح عشرة ،

(١) حدث عنه ياقوت في الكلام على يثرب حيث قال في ج ٤ ص ٤٦٣ : « وكان ملك بني اسرائيل يقال له الفيطوان . وفي كتاب ابن الكلبي الفطيون بكسر الفاء والياء بعد الطاء ، وكانت اليهود والأوس والخزرج يدينون له الخ » . وذكره ابن الأثير في الكامل ج ١ ص ٤٩٢ طبع ليدن سنة ١٨٦٦ ، وضبط فيه بالقلم بكسر أوله واسكان ثانيه ، فقال ما ملخصه : إنه كان عظيم اليهود بالمدينة وكان رجل سوء فاجراً ، وكانت اليهود تدين لهذا الرجل الى أن كانت لا تزوج امرأة منهم حتى تدخل عليه قبل دخولها على زوجها ، ويقال : إنه كان يفعل ذلك بنساء الأوس والخزرج ، وكانت الغلبة يومئذ لليهود عليهم ، حتى جاء زفاف أخت لمالك بن العجلان فأثارت في أخيها عوامل الحمية والغيرة ، فترى مالك بزي امرأة وتقلد سيفه وأندس فيمن كان معها من النساء وقتل الفطيون ، ثم فر هارباً الى الشام حتى دخل على أبي جبيعة عبيد بن سالم بن مالك الخزرجي ، وكان أثيراً عند ملوك غسان ، فشكا اليه حاله ، فأقسم أبو جبيعة ليدلن اليهود وليجعلن الغلبة للأوس والخزرج عليهم . وقد فعل اه بتصرف في العبارة .

(٢) زهرة : القبيلة المعروفة التي ينتسب اليها عبد الرحمن بن عوف الزهري .

فبعث مالك الى عمرو بن عوف : إبعثوا إليّ سُميراً حتى أقتله بمولاي فإننا نكره أن
تَنسَبَ بيننا وبينكم حربٌ ؛ فأرسلوا اليه : إنا نُعطيك الرضا من مولاك فخذ منا
عَقْلَهُ ؛ فإنك قد عرفت أن الصريح لا يُقتل بالمولى ؛ قال : لا آخذ في مولاي دون
دية الصريح ؛ فأبوا إلا دية المولى . فلما رأى ذلك مالك بن العجلان جمع قومه
من الخُرج ، وكان فيهم مُطاعاً ، وأمرهم بالتهيؤ للحرب . فلما بلغ الأوس استعدوا
لهم وتهيئوا للحرب وأختاروا الموت على الذل ؛ ثم خرج بعض القوم الى بعض
فالتقوا بالصَّفينة بين بئر سالم وبين قُباء (قرية لبني عمرو بن عوف) فاقتتلوا قتالاً
شديداً حتى نال بعض القوم من بعض . ثم إن رجلاً من الأوس نادى : يا مالك ،
نُشدك الله والرحم - وكانت أم مالك إحدى نساء بني عمرو بن عوف - فأجعل
بيننا وبينك عدلاً من قومك فما حكم علينا سلّمنا لك ؛ فأرعى مالكٌ عند ذلك ،
وقال نعم ؛ فأختاروا عمرو بن أمريء القيس أحد بني الحارث بن الخُرج فرضي القوم
به ، واستوثق منهم ثم قال : إني أقضي بينكم : إن كان سُمير قتل صريحاً من
القوم فهو به قودٌ ، وإن قتلوا العَقْل فلهم دية الصريح ؛ وإن كان قتل مولا فلهم
دية المولى بلا نقص ، ولا يُعطى فوق نصف الدية ، وما أصبتم منا في هذه الحرب
ففيه الدية مسلّمة اليّنا ، وما أصبنا منكم فيها علينا فيه دية مسلّمة اليكم . فلما
قضى بذلك عمرو بن أمريء القيس غضب مالك بن العجلان ورأى أن يرُدّ عليه
رأيه ، وقال : لا أقبل هذا القضاء ؛ وأمر قومه بالقتال ، فجمع القوم بعضهم لبعض
ثم التقوا بالفضاء عند أطام بني قُينقاع ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم تداعوا الى
الصلح فحكموا ثابت بن حرام بن المُنذر أبا حسان بن ثابت النجاري ، ففضى بينهم
أن يدوا مولى مالك بن العجلان بدية الصريح ثم تكون السّنة فيهم بعده على
مالك وعليهم كما كانت أوّل مرّة : المولى على ديته ، والصريح على ديته ؛ فرضي
مالك وسلّم الآخرون . وكان ثابت إذ حكموه أراد إطفاء النائرة^(١) فيما بين القوم

(١) عقله : ديته .

(٢) الفضاء كما في ياقوت : موضع بالمدينة .

(٣) النائرة : الفتنة القائمة المنتشرة .

وَلَمْ شَعْنَهُمْ ، فَأَخْرَجَ خَمْسًا مِنَ الْإِبِلِ مِنْ قَبِيلَتِهِ حِينَ أَبَتْ عَلَيْهِ الْأَوْسُ أَنْ تَوْدِيَ
إِلَى مَالِكٍ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسٍ وَأَبَى مَالِكٌ أَنْ يَأْخُذَ دُونَ عَشْرٍ . فَلَمَّا أَخْرَجَ ثَابِتٌ
الْخُمْسَ أَرْضَى مَالِكًا بِذَلِكَ وَرَضِيَ الْأَوْسُ ، وَاصْطَلَحُوا بِعَهْدٍ وَمِيثَاقٍ أَلَّا
يُقْتَلَ رَجُلٌ فِي دَارِهِ وَلَا مَعْقِلُهُ - وَالْمَعَاقِلُ : النَّخْلُ - فَإِذَا خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ دَارِهِ أَوْ
مَعْقِلِهِ فَلَا دِيَّةَ لَهُ وَلَا عَقْلَ . ثُمَّ انْظُرُوا فِي الْقَتْلِ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ فَضَّلَ عَلَى صَاحِبِهِ
وَدَّى لَهُ صَاحِبُهُ . فَأَفْضَلْتُ الْأَوْسُ عَلَى الْخُزْجِ بِثَلَاثَةِ نَفَرٍ فَوَدَّتَهُمُ الْأَوْسُ
وَاصْطَلَحُوا . فَبِذَلِكَ يَقُولُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ لَمَّا كَانَ أَبُوهُ أَصْلَحَ بَيْنَهُمْ وَرَضَاهُمْ
بِقَضَائِهِ فِي ذَلِكَ :

وَأَبَى فِي سُمَيْحَةِ الْقَائِلُ الْفَا صَلُّ حِينَ التَّقَتْ عَلَيْهِ الْخُصُومُ

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ قَصِيدَتَهُ وَهِيَ طَوِيلَةٌ :

رَدَّ الْخَلِيطُ الْجَمَالَ فَانْصَرَفُوا مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ وَقَفُوا

قَوْلُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي شَعْرِ قَيْسٍ :

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ
الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يُنْشِدُ قَوْلَ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ :

بَيْنَ سُكُولِ النَّاسِ خَلَقْتُهَا قَصْدٌ فَلَا جَبَلَةٌ وَلَا قَصَفٌ
تَنَامُ عَنْ كُبَرِ شَأْنِهَا إِذَا قَامَتْ رُؤِيدًا تَكَادُ تَنْقُصُ
تَغْتَرِقُ الطَّرْفَ وَهِيَ لَاهِيَةٌ كَأَنَّمَا شَفَّ وَجْهَهَا نُزُفٌ

ثُمَّ يَقُولُ : قَائِلُ هَذَا الشَّعْرِ أَنْسَبُ النَّاسِ .

ومما في المائة المختارة من اغاني طويس

صوت

يا لَقَوْمِي قد أَرَقَّتْني المَومُ ففؤادي مِمَّا يُجِنُّ سَقِيمُ
أَنَدَبَ الحُبِّ في فؤادي فففيه لو تَرَاءَى للناظرين كَلامُ

يُجِنُّ : يُخَفِّي ، وَالْجَنَّةُ من ذلك ، وَالْجَنُّ أَيْضاً مأخوذ منه . وَأَنَدَبَ : أَبْقَى
فيه نَدَباً وهو أثر الجرح ؛ قال ذو الرُّمَّة :

تُرِيكَ سُنَّةً وَجْهٍ غير مُقَرَّفة مَلَسَاءَ ليس بها خالٌ ولا نَدَبُ

الشعر لأَبْنِ قَيْسِ الرُّقِيَّاتِ فيما قيل . والغناء لطويس ، ولحنه المختار خفيفٌ
رمل مطلق في مجرى الوسطى ، قال إِسْحَاقُ : وهو أجود لحن غَنَاءِ طويس ، ووجدته
في كتاب الهشاميّ خفيفَ رمل بالوسطى منسوباً الى أَبْنِ طَنْبُورَةَ . قال وقال أَبْنِ
المَكِّيّ : إِنَّهُ لَحَكَمَ ، وقال عمرو بن بَانَةَ : إِنَّهُ لَأَبْنِ عَائِشَةَ أَوَّلَهُ هَذَانِ الْبَيْتَانِ ،
وبعدهما :

ما إِذَا الهمَّ لا يَرِيحُ فؤادي مِثْلَ ما يَازِمُ الغَريمَ الغَريمُ
إِنَّ مَنْ فَرَّقَ الجَمَاعَةَ مَنَّا بَعْدَ خَفْضٍ وَنَعْمَةٍ لَذِيمُ

إِنْقَضَتْ أَخْبَارُ طُويس .

(١) سنة الوجه : صورته . وغير مقرفة : غير كريهة . والمراد وصف صورة وجهها بالحسن .
وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت شاهداً على أن مقرفاً في قولهم «وجه مقرف» بمعنى غير حسن .
وقيل : إن «مقرفة» هنا بمعنى مدانية الهجعة ، يقال : أقرف الرجل إذا دنا من الهجعة ، وعلى هذا
التفسير ذهب الصاغاني فقال : هو يقول : إنها كريهة الأصل لم يخالطها شيء من الهجعة .

(٢) الخفض : سعة العيش ولينه . والنعمة (بالفتح) : النعيم ورغد العيش .

صوت

من المائة المختارة من صنعة قفا النجار

حُجِبَ الألى كَنَّا نُسَرَّ بقربهم يا ليتَ أنَّ حجابهم لم يُقَدَّرِ
حُجِبُوا ولم تَقْضِ اللَّبَانَةُ منهم ولنا اليهم صَبُوءٌ لم تُقْصِرْ
وَيُحِيطُ مِزْرُهَا بِرِدْفٍ كاملٍ رايي المَجْسَّةُ كالكَثِيبِ الأعْفَرِ
وَإِذَا مَشَتْ خِلَتْ الطَّرِيقَ لَمَشِهَا وَحَلَا كَشِي المُرْجِنِ المَوْقَرِ

لم يقع الينا قائل هذا الشعر . والغناء لقفا النجار، ولحنه المختار من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . ويقال : إن فيه لحناً لأبن سريج . وذكر يحيى بن علي بن يحيى في الاختيار الوائقي أن لحن قفا النجار المختار من الثقيل الأول .

صوت

من المائة المختارة

أَفَقْ يا دارميُّ فَقَدْ بُلِيَتْ وَإِنَّكَ سَوْفَ تُوشِكُ أَنْ تَمُوتَا
أَرَاكَ تَزِيدُ عَشْقًا كُلَّ يَوْمٍ إِذَا مَا قَلْتَ إِنَّكَ قَدْ بَرَيْتَا

الشعر والغناء جميعاً لسعيد الدارمي ، ولحنه المختار من خفيف الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى .

(١) لم تقصر : لم تكف ولم تنته .

(٢) المجسة : الموضع التي تقع عليه اليد عند الجس ، فعنى رايي المجسة : أنه عظيم سمين حيث يحس .

(٣) وحلا : ذا وحل .

(٤) المرجن : المائل من ثقله . والموقر : الذي يحمل حملاً ثقيلاً .

ذكر الدارمي وخبره ونسبه

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال
حدثني أبو أيوب المدينيّ قال حدثني عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمه قال :
الدارميّ من ولد سُويد بن زيد الذي كان جدّه قتل أسعد بن عمرو بن هند ،
ثم هربوا الى مكة فخالقوا بني نوفل بن عبد مناف .

وكان الدارميّ في أيام عمر بن عبد العزيز ، وكانت له أشعار ونوادر ، وكان من
ظرفاء أهل مكة ، وله أصوات يسيرة . وهو الذي يقول :

ولما رأيتُكَ أوليتني الـقبيحَ وأبعدت عني الجميلا
تركتُ وصالكَ في جانبٍ وصادفتُ في الناسِ خللاً بديلا

شئب بذات خمار اسود :

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إسحاق
ابن إبراهيم عن الأصمعيّ ، وأخبرني عمي قال حدثنا فضل اليزيدي عن إسحاق بن
إبراهيم عن الأصمعيّ ، وأخبرني عمي قال حدثنا أبو الفضل الرياشي عن الأصمعيّ ،
قال وحدثني به النوشجاني عن شيخ له من البصريين عن الأصمعيّ عن ابن أبي
الزناد ، ولم يقل عن ابن أبي الزناد غيره :

أنّ تاجراً من أهل الكوفة قدِم المدينة جُمُراً فباعها كلها وبقيت السود منها

(١) الخمر : جمع خمار ، وهو ما تغطي به المرأة رأسها .

فلم تَنْفُقْ^١، وكان صديقاً للدارمي^٢، فشكا ذلك اليه، وقد كان نسكاً وترك الغناء وقول الشعر؛ فقال له: لا تهتمّ بذلك فإني سأنفقها لك حتى تبيعها أجمع؛ ثم قال:

صوت

قُلْ للمليحة في الحمارِ الاسودِ ماذا صَنَعْتَ براهبٍ متعبدٍ
قد كان شَمَرٌ للصلاة ثيابَه حتى وَقَفْتَ له ببابِ المسجدِ

وغنى فيه، وغنى فيه أيضاً سنانُ الكاتب، وشاع في الناس وقالوا: قد فَتَكَ^٣ الدارمي ورجع عن نسكه؛ فلم تبقَ في المدينة ظريفةٌ إلا أبتاعتَ خماراً أسود حتى نَفِدَ ما كان مع العراقي منها؛ فلما علم بذلك الدارمي رجع الى نسكه ولزم المسجد.

فأما نسبة هذا الصوت فإنَّ الشعر فيه للدارمي والغناء أيضاً، وهو خفيفٌ ثقيل أولٌ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لسانُ الكاتب رملٌ بالوسطى عن حبش. وذكر حبش أن فيه لأبن سُرَيْج هزجاً بالبصر.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني أبو هَفَّان قال: حضرت يوماً مجلسَ بعض قوَّاد الأتراك وكانت له سِتارةٌ فَنُصِبَتْ، فقال لها: غَنِّي صوتَ الحمارِ الاسود المليح، فلم ندر ما أراد حتى غَنَّتْ:

قل للمليحة في الحمارِ الاسودِ

ثم أمسك ساعةً ثم قال لها غَنِّي:

إني خريتُ وجئتُ أنتقله

(١) نفقت السلعة (وزن نصر) نفاقاً: راجت ورجب فيها. وأنفقها ونفقها: روجها.

(٢) نسك (وزن ضرب): تعبد وترهد وتقشف.

(٣) فتك: مجن.

فضحكت ثم قالت : هذا يشبهك ! فلم ندر أيضاً ما اراد حتى غنّت :
 إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدُّ مُنْتَقَلَهُ

بجله وظرفه :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا هارون بن محمد قال حدثني محمد بن أخي
 سلم الخراعي قال حدثني الحرّ مازي قال زعم لي ابن مودود قال :

كان الدارميّ المكيّ شاعراً ظريفاً وكانت مُتَقَنِّيَاتُ أهل مكة لا يطيبُ
 لهنّ مُتَنَزَّهُ إلا بالدارميّ، فأجتمع جماعةٌ منهنّ في متنزّه لهنّ، وفيهنّ صديقةٌ له ،
 وكلُّ واحدةٍ منهنّ قد واعدتُ هَوَاها، فخرجن حتى أتَيْنَ الْجُحْفَةَ، وهو معهنّ ؛
 فقال بعضهنّ لبعض : كيف لنا أن نخلو مع هؤلاء الرجال من الدارميّ ؟ فإنّا إن
 فعلنا قطعنا في الأرض ! قالت لهنّ صاحبه : أنا أكفيكنّهُ ؛ قلن : إنا نريد ألا
 يلومنا ؛ قالت : عليّ أن ينصرف حامداً ، وكان أبجل الناس ، فأتته فقالت : يا
 دارميّ ، إنا قد تفلّنا فاجلب لنا طيباً ؛ قال نعم هو ذا ، آتي سوقَ الْجُحْفَةِ
 آتيكنّ منها بطيبٍ ؛ فأتى المكارين فأكثرى حماراً فصار عليه الى مكة
 وهو يقول :

أنا بالله ذي الغرِّ وبالرُّكنِ وبالصَّخْرَةِ
 من اللائي يُردنَ الطَّيِّبَ فِي الْبُسْرِ وَفِي الْعُسْرِ
 وما أقوى على هذا ولو كنتُ على البَصْرِ

(١) متفتيات : وصف من تفتت الجارية اذا راهقت فخدّرت ومنعت من اللعب مع الصبيان .

(٢) هواها : من تهواه وتجنّب .

(٣) الجحفة : قرية بطريق المدينة على أربع مراحل من مكة ، وهي ميقات أهل مصر والشام
 إن لم يبروا على المدينة ، فان مروا بالمدينة فيقاتهم ذو الحليفة .

(٤) يريد أنه يمزق أعراضهنّ وينشر ذلك في الأرض بين الناس .

(٥) تفل كفرح : تغيرت راحته لطول عهده بترك الطيب .

فكث النسوة ما شئن . ثم قدِم من مكة فلقيته صاحبتُه ليلةً في الطواف ، فأخرجته الى ناحية المسجد وجعلتُ تعاتبه على ذهابه ويُعاتبها ، الى أن قالت له : يا دارمي ، بحق هذه البنية أتحبني ؟ فقال نعم ، فبرها أتحبيني ؟ قالت نعم ؛ قال : فيا لك الخير فأنْتِ تحبيني وأنا أُحبك ، فما مدخلُ الدراهم بيننا !

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدّثنا الزُّبير بن بَكَار قال حدّثني عمي قال :

كان الدارميّ عند عبد الصمد بن عليّ يحدّثه ، فأغنى عبد الصمد فعطس الدارميّ عطسةً هائلةً ، ففرّج عبد الصمد فرعاً شديداً وغضب غضباً شديداً ، ثم استوى جالساً وقال : يا عاصّ كذا من أمه أتقرّ عني . قال : لا والله ولكن هكذا عطاسي ! قال : والله لأنقنك في دمك^١ أو تأتيني ببينة على ذلك ؛ قال : فخرج معه حرسيّ^٢ لا يدري أين يذهب به ، فلقيه ابن الريّان المكيّ فسأله ؛ فقال : أنا أشهد لك ؛ فمضي حتى دخل على عبد الصمد ؛ فقال له : بم تشهد لهذا ؟ قال : أشهد أنّي رأيته مرّةً عطس عطسةً فسقط ضرسه ؛ فضحك عبد الصمد وخلّى سبيله .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد قال حدّثنا الزُّبير قال :

قال محمد بن إبراهيم الإمام للدارميّ : لو صلّحتُ عليك ثيابي لكسوتك ؛ قال : فدَيْتُك ! إن لم تصلحْ عليّ ثيابك صلّحتْ عليّ دنانيرك .

(١) البنية : الكعبة .

(٢) لأنقنك في دمك : لأريقن دمك حتى تقرّ فيه كما يقر الشيء الجامد في الماء ونحوه .

(٣) الحرس : الأعوان . قال في المصباح : جعل علماً على الجمع لهذه الحالة الخصوصية ولا يستعمل له واحد من لفظه ، ولهذا نسب الى الجمع ، ولو جعل الحرس هنا جمع حارس ل قيل حارسيّ . قالوا : ولا يقال حارسيّ إلا إذا ذهب به الى معنى الحراسة دون الجنس .

الدارمي والاعرابيات :

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير ،
ونسخت من كتاب هارون بن محمد : حدثنا الزبير قال حدثني يونس بن عبد الله
الخيَّاط قال :

خرج الدارمي مع السَّعة^١ ، فصادف جماعةً منهم قد نزلوا على الماء فسألهم
فأعطوه دراهم ، فألقى بها في ثوبه ، وأحاط به أعرابيات فجعلن يسألنه وألحنَّ عليه
وهو يردَّهنَّ ؛ فعرفته صبيةً منهنَّ فقالت : يا إخواني ، أتدرين من تسألن منذ
اليوم ؟ هذا الدارمي السَّال . ثم أنشدت :

إذا كنت لا بدَّ مُستطِعِّمًا فدعْ عنك مَنْ كان يَسْتَطِعُّ

فوالى الدارمي هارباً منهنَّ وهنَّ يتضحكن به .

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال أخبرني أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا
مصعب الزبيري قال :

أتى الدارمي الأوقص القاضي بمكة في شيء فأبطأ عليه فيه ، وحاكمه اليه
خضمُّ له في حقِّه ، فحبسه به حتى أداه اليه . فبينما الأوقص يوماً في المسجد الحرام
يصلِّي ويدعو ويقول : يا ربَّ أعْتِقْ رَقْبتي من النار ، إذ قال له الدارمي والناس
يسمعون : أَوَّلَكَ رَقْبَةً تُعْتَقُ ! لا والله ما جعل الله ، وله الحمد ، لك من عتق ولا
رَقْبَةً ! فقال له الاوقص : ويلك ! ومن أنت ؟ قال : أنا الدارمي ، حبستني وقتلتني ؛
قال : لا تقل ذلك وأتني فإني أعوّضك ؛ فأثاه ففعل ذلك به .

(١) السَّعة : جمع ساع وهو العامل على الصدقات ، يأخذها من الاغنياء ويردها على الفقراء .

تندرہ :

أخبرني الحرميّ أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال :

مدح الدارمي عبد الصمد بن عليّ بقصيدة وأستأذنه في الإنشاد فأذن له ؛ فلما فرغ أَدْخَلَ اليه رجلٌ من الشُّرَاة ؛ فقال لعلامه : أعط هذا مائة دينار وأضرب عنقَ هذا ؛ فوثب الدارميُّ فقال : بأبي انت وأمي ! برك وعقوبتك جميعاً نقد ! فإن رأيتَ أن تبدأ بقتل هذا ، فاذا فرغ منه أمرته فأعطاني ! فإني لن أريم من حضرتك حتى يفعل ذلك ؛ قال : ولم ويلك ؟ قال : أخشى أن يغلطَ فيما بيننا والغلط في هذا لا يُستقال ؛ فضحك وأجابه الى ما سأل .

أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمي قال :

أصابته الدارميّ قرحةٌ في صدره ، فدخل اليه بعضُ أصدقائه يعودُه ، فرآه قد نَفَثَ من فيه نفثاً أخضر ، فقال له أبشر ، قد أخضرت القرحة وعُوفيت ؛ فقال : هيهات ! والله لو نَفَثْتُ كلَّ زُرْءٍ في الدنيا ما أَقَلْتُ منها .

صوت

من المائة المختارة

يا رَبِّعَ سَلَمَى لَقَدْ هَيَّجَتْ لِي طَرَبًا زِدْتَ الْفَوَادَ عَلَى عِلَّاتِهِ وَصَبَا
رَبْعٌ تَبَدَّلَ مِمَّنْ كَانَ يَسْكُنُهُ عُفَرَ الطِّبَاءِ وَظُلْمَانًا بِهِ عُصَا

الشعر لَهْلَالِ بْنِ الْأَسْعَرِ الْمَازِنِيِّ ، أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ وَكَعِيعٌ عَنْ سَمَادِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ . وَهَكَذَا هُوَ فِي رِوَايَةِ عَمْرُو بْنِ أَبِي عَمْرِو الشَّيْبَانِيِّ . وَمَنْ لَا يَعْلَمُ يَنْسُبُهُ

(١) الشُّرَاة : الخوارج ، سموا بذلك لقولهم : « إنا شربنا أنفسنا في طاعة الله » أي بعناها بالجنة .

(٢) الظلمان (بالضم والكسر) : جمع ظليم وهو ذكر النعام . والعصب : الجماعات .

الى عمر بن أبي ربيعة والى الحارث بن خالد ونصيب، وليس كذلك . والغناء في
اللحن المختار لغزور الكوفي، ومن الناس من يقول غزُون بالنون وتشديد الزاي،
وهو رجل من أهل الكوفة غير مشهور ولا كثير الصنعة، ولا أعلم أنني سمعتُ
له بجزء ولا صنعة غير هذا الصوت . ولحنُ هذا المختار ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالبِنْصر في
مجراها عن إسحاق، وهكذا نسبه في الاختيار الواثق . وذكر عمرو بن بانه أن
فيه لابن عائشة لحناً من الثَقِيلِ الأَوَّلِ بالبِنْصر . وفي أخبار الغريض عن حماد أن
له فيه ثَقِيلاً أَوَّلَ . وقال الهشامي : فيه لعبد الله بن العباس لحنٌ من الثَقِيلِ
الثاني . وذكر حبش أن فيه حُسَيْنَ بن مُحَرِّزٍ خفيف رملٍ بالبِنْصر .

أخبار هلال ونسبه

هو فيما ذكر خالد بن كلثوم ، هلال بن الأسعر بن خالد بن الأرقم بن قسيم بن ناشرة بن سيّار بن رزام بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم . شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، وأظنه قد أدرك الدولة العباسية ، وكان رجلاً شديداً عظيم الخلق أكوّلاً معدوداً من الأكلة . قال أبو عمرو : وكان هلال فارساً شجاعاً شديد البأس والبطش أكثر الناس اكلاً وأعظمهم في حرب غنائ . هذا لفظ أبي عمرو .

أريحية المغيرة :

وقال أبو عمرو : وعمر هلال بن أسعر عمراً طويلاً ومات بعد بلبايا عظام مرّت على رأسه . قال : وكان رجل من قومه من بني رزام بن مالك يقال له المغيرة بن قنبر يعوله ويُفْضِلُ عليه ويحتمل ثقله وثقل عياله فهلك ، فقال هلال يرثيه :

ألا ليت المغيرة كان حياً	وأفنى قبله الناس الفناء
ليبك على المغيرة كلُّ خيلٍ	إذا أفنى عرائكها اللقاء
ويبك على المغيرة كلُّ كلٍّ	فقير كان ينعشه العطاء
ويبك على المغيرة كلُّ جيشٍ	تمور ^٣ لدى معاركه الدماء

(١) سمي بقسيم كأمير وقسيم كزبير .

(٢) العرائك : جمع عريكة ، وأصل العريكة سنام البعير ، وتقال على النفس ، وعلى القوة والشدة ، ولعل هذا المعنى هو المراد في هذا البيت . وقد فسرت العريكة بمعنى الشدة والقوة في قول الأخطل :

من اللواتي إذا لانت عريكتها كان لها بعدها آل ومجهود
(٣) تمور : تجري وتسيل .

فتي الفتیان فارس کلّ حرب^١ اذا شالت^١ وقد رُفِع اللّواء
 لقد واری جدید^٢ الأرض منه خصّالاً عَقْدُ عِصْمَتِهَا الوفاء
 فصبراً للنوائب إن أَلَمْتُ^٣ إذا ما ضاق بالحدّث الفضاء
 هزبر^٤ تَنْجِلي العَمَرَاتُ عنه نتيّ العرض همّته العلاء
 إذا شهد الكريهة خاض منها مجوراً لا تكدرها الدّلاء
 جُور^٥ لا يروّع عند رَوْعٍ ولا يثني غريمته اتّقاء
 حليم^٦ في مشاهدته اذا ما حُبّاً الحُلَمَاءُ أطلقها المراء^٧
 حميد^٨ في عشيرته فقيد^٩ يطيب عليه في الملائ الشّاء
 فإن تكن المنية أقصدته^{١٠} وُحْم^{١١} عليه بالتلف القضاء
 فقد أودى به كرم^{١٢} وخير^{١٣} وعود^{١٤} بالفضائل وأبتداء
 وجود^{١٥} لا يَضمُّ اليه جوداً مُراهنه^{١٦} اذا جدّ الجراء^{١٧}

صفته :

وقال خالد بن كلثوم : كان هلال بن الأسعر ، فيما ذكروا ، يرد مع الإبل
 فيأكل ما وجد عند أهله ثم يرجع إليها ولا يتزوّد طعاماً ولا شراباً حتى يرجع

- (١) شالت الحرب : تهيأت لأن يخوض الابطال غمارها . وهو من شالت الناقة اذا رفعت ذنبها للقاح .
- (٢) يريد بجديد الأرض قبره الذي جدّ منها وحفر ليدفن فيه .
- (٣) حبا : جمع حبة وهي الثوب الذي يحتبى به ، واسم للاحتباء بالثوب أي الاشتال به . وإطلاق الحبا يكتن به عن السفه والطيش . والمراء : المجادلة والملاجة والمخاصمة .
- (٤) فقيد : يفتقده العافون ويطلبونه .
- (٥) أقصدته : أصابته .
- (٦) حم : قضي وقدر .
- (٧) الخير : (بالكسر) الشرف .
- (٨) مراهنه : مسابقه . والجراء : مصدر كالجراة وهي المسابقة والمفاخرة .

يومَ ورودِها ، لا يَذوقُ فيما بين ذلك طعاماً ولا شِراباً ، وكان عاديّ الخلق^١ لا توصف صفته . قال خالد بن كلثوم حَدَّثَنَا عَنْهُ من أدركه : أنه كان يوماً في إِبِلٍ له ، وذلك عند الظَّهيرة في يوم شديد وَقَع الشمسُ مُحْتَدِمِ الهَاجِرَةِ وقد عَمَدَ الى عصاه فطرح عليها كسائه ثم أدخل رأسه تحت كسائه من الشمس ، فبينما هو كذلك إذ مرَّ به رجلان أحدهما من بني نَهْشَل والآخر من بني فُقَيْم ، كانا أَشَدَّ تَمِيمَيْنِ في ذلك الزمان بطشاً ، يقال لأحدهما الهَيَّاج ، وقد أَقْبَلَا من البحرين ومعهما أَنْوَاطٌ^٢ من تمر هَجَرٍ^٣ ، وكان هلالٌ بناحية الصَّعَابِ^٤ ؛ فلما أَنتَهيا الى الإِبِلِ ، ولا يعرفان هلالاً بوجهه ولا يعرفان أَنَّ الإِبِلَ له ، ناديا : يا راعي ، أعندك شرابٌ تَسْقِينَا ؟ وهما يُظَنُّانَهُ عبداً لبعضهم ؛ فناداهما هلالٌ ورأسه تحت كسائه : عليكما الناقة التي صفتها كذا في موضع كذا فَأَنِيخَاها فَإِنِ عَلَيْها وَطِينٌ^٥ من لبن ، فَأَشْرَبَا منهما ما بدا لكما . قال فقال له أحدهما : وَيَحْكُ ! إِنْهَضْ يا غلام فَأَتِ بذلك اللبن ! فقال لهما : إِنْ تَكُ لكما حاجةٌ فَسْتَأْتِيَانِيها فتجدان الوطينِ قَتَشْرِبَانِ ؛ قال فقال أحدهما : إِنَّكَ يَا بَنَ اللَّخْنَاءِ لَغَلِيظُ الْكَلَامِ ، قُمْ فَاسْقِنَا ، ثم دنا من هلال وهو على تلك الحال . وقال لهما حيث قال له أحدهما : « إِنَّكَ يَا بَنَ اللَّخْنَاءِ لَغَلِيظُ الْكَلَامِ » : أَرَأَيْكَمَا وَاللَّهِ سَتَلْقِيَانِ هَوَاناً وَصَغَاراً ؛ وسمعا ذلك منه ، فدنا أحدهما فَأَهْوَى له ضَرْباً بالسَّوْطِ على عَجْزِهِ وهو مضطجع ، فتناول هلالٌ يَدَهُ فَأَجْتَذَبَهُ اليه ورماه تحت فِخْذِهِ ثم ضَغَطَهُ ضَغْطَةً ؛ فنادى صاحبه : وَيَحْكُ أَغْثَنِي قد قَتَلَنِي ! فدنا صاحبه منه فتناولوه هلالٌ أيضاً فَأَجْتَذَبَهُ فرمى به تحت فخذه الأخرى ، ثم أَخَذَ بَرَقَابِهَا فجعل

(١) عاديّ الخلق : عملاق ضخيم الجسم ، نسبة الى عاد . والعرب تضرب المثل بأحلام عاد لما تتصور من عظم خلقها ، وترغم أن أحلامها على مقادير أجسامها . قال الشاعر :

كأنما ورثوا لقمان حكمته علماً كما ورثوا الاحلام من عاد

(٢) أنواط : جمع نوط ، والنوط : الجلة الصغيرة فيها التمر ونحوه .

(٣) هجر : مدينة وهي قاعدة البحرين ، وقيل ناحية البحرين كلها هجر ، وهو الصواب .

(٤) الصعاب : اسم جبل بين اليمامة والبحرين ، وقيل : رمال بين البصرة واليمامة صعبة المسالك .

(٥) الوطب : سقاء اللبن خاصة .

يَصُكُّ برؤوسهما بعضاً ببعض لا يستطيعان أن يمتنعا منه ؛ فقال أحدهما : كن هلالاً ولا نبالي ما صنعت ؛ فقال لهما : أنا والله هلالٌ ، ولا والله لا نُفْلِتَانِ مِنِّي حتى تُعْطِيَانِي عهداً وميثاقاً لا تخيسانَ به : لتأتيا المرَبْدَ إذا قَدِمْتَا البصرة ، ثم لتناديا بأعلى أصواتكما بما كان مِنِّي ومنكما ؛ فعهاده وأعطياه نوطاً من التمر الذي معهما ، وقدا البصرة فأتيا المرَبْدَ فناديا بما كان منه ومنهما .

وحدث خالد عن كُثَيْف بن عبد الله الماضي قال : كنت يوماً مع هلال ونحن نَبْغِي إِبِلًا لنا ، فدفعنا الى قوم من بكر بن وائل وقد لَعِينًا وعطشنا ، وإذا نحن بفتية شبابٍ عند رَكِيَّةٍ لهم وقد وردت إبلهم ، فلما رأوا هلالاً استهولوا خَلَقَهُ وقامته ، فقام رجلان منهم اليه فقال له أحدهما : يا عبد الله ، هل لك في الصِّراع ؟ فقال له هلال : أنا الى غير ذلك أحوجٌ ؛ قال : وما هو ؟ قال : الى لبنٍ وماءٍ فَإِنِّي لَعَبٌ ظَمَانٌ ؛ قال : ما أنتَ بذائقٍ من ذلك شيئاً حتى تُعْطِيَنَا عهداً لتُجِيبَنَّا الى الصِّراع إذا أَرَحْتَ^١ ورَوَيْتَ^٢ ؛ فقال لهما هلال : إني لكم ضيفٌ والضيفُ لا يُصَارِعُ أهله وربَّ منزله ، وانتم مكتفون من ذلك بما أقول لكم : إعمدوا الى أشدِّ فحل في إيلكم وأهيبه صولةً وإلى أشدِّ رجل منكم ذراعاً ، فإن لم أقبض على هامة البعير وعلى يد صاحبكم فلا يمتنعُ الرجل ولا البعير حتى أدخل يد الرجل في فم البعير ، فإن لم أفعل ذلك فقد صرتموني ، وإن فعلته علمتم أن صراع أحدكم أيسرُ من ذلك . قال : فعجبوا من مقاتله تلك ، وأومأوا الى فحل في إيلهم

(١) الجمع في رؤوسها دون الثنية لكرهه اجتماع ثنيتين مع ظهور المراد ، وهو في مثل ذلك أكثر استعمالاً من الثنية والافراد ، وفي القرآن الكريم : (فقد صغت قلوبكما) .

(٢) لا تخيسان به : لا تغدران به ولا تنكثان .

(٣) المربد من أشهر محال البصرة ، وكان يكون سوق الإبل فيه قديماً ثم صار محلة عظيمة سكناها الناس وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء .

(٤) لعينا : تعبنا وأصابنا الإعياء .

(٥) الركية : البئر لأنها مركوة أي محفورة .

(٦) أراح الرجل : رجعت اليه نفسه بعد الإعياء .

هائج صائلٍ قَظِمٍ^١؛ فَأَتَاهُ هلالٌ ومعه نفرٌ من أولئك القوم وشيخٌ لهم، فَأَخَذَ بهامة الفحل مما فوقِ مِشْفَرِهِ فضغطها ضَغْطَةً جَرَجَرًا الفحل منها وأستخذى ورغاً، وقال: لِيُعْطِنِي من أَحَبِّتُمْ يده أُولِجْهَا في غم هذا الفحل. قال فقال الشيخ: يا قوم تَنَكَّبُوا هذا الشيطان، فوالله ما سمعتُ فلاناً^٢ يعني الفحل جرجر منذ بَزَلُ^٣ قبل اليوم، فلا تَعْرِضُوا لهذا الشيطان. وجعلوا يَثْبَعُونَهُ وينظرون الى خَطْوِهِ وَيَعْجَبُونَ من طول أَعْضَائِهِ حتى جازهم.

مصارعة :

قال وحدثنا مَنْ سَمِعَ هَلاَلاً يقول: قَدِمْتُ المَدِينَةَ وعليها رجلٌ من آلِ مَرْوَانَ، فلم أَزَلْ أَضْعُ^٤ عن إِبِلِي وعليها أحمالٌ للتجار حتى أَخَذَ بيدي وقيل لي: أَرَجِبِ الأَمِيرَ. قال: قَلْتُ لَهُمْ: وَيَلِكُمْ! إِبِلِي وَأَحْمَالِي! قَقِيل: لا بَأْسَ على إِبِلِكَ وَأَحْمَالِكَ. قال: فَأَنْطَلِقَ بِي حتى أُدْخِلْتُ على الأَمِيرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَلْتُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ! إِبِلِي وَأَمَانَتِي! قال فقال: نحن ضامنون لإِبِلِكَ وَأَمَانَتِكَ حتى نُؤَدِّيَهَا إِلَيْكَ: قال فقلت عند ذلك: فما حَاجَةُ الأَمِيرِ إِلَيَّ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاهُ؟ قال فقال لي - وإلى جنبه رجل أصفر، لا والله ما رَأَيْتُ رجلاً قط أَشَدَّ خَلْقاً منه ولا أَغْلَظَ عُقْناً، ما أَدْرِي أَطُولُهُ أَكْثَرُ أَمْ عَرُضُهُ - : إن هذا العبد الذي تَرَى لا والله ما تَرَكَ بالمَدِينَةِ عَرَبِيّاً يَصَارِعُ إِلَّا صَرَعَهُ، وَبَلَّغَنِي عَنْكَ قُوَّةً، فَأَرَدْتُ أَنْ يُجِيرِيَ اللهُ صَرْعَ هذا العبد على يَدَيْكَ فَتُدْرِكَ ما عنده من أوتار العرب. قال فقلت: جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَ الأَمِيرِ، إِنْ لَغِبْتُ نَصَبْتُ جَائِعُ^٥، فَإِنْ رَأَى الأَمِيرُ أن يدعني اليوم حتى أضع

(١) القطم: الهائج.

(٢) جرجر: ردد صوته في حنجرتة. واستخذى: خضع.

(٣) كذا في الاصل، ولكن الذي قاله أئمة اللغة أن فلانا وفلانة بغير أل يكنى بها عن الآدميين، والفلان والفلانة بأل يكنى بها عن غيرهم.

(٤) بزل البعير: فطر نابه ودخل في سنته التاسعة.

(٥) «لا» هذه زائدة، والعرب يزيّدونها قبل القسم تمهيداً لنفي الجواب.

عن إبلي وأودَيَ أمانتي وأريح يومي هذا وأجيئه غداً فليفعل . قال فقال لأعوانه : إنطلقوا معه فأعينوه على الوَضْع عن إبله وأداء أمانته وانطلقوا به إلى المطبخ فأشيعوه ؛ ففعلوا جميع ما أمرهم به . قال : فظَلَلْتُ بقية يومي ذلك وبت ليأتي تلك بأحسن حالٍ شبعاً وراحةً وصلاح أمر ، فلما كان من الغد غدوت عليه وعليَّ جُبَّةً لي صوفٌ وبتٌ وليس عليَّ إزارٌ إلا أني قد شددتُ بعمامي وسطي ، فسَلَمْتُ عليه فردَّ عليَّ السلام ، وقال للأصفر : مُّمَّ اليه ، فقد أرى أنه أتاك الله بما يُخزيك ؛ فقال العبد : اترَّر يا أعرايي ؛ فأخذتُ بتي فأتَّرت به على جُبَّتِي ، فقال : هيهات ! هذا لا يثبت ، اذا قبضتُ عليه جاء في يدي ؛ قال فقلت : والله ما لي من إزار ، قال : فدعا الاميرُ بملْحَفَةٍ ما رأيتُ قبلها ولا علا جلدي مثلها ، فشدَّتُ بها على حَقْوِي وخَلَعْتُ الجُبَّةَ ؛ قال : وجعل العبد يدور حولي ويريد خَنِّي وأنا منه ورجلٌ ولا أدري كيف أصنع به ، ثم دنا مني دَنَوَةً فنَقَدْتُ جَبْهَتِي بظفره نَقْدَةً حتى ظننتُ أنه قد شَجَّنِي وأوجعني ، فغاضني ذلك ، فجعلتُ أنظر في خَلْقِهِ بِمِ أقبضُ منه ، فما وجدتُ في خلقه شيئاً أصغرَ من رأسه فوضعتُ إِيَّاهُ في صُدْغِهِ وأصابعي الأخر في أصل أذنه ، ثم غمرته غَمْرَةً صاح منها : قَتَلْتَنِي ! قَتَلْتَنِي ! فقال الامير : اغمس رأسَ العبد في التراب ؛ قال فقلت له : ذلك لك علي ؛ قال فغَمَسْتُ والله رأسه في التراب ووقع شبيهاً بالْمَغْشِي عليه ، فضحك الأميرُ حتى استلقى وأمر لي بجائزَةٍ وكُسوةٍ وأنصرفتُ .

فراره الى اليمن :

قال أبو الفرج : ولهلالِ أحاديثٍ كثيرةٍ من أعاجيبِ شدَّته . وقد ذكره حاجب بن ذبيان فقال لقوم من بني ربابٍ من بني حنيفة في شيء كان بينهم فيه أربعُ ضرباتٍ بالسيف ، فقال حاجب :

(١) البت : كساء غليظ مهلهل مربع أخضر . وقيل : هو من وبر وصوف .

(٢) الحقو : الخصر .

(٣) نقد الشيء : نقره بأصبعه .

وقائلة وبأكية بشجو لبئس السيف سيف بني رباب
ولو لاقى هلال بني رزام لعجله إلى يوم الحساب

وكان هلال بن الأسعر ضربه رجل من بني عترة ثم من بني جَلان يقال له
عبيد بن جري في شيء كان بينهما، فشجّه وخشّه 'خماشة'، فأتى هلال بني جَلان
فقال: إن صاحبكم قد فعل بي ما ترون فخذوا لي بحقي، فأوعدوه وزجروه؛ فخرج
من عندهم وهو يقول: عسى أن يكون لهذا جزاء حتى أتى بلاد قومه؛ فمضى
لذلك زمنٌ طويل حتى درس ذكره؛ ثم إن عبيد بن جري قديم الوقى - وهو
موضع من بلاد بني مالك - فلما قدما ذكر هلالا وما كان بينه وبينه فتخوّفه؛
فسأل عن أغزّ أهل الماء، ف قيل له: معاذ بن جعدة بن ثابت بن زُرارة بن ربيعة
ابن سيّار بن رزام بن مازن؛ فأتاه فوجده غائباً عن الماء، فعقد عبيد بن جري
طرف ثيابه إلى جانب طنب بيت معاذ - وكانت العرب إذا فعلت ذلك وجب
على المعقود بطنب بيته للمستجير به أن يُجيرَه وأن يطلب له بظلامته - وكان يوم
فعل ذلك غائباً عن الماء، ف قيل: رجلٌ استجار بآل معاذ بن جعدة. ثم خرج عبيد
ابن جري ليستقي، فوافق قدوم هلال بإبله يوم وروده، وكان إنما يقدرُها في الأيام،
فلما نظر هلال إلى ابن جري ذكر ما كان بينه وبينه، ولم يعلم باستجارته بمعاذ بن
جعدة، فطلب شيئاً يضربه به فلم يجده، فانزع المحور من السانية فعلاه به
ضربة على رأسه فصرع وقيداً، وقيل: قتل هلال بن الأسعر جارا معاذ بن جعدة!
فلما سمع ذلك هلال تحوّل بني جعدة الرّزاميين، وهم بنو عمه، فأتى راحلته ليركبها.
قال هلال: فأتتني خولة بنت يزيد بن ثابت أخي بني جعدة بن ثابت، وهي
جدة أبي السفّاح زهيد بن عبد الله بن مالك أمّ أبيه، فتعلّقت بثوب هلال، ثم
قالت: أيّ عدوّ الله قتلت جارنا! والله لا تُفارقني حتى يأتيك رجالنا! قال هلال:

(١) الخنش: الخدش في الوجه، وقد يستعمل للخدش في سائر الجسد.

(٢) المحور: الحديد التي تجمع بين الخطاف والبكرة. والسانية: الدلو العظيمة مع أدواتها.

(٣) الوقيد: الدنف الذي أشفى على الموت.

والمحور في يدي لم أضعه ؛ قال : فهَمَسْتُ أَنْ أَعْلَوْ بِهِ رَأْسَ خَوْلَةٍ ، ثُمَّ قَلْتُ فِي
نَفْسِي : عَجُوزٌ لَهَا سِنٌّ وَقَرَابَةٌ ! قال : فَضَرَبْتُهَا بِرَجْلِي ضَرْبَةً رَمَيْتُ بِهَا مِنْ
بَعِيدٍ ، ثُمَّ أَتَيْتُ نَاقَتِي فَأَرْكَبُهَا ثُمَّ أَضْرِبُهَا هَارِبًا . وجاء مُعَاذُ بْنُ جَعْدَةَ وَإِخْوَتُهُ - وَهُمْ
يَوْمَئِذٍ تِسْعَةُ إِخْوَةٍ - وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَالِكٍ زَوْجُ بِنْتِ مُعَاذٍ وَيُقَالُ لَهَا جُبَيْلَةٌ ، وَهُوَ
مَعَ ذَلِكَ ابْنُ عَمَّتِهِمْ خَوْلَةُ بِنْتِ يَزِيدَ بْنِ ثَابِتٍ ، فَهُوَ مَعَهُمْ كَأَنَّهُ بَعْضُهُمْ ؛ فَجَاءُوا
مِنْ آخِرِ النَّهَارِ فَسَجِعُوا الْوَاعِيَةَ عَلَى الْجَلَلَانِيِّ وَهُوَ دَرَنَفٌ لَمْ يَمُتْ ، فَسَأَلُوا عَنْ تِلْكَ
الوَاعِيَةِ فَأُخْبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ اسْتِجَارَةِ الْجَلَلَانِيِّ بِمُعَاذِ بْنِ جَعْدَةَ وَضَرْبِ هَالَالٍ لَهُ مِنْ
بَعْدِ ذَلِكَ ؛ فَرَكِبَ الْإِخْوَةُ التَّسْعَةُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَالِكٍ عَاشِرُهُمْ ، وَكَانُوا أَمْثَالَ
الْجِبَالِ فِي شِدَّةِ خَلْقِهِمْ مَعَ تَجَدُّدِهِمْ ، وَرَكَبُوا مَعَهُمْ بَعْشَرَةَ غِلْمَةٍ لَهُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ
خَلْقًا لَا يَقَعُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ سَهْمٌ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ يَرِيدُهُ مِنْ رَمِيَّتِهِ ، حَتَّى تَبْعُوا هَالَالَ ؛
وَقَدْ نَسَلَ هَالَالٌ مِنَ الْهَرَبِ يَوْمَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَلَيْلَتِهِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَمْنَهُمْ وَظَنَّ أَنَّ
قَدْ أَبْعَدَ فِي الْأَرْضِ وَنَجَا مِنْهُمْ ؛ وَتَبِعُوهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ قَضَوْا أَثَرَهُ ،
وَكَانَ لَا يَخْفَى أَثَرُهُ عَلَى أَحَدٍ لِعَظَمِ قَدَمِهِ ، فَلَحِقُوهُ مِنْ بَعْدِ الْغَدِ ، فَلَمَّا أَدْرَكَوهُ وَهُمْ
عِشْرُونَ وَمَعَهُمُ النَّبْلُ وَالْقِيسِيُّ وَالسِّيُوفُ وَالتَّرْسَةُ ، نَادَاهُمْ : يَا بَنِي جَعْدَةَ ، إِنِّي
أَشَدُّكُمْ اللَّهُ ! أَنْ أَكُونَ قَتَلْتُ رَجُلًا غَرِيبًا طَلَبْتَهُ بِتَرَةٍ تَقْتُلُونِي وَأَنَا ابْنُ عَمِّكُمْ !
وَظَنَّ أَنَّ الْجَلَلَانِيَّ قَدْ مَاتَ ، وَلَمْ يَكُنْ مَاتَ إِلَى أَنْ تَبِعُوهُ وَأَخَذُوهُ ؛ فَقَالَ مُعَاذُ :
وَاللَّهِ لَوْ أَيْقَنَّا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ مَا نَاضَرْنَا بِكَ الْقَتْلَ مِنْ سَاعَتِنَا وَلَكِنَّا تَرَكْنَاهُ وَلَمْ يَمُتْ ،
وَلَسْنَا نَحِبُّ قَتْلَكَ إِلَّا أَنْ تَمْتَنَعَ مِنَّا ، وَلَا نُقَدِّمُ عَلَيْكَ حَتَّى نَعْلَمَ مَا يَصْنَعُ جَارُنَا ؛
فَقَاتَلَهُمْ وَأَمْتَنَعَ مِنْهُمْ ، فَجَعَلَ مُعَاذٌ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ وَغِلْمَانِهِ : لَا تَرْمُوهُ بِالنَّبْلِ وَلَا
تَضْرِبُوهُ بِالسِّيُوفِ ، وَلَكِنْ أَرْمُوهُ بِالْحِجَارَةِ وَأَضْرِبُوهُ بِالْعَصِيِّ حَتَّى تَأْخُذُوهُ ؛ فَفَعَلُوا

(١) الواعية : الصراخ على الميت .

(٢) نسل : أسرع في سيره .

(٣) قص أثره قصا وقصصاً : تتبعه .

(٤) الترس : جمع ترس ، وهو صفيحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف .

(٥) ما ناضرنا بك القتل : ما أخرناه .

ذلك، فما قَدَرُوا على أخذه حتى كسروا من إحدى يديه ثلاث أصابع ومن الأخرى إصبعين، ودَقُّوا ضلعين من أضلاعه وأكثروا الشَّجَاج في رأسه، ثم أخذوه وما كادوا يقدرُون على أخذه، فوضعوا في رجله أَدْهَم^١، ثم جاءوا به وهو معروض على بعير حتى أَنتَهَوْا به إلى الوَقْبِي فدفعوه إلى الجَلَّاني ولم يمت بعد، فقالوا: انطلقوا به معكم إلى بلادكم ولا تُحدِثُوا في أمره شيئاً حتى تنظروا ما يُصْنَع بصاحبكم، فإن مات فأقتلوه وإن حي فأعلمونا حتى نحمل لكم أرش^٢ الجناية. فقال الجَلَّانيون: وَفَتْ ذَمَّتْكُمْ يا بني جَعْدَة، وجزاكم الله أفضل ما يجزي به خيار الجيران، إنا نتخوَّف أن يَنْزِعَهُ مَنَّا قومكم إن خَلَيْتُمْ عَنْنا وعنهم وهو في أيدينا؛ فقال لهم مُعَاذ: فَإِنِّي أَحْمِلُهُ معكم وأُشِيعَكُمْ حتى تَرِدُوا بلادكم، ففعلوا ذلك، فحُمِلَ معروضاً على بعير وركبت أخته حِجَاب بنت الأسعر معه، وجعل يقول: قَتَلْتَنِي بنو جَعْدَة! وتَأْتِيهِ أخته بِمَغْرَة^٣ فيُشْرِبُهَا فيُقَال: يُمَشِي^٤ بالدم، لأن بني جَعْدَة فرثُوا^٥ كبده في جوفه. فلما بلغوا أدنى بلاد بكر بن وائل قال الجَلَّانيون لمُعَاذ وأصحابه: أدام الله عزكم، قد وَفَيْتُمْ فأنصرفوا. وجعل هلال يُريهم انه يمشي في الليلة عشرين مرة. فلما ثَقُلَ الجَلَّانيُّ وتَخَوَّفَ هلال أن يموت من ليلته أو يصبح مَيِّتاً، تبرَّز هلال كما كان يصنع وفي رجله الأَدْهَم كأنه يقضي حاجة، ووضع كساءه على عصاه في ليلة ظلماء، ثم اعتمد على الأَدْهَم فخطمه، ثم طارت تحت ليلته على رجله، وكان أدل الناس فتنبك الطريق التي تُعرف ويُطلب فيها وجعل يسلك المسالك التي لا يُطَمَع فيها، حتى أَنتَهَى إلى رجل من بني أَثَاثَة بن مازن يقال له السَّعْر بن يزيد ابن طَلْق بن جُبَيْلَة بن أَثَاثَة بن مازن، فحمَله السَّعْر على ناقة له يقال لها مَلَوَة، فركبها ثم تَجَنَّبَ بها الطريق فأخذ نحو بلاد قيس بن عِيلان، تخوفاً من بني مازن

(١) الأَدْهَم: القيد.

(٢) الأَرش: دية الجراحات.

(٣) المغرة (بالفتح وبالتحريك): طين أحمر يصبغ به.

(٤) أمشي الرجل: استطلق بطنه من دواء تناوله.

(٥) فرثوا كبده: ضربوها وهو حي.

أن يتبعوه أيضاً فيأخذوه، فسار ثلاث ليال وأيامها حتى نزل اليوم الرابع، فنحر
 الناقة فأكل لحمها كله إلا فضلةً فضلت منها فأحتملها، ثم أتى بلاد اليمن فوقع
 بها، فلبث زماناً وذلك عند مقام الحجاج بالعراق، فبلغ إفلاته من البصرة من
 بكر بن وائل، فأنطلقوا إلى الحجاج فاستعدوه وأخبروه بقتله صاحبهم، فبعث
 الحجاج إلى عبد الله بن شعبة بن العلقم، وهو يومئذ عريف بني مازن حاضرتهم
 وباديتهم، فقال له: لتأتي بي هلال أو لأفعلن بك ولا أفعلن؟ فقال له عبد الله بن
 شعبة: إن أصحاب هلال وبني عمه قد صنعوا كذا وكذا: فأقتص عليه ما صنعوا
 في طلبه وأخذه ودفعه إلى الجلانيين ونشيعهم إياه حتى وردوا بلاد بكر بن
 وائل؛ فقال له الحجاج: ويلك! ما تقول؟ قال فقال بعض البكرين: صدق،
 أصلح الله الأمير؛ قال فقال الحجاج: فلا يرغم الله إلا أنوفكم، إشهدوا أنني
 قد آمنت كل قريب لهلال وحميم وعريف ومنعت من أخذ أحد به ومن طلبه
 حتى يظفر به البكريون أو يموت قبل ذلك. فلما وقع هلال إلى بلاد اليمن بعث
 إلى بني رزام بن مازن بشعريعاتهم فيه ويُعظم عليهم حقه ويذكر قرابته، وذلك
 أن سائر بني مازن قاموا ليحملوا ذلك الدم، فقال معاذ: لا أرضى والله أن
 يحمل جاري دم واحد حتى يُحمل له دم وجواري دم آخر، وإن أراد هلال
 الأمان وسطننا حمل له دم ثالث؛ فقال هلال في ذلك:

بني مازن لا تطردوني فإنني أخوكم وإن جرت جرائها يدي
 ولا تثلجوا أكباد بكر بن وائل بترك أخيكم كالخليع المطرد
 ولا تجعلوا حفظي بظهر وتحفظوا بعيداً ببغضاء يروح ويغتدي
 فإن القريب حيث كان قريبكم وكيف بقطع الكف من سائر اليد
 وإن البعيد إن دنا فهو جاركم وإن شط عنكم فهو أبعد أبعد
 وإني وإن أوجدتوني لحافظ لكم حفظ راض عنكم غير موجد

(١) الجرائ: جمع جريرة وهي الذنب والجناية.

(٢) أوجدتوني: أغضبتوني، من وجد يجد وجداً وموجدة اذا غضب. وتعدية الفعل
 بالهمزة في مثل هذا قياسية على المختار. ويروى: «أوجدتوني» بالحاء، أي جعلتموني وحيداً منفرداً.

سَيَحْمِي حِمَاكُم بِي وَإِنْ كُنْتُ غَائِبًا
وَتَعْلَمُ بِكَرِّ أَنْكُمْ حَيْثُ كُنْتُمْ
وَأَنِّي ثَقِيلٌ حَيْثُ كُنْتُ عَلَى الْعِدَا
وَأَنَّهُمْ لَمَّا أَرَادُوا هَضِيمَتِي
حَسَامٌ مَتَى يَعْزِمُ عَلَى الْأَمْرِ يَأْتِهِ
وَهُمْ بَدَأُوا بِالْبَغْيِ حَتَّى إِذَا جُزُوا
فَلَمْ يَكُ مِنْهُمْ فِي الْبَدِيَّةِ مُنْصِفٌ
وَلَمْ يَفْعَلُوا فَعَلَ الْحَلِيمِ فَيُجْمِلُوا
فَإِنْ يَسْرِ لِي إِيعَادُ بَكْرٍ فَرَبَّمَا
وَرُبَّ حِمَى قَوْمٍ أَجَحْتُ وَمَوْرِدٍ
وَسَجَفَ دُجُوجِيٍّ مِنَ اللَّيْلِ حَالِكٍ
سَفِينَةٍ خَوَاضٍ بُحُورَ هُمُومِهِ
جَسُورٍ عَلَى الْأَمْرِ الْمَهِيْبِ إِذَا وَنَى

وقال وهو بأرض اليمن :

أَقُولُ وَقَدْ جَاوَزْتُ نُعْمَى وَنَاقَتِي
سَقَى اللَّهُ يَا نَاقَ الْبِلَادِ الَّتِي بِهَا
فَمَا عَنِ قَلِيٍّ مَنَّا لَهَا خَفَّتِ النَّوَى
وَلَكِنْ صَرَفَ الدَّهْرَ فَرَقَ بَيْنَنَا

تَحْنُ إِلَى جَنِيٍّ فُلَيْجٍ مَعَ الْفَجْرِ
هَوَاكِ، وَإِنْ عَنَّائَتْ، سَبَلُ الْقَطْرِ
بَنَّا عَنْ مَرَاعِيهَا وَكُثْبَانِهَا الْغَفْرِ
وَبَيْنَ الْأَدَانِي، وَالْفَتَى غَرَضُ الدَّهْرِ

(١) منوا : ابتلوا .

(٢) قد : اسم فعل بمعنى يكفي .

(٣) البديهة : أول الشيء .

(٤) يريد بموَارة اليد : الناقة : أي ان يدها كثيرة التردد في عرض جنبها ، يعني أنها سهلة السير سريعتة .

(٥) الالتياث : الإبطاء .

(٦) القرى (بالتحريك) : الظهر ، وقيل : وسطه .

(٧) السبل : المطر النازل من السحاب قبل أن يصل إلى الأرض .

فَسَقِيًّا لَصَحْرَاءِ الْإِهَالَةِ^(١) مَرْبَعًا وَلِلْوَقْبِي مِنْ مَتَزَلٍ دِمْتٍ^(٢) مُثْرِي
وَسَقِيًّا وَرَعِيًّا حَيْثُ حَلَّتْ لِمَازِنٍ وَأَيَّامَهَا الْغُرَّةَ الْحَجَلَةَ الزُّهْرَ

قال خالد بن كلثوم : ولما دُفِعَ هلالٌ الى أولياءِ الْجَلَّانِي لِيَقْتُلُوهُ بِصَاحِبِهِمْ
جاء رجل يقال له : حَفِيدٌ كان هلال قد وَتَرَهُ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَاؤُتِنَبَنَّهُ وَلَا تُصْعَرَنَّ
إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَهُوَ فِي الْقَيْدِ مَضْبُورٌ^(٣) لِلْقَتْلِ ، فَأَتَاهُ فَلَمْ يَدَعْ لَهُ شَيْئًا مِمَّا يَكْرَهُ إِلَّا
عَدَّهُ عَلَيْهِ . قَالَ : وَالِي جَنْبِ هَلَالٍ حَجَرٌ يَمْلَأُ الْكَفَّ ، فَأَخَذَهُ هَلَالٌ فَأَهْوَى بِهِ
لِلرَّجُلِ فَأَصَابَ جَبِينَهُ فَاجْتَلَفَ^(٤) جُلْفَةً مِنْ وَجْهِهِ وَرَأْسِهِ ، ثُمَّ رَمَى بِهَا وَقَالَ : خذ
الْقِصَاصَ مِنِّي الْآنَ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَنَا ضَرَبْتُ كَرِبًا وَزَيْدًا وَثَابِتًا مَشَيْتُهُمْ رُؤِيدًا
كَمَا أَفَدْتُ حَيْنَهُ عُيَيْدًا وَقَدْ ضَرَبْتُ بَعْدَهُ حَفِيدًا

قال : وهؤلاء كلهم من بني رِزَامِ بْنِ مَازِنٍ ، وَكُلُّهُمْ كَانَ هَلَالٌ قَدْ نَكَأَ فِيهِمْ^(٥) .

ادى عنه ديسم الدية لبني جلان فمدحه :

قال خالد بن كلثوم : ولما طال مُقَامُ هَلَالٍ بِالْيَمَنِ نَهَضَتْ بَنُو مَازِنٍ بِأَجْمَعِهِمْ
إِلَى بَنِي رِزَامِ بْنِ مَازِنٍ رَهْطُ هَلَالٍ وَرَهْطُ مُعَاذِ بْنِ جَعْفَةَ جَارِ الْجَلَّانِي الْمَقْتُولِ ،
فَقَالُوا : إِنْكُمْ قَدْ أَسَأْتُمْ بِأَبْنِ عَمِّكُمْ وَجُزِئْتُمْ الْخَدَّ فِي الطَّلَبِ بَدَمِ جَارِكُمْ ، فَنَحْنُ
نَحْمِلُ لَكُمْ مَا أَرَدْتُمْ ، فَحَمِلَ دَيْسَمُ بْنُ الْمِنْهَالِ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ شِهَاتِ بْنِ أَثَاثَةَ بْنِ
ضُبَابِ بْنِ حُجَيْيَةَ بْنِ كَابِيَةَ بْنِ حُرْقُوصِ بْنِ مَازِنٍ الَّذِي طَلَبَ مُعَاذُ بْنُ جَعْفَةَ أَنَّ

(١) صحراء الإهالة : موضع ذكره ياقوت .

(٢) دمت : سهل لين . ومثر : كثير الثرى خصب .

(٣) المصبور : المحبوس للقتل .

(٤) اجتلف منه جلفة : بضع من لحمه بضعة .

(٥) نكأ فيهم : قتل فيهم وجرح وأثخن .

يُحْمَلُ لَجَارِهِ ، لِفَضْلِ عَزَّةٍ وَمَوْضِعِهِ فِي عَشِيرَتِهِ ، وَكَانَ الَّذِي طَلَبَ ثَلَاثَةَ بَعِيرٍ ؛
فَقَالَ هَلَالٌ فِي ذَلِكَ :

إِنْ أَبْنَى كَابِيَةَ الْمَرْزَأَ^١ دَيْسِمًا وَارِي الزَّنَادِ بَعِيدُ ضَوْءِ النَّارِ
مَنْ كَانَ يَحْمَلُ^٢ مَا تَحْمَلُ دَيْسِمٌ مِنْ حَائِلٍ فُنُقٍ^٣ وَأُمٍّ حُورِ
عَيَّتْ بَنُو عَمْرٍو بِحِمْلِ هَنَائِدٍ^٤ فِيهَا الْعِشَارُ^٥ مَلَابِيءُ الْأَبْكَارِ
حَتَّى تَلَا فَاها كَرِيمٌ سَابِقٌ بِالْخَيْرِ حَلٍّ مَنَازِلِ الْأَخْيَارِ
حَتَّى إِذَا وَرَدَتْ جَمِيعًا أَرْزَمَتْ^٦ جَلَّانَ بَعْدَ تَشْمُسٍ وَنِفَارِ
تَرعى بِصَحْرَاءِ الْإِهَالَةِ رُوبَةً^٧ وَالْعَنْظَوَانَ^٨ مَنَابِتَ الْجَرْجَارِ^٩

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ كَلْثُومٍ : كَانَ قُيَيْرٌ بَنُ سَعْدٍ مُصَدِّقًا عَلَى بَكْرِ بْنِ وائِلٍ ، فَوَجَدَ مِنْهُمْ رَجُلًا قَدْ سَرَقَ صَدَقَتَهُ ، فَأَخَذَهُ قُيَيْرٌ لِيَجْبِسَهُ ، فَوَثَبَ قَوْمُهُ وَأَرَادُوا أَنْ يَحْمِلُوا بَيْنَ قُيَيْرٍ وَبَيْنِهِ وَهَلَالٌ حَاضِرٌ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ هَلَالٌ وَثَبَ عَلَى الْبَكْرِيِّينَ فَجَعَلَ يَأْخُذُ الرَّجُلَيْنِ مِنْهُمْ فَيَكْنُفُهُمَا^{١٠} وَيُنَاطِحُ بَيْنَ رُؤُوسِهِمَا ، فَانْتَهَى إِلَى قُيَيْرٍ أَعْوَانَهُ فَقَهَرُوا الْبَكْرِيِّينَ ؛ فَقَالَ هَلَالٌ فِي ذَلِكَ :

(١) المرزأ : الكريم الذي يصاب في ماله كثيراً .

(٢) الفنق بضمين : الناقة الفتية السمينة . والحوار بالضم ويكسر : الفصيل .

(٣) يظهر أنه جمع هنيذة وهي المائة من الإبل . والذي في اللسان وشرح القاموس : أن هنيذة مائة من الإبل معرفة لا تتصرف ولا يدخلها الألف واللام ولا تجمع ولا واحد لها من جنسها . وفي الأساس : « وأعطاه هنيذة : مائة من الإبل ، وهندأ : مائتين » .

(٤) العشار : جمع عشاء بضم العين وفتح الشين كنفساء ونفاس ولا ثالث لهما ، والعشاء : الناقة التي أتى عليها عشرة أشهر من نتاجها . ويقال عشار ملائذ إذا دنا نتاجها .

(٥) أَرزمت الناقة : حنت إلى ولدها . وفي المثل : « لا أفعله ما أَرزمت أم حائل » .

(٦) صحراء الإهالة : اسم موضع ذكره ياقوت ولم يعينه واستشهد بشعر هلال بن الأسعر .

(٧) الروبة : مكرومة من الأرض كثيرة النبات والشجر وهي أبقى الأرض كلاً .

(٨) العنظوان : ضرب من النبات إذا أكثر منه البعير وجع بطنه .

(٩) الجرجار : نبت طيب الريح .

(١٠) يكنفها : يضمها .

دعاني قَمِيرٌ دَعْوَةٌ فَأَجَبْتُهُ فَأَيُّ أَمْرٍ فِي الْحَرْبِ حِينَ دَعَانِي
مَعِيَ مَحْذَمٌ قَدْ أَخْلَصَ الْقَيْنُ حَدَّهُ يُخَفِّضُ عِنْدَ الرَّوْعِ رَوْعَ جَنَانِي
وَمَا زِلْتُ مَذْشَدَّتْ يَمِينِي حُجْزَتِي أَحَارِبُ أَوْ فِي ظِلِّ حَرْبٍ تَرَانِي

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا
حكيم بن سعد عن زفر بن هبيرة قال :

جلسه :

تَقَاوَمَ هَلَالُ بَنٍ أَسْعَرَ الْمَازِنِي ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي رِزَامِ بْنِ مَازِنٍ ، وَنُيْسٍ
الْجَلَّانِي مِنْ عَتَرَةٍ وَهِيَ يَسْقِيَانِ إِبِلَهُمَا ، خُذِفَ هَلَالٌ نُهَيْسًا بِمَجُورٍ فِي يَدِهِ فَأَصَابَهُ
فَمَاتَ ، فَاسْتَعْدَى وَلَدُهُ بِلَالُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ عَلَى هَلَالٍ فَخَسَهُ فَأَسْلَمَهُ قَوْمُهُ بَنُو رِزَامِ
وَعَمِلَ فِي أَمْرِهِ دَيْسَمُ بْنُ الْمَنْهَالِ أَحَدُ بَنِي كَابِيَةِ بْنِ حَرْقُوصٍ فَافْتَكَهُ بِثَلَاثِ
دِيَّاتٍ ، فَقَالَ هَلَالٌ يَمْدَحُهُ :

تَدْرَاكَ دَيْسَمٌ حَسْبًا وَمَجْدًا رِزَامًا بَعْدَ مَا أَنْشَقَتْ عَصَاهَا
هُمُ حَمَلُوا الْمُثِينَ فَأَلْحَقُوهَا بِأَهْلِيهَا فَكَانَ لَهُمْ سَنَاها
وَمَا كَانَتْ لِتَحْمِلَهَا رِزَامٌ بِأَسْتَاهِ مُعَقَّصَةٍ لِحَاها
بِكَابِيَةِ بْنِ حَرْقُوصٍ وَجَدَّ كَرِيمٍ لَا فِتَى إِلَّا قَتَاها

(١) الحجة : معقد الإزار .

(٢) لم يقع في هذا البيت ما يسمى في العروض بالاعتاد . والاعتاد : سقوط الخامس من فعولن
التي قبل القافية . وإثبات هذا الساكن فيما يكون ضربه محذوفاً كما في هذا الشعر لم يقع إلا على قبح ،
ولم يأت في الشعر إلا شاذاً قليلاً ، ومنه ما أنشده الخليل :

أَقِيمُوا بَنِي النِّعْمَانِ عَنَا صُدُورَكُمْ وَإِلَّا تَقِيمُوا صَاغِرِينَ الرُّؤُوسَا
وقول امرئ القيس :

أَعْنِي عَلَى بَرْقِ أَرَاهُ وَمِيزُ يَفِيءُ حُبِيًّا فِي شِمَارِيخِ بِيضٍ
وَتَخْرُجُ مِنْهُ لَامِعَاتُ كَأَنَّهَا أَكْفٌ تَلْقَى الْفَوْزَ عِنْدَ الْمَفِيزِ

(٣) خذف بالحصة والنواة ونحوهما : رمى بها بين سبابتيه أو بمخذفة من خشب . ولعل المحور
كان في يد هلال لقوته أشبه بالنواة .

نهمه وكثرة اكله :

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالَا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الْقَاضِي قَالَ حَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ ، وَأَخْبَرَنِي أَبُو عُبَيْدٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْمُؤَمِّلِ الصَّيْرَفِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا فَضْلُ بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَ حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ :

قلت لهلال بن أَسْعَرَ : مَا أَكَلْتُ أَكَلْتَهَا بَلَعْتَنِي عَنْكَ ؟ قَالَ : جُعْتُ مَرَّةً وَمَعِيَ بَعِيرِي فَنَجَرْتُهُ وَاكَلْتَهُ إِلَّا مَا حَمَلْتُ مِنْهُ عَلَى ظَهْرِي ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي حَدِيثِهِ عَنْ فَضْلٍ : ثُمَّ أَرَدْتُ أَمْرَأَتِي فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى جَمَاعِهَا ؛ فَقَالَتْ لِي : وَيْحَكَ ! كَيْفَ تَصِلُ إِلَيَّ وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعِيرٌ ! قَالَ الْمُعْتَمِرُ : فَقُلْتُ لَهُ : كَمْ تَكْفِيكَ هَذِهِ الْأَكْلَةُ ؟ قَالَ : أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ . وَحَدَّثَنِي بِهِ أَبُو عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ مُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قُلْتُ لَهُلَالَ بْنِ الْأَسْعَرِ - هَكَذَا قَالَ أَبُو أَبِي سَعْدٍ : مُعْتَمِرٌ عَنْ أَبِيهِ وَقَالَ فِي خَبَرِهِ : فَقُلْتُ لَهُ - كَمْ تَكْفِيكَ هَذِهِ الْأَكْلَةُ ؟ فَقَالَ : خَمْسًا .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الْقَاضِي قَالَ حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي الْأَصْمَعِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ بَنِي مَازِنٍ قَالَ :

أَتَانَا هَلَالَ بْنُ أَسْعَرَ الْمَازَنِيُّ فَأَكَلَ جَمِيعَ مَا فِي بَيْتِنَا ، فَبَعَثْنَا إِلَى الْخِيرَانِ نَقْتَرِضَ الْخَبْزَ فَلَمَّا رَأَى الْخَبْزَ قَدْ اخْتَلَفَ عَلَيْهِ قَالَ : كَأَنَّكُمْ أَرْسَلْتُمْ إِلَى الْخِيرَانِ ، أَعِنْدَكُمْ سَوِيقٌ^١ ، قُلْنَا : نَعَمْ ، فَجَبْتُهُ بِجَرَابٍ طَوِيلٍ فِيهِ سَوِيقٌ^٢ وَبِرَنْيَّةٍ^٣ نَبِيدٍ ، فَصَبَّ السَّوِيقَ كُلَّهُ وَصَبَّ عَلَيْهِ النَّبِيدَ حَتَّى أَتَى عَلَى السَّوِيقِ وَالنَّبِيدِ كُلَّهُ .

(١) السويق : دقيق الحنطة والشعير .

(٢) البرنية : إناء من خزف .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا أحمد بن الحارث
عن المدائنيّ :

أن هلال بن أسعر مرّ على رجل من بني مازن بالبصرة وقد حمل من بستانه
رطباً في زواريق^١ ، فجلس على زورقٍ صغيرٍ منها وقد كُثِبَ الرطبُ فيه وُغِطِيَ
بالبوارى^٢ ؛ قال له : يا بن عمّ آكلُ من رطبك هذا؟ قال : نعم ؛ قال : ما يكفيني؟
قال : ما يكفيك ؛ فجلس على صدر الزورقِ وجعل يأكل الى أن اكتفى ، ثم قام
فانصرف ، فكشَفَ الزورقُ فاذا هو مملوءٌ نوى قد أكلَ رطبَه وألقى النوى به .

قال المدائنيّ وحدثني مَنْ سألَه عن أعجب شيء أكله ، فقال : مائتي رغيف
مع مَكْوك^٣ ملح .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عبد الله بن أبي سَعْدٍ قال حدثني
الحسن بن علي بن منصور الّهُوَازي^٤ ، وكان كَهْلاً سَريّاً مُعَدَّلاً ، قال حدثني شبان
التَّيْلِيّ عن صدقة بن عبيد المازنيّ قال :

أولم عليّ أبي لما تزوّجت فعملنا عشر جفانٍ ثريداً من جزور^٥ . فكان أول
من جاءنا هلال بن أسعر المازنيّ ، فقدمنا اليه جفنةً فأكلها ثم أخرى ثم أخرى

(١) زواريق : جمع زورق . أشبع الكسرة فتولدت منها ياء كما جاء في قوله :
تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفى الدراهم تنقاد الصياريف
ومنه للمتنبي :

أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الخواجيب

(٢) معناه جُمع .

(٣) البواري : الحصر المنسوجة من القصب .

(٤) المكوك : مكيال يسع صاعاً ونصف صاع .

(٥) أولم عليّ أبي : عمل لي وليمة زواجي .

حتى أتى على العشر، ثم استسقى فأُتيَ بِقِرْبَةٍ نبِيذ فوضع طَرَفَهَا فِي شِدْقِهِ ففَرَّغَهَا فِي جَوْفِهِ ثُمَّ قَامَ فَخَرَجَ؛ فَاسْتَأْنَفْنَا عَمَلَ الطَّعَامِ .

طوله :

أخبرني الجوهريّ قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق قال حدّثنا نصر بن عليّ عن الأصمعيّ قال : حدّثني أبو عمرو بن العلاء قال : رأيت هلال بن أسعر ميتاً ولم أره حيّاً، فما رأيت أحداً على سرير أطول منه .

غني مخارق الرشيد فاعته :

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد قال حدّثني بعض حاشية السلطان قال :

غني إبراهيم الموصليّ الرشيد يوماً :

يا ربعَ سلمى لقد هيّجتَ لي طرباً زِدْتَ الفؤاد على علّاته وصَبَا

— قال : والصنعة فيه لرجل من أهل الكوفة يُقال له عَزُون — فأعجب به الرشيد وطرب له واستعاده مراراً؛ فقال له الموصليّ : يا أمير المؤمنين فكيف لو سمعته من عبدك مُخارق، فإنه اخذه عني وهو يفضّل فيه الخلق جميعاً ويفضّلني، فأمر بإحضار مُخارق، فاحضر فقال له غنّني :

يا ربعَ سلمى لقد هيّجتَ لي طرباً زدت الفؤاد على علّاته وصبا

فغنّاه إياه؛ فبكى وقال : سلّ حاجتك ! قال مخارق : فقلتُ : تُعقّني يا أمير المؤمنين من الرقّ وتُشرّفني بولائك، أعتقك الله من النار؛ قال : أنت حرّ لوجه الله، أَعِدِ الصوتَ؛ قال : فأعدّته، فبكى وقال : سلّ حاجتك، فقلتُ : يا أمير المؤمنين ضيعةٌ تُقيمُني غلّتها؛ فقال : قد أمرتُ لك بها، أَعِدِ الصوتَ؛ فأعدّته

فبكى وقال : سل حاجتك ؛ فقلت : يأمر لي أمير المؤمنين بمنزل وفرشه وما يُصلحه وخادم فيه ؛ قال : ذلك لك ، أعدّه ؛ فأعدته فبكى وقال : سل حاجتك ؛ قلت : حاجتي يا أمير المؤمنين أن يُطيل الله بقاءك ويُديم غرك ويجعلني من كل سوء فداءك ؛ قال فكان إبراهيم الموصلي سبب عتقه بهذا الصوت .

أخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن مُخارق ، وحدثني به الصولي أيضاً عن وكيع عن هارون بن مُخارق قال :

كان أبي اذا غنى هذا الصوت :

يا ربع سلمى لقد هيجت لي طرباً زدت الفؤاد على علّاته وصبا

يقول : أنا مولى هذا الصوت ؛ فقلت له يوماً : يا أبت ، وكيف ذلك ؟ فقال : غنيته مولاي الرشيد فبكى وقال : أحسنت ، أعد فأعدت ؛ فبكى وقال : أحسنت ! أنت حرّ لوجه الله وأمر لي بخمسة آلاف دينار ، فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاي ، وذكر قريباً مما ذكره المبرد من باقي الخبر .

حدثني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن أبي الدنيا قال حدثني إسحاق النخعي عن حسين بن الضحّاك عن مُخارق :

أن الرشيد أقبل يوماً على المغنين وهو مضطجع ، فقال : من منكم يُغني :

يا ربع سلمى لقد هيجت لي طرباً زدت الفؤاد على علّاته وصبا

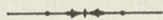
قال : فقامت فقلت : أنا ، فقال : هاته ؛ فغنيته فطرب وشرب ، ثم قال : عليّ بهرثمة ، فقلت في نفسي : ما تُراه يريد منه ! فجاءوا بهرثمة فأدخل اليه وهو يجر سيفه ، فقال : يا هورثة ، مُخارق الشاري الذي قتلناه بناحية الموصل ما كانت كنيته ؟ فقال : أبو المهنا ؛ فقال : انصرف فأنصرف ؛ ثم أقبل عليّ فقال : قد كنتك أبا المهنا لإحسانك ، وأمر لي بمائة ألف درهم ، فأنصرفت بها وبالكنية .

صوت

من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه

وخلّ كنتُ عين الرُّشد منه اذا نظرتُ ومستمعاً سميعاً
أطاف بغيّه فعدلتُ عنه وقلت له أرى أمراً فظيعاً

الشعر لعروة بن الورد ، والغناء في اللحن المختار لسياط ثاني ثقل بالينصر عن
عمرو بن بانة . وفيه لإبراهيم ماخوري بالوسطى عن عمرو أيضاً .



اخبار عروة بن الورد ونبه

عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ بْنِ زَيْدٍ، وَقِيلَ: أَبْنُ عَمْرِو بْنِ زَيْدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَاشِبِ بْنِ هَرِيمٍ بْنِ لُدَيْمٍ بْنِ عَوْذِ بْنِ غَالِبِ بْنِ قُطَيْعَةَ بْنِ عَبْسٍ بْنِ بَغِيضِ بْنِ الرَّيْثِ أَبْنِ غَطَفَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ رَعِيلَانَ بْنِ مُضَرَ بْنِ زَرَارٍ، شَاعِرٌ مِنْ شُعَرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَارِسٍ مِنْ فُرْسَانِهَا وَصُعْلُوكٌ^(١) مِنْ صَعَالِيكِهَا الْمَعْدُودِينَ الْمَقْدَمِينَ الْأَجْوَادَ. وَكَانَ يُلقَّبُ عُرْوَةَ الصَّعَالِيكَ لِجَمْعِهِ إِيَّاهُمْ وَقِيَامِهِ بِأَمْرِهِمْ إِذَا أَخْفَقُوا فِي غَزَوَاتِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَعَاشٌ وَلَا مَغْرَى، وَقِيلَ: بَلْ لُقِّبَ عُرْوَةَ الصَّعَالِيكَ لِقَوْلِهِ:

لَحَى اللَّهُ صُعْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ مُصَافِي الْمَشَاشِ^(٢) أَلْفًا كُلَّ مَجْزَرٍ
يَعْدُ الْغِنَى مِنْ دَهْرِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ أَصَابَ قِرَافَهَا مِنْ صَدِيقٍ مُيَسَّرٍ^(٣)
وَلِلَّهِ صُعْلُوكٌ صَفِيحَةٌ وَجْهَهُ كَضْوَى شَهَابٍ الْقَابِسِ الْمُنْتَوِّرِ

مُتَرْفَعُهُ :

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْغَرِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ سُبَّةٍ قَالَ بَلَغَنِي أَنَّ مَعَاوِيَةَ قَالَ :

لَوْ كَانَ لِعُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ وَلَدٌ لَا حُبِّتُ إِنْ أَتَوَّجَ إِلَيْهِمْ .

(١) الصُعْلُوكُ : الْفَقِيرُ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ ، وَصَعَالِيكَ الْعَرَبُ : لِنُصُوصِهَا وَفَقْرِهَا .

(٢) الْمَشَاشُ : كُلُّ عَظْمٍ هَشٍّ دَسَمٍ وَاحِدَتُهُ مَشَاشَةٌ .

(٣) يَسِرُ الرَّجُلُ : سَهَلَتْ وَلَادَةُ إِبْنِهِ وَغَنِمَهُ وَلَمْ يَعْطَبْ مِنْهَا شَيْءٌ .

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني
العُمري عن الهيثم بن عدي، وحدثنا إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم
قالا جميعاً :

قال عبد الملك بن مروان : ما يسُرني أن أحداً من العرب ولدني ممن لم
يلدني إلا عروة بن الورد لقوله :

إني أمروء عافي إنائي شركة وأنت أمروء عافي إنائك واحد
أتهزأ مني أن سمحت وأن ترى بجسمي مس الحق والحق جاهد
أفرق جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد

اقوال الثناء فيه :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبة قال :

بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للحطيئة : كيف كنتم في حربكم ؟
قال : كنّا الف حازم ، قال : وكيف ؟ قال : كان فينا قيس بن زهير وكان حازماً
وكنّا لا نعصيه ، وكنّا نُقدم إقدام عنترة ، ونأتمّ بشعر عروة بن الورد ، وننقاد
لأمر الربيع بن زياد .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال :

ويقال : إن عبد الملك قال : من زعم أن حاتمًا أسّح الناس فقد ظلم عروة
أبن الورد .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرنا إبراهيم بن
المنذر قال حدثنا معن بن عيسى قال :

سمعت أن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال لمعلم ولده : لا تُروهم قصيدة
عروة بن الورد التي يقول فيها :

دَعَيْني لِلْغنى أَسعى فَإِنِّي رأيتُ الناسَ شرُّهمُ الفقيرُ

ويقول: إن هذا يدعوهم الى الاغتراب عن اوطانهم .

مع فتاته :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثني عبد العزيز بن عمران الزهري عن عامر بن جابر قال :
أغار عُرْوَة بن الورد على مُزينة فأصاب منهم امرأةً من كِنانة ناكحاً ،
فاستاقها ورجع وهو يقول :

تَبَعَّ عَدِيًّا حَيْثُ حَلَّتْ ديارَها وَأبناء عَوْفٍ في القرون الأولى
فإِلا أَنلُ أَوْسًا فَإِنِّي حَسْبُها بِمُنْبَطِحِ الأَدغالِ من ذي السلائِلِ

ثم أقبل سائراً حتى نزل ببني النضير ، فلما رآوها أعجبتهن فسقوه الحجر ، ثم استوهبها منه فوهبها لهم ، وكان لا يمس النساء ، فلما أصبح وصحا ندِم فقال :

سَقَوني الحَجَرَ ثم تَكَنَّفوني

الأيات . قال : وجلاها النبي صلى الله عليه وسلم مع من جلا من بني النضير .

وذكر أبو عمر الشَّيباني من خبر عُرْوَة بن الورد وسلمى هذه أنه أصاب امرأةً من بني كِنانة بكراً يقال لها سلمى وتكنى أم وهب ، فأعتقها واتخذها لنفسه ، فمكثت عنده بضع عشرة سنة وولدت له أولاداً وهو لا يشك في انها أرغب الناس فيه ، وهي تقول له : لو حَجَجْتَ بي فَأُمر على أهلي وأراهم ! فحج بها ، فأتى

(١) الأَدغال : جمع دغل ، وله معانٍ كثيرة أنسبها هنا الوادي أو المنخفض من الأرض .

(٢) ذو السلائل : وادٍ بين الفرع والمدينة .

مكة ثم أتى المدينة، وكان يخالط من أهل يثرب بني النضير فيقرضونه إن احتاج وبياعهم^(١) إذا غم، وكان قومها يخالطون بني النضير، فأتوهم وهو عندهم؛ فقالت لهم سلمى: إنه خارج بي قبل أن يخرج الشهر الحرام، فتعالوا إليه وأخبروه أنكم تستحيون أن تكون امرأة منكم معروفة بالنسب صحيحة سبيّة، وافقدوني منه فإنه لا يرى أني أفارقه ولا أختار عليه أحداً، فأتوه فسقوه الشراب فلما نمل قالوا له: فادنا بصاحبتنا فإنها وسيطة^(٢) النسب فينا معروفة، وإن علينا سبيّة أن تكون سبيّة، فإذا صارت إلينا وأردت معاودتها فاخطبها إلينا فإننا نكحك؛ فقال لهم: ذلك لكم، ولكن لي الشرط فيها أن تختيروها، فإن اختارتني أنطلقت معي إلى ولدها وإن اختارتكم انطلقتم بها؛ قالوا: ذاك لك؛ قال: دعوني أله بها الليلة وأفادها غداً، فلما كان الغد جاءوه فامتنع من فداءها؛ فقالوا له: قد فاديتنا بها منذ البارحة، وشهد عليه بذلك جماعة ممن حضر، فلم يقدر على الامتناع وفادها، فلما فادوه بها خيروها فاخترت أهلها، ثم أقبلت عليه فقالت: يا عروة أما إني أقول فيك وإن فارقتك الحق: والله ما أعلم امرأة من العرب ألت سترها على بعل خير منك وأغض طرفاً وأقل فحشاً وأجود يداً وأحمى لحقيقة^(٣)؛ وما مر علي يوم منذ كنت عندك إلا والموت فيه أحب إلي من الحياة بين قومك، لأنني لم أكن أشاء أن اسمع امرأة من قومك تقول: قالت أمة عروة كذا وكذا إلا سمعته؛ والله لا انظر في وجهه غطفانية أبداً، فأرجع راشداً إلى ولدك وأحسن إليهم. فقال عروة في ذلك:

سَقَوْنِي الْحَمْرَ ثُمَّ تَكَنَّفُونِي

واولها:

(١) وبياعهم: يعقد معهم البيع.

(٢) وسيطة النسب: حسبية في قومها كريمة.

(٣) الحقيقة: ما يجب على الرجل أن يحميه وما لزمه الدفاع عنه من أهل بيته.

أَرَقْتُ وَصُحْبَتِي بِمُضِيقِ عَمَقٍ^(١) لَبِقٍ مِنْ تِهَامَةٍ مُسْتَطِيرٍ
 سَقَى سَلْمَى وَابْنَ دِيَارٍ سَلْمَى إِذَا كَانَتْ مُجَاوِرَةَ السَّرِيرِ^(٢)
 إِذَا حَلَّتْ بِأَرْضِ بَنِي عَلِيٍّ وَاهِلِي بَيْنَ إِمْرَةٍ^(٣) وَكَبِيرٍ
 ذَكَرْتُ مَنَازِلًا مِنْ أُمِّ وَهْبٍ مَحَلَّ الْحَيِّ اسْفَلَ مِنْ نَقِيرٍ^(٤)
 وَأَحَدْتُ مَعْهَدٍ مِنْ أُمِّ وَهْبٍ مُعَرَّسَنَا بِدَارِ بَنِي النَّضِيرِ
 وَقَالُوا مَا تَشَاءُ فَقُلْتُ أَلَهُوْا إِلَى الْإِصْبَاحِ آثَرُ ذِي أَثِيرٍ^(٥)
 بِإِنْسَةِ الْحَدِيثِ رُضَابُ فِيهَا بُعِيدَ النُّومِ كَالْعَنْبِ الْعَصِيرِ^(٦)

وَأَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ عَنْ ثَعْلَبٍ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ بِهَذِهِ الْحِكَايَةِ
 كَمَا ذَكَرَ أَبُو عَمْرٍو، وَقَالَ فِيهَا: إِنَّ قَوْمَهَا أَغْلَوْا بِهَا الْفِدَاءَ، وَكَانَ مَعَهُ طَلْقٌ وَجُبَارٌ
 أَخُوهُ وَابْنُ عَمِّهِ، فَقَالَا لَهُ: وَاللَّهِ لَئِنْ قَبِلْتَ مَا أَعْطَوْكَ لَا تَقْتَرُ أَبَدًا، وَأَنْتَ عَلَى
 النِّسَاءِ قَادِرٌ مَتَى شِئْتَ، وَكَانَ قَدْ سَكِرَ فَأَجَابَ إِلَى فِدَائِهَا، فَلَمَّا صَحَا نَدِمَ فَشَهِدُوا
 عَلَيْهِ بِالْفِدَاءِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ. وَجَاءَتْ سَلْمَى تُثْنِي عَلَيْهِ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ إِنَّكَ
 مَا عَلِمْتَ لَضُحُوكَ مُقْبَلًا كَسُوبٍ مُدْبِرًا خَفِيفٌ عَلَى مَثْنِ الْفَرَسِ ثَقِيلٌ عَلَى الْعَدُوِّ
 طَوِيلٌ الْعِمَادِ كَثِيرُ الرَّمَادِ رَاضِي الْأَهْلِ وَالْجَانِبِ^(٦)، فَاسْتَوْصِرَ بَيْنَكَ خَيْرًا، ثُمَّ
 فَارَقْتَهُ. فَتَرَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّهَا، فَقَالَ لَهَا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ: يَا سَلْمَى، أَتُنِي عَلِيٌّ
 كَمَا أَتَيْتِ عَلَى عُرْوَةٍ - وَقَدْ كَانَ قَوْلُهَا فِيهِ شُهْرًا - فَقَالَتْ لَهُ: لَا تُكَلِّفْنِي ذَلِكَ
 فَإِنِّي إِنِ قُلْتُ الْحَقَّ غَضِبْتَ وَلَا وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَا أَكْذِبُ؛ فَقَالَ: عَزَمْتُ

(١) عمق: موضع قرب المدينة من بلاد مزينة.

(٢) السرير: موضع في بلاد بني كنانة.

(٣) إمرة: منزل في طريق مكة من البصرة وهو منهل.

(٤) نقير: موضع بين هجر والبصرة.

(٥) أثر ذي أثير: أول كل شيء، يقال: إفعل هذا آثرا ما وآثر ذي أثير أي قدمه على كل عمل.

(٦) الجانب: الغريب والمراد الضيف.

عليك لتأتيني في مجلس قومي فلتُثْنين عليّ بما تعلمين ، وخرج فجلس في نديّ القوم ، واقبلت فرماها القوم بأبصارهم ، فوقفت عليهم وقالت : أنعموا صباحاً ، إن هذا عزم عليّ أن أثني عليه بما أعلم . ثم أقبلت عليه فقالت : والله إن شملتكَ لآلتِخاف ، وإن شربكَ لآشتِفاف ، وإنك لتنام ليلة تحاض ، وتشبع ليلة تُضاف ، وما تُرضي الأهل ولا الجانب ، ثم أنصرفت . فلامه قومه وقالوا : ما كان اغناك عن هذا القول منها .

اكرامه الصعاليك :

اخبرني الأخفش عن ثعلب عن ابن الأعرابي قال حدثني ابو فقّس قال :

كان عروة بن الورد إذا أصابت الناس سنة شديدة تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف ، وكان عروة بن الورد يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته في الشدة ثم يحفر لهم الأسراب ويكنف عليهم الكنف ويكنسبهم ، ومن قويّ منهم - إما مريض يبرأ من مرضه ، أو ضعيف تثوب قوّته - خرج به معه فأغار ، وجعل لأصحابه الباقيين في ذلك نصيباً ، حتى إذا أخصب الناس وألبنوا وذهبت السنة ألحق كل إنسان بأهله وقسم له نصيبه من غنيمة إن كانوا غنموها فربما اتى الإنسان منهم أهله وقد استغنى ، فلذلك سمي عروة الصعاليك ، فقال في ذلك بعض السنين وقد ضاقت حاله :

لعلّ أرتيادي في البلاد وبُعيتي وشدي حيازيم المطية بالرحل

(١) الاشتفاف : شرب كل ما في الإناء .

(٢) يكنف عليهم الكنف : يتخذ لهم حظائر يؤويهم اليها ، واحدها « كنيف » .

(٣) يقال كسب لأهله : طلب المعيشة ويتعدّى بنفسه الى مفعول ثان كما هنا .

(٤) في ديوان الحماسة : لعلّ انطلاقي في البلاد ورحلتي .

سيدفعني يوماً الى ربّ هَجْمَةٍ يُدافعُ عنها بالعقورِ والبخلِ

في غارة :

فرعّموا ان الله عز وجلّ قيّض له وهو مع قوم من هَلَاكٍ عشيرته في شتاءٍ شديدٍ ناقتين دَهْمَاوَيْنِ، فنحر لهم إحداهما وحمل متاعهم وُضعفاءهم على الأخرى وجعل ينتقل بهم من مكان الى مكان، وكان بين النقرة والنقرة والرَبْذَةُ فَنَزَلَ بِهِمْ مَا بَيْنَهُمَا بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ : مَاوَانٌ . ثم إن الله عز وجلّ قيّض له رجلاً صاحب مائةٍ من الإبل قد فرّ بها من حقوق قومه - وذلك أوّل ما أَلْبَنَ النَّاسُ - فقتله وأخذ إبله وأمرأته ، وكانت من احسن النساء ، فأتى بالإبل أصحاب الكَنيف فخلبها لهم وحملهم عليها ، حتى اذا دَنَوْا من عشيرتهم أَقْبَلَ يَشْسِمُهَا بَيْنَهُمْ وَاخَذَ مِثْلَ نَصِيبِ أَحَدِهِمْ ، فَقَالُوا : لَا وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَا نَرْضَى حَتَّى تَجْعَلَ الْمَرْأَةَ نَصِيباً فَنِ شَاءَ أَخْذَهَا ، فَجَعَلَ يَهْمُ بِأَنْ يَحْمِلَ عَلَيْهِمْ فَيَقْتُلَهُمْ وَيَنْتَزِعَ الْإِبِلَ مِنْهُمْ ، ثُمَّ يَذْكُرُ أَنَّهُمْ صَنِيعَتُهُ وَأَنَّهُ إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَفْسَدَ مَا كَانَ يَصْنَعُ ، فَأَفْكَرَ طَوِيلًا ثُمَّ اجَابَهُمْ إِلَى أَنْ يَرُدُّ عَلَيْهِمُ الْإِبِلَ إِلَّا رَاحِلَةً يَحْمِلُ عَلَيْهَا الْمَرْأَةَ حَتَّى يَلْحَقَ بِأَهْلِهِ ، فَأَبَوْا ذَلِكَ عَلَيْهِ ، حَتَّى أَتَدَبَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَعَلَ لَهُ رَاحِلَةً مِنْ نَصِيبِهِ ، فَقَالَ عُرْوَةُ فِي ذَلِكَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلَهَا :

(١) الهجمة من الإبل : أوّلها أربعون الى ما زادت أو ما بين السبعين الى المائة أو الى دوينها فاذا بلغت المائة فهي «هنيدة» .

(٢) الهلاك : الصعاليك .

(٣) النقرة - بفتح أوله وسكون ثانيه أو بفتح أوله وكسر ثانيه - : من منازل حاج الكوفة بين أضاح وماوان .

(٤) الربذة : من قرى المدينة على ثلاثة أميال قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز اذا رحلت من فيد تريد مكة ، وبها قبر أبي ذر الغفاري .

(٥) ماوان : قرية في أودية العلاء من أرض اليمامة .

ألا إن أصحاب الكَنيف وجدتهم كما الناس لما أمرعوا وتمولوا
وإني لمدفوعٌ إليّ ولأوهم بما وأن إذ نمشي وإذ نتَمَلَلُ
وإني وإياهم كذي الأَمِّ أرهنتُ له ماءً عينيها تُفدي وتَحْمِلُ
فباتت مجدًّا المرفقين كليهما تُوحِرُ مِمَّا نالها وتُولُ
تُخَيِّرُ من أمرين ليسا بِبَغْطَةٍ هو الشَّكل إلا أنها قد تَجَمَّلُ

مع سبية :

وقال ابن الأعرابي في هذه الرواية أيضاً : كان عروة قد سبي امرأة من بني هلال بن عامر بن صعصعة يقال لها : ليلى بنت شعواء ، فكثت عنده زماناً وهي معجبة له تُريه أنها تحبه ، ثم استزارته أهلها فحملها حتى اتاهم بها ، فلما أراد الرجوع أبت أن ترجع معه ، وتوَّعده قَوْمُها بالقتل فأنصرف عنهم ، وأقبل عليها فقال لها : يا ليلى ، خيري صواحبك عني كيف أنا ؛ فقالت : ما أرى لك عقلاً ! أتراني قد آخرتُ عليك وتقول : خيري عني ! فقال في ذلك :

تَحِنُّ الى ليلى بجوِّ بلادها وأنت عليها بالملأ كنت أقدرها
وكيف تُرجيها وقد حِيلَ دونها وقد جاوزتُ حياءَ بتياء مُنكرها
لعلَّك يوماً أن تُسري ندامةً عليّ بما جَشَمَتني يوم غُضُوراً

(١) أرهنت : أدامت .

(٢) المراد أنها باتت متكئة على مرفقيها .

(٣) بين هذا البيت والبيت الذي قبله بيت يتوقف عليه فهم الأبيات وهو :
فلما ترجعت نفعه وشبابه أنت دونه أخرى جديد تكحل

(٤) الملا : المتسع من الأرض .

(٥) تسري : تكشف .

(٦) غُضُور : مدينة فيما بين المدينة الى بلاد خزاة وكنانة ، وبهذا شرح ابن السكيت غُضُور في قول عروة :

عفت بعدنا من ام حسان غُضُور وفي الرمل منها آية لا تغيّر

وهي طويلة . قال : ثم إن بني عامر أخذوا امرأةً من بني عبس ثم من بني
سُكَيْنَ يقال لها أسماء ، فمالِثَتْ عندهم إِلَّا يوماً حتى أَسْتَقْدَهَا قَوْمُهَا ؛ فبلغ
عروة أَنَّ عامر بن الطُّفَيْلِ خَرَّ بِذَلِكَ وَذَكَرَ أَخْذَهُ إِيَّاهَا ، فَقَالَ عروة يَعْيرُهُمْ ' بِأَخْذِهِ
لَيْلَى بِنْتَ شَعْوَاءِ الْهَلَالِيَةِ :

إِنْ تَأْخُذُوا أَسْمَاءَ مَوْقِفَ سَاعَةٍ فَمَا خُذْ لَيْلَى وَهِيَ عَذْرَاءُ أَعْجَبُ
لَيْسَنَا زَمَانًا حُسْنَهَا وَشَبَابَهَا وَرُدَّتْ إِلَى شَعْوَاءِ وَالرَّأْسُ أَشْيَبُ
كَمَا خُذْنَا حَسَنَاءَ كَرَهَا وَدَمَعُهَا غَدَاةَ اللَّوَى مَعْصُوبَةً يَتَصَبَّبُ

وقال ابن الأعرابي : أَجْدَبَ نَاسٍ مِنْ بَنِي عَبْسٍ فِي سَنَةِ أَصَابَتِهِمْ فَأَهْلَكَتْ
أَمْوَالُهُمْ وَأَصَابَهُمْ جُوعٌ شَدِيدٌ وَبُؤْسٌ ، فَأَتَوْا عُرْوَةَ بْنَ الْوَرْدِ فَجَلَسُوا أَمَامَ بَيْتِهِ ،
فَلَمَّا بَصُرُوا بِهِ صَرَخُوا وَقَالُوا : يَا أَبَا الصَّعَالِيكِ ، أَغْنَيْنَا ؛ فَرَفَّاهُمْ وَخَرَجَ لِيُغْرَوْ
بِهِمْ وَيُصِيبَ مَعَاشًا ، فَفَنِهَتْهُ أَمْرَاتُهُ عَنْ ذَلِكَ لَمَّا تَخَوَّفَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْهَلَاكِ ، فَعَصَاهَا
وَخَرَجَ غَازِيًا ، فَمَرَّ بِمَالِكِ بْنِ حِمَارِ الْفَرَازِيِّ ثُمَّ الشَّخْمِيِّ ؛ فَسَأَلَهُ : إِنْ يَرِيدُ ؟ فَأَخْبَرَهُ ،
فَأَمَرَ لَهُ بِجَزْورٍ فَنَحَرَهَا فَأَكَلُوا مِنْهَا ؛ وَأَشَارَ عَلَيْهِ مَالِكٌ أَنْ يَرْجِعَ ، فَعَصَاهُ وَمَضَى
حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى بِلَادِ بَنِي الْقَيْنِ ، فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ فَأَصَابَ هَجْمَةً ، عَادَ بِهَا عَلَى نَفْسِهِ
وَأَصْحَابِهِ ؛ وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

أَرَى أُمَّ حَسَّانَ الْعَدَاةَ تَلُومُنِي تُخَوِّفُنِي الْأَعْدَاءُ وَالنَّفْسُ أَخُوفُ
تَقُولُ سُلَيْمَى لَوْ أَقْتَلَ لَسَرَّنَا وَلَمْ تَدْرِ أَنِّي لِلْمُقَامِ أَطُوفُ
لَعَلَّ الَّذِي خَوَّفَتِنَا مِنْ أَمَانَا يُصَادِفُهُ فِي أَهْلِهِ الْمُتَخَلِّفُ

وهي طويلة .

(١) أنكر صاحب القاموس استعمال « غير » متعدياً بالباء وقال : وغير الامر ولا تقل بالامر .
وقال صاحب اللسان : والعامية تقول غيره بكذا . ولكن المرزوقي في شرح الحماسة صرح بأنه
يتعدى بالباء قال : والمختار تعديته بنفسه (انظر شرح القاموس للسيد مرتضى) .

وقال في ذلك أيضاً :

أليس ورائي ان ادباً على العصا فَيَشْمَتَ اعدائي ويسأمني اهلي
رَهينة قعر البيت كلَّ عَشِيَّةٍ يُطِيفُ بي الولدانُ أَهْدَجُ كالرَّألِ
أَقِيمُوا بني لُبْنَى صُدُورَ رِكابكم فكلُّ مَنَايا النَّفْسِ خَيْرٌ من الهُزْلِ
فإنكم لن تبلغوا كلَّ هَمَّتِي ولا أَرِي حَتَّى تَرَوْا مَنَنْتَ الاثْلِ
لَعَلَّ ارتيادي في البلاد وحيلتي وَشَدِي حيازيمَ المَطيَّةِ بالرَّحْلِ
سَيَدْفَعُنِي يوماً الى ربِّ هَجْمَةٍ يُدافعُ عنها بالعُقُوقِ وبالبُخْلِ

قصته مع هذلي اغار على فرسه :

نسختُ من كتاب أحمد بن القاسم بن يوسف قال حدثني حرّ بن قطن ان ثُمّامة بن الوليد دخل على المنصور ؛ فقال : يا ثُمّامة ، أتحفظ حديث ابن عمك عروة الصّعاليك بن الورد العبسي ؟ فقال : أيّ حديثه يا أمير المؤمنين ؟ فقد كان كثير الحديث حسنه ؛ قال : حديثه مع الهذليّ الذي أخذ فرسه ؛ قال : ما يحضّرني ذلك فأرويه يا امير المؤمنين ؛ فقال المنصور : خرج عروة حتى دنا من منازل هذيل فكان منها على نحو ميلين وقد جاع فإذا هو بأرنب فرماها ثم أورى ناراً فشاها واكلها ودفن النار على مقدار ثلاث أذرع وقد ذهب الليل وغارت النجوم ، ثم أتى سرّحةً فصعدها وتخوّف الطلب ، فلما تغيب فيها إذ الخيل قد جاءت وتحوّفوا

(١) أهْدَجُ : وصف من الهدج أو الهدجان ، وهو اضطراب المشي من الكبر . ولهذا سموا مشية الشيخ هَدْجَاناً . والرَّألُ : ولد النعام أو حوله . وشبه الشيخ به في مشيته لأن في مشيه ارتعاشاً ، يقال : هَدَجَ الظليم يهدج هَدْجَاناً اذا مشى وعدا في ارتعاش .

(٢) الهزل : الضعف وقلة الشحم واللحم وهو نقيض السمن .

(٣) السرحة : واحدة السرح وهو شجر كبار عظام طوال لا ترعى وإنما يستظل به ، وقيل : السرح كل شجر طال .

البيات^١. قال : فجاءت جماعة منهم ومعهم رجل على فرس فجاء حتى ركز رُحْمه في موضع النار وقال : لقد رأيت النار ها هنا ؛ فنزل رجل فخر قدر ذراع فلم يجد شيئاً ، فأكبَّ القومُ على الرجل^٢ يعذّلونه ويعييون أمره ويقولون : عنيتنا في مثل هذه الليلة القُرّة وزعمت لنا شيئاً كذبت فيه ؛ فقال : ما كذبتُ ، ولقد رأيت النار في موضع رُحْمي ؛ فقالوا : ما رأيت شيئاً ولكن تحذلقك^٣ وتدهيك^٤ هو الذي حملك على هذا ، وما نَعجب إلا لأنفسنا حين أطعنا أمرك واتبعناك ؛ ولم يزلوا بالرجل حتى رجع عن قوله لهم . واتبعهم عروة ، حتى اذا وردوا منازلهم جاء عروة فتكمن في كسر^٥ بيت ؛ وجاء للرجل الى امرأته وقد خالفه اليها عبد اسود ، وعروة ينظر ، فاتاها العبد بعلبة فيها لبن فقال : أشري ؛ فقالت لا ، أو تبدأ ، فبدأ الاسود فشرب ؛ فقالت للرجل حين جاء : لعن الله صلفك^٦ ! عنيت قومك منذ الليلة ؛ قال : لقد رأيتُ ناراً ، ثم دعا باللبة ليشرب ، فقال حين ذهب ليكرع : ريح رجل ورب الكعبة ! فقالت امرأته : وهذه أخرى ، أي ريح رجل تجده في إنائك غير ريحك ! ثم صاحت ، فجاء قومها فأخبرتهم خبره ، فقالت : يتهمني ويظنّ بي الظنون ! فأقبلوا عليه باللوم حتى رجع عن قوله ؛ فقال عروة : هذه ثانية . قال ثم أوى الرجل الى فراشه ، فوثب عروة الى الفرس وهو يريد ان يذهب به ، فضرب الفرس بيده وتحرك ، فرجع عروة الى موضعه ، ووثب الرجل فقال : ما كنت لتكذبني فالك ؟ فأقبلت عليه امرأته لوماً وعذلاً . قال : فصنع عروة ذلك ثلاثاً وصنع الرجل ، ثم أوى الرجل الى فراشه وضجر من كثرة

(١) البيات : الإيقاع بالقوم ليلاً من دون أن يعلموا ، وهو اسم مصدر لبيت كالكلام من كلم ، يقال : بيتنا القوم أي أوقعنا بهم ليلاً وهم لا يعلمون .

(٢) في بعض النسخ : « فركب القوم الرجل يعذّلونه » والمعنى علوه بعذله .

(٣) التحذلق : إظهار الانسان الخدق ، أو ادعاؤه اكثر مما عنده .

(٤) التدهي : أن يفعل الانسان فعل الدهاة .

(٥) كسر البيت : جانبه .

(٦) مجاوزة الرجل قدر الظرف وادعاؤه فوق ذلك إعجاباً وتكبراً .

ما يقوم، فقال: لا اقوم اليك الليلة؛ وأتاه عروة فقال^١ في متنه وخرج ركضاً، وركب الرجل فرساً عنده أنثى. قال عروة: جعلت أسمع خلني يقول: إلحقي فإنك من نسله. فلما أنقطع عن البيوت، قال له عروة بن الورد: أيها الرجل قف، فإنك لو عرفتني لم تقدم عليّ، انا عروة بن الورد، وقد رأيت الليلة منك عجباً، فأخبرني به وأردت اليك فرسك؛ قال: وما هو؟ قال: جئت مع قومك حتى ركزت رُحُك في موضع نارٍ قد كنت أوقدتها فثنوك عن ذلك فأثنيت وقد صدقت، ثم أتبعتك حتى أتيت منزلك وبينك وبين النار ميلان فأبصرتها منهن، ثم شممت رائحة رجل في إنائك، وقد رأيت الرجل حين آثرته زوجتك بالإيلاء، وهو عبدك الأسود واطن ان بينهما ما لا تحب، فقلت: ريح رجل؛ فلم تزل تشيك عن ذلك حتى أنثيت، ثم خرجت الى فرسك فأردته فأضطرب وتحرك فخرجت اليه، ثم خرجت وخرجت، ثم اضربت عنه، فرأيتك في هذه الحصال اكل الناس ولكنك تنثني وترجع؛ فضحك وقال: ذلك لأخوال السوء، والذي رأيت من صرامتي فمن قبل أعمامي وهم هذيل^٢، وما رأيت من كعاعي^٣ فمن قبل اخوالي وهم بطن من خزاعة، والمرأة التي رأيت عندي امرأة منهم وأنا نازل فيهم، فذلك الذي يثني عن أشياء كثيرة، وانا لاحق بقومي وخارج عن اخوالي هؤلاء ومُحَلَّ سبيل المرأة، ولولا ما رأيت من كعاعي لم يقو على مناواة قومي احد من العرب. فقال عروة: خذ فرسك راشداً؛ قال: ما كنت لأخذه منك وعندي من نسله جماعة مثله، نخذه مباركاً لك فيه. قال ثمامة: إن له عندنا أحاديث كثيرة ما سمعنا له بجديث هو أظرف من هذا. قال المنصور:

قصة غزوه لماوان:

أفلا أحدثك له بجديث هو أظرف من هذا؟ قال: بلى يا امير المؤمنين، فإن

(١) حال في متن فرسه حوولا اذا وثب وركب.

(٢) الكعاعة: الجبن والضعف.

الحديث اذا جاء منك كان له فضل على غيره ؛ قال: خرج عروة واصحابه حتى أتى
ماوان فنزل اصحابه وكنف عليهم كنيفاً من الشجر ، وهم أصحاب الكنيف
الذي سمعته قال فيهم :

ألا إن أصحاب الكنيف وجدتهم كما الناس لما أمرعوا وتمولوا

وفي هذه الغزاة يقول عروة :

أقول لقوم في الكنيف تروّحوا عشيّة قلنا حول ماوان رزّح^٢

وفي هذه القصيدة يقول :

لَيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يُصِيبَ غَنِيمَةً وَمُبْلَغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ

ثم مضى يبتغي لهم شيئاً وقد جهدوا ، فإذا هو بأبيات شعر وبأمرأة قد خلا
من سنيها وشيخ كبير كالخقاء^٣ الملقى ، فكمن في كسر بيت منها ، وقد أجذب
الناس وهلكت الماشية ، فإذا هو في البيت بسُحورٍ ثلاثة مشوية - فقال ثامة :
وما السُحور ؟ قال : الحلقوم بما فيه - والبيت خالٍ فأكلها ، وقد مكث قبل
ذلك يومين لا يأكل شيئاً فأشبعته وقوي ، فقال : لا أبالي من لقيت بعد هذا .
ونظرت المرأة فظننت أن الكلب أكلها فقالت للكلب : أفعلتها يا خبيث !
وطردته . فإنه كذلك اذا هو عند المساء بإبلٍ قد ملأت الأفق وإذا هي تلتفت
فرقاً ، فعلم ان راعيها جلدٌ شديد الضرب لها ، فلما أتت المناخ بركت ، ومكث
الراعي ثم أتى ناقةً منها فمرى^٤ اخلافها ، ثم وضع العلبة على ركبتيه وحلب حتى

(١) في ديوان الحماسة :

قلت لقوم في الكنيف تروّحوا عشيّة بنّا عند ماوان رزّح

(٢) ورزح جمع رازح ، والرازح : الهالك هزالاً .

(٣) الخقاء : الإزار .

(٤) مرى أخلافها : مسح ضرعها لتدرّ .

ملاها، ثم أتى الشيخ فسقاه، ثم أتى ناقةً أخرى ففعل بها ذلك وسقى العجوز، ثم أتى أخرى ففعل بها كذلك فشرب هو، ثم ألتفع بثوب وأضطجع ناحية، فقال الشيخ للمرأة وأعجبه ذلك: كيف ترين أبنى! فقالت: ليس بأبنك! قال: فأبن من ويلك؟ قالت: ابن عروة بن الورد، قال: ومن أين؟ قالت: أتذكر يوم مر بنا يريد سوق ذي المجاز فقلت: هذا عروة بن الورد، ووصفته لي بجلد فإني أستطرفته^(١). قال: فسكت، حتى إذا نوم وثب عروة وصاح بالابل فاقتطع منها نحواً من النصف ومضى ورجا ألا يتبعه الغلام - وهو غلام حين بدا شاربه - فأتبعه. قال: فاتخذوا وعالجه، قال: فضرب به الأرض فيقع قائماً، فتخوفه على نفسه، ثم واثبه فضرب به وبادره، فقال: إني عروة بن الورد، وهو يريد أن يعجزه عن نفسه. قال: فأرتدع، ثم قال: مالك ويلك! لست أشك أنك قد سمعت ما كان من أمي؛ قال قلت نعم، فاذهب معي أنت وأملك وهذه الإبل ودع هذا الرجل فإنه لا ينهاك عن شيء، قال: الذي بقي من عمر الشيخ قليل، وأنا مقيم معه ما بقي، فإن له حقاً وذمماً، فإذا هلك فما أسرعني إليك، وخذ من هذه الإبل بعيراً؛ قلت: لا يكفيني، إن معي أصحابي قد خلقتهم؛ قال: فثانياً، قلت: لا؛ قال: فثالثاً، والله لا زدتك على ذلك. فأخذها ومضى إلى أصحابه، ثم إن الغلام لحق به بعد هلاك الشيخ. قال: والله يا أمير المؤمنين لقد زينت عندنا وعظمت في قلوبنا؛ قال: فهل اعقبَ عندكم؟ قال لا، ولقد كنا نتشاءم بأبيه، لأنه هو الذي أوقع الحرب بين عبس وفرارة بمراهنته حذيقة، ولقد بلغني أنه كان له ابن أسن من عروة فكان يؤثره على عروة فيما يعطيه ويُقرِّبه، ففعل له: أتوثرُ الأكبر مع غناه عنك على الأصغر مع ضعفه! قال

(١) استطرفته: اخترته وفضلته.

(٢) نوم: مبالغة في نام.

(٣) يقال اتخذ القوم إذا اخذ بعضهم بعضاً في القتال.

(٤) ومعنى لا ينهاك عن شيء أنه لا غناء فيه فلا ينهاك عن تطلب غيره.

أَتَرَوْنَ هَذَا الْأَصْغَرَ ! لَنْ بَقِيَ مَعَ مَا رَأَى مِنْ شِدَّةِ نَفْسِهِ لِيَصِيرَنَّ الْأَكْبَرَ
عِيَالًا عَلَيْهِ .

صوت

من المائة المختارة

أَزْرَى بِنَا أَنَا شَالَتْ نَعَامُنَا خَالِنِي دُونَهُ بَلْ خِلْتُهُ دُونِي
فَإِنْ تُصَبِّكَ مِنَ الْأَيَّامِ جَائِحَةٌ لَمْ أَبْكِ مِنْكَ عَلَى دُنْيَا وَلَا دِينَ

الشعر لذي الإصبع العدواني ، والغناء لفيل مولى العَبَلات هزجٌ خفيف بإطلاق
الوتر في مجرى البنصر . معنى قوله أَزْرَى بِنَا : قَصَّرَ بِنَا ، يقال : زَرَيْتَ عَلَيْهِ إِذَا
عَبْتَ عَلَيْهِ فَعَلَهُ ، وَأَزْرَيْتُ بِهِ إِذَا قَصَرْتُ بِهِ فِي شَيْءٍ . وشالت نعامتهم إِذَا
أَنْتَقَلَوْا بِكُلِّيَّتِهِمْ ، يقال : شالت نعامتهم ، وزفَ رَأُهِمْ ، إِذَا أَنْتَقَلَوْا عَنِ الْمَوْضِعِ
فَلَمْ يَبْقَ فِيهِ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ فِيهِ شَيْءٌ . وخالني : ظنني ، يقال : خِلْتُ
كَذَا وَكَذَا فَأَنَا أَخَالُهُ إِذَا ظَنَنْتَهُ . والجائحة : النازلة التي تجتاح ولا تُبْقِي عَلَى مَا
تَزَلَّتْ بِهِ .

ذكر ذي الإصبع العدواني ونسبه وخبره

هو حُرثانُ بن الحارث بن مُحَرِّث بن ثعلبة بن سيَّار بن ربيعة بن هُبيرة بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يَشْكُر بن عَدوان بن عمرو بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار، أحدُ بني عدوان، وهم بطنٌ من جديلة . شاعرٌ فارسٌ من قُدماء الشعراء في الجاهلية وله غاراتٌ كثيرةٌ في العرب ووقائعٌ مشهورة .

تفاني عدوان :

اخبرنا محمد بن خلف وكييع وأبن عمَّار والأسديّ ، قالوا حدثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال حدثنا ابو عثمان المازنيّ عن الأصمعيّ قال :

نزّلت عدوان على ماء فاحصوا فيهم سبعين الف غلام أغرل^١ سوى من كان محتوناً لكثرة عددهم ، ثم وقع بأسهم بينهم فتفانوا فقال ذو الإصبع :

صوت

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدُوا نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ^٢
بَغَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَلَمْ يُبْقُوا عَلَى بَعْضِ
فَقَدْ صَارُوا أَحَادِيثَ^٣ بَرَفَعَ الْقَوْلَ وَالْخَفْضَ^٤
وَمِنْهُمْ كَانَتْ السَّادَاتُ وَالْمُؤَفُونَ بِالْقَرَضِ

(١) الاغرل : الذي لم يخن .

(٢) يقول : هات عذراً فإنا فعل بعضهم من التباعد والتباغض والقتل بعد ما كانوا حية الأرض التي يحذرها كل أحد ، والعرب تقول للرجل الصعب المنيع الجانب : حية الأرض .

(٣) يعني بقوله هذا : أنهم صاروا أحاديث للناس يرفعونها ويخفضونها ، ومعنى يخفضونها : يسرونها .

ومنهم مَنْ يُجِيزُ النَّاسَ بِالسُّنَّةِ وَالْفَرَضِ
ومنهم حَكَمٌ يَقْضِي فَلَا يُنْقِضُ مَا يَقْضِي

غنى في هذه الأبيات مالك ثقيلاً أول بالوسطى على مذهب إسحاق من
رواية عمرو .

وأمّا قول ذي الإصبع :

ومنهم حَكَمٌ يَقْضِي

فإنه يعني عامر بن الظرب العدواني ، كان حَكَمًا للعرب تَحْتَكُمُ إليه .

من قرعت له العصا :

حدثنا محمد بن العباس الزبيدي عن محمد بن حبيب قال :

قيس تدعى هذه الحكومة وتقول : إن عامر بن الظرب العدواني هو الحكم
وهو الذي كانت العصا تُقرَعُ له ، وكان قد كبر فقال له الثاني من ولده : إنك
ربما أخطأت في الحكم فيحمل عنك ؛ قال : فاجعلوا لي اِمارةً اعرفها فإذا زُغت
فسمعتها رجعت الى الحكم والصواب ، فكان يجلس قدام بيته ويقعدُ ابنه في
البيت ومعه العصا ، فإذا زاغ او هفا قرَع له الجفنة فرجع الى الصواب . وفي ذلك
يقول المتلمس :

لذي الحلم قبل اليوم ما تُقرَعُ العصا وما عُلِمَ الإنسانُ إلا ليعلم

قال ابن حبيب : وربيعة تدعى لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام .
واليمن تدعى لربيعة بن مخاشن ، وهو ذو الأعواد ، وهو أول من جلس على منبر
او سرير وتكلّم ؛ وفيه يقول الأسود بن يعفر :

ولقد علمت لو أنّ عالمي نفعي أنّ السبيل سبيلُ ذي الأعواد

خبرني هاشم بن محمد الحُرَاعيّ أبو دُلْفَ قال أخبرنا الرياشي قال حدثنا الأصمعيّ قال :

زعم أبو عمرو بن العلاء انه أرتحلتُ عدوان من منزلٍ، فعدّ فيهم أربعون ألفَ غلام أَقْلَفٌ . قال الرياشي وأخبرني رجل عن هشام بن الكلبيّ قال : وقع على إيادِ البقْ فأصاب كلَّ رجلٍ منهم بقتلٍ .

استعراض احياء العرب :

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمَّار قال حدثني يعقوب بن نُعيم قال حدثنا أحمد بن عُبَيد أبو عَصيدة قال أخبرني محمد بن زياد الزَياديّ، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثني عمر بن شَبّة ولم يُسنده الى احد وروايته أتم .

انَّ عبد الملك بن مروان لما قدم الكوفة بعد قتله مُصعب بن الزبير كان جلس لعرض احياء العرب - وقال عمر بن شَبّة : إنَّ مصعب بن الزبير كان صاحب هذه القصة - فقام اليه معبد بن خالد الجَدليّ، وكان قصيراً دميماً، فتقدّمه اليه رجل منا حسن الهيئة؛ قال معبدُ : فنظر عبد الملك الى الرجل وقال : ممن انت ؟ فسكت ولم يقل شيئاً وكان مناً، فقلتُ من خلفه : نحن يا امير المؤمنين من جديلة؛ فأقبل على الرجل وتركني، فقال : من أيكم ذو الإصبع ؟ قال الرجل : لا أدري؛ قلت : كان عدوانياً؛ فأقبل على الرجل وتركني وقال : لم سُميّ ذا الإصبع ؟ قال الرجل : لا ادري؛ فقلت : نهشته حية في إصبعه فيست؛ فأقبل على الرجل وتركني، فقال : وجمَ كان يسمّى قبل ذلك ؟ قال الرجل : لا أدري؛ قلت : كان يسمّى حُرثان؛ فأقبل على الرجل وتركني، فقال : من أيّ عدوان كان ؟ فقلت من خلفه : من بني ناجٍ الذين يقول فيهم الشاعر :

وَأَمَّا بَنُو نَاجٍ فَلَا تَذْكُرْهُمْ وَلَا تُتْبِعْ عَيْنِكَ مَا كَانَ هَالِكاً

إِذَا قُلْتُ مَعْرُوفًا لِأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ يَقُولُ وَهَيْبٌ لَا أَسْلَمُ ذَلِكَ
وَرَوَى عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ : لَا أَسْلِمُ .

فَأَضْحَى كَظْهَرِ الْفَحْلِ جُبَّ سَنَامِهِ يَدِبُ إِلَى الْأَعْدَاءِ أَحَدَبَ بَارِكَا
فَأَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ وَتَرَكَنِي وَقَالَ أَنَشِدْنِي قَوْلَهُ :

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدَوَانِ

قَالَ الرَّجُلُ : لَسْتُ أَرُويها ؛ قلتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ شِئْتَ أَنَشِدْتُكَ ؛
قَالَ : أَدْنُ مِنِّي ، فَإِنِّي أَرَاكَ بِقَوْمِكَ عَالِمًا ؛ فَأَنَشِدْتُهُ :

وَلَيْسَ الْمَرْءُ فِي شَيْءٍ مِنْ الْإِبْرَامِ وَالنَّقْضِ
إِذَا أَبْرَمَ أَمْرًا خَا لَهُ يَقْضِي وَمَا يَقْضِي
يَقُولُ الْيَوْمَ أَمْضِيهِ وَلَا يَمْلِكُ مَا يُمْضِي
عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدَوَانِ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ
بَغَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَلَمْ يُبْقُوا عَلَى بَعْضٍ
فَقَدْ صَارُوا أَحَادِيثَ بَرَفَعَ الْقَوْلَ وَالْخَفْضَ
وَمِنْهُمْ كَانَتْ السَّادَاتُ وَالْمُؤَفَّنَاتُ بِالْقَرْضِ
وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي فَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضِي
وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيزُ النَّاسَ بِالسُّنَّةِ وَالْفُرْضِ
وَهُمْ مَنْ وَلَدُوا أَشْبَوَا بِسِرِّ الْحَسْبِ الْمَحْضِ
وَيَمْنُ وَلَدُوا عَامِرُ ذُو الطُّولِ وَذُو الْعَرْضِ
وَهُمْ بَوَّاءٌ ثَقِيفًا دَا رَا لَا ذُلَّ وَلَا خَفْضَ

(١) يقال : أشي فلان إذا ولد له ولد كيس .

(٢) بَوَّاء : أنزلوا ، والأصل بَوَّأوا ، وحذف الهمز للتخفيف .

فأقبل على الرجل وتركني وقال : كم عطاؤك ؟ فقال : ألفان ، فأقبل عليّ فقال :
كم عطاؤك ؟ فقلت : خمسمائة ؛ فأقبل على كاتبه وقال : اجعل الألفين لهذا والخمسمائة
لهذا ؛ فأنصرفتُ بها .

وقوله : « ومنهم من يُجيزُ الناس » فإنَّ إجازةَ الحج كانت حُرارة فأخذتها
منهم عدوانُ فصارت الى رجل منهم يقال له أبو سيّارة احد بني وإبش بن زيد
أبن عدوان . وله يقول الراجز :

خَلُّوا السَّيْلَ عَنْ أَبِي سَيَّارَةَ وَعَنْ مَوَالِيهِ بَنِي فَرَّارَةَ
حَتَّى يُجِيزَ سَالِمًا حِمَارَةَ مُسْتَقِيلَ الْكَعْبَةِ يَدْعُو جَارَةَ

قال : وكان ابو سيّارة يُجيزُ الناس في الحج بأن يتقدّمهم على حمارٍ ، ثم يُخطبهم
فيقول : اللهم أصلح بين نساءنا ، وعاد بين رعاينا ، واجعل المالَ في سحائنا ،
أوفوا بعهدكم ، واکرموا جاركم ، وأقرؤوا ضيفكم ، ثم يقول : أشرق ثبير كيا
نغير ، وكانت هذه إجازته ، ثم ينفِرُ ويتبعه الناس . ذكر ذلك ابو عمرو الشَّيبانيّ
والكلبيّ وغيرهما .

بناته والزواج :

اخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمرُ بن شبة قال حدّثنا أبو
بكر العَلَيْميّ قال حدّثنا محمد بن داود الهشاميّ قال : كان لذي الإصبع أربعُ
بنات وكنَّ يُخطَبْنَ اليه فيعرضُ ذلك عليهنّ فيستحِينَ ولا يزوجهنّ ، وكانت
أمنّ تقول : لو زوجتِهِنَّ ! فلا يفعل . قال : فخرج ليلةً الى مُتحدِّثٍ لهنّ فاستمع
عليهنّ وهنّ لا يعلمنّ فقلنّ : تعالين نتمنّى ولنصدّق ، فقالت الكبرى :

(١) هذا مثل ، ومعناه ادخل يا ثبير في الشروق وهو ضوء الشمس كما تقول : أشل أي دخل في
الشمال وأجنب أي دخل في الجنوب . وكيا نغير أي كيا نسرع للنحر من قولهم أغار إغارة الثعلب أي
أسرع ودفع في عدوه . وثبير : جبل بمكة . قال عمر رضي الله عنه : كان المشركون يقولون ذلك ولا
يفيضون حتى تطلع الشمس وهو يضرب في الإسراع والعجلة .

أَلَا لَيْتَ زَوْجِي مِنْ أَنْاسٍ ذَوِي غِنَى حَدِيثُ الشَّبَابِ طَيْبُ الرِّيحِ وَالْعِطْرِ
طَيْبُ بَادِئِ النِّسَاءِ كَأَنَّهُ خَلِيقَةُ جَانٍ لَا يَنَامُ عَلَى وَتَرٍ

فَقُلْنَ لَهَا : أَنْتِ تُحِبِّينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِكَ . فَقَالَتِ الثَّانِيَةُ :

أَلَا هَلْ أَرَاهَا لَيْلَةً وَضَجِيعُهَا أَشْمُ كَنْصَلِ السِّيفِ غَيْرُ مُبَلَّدٍ
لَصُوقٍ بِأَكْبَادِ النِّسَاءِ وَأَصْلُهُ إِذَا مَا أَتَمَّتْ مِنْ سِرِّ أَهْلِي وَمَحْتَدِي

فَقُلْنَ لَهَا : أَنْتِ تُحِبِّينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِكَ . فَقَالَتِ الثَّالِثَةُ :

أَلَا لَيْتَهُ يَمْلَأُ الْجِفَانَ لَضِيفُهُ^١ لَهُ جَفَنَةٌ يَشْقَى بِهَا النَّيْبُ^٢ وَالْجُزُرُ^٣
لَهُ حَكَمَاتُ^٤ الدَّهْرِ مِنْ غَيْرِ كِبَرَةٍ تَشِينُ وَلَا الْفَانِي وَلَا الضَّرْعُ^٥ الْعَمَرُ^٦

فَقُلْنَ لَهَا : أَنْتِ تُحِبِّينَ رَجُلًا شَرِيفًا . وَقُلْنَ لِلصَّغْرَى : تَمَنَّى ؛ فَقَالَتْ : مَا أُرِيدُ
شَيْئًا ؛ قُلْنَ : وَاللَّهِ لَا تَبْرَحِينَ حَتَّى نَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِكَ ؛ قَالَتْ : زَوْجٌ مِنْ عُدُوِّ خَيْرٍ^٧
مِنْ قُودٍ . فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ أَبُوهَنَّ زَوْجَهُنَّ أَرْبَعَتَهُنَّ . فَكَثُرَ بُرْهَةٌ ثُمَّ اجْتَمَعْنَ إِلَيْهِ ،
فَقَالَ لِلْكَبْرَى : يَا بُنَيَّةُ ، مَا مَالِكُكُمْ ؟ قَالَتْ : الْإِبِلُ ؛ قَالَ : فَكَيْفَ تَجِدُونَهَا ؟
قَالَتْ : خَيْرُ مَالٍ ، نَأْكُلُ لَحُومَهَا مُزْعَاةً ، وَنَشْرَبُ أَلْبَانَهَا جُرْعَاةً ، وَتَحْمِلُنَا وَضَعِيفَتَنَا
مَعًا ؛ قَالَ : فَكَيْفَ تَجِدِينَ زَوْجَكَ ؟ قَالَتْ : خَيْرُ زَوْجٍ يُكْرَمُ الْحَلِيلَةُ ، وَيُعْطَى

(١) فِي الْكَامِلِ لِلْمَبْدُ : أَلَا لَيْتَهُ يَعْطِي الْجَمَالَ بِدِيَّةٍ .

(٢) النَّيْبُ جَمْعُ نَابٍ وَهِيَ النَّاقَةُ الْمُسْنَةُ ، وَقِيلَ لَهَا نَابٌ لَطُولُ نَابِهَا .

(٣) الْجُزُرُ بَضْمُ الزَّايِ وَسَكَنُ لِلضَّرُورَةِ جَمْعُ جُزُورٍ ، وَهِيَ النَّاقَةُ الْمَجْزُورَةُ ، وَإِنَّمَا عَطَفَتْ عَلَى
النَّيْبِ لِأَنَّ مِنَ الْإِبِلِ مَا يَكُونُ جُزُورًا لِلنَّحْرِ لَا غَيْرَ .

(٤) الْحَكَمَاتُ جَمْعُ حَكْمَةٍ وَأَصْلُهَا الْحَدِيدَةُ فِي الْجَمَامِ تَمْنَعُ الْفَرَسَ مِنْ مَخَالَفَةِ رَاكِبِهِ . وَالْمُرَادُ بِهَا
هُنَا التَّجَارِبُ لِأَنَّهَا تَمْنَعُ مِنَ ارْتِكَابِ مَا لَا يَلِيقُ .

(٥) الضَّرْعُ : الضَّعِيفُ ، وَالْعَمَرُ مِثْلُ الْغَيْنِ : مَنْ لَمْ يَجْرِبِ الْأُمُورَ .

(٦) مَزْعَةٌ جَمْعُ مَزْعَةٍ بَضْمُ الْمِيمِ وَكُسْرُهَا وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ .

الوسيلة^١؛ قال: مالٌ عَمِيمٌ وزوجٌ كَرِيمٌ. ثم قال للثانية: يا بُنَيَّةُ ما مالكم؟ قالت: البقر؛ قال: فكيف تجدونها؟ قالت: خير مال، تألف الفناء، وتودَّك السِّقاء، وتملأ الإبناء، ونساء في نساء؛ قال فكيف تجدين زوجك؟ قالت: خير زوج يكرم اهله وينسى فضله؛ قال: حظيت ورضيت. ثم قال للثالثة: ما مالكم؟ قالت: المغزى؛ قال: فكيف تجدونها؟ قالت: لا بأس بها نُولدها فطماً، ونسلخها أدماء؛ قال: فكيف تجدين زوجك؟ قالت: لا بأس به ليس بالبخیل الحِكر ولا بالسَّمَح البَذر، قال: جدوى^٢ مُغْنِيَةٌ. ثم قال للرابعة: يا بُنَيَّةُ ما مالكم؟ قالت: الضأن؛ قال: وكيف تجدونها؟ قالت: شرّ مال، جوف^٣ لا يشبعن، وهيم^٤ لا ينقنن، وصم^٥ لا يسمعن، وأمر مغويتهن^٦ يتبعن^٧؛ قال: فكيف تجدين زوجك؟ قالت: شرّ زوج، يكرم نفسه ويهين عرسه؛ قال: «أشبه أمراً بعض بزّه^٨».

(١) الوسيلة: ما يتقرّب به الى الغير.

(٢) تودّك السقاء: تجعل فيه الودك وهو الدسم.

(٣) جمع فطيم وهو ما يفصل عن الرضاع.

(٤) الأدم: اسم لجمع الأديم وهو الجلد أو الأحمر منه أو مدبوغه.

(٥) الحكر: المستبد بالشيء.

(٦) كذا في جميع النسخ والجدوى: الغناء والنفع. وفي الكامل للبرد: «جدوى مغنية» وقال في تفسيره: الجدو جمع جدوة وأصل ذلك في الحشب ما كان منه فيه نار.

(٧) جوف: عظام الأجواف.

(٨) الهيم: العطاش واحده أهيم أو هياء، ولا ينقنن: لا يروين.

(٩) هذا وارد على وجه التمثيل، وشبهت الضأن بما لا يسمع لبلادها. والعرب يقولون: أبلد ما يرعى الضأن.

(١٠) قال علي بن عبد الله: قلت لأبي عائشة: ما قولها: «وأمر مغويتهن يتبعن» فقال: أما تراهن يمررن قسقط الواحدة منهن في ماء أو وحل وما أشبه ذلك فيتبعنها اليه.

(١١) وله رواية ثانية «أشبه امرؤ بعض بزّه». في طبعة دار الكتب المصرية تعقيب، نصه «ولم نجده في مجمع الامثال للميداني» وهو عجيب فالميداني ذكره في الكتاب المذكور ج ١ ص ٢٩٤ ط المطبعة البهية مصر.

وذكر الحسن بن عليل العنزي في خبر عدوان الذي رواه عن أبي عمرو بن العلاء أنه لا يصح من أبيات ذي الإصبع الضادية إلا الأبيات التي أنشدتها وأن سائرهما منحول.

خرفه :

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن عبد الله الحزنبل قال حدثني عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال : عمر ذو الإصبع العدواني عمراً طويلاً حتى خرف وأهتر وكان يفرق ماله، فعذله أصحابه ولاموه وأخذوا على يده ؛ فقال في ذلك :

أَهْلَكْنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَعَا وَالذَّهْرُ يَعْدُو مُصِمِّمًا جَذَعًا
فَلَيْسَ فِيمَا أَصَابَنِي عَجَبٌ إِنْ كُنْتُ شَيْئًا أَنْكَرْتُ أَوْ صَلَعًا
وَكُنْتُ إِذْ رَوْنَقُ الشَّبَابِ بِهِ مَاءَ شَبَابِي تَخَالَهُ شَرَعًا
وَالْحَيُّ فِيهِ الْقَتَاةُ تَرْمُقُنِي حَتَّى مَضَى شَأُو ذَاكَ فَاَنْقَشَعَا

صوت

إِنْكَمَا صَاحِيَّ لَمْ تَدْعَا لَوْمِي وَمَهْمَا أَضِقْ فَلَنْ تَسْعَا
لَمْ تَعْقِلَا جَفْوَةً عَلِيٍّ وَلَمْ أَشْتَمْ صَدِيقًا وَلَمْ أُنَلْ طَبْعًا
إِلَّا بَأْنَ تَكْذِبَا عَلِيٍّ وَمَا أَمْلِكُ أَنْ تَكْذِبَ وَأَنْ تَلْعَا

(١) خرف بتثنية الراء : فسد عقله . وأهتر (بالبناء للمفعول فهو مهتر) : فسد عقله من الكبر وصار خرفاً، ويقال : أهتر بالبناء للفاعل أيضاً، ولكن الوصف منه مهتر على صيغة اسم المفعول شنوذا .

(٢) أخذوا على يده : حجروا عليه ومنعوه مما يريد أن يفعل .

(٣) الجذع : الشاب الحدث .

(٤) الطبع : الدنس والعيب .

(٥) تلعا : من الولع وهو الكذب، يقال : ولع يلع ولعاً وولعاً أي كذب .

لأَبْنِ سُريج في هذه الأبيات لَحْنان : أحدهما ثاني ثقيل بالسبابة والبنصر
عن يحيى المكي ، والآخَر ثقيلٌ أَوَّلُ عن الهشامي .

وإنني سوف أبتدي بندى يا صاحبي الغداة فاستمع
ثم سلا جارتى وكتبتها هل كنت فيمن أراب أو خدعا
أو دعتاني فلم أجب ، ولقد تأمن مني حليلتي الفجعا
أبى فلا أقرب الحباء إذا ما ربه بعد هدأة هجعا
ولا أروم الفتاة زورتها إن نام عنها الحليل أو مشعا
وذاك في حقة خلت ومضت والدهر يأتي على الفتى لمعا
إن ترعما أنني كبرت فلم ألف ثقيلًا نكسًا ولا ورعا
إما ترى شكيتي رُميح أي سعد فقد أحمل السلاح معا

ابو سعد : أبنه ، ورُميحٌ : عصا كانت لأبنه يلعب بها مع الصبيان يطاعنهم
بها كالرُمح ، فصار يتوكأ هو عليها ويقوده أبنه هذا بها .

السيفُ والرُمح والكِنانةُ قد أكلتُ فيها معابلاً صُنعا

(١) لمعا : ألواناً لاختلاف ما يأتي به من خير وشر . واللمع واحدته لمعة وهي كل لون خالف
لوناً آخر .

(٢) النكس : الرجل الضعيف الذي لا خير فيه . والورع : الضعيف لا غناء عنده .

(٣) الشكة : السلاح .

(٤) في لسان العرب مادة رمح : « وأخذ الشيخ رُميح أي سعد : اتكأ على العصا من كبره ،
وأبو سعد أحد وفد عاد ، وقيل هو لقمان الحكيم ، قال :

إما ترى شكيتي رُميح أي سعد فقد أحمل السلاح معا
وقيل : أبو سعد كنية الكبر . »

(٥) المعابل : جمع معبلة وهي نصل عريض طويل .

(٦) صنعا : جمع صنيع وهو المجرَّب المجلو ، يقال : سيف صنيع وسهم صنيع أي مجرب مجلو .

والمهرُ صافي الأديم أصنعه^١ يطير عنه عفاؤه^٢ قرعاً^٣
أقصرُ من قيده وأردعه^٤ حتى إذا السرب ريع أو فرعا
كان أمام الجياد يقدّمها يهرُ^٥ لدناً وجوؤاً^٦ تلعا^٧
فغامسُ الموت أو حمى ظننا^٨ أو ردّ نهياً لأيّ ذاك سعى

وصيته :

قال أبو عمرو : ولما احتضر ذو الإصبع دعا ابنه أسيداً فقال له : يا بُنيّ ،
إن اباك قد فني وهو حيّ وعاش حتى سَم العيش ، وإني مُوصيك بما إن حفظته
في قومك ما بلغت ، فأحفظ عني : ألن جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم
يرفعوك ، وأبسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يُسودوك ؛ وأكرم
صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم ،
واسمح بمالك ، وأحم حريمك ، وأعزز جارك ، وأعن من أتعان بك ، وأكرم ضيفك ،
وأسرع النهضة في الصريخ ، فإن لك أجلاً لا يعدوك ، وُصن وجهك عن مسألة
أحد شيئاً ، فبذلك يتم سُودُك ؛ ثم أنشأ يقول :

أأسيدُ إن مالا ملكتَ فسر به سيراً جميلاً
آخر الكرام إن استطعت إلى إخوانهم سبيلاً

- (١) أصنعه : أحسن القيام عليه ، يقال : صنعت فرسي صنعاً وصنعة أي أحسنت القيام عليه .
- (٢) العفاء : الشعر الطويل . والقزع : القطع المتفرقة ، وكل شيء يكون قطعاً متفرقاً فهو قزع .
- (٣) اللدن : اللين من كل شيء ، ولعل المراد منه هنا الكفل . والجوؤ : الصدر . وتلع : منبسط .
- (٤) غامس الموت : ورده .
- (٥) ظننا : جمع ظئينة وهي الزوجة ، يقال : هي ظئينة فلان أي زوجته ، وهؤلاء ظواعنه أي نساؤه ، وسميت الزوجة ظئينة لأن الرجل يظن بها .
- (٦) استعمل ابن جني أسرع متعدياً فقال : « ويسرع قبول ما يسمعه » قال صاحب اللسان : فهذا إما أن يكون يتعدى بحرف وبغير حرف ، وإما أن يكون أراد إلى قبول فحذف وأوصل .

وَأَشْرَبَ بِكَأْسِهِمْ وَإِنْ شَرَبُوا بِهِ السُّمَّ التَّمِيلَا
 أَهْنِ اللَّثَامَ وَلَا تَكُنْ لِأَخَائِهِمْ حِمْلًا ذَلُولًا
 إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا تُوَا خِيَهُمْ وَجَدَتْ لَهُمْ فُضُولًا
 وَدَعِ الَّذِي يَعِدُ الْعَشِيرَةَ أَنْ يَسِيلَ وَلَنْ يَسِيلَا
 أَبْنِيَّ إِنَّ الْمَالَ لَا يَبْكِي إِذَا فَقَدَ الْبَخِيلَا

صوت

أَأْسِيدُ إِنْ أَزْمَعْتَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ رَحِيلَا
 فَحَفِظْ وَإِنْ شَحَطَ الْمَرْأَ رُ أَخَا أَخِيكَ أَوْ الزَّمِيلَا
 وَأَرْكَبْ بِنَفْسِكَ إِنْ هَمَمْتَ بِهَا الْخُرُونَةَ وَالسُّهُولَا
 وَصِلِ الْكِرَامَ وَكُنْ لِمَنْ تَرْجُو مَوَدَّتَهُ وَصُولَا

الغناء للهُذَلِيِّ خفيفٌ ثقيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو .

وَدَعِ التَّوَانِيَّ فِي الْأُمُورِ وَكُنْ لَهَا سَلِسًا ذَلُولَا
 وَأَبْسُطْ يَمِينَكَ بِالْيَدَى وَأَمْدُدْ لَهَا بَاعًا طَوِيلَا
 وَأَبْسُطْ يَدَيْكَ بِمَا مَلَكَتْ وَشَدِيدِ الْحَسَبِ الْأَثِيلَا
 وَأَعْزِمِ إِذَا حَاوَلْتَ أَمْرًا يَفْرِجُ الْهَمَّ الدَّخِيلَا
 وَأَبْذُلْ لَضَيْفِكَ ذَاتَ رَحْمَلِكْ مُكْرَمًا حَتَّى يَزُولَا

(١) الظاهر أن التمثيل هنا الناقع ، ولكننا لم نجد في كتب اللغة التي بأيدينا التمثيل بهذا المعنى ، وإنما الوارد التمثال ، بضم أوله ، والتمثل وهو السم المنقع أي الذي أنقع فبقي وثبت .

(٢) الفضول : جمع فضل .

(٣) الزميل : الرفيق في السفر الذي يعينك على أمورك .

(٤) الرحل : المثوى والمنزل .

وَأَحْلُلْ عَلَى الْإِيْفَاعِ لِلْعَافِينَ وَأَجْتَنِبِ الْمَسِيلَا
وَإِذَا الْقُرُومُ تَخَاطَرَتْ يَوْمًا وَأُرْعَدَتْ الْحَصِيلَا
فَاهْصِرْ كَهْصِرِ اللَّيْثِ خَضَبَ مَنْ فَرِيَسْتَهُ التَّلِيلَا
وَأَنْزِلْ إِلَى الْهَيْجَا إِذَا أَبْطَاهَا كَرِهُوا النِّزُولَا
وَإِذَا دُعِيَتْ إِلَى الْمُهْمِّ فَكُنْ لِقَادِحِهِ حَمُولَا

استنشاد معاوية شعره :

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثنا العُمري عن العُثبي قال :

جَرى بين عبد الله بن الزُّبير وعُتْبَةَ بنِ أَلِيٍّ سُفْيَانٌ لِحَاءُ بين يدي معاوية ،
فَجعل ابنُ الزُّبير يَعدِلُ بكلامه عن عُتْبَةَ ويُعرِّضُ بمعاوية ، حتى أطال وأكثَر من
ذلك ، فَالتفتَ إليه معاوية متميلاً وقال :

ورامِ بِعُورَانِ الْكَلَامِ كَأَنهَا نَوَافِرُ صُبحٍ نَقَرَتْهَا الْمَرَاتِعُ
وقد يَدْحُضُ الْمَرْءُ الْمَوَارِبُ بِالْحَنَا وقد تُدْرِكُ الْمَرْءَ الْكَرِيمَ الْمَصَانِعُ

ثم قال لابن الزُّبير : مَنْ يَقولُ هذا ؟ فقال ذو الإِصْبَعُ ؛ فقال : أَتُرويه ؟
قال لا ؛ فقال : مَنْ هَا هُنَا يَروي هذه الأبيات ؟ فقال رجل من قيس فقال : أَنَا
أُروِيهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فقال : أَنشدني ؛ فَأَنشده حتى أتى على قوله :

وساعِ بِرَجْلِيهِ لآخرَ قَاعِدٍ وَمُعْطِ كَرِيمٌ ذُو يَسَارٍ وَمَانِعٌ
وَبَانٍ لِأَحْسَابِ الْكَرَامِ وَهَادِمٌ وَخَافِضٌ مُولاهُ سَفَاهَا وَرَافِعٌ

(١) الخصيل : جمع خصلة وهي كل لمة فيها عصب .

(٢) التليل : العنق .

(٣) اللحاء : المنازعة .

(٤) عوران الكلام : ما تنفيه الأذن ، الواحدة عوراء .

ومغض على بعض الخطوب وقد بدت له عورة من ذي القرابة ضاجع
وصالب حوب باللسان وقلبه سوى الحق لا تخفى عليه الشرائع

فقال له معاوية : كم عطاؤك ؟ قال سبعمائة ؛ قال : اجعلوها ألفاً ، وقطع الكلام
بين عبد الله وعتبة .

شعره في ابن عمه :

قال أبو عمرو : وكان لذي الإصبع ابن عم يُعاديهِ فكان يتدسس إلى
مكارهه ويمشي به إلى أعدائه ويُؤلب عليه ويسعى بينه وبين بني عمه ويُبغيه عندهم
شراً ؛ فقال فيه - وقد أنشدنا الأَخفش هذه الأبيات أيضاً عن ثعلب والآخر
السُّكَّري - :

يا صاحبي قفا قليلاً وخبراً عني ليساً
عمن أصابت قلبه في مرهاً فقد نكيساً
ولي ابن عم لا يزال إلى منكروه دسيساً
دبت له فأحس بعد البر من سقم رسيساً
إمماً علانية وإمماً مخمراً أكلاً وهيساً
إني رأيت بني أيبك يحمجون^٧ إلي شوساً^٨

(١) سوى الحق : وسطه ، يعني ان قلبه ملازم الحق .

(٢) النكيس : المريض .

(٣) في رواية « مثبرة » . والمثير : اللسان .

(٤) الرسيس : أول الحمى .

(٥) من آخر الشيء إذا ستره .

(٦) الأكل الوهيس : الشديد .

(٧) معناه يديمون النظر . وقد ورد هذا البيت في اللسان في مادة شوس هكذا :

أش رأيت بني أيبك محجين إليك شوساً

(٨) الشوس بالتحريك : النظر بمؤخر العين تكبراً أو تغيظاً .

حَتَقًا عَلِيٍّ وَلَنْ تَرَى لِي فِيهِمْ أَثَرًا بَيْئِسًا
 أَنَحُوا عَلَى حُرِّ الْوَجْوِ هَ بَجْدَ مِثْشَارٍ ضُرُوسًا
 لَوْ كُنْتَ مَاءً لَمْ تَكُنْ عَذْبَ الْمَذَاقِ وَلَا مَسُوسًا
 مِلْحًا بَعِيدَ الْقَعْرِ قَدْ فَلَّتْ حِجَارَتُهُ الْفُؤُوسًا
 مَنَاعُ مَا مَلَكَتْ يَدَا لَكَ وَسَائِلُ لَهُمْ نُحُوسًا

وَأَنشَدَنَا الْأَخْفَشُ عَنْ هَؤُلَاءِ الرُّوَاةِ بَعْقَبَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ - وَلَيْسَ مِنْ شَعْرِ
 ذِي الْأَصْبَعِ وَلَكِنَّهُ يَشْبَهُ مَعْنَاهُ - :

لَوْ كُنْتَ مَاءً كُنْتَ غَيْرَ عَذْبٍ أَوْ كُنْتَ سَيْفًا كُنْتَ غَيْرَ عَضْبٍ
 أَوْ كُنْتَ طَرْفًا كُنْتَ غَيْرَ نَدْبٍ أَوْ كُنْتَ لَحْمًا كُنْتَ لَحْمَ كَلْبٍ

قَالَ : وَفِي مِثْلِهِ أَنشَدَنَا :

لَوْ كُنْتَ مُخًّا كُنْتَ مُخًّا رِيرًا أَوْ كُنْتَ بَرْدًا كُنْتَ زَمْهَرِيرًا
 أَوْ كُنْتَ رِيًّا كَانَتْ الدَّبُورَا

سبب تفرق عدوان وتقاتلهم :

قَالَ أَبُو عَمْرٍو : وَكَانَ السَّبَبُ فِي تَفَرُّقِ عَدُوَانٍ وَقِتَالِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا حَتَّى تَفَانُوا :
 أَنَّ بَنِي نَاجِ بْنِ يَشْكُرَ بْنِ عَدُوَانٍ أَغَارُوا عَلَى بَنِي عَوْفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ ظَرْبِ بْنِ عَمْرٍو
 ابْنِ عَبَادِ بْنِ يَشْكُرَ بْنِ عَدُوَانٍ ، وَنَذَرَتْ^٦ بِهِمْ بَنِي عَوْفٍ فَأَقْتَتَلُوا ، فَقَتَلَ بَنُو نَاجِ

(١) البئس : الشديد المكروه .

(٢) المِثْشَارُ لُغَةٌ فِي الْمُنْشَارِ .

(٣) المسوس : الماء بين العذب والملح .

(٤) يقال : فَرَسَ نَدْبٌ أَي مَاضَ نَشِيطٌ .

(٥) يقال : مَخَرَّ رِيرٌ أَي فَاسَدَ مِنَ الْهَزَالِ .

(٦) يقال : نَذَرَ بِالشَّيْءِ أَي عَلِمَهُ فَحَذَرَهُ .

ثمانية نفر، فيهم عُمر بن مالك سيد بني عوف، وقتلت بنو عوف رجلاً منهم يقال له سنان بن جابر، وتفرقوا على حرب. وكان الذي أصابوه من بني واثلة بن عمرو بن عباد وكان سيداً، فأصطح سائر الناس على الديات أن يتعاطوها ورضوا بذلك، وأبى مَرير بن جابر أن يقبل بسنان بن جابر دية، واعتزل هو وبنو أبيه ومن أطاعهم ومن والاهم، وتبعه على ذلك كَرِب بن خالد أحد بني عبس بن ناج، فشى اليهما ذو الإصبع وسألها قبول الدية وقال: قد قُتل منّا ثمانية نفر فقيلنا الدية وقُتل منكم رجل فأقبلوا ديته؛ فأبى ذلك وأقاما على الحرب، فكان ذلك مبدأ حرب بعضهم بعضاً حتى تفانوا وتقطّعا. فقال ذو الإصبع في ذلك:

ويا بؤسَ الأيام والدَّهر هالِكاً وصرفِ الليالي يَحْتَفِنَ كذلكاً
أبعدَ بني ناجٍ وسَعِيكَ فيهمُ فلا تُتَبِعَنَّ عَيْنِكَ ما كان هالِكاً
إذا قلتُ معروفاً لأُصْلِحَ بينهم يقولُ مَريرٌ لا أُحاولُ ذاكاً
فأَضَحُوا كظهر العودِ جُبَّ سَنامه تحومُ عليه الطيرُ أَحَدَبَ بارِكاً
فإنَّ تكَّ عدوانُ بن عمرو تفرقت فقد غَنِيَتْ دَهرًا ملوكاً هُنالكاً

قصيدته النونية:

وقال ابو عمرو: وفي مَرير بن جابر يقول ذو الإصبع - وهذه القصيدة هي التي منها الغناء المذكور - وأولها:

يا من لقلبٍ شديداً لهمَّ محزونٍ أمسى تَذَكَّرَ رِيًّا أمَّ هارونِ
أمسى تَذَكَّرَها من بعد ما شَحَطَتْ والدَّهرُ ذو غِلْظٍ حيناً وذو لينِ
فإنَّ يكن حبُّها أمسى لنا شَجَنًا وأصبح الوليَّ منها لا يواتيني
فقد غَنِينا وشَمْلُ الدار يجمعنا أطيعُ رِيًّا ورِيًّا لا تُعاصيني

(١) في أمالي القاضي ج ١ ص ٢٥٥ طبع دار الكتب: «طويل البث».

(٢) الولي: القرب.

(٣) غنينا: أقمنا.

نرْمِي الوُشَاةَ فَلَا تُنْخِطِي مَقَاتِلَهُمْ
 وَلِي أَبْنُ عَمٍّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ
 أَزْرَى بِنَا أَنَا شَالَتْ نَعَامُنَا
 لَا هِ أِبْنُ عَمِّكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ
 وَلَا تَقَوْتُ عِيَالِي يَوْمَ مَسْغَبَةٍ
 فَإِنْ تُرِدْ عَرَضَ الدُّنْيَا بِنَقْصَتِي
 وَلَا تَرَى فِي غَيْرِ الصَّبْرِ مَنَقْصَةً
 لَوْلَا أَوَاصِرُ قُرْبِي لَسْتَ تَحْفَظُهَا
 إِذَا بَرَيْتُكَ بَرِيًّا لَا أَنْجِبَارَ لَهُ
 إِنَّ الَّذِي يَقْبِضُ الدُّنْيَا وَيَسْطُهَا
 اللَّهُ يَعْلَمُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُنِي
 مَاذَا عَلِيٌّ وَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي رَحْمَى
 لَوْ تَشْرَبُونَ دَمِي لَمْ يَرَوْا شَارِبَكُمْ
 وَلِي أَبْنُ عَمٍّ لَوْ أَنَّ النَّاسَ فِي كَبْدِي
 يَا عَمْرُؤُ إِنَّ لَا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي
 كُلَّ أَمْرٍ صَائِرٌ يَوْمًا لَشَيْمَتِهِ
 بَخَالِصٍ^١ مِنْ صَفَاءِ الْوُدِّ مَكْنُونٍ
 مُخْتَلِفَانِ^٢ فَأَقْلِيهِ^٣ وَيَقْلِينِي
 خَالِنِي دُونَهُ بَلْ خَلَّتْهُ دُونِي
 شَيْئًا وَلَا أَنْتَ دِيَانِي فَتَخْزُونِي^٤
 وَلَا بِنَفْسِكَ فِي الْعَزَاءِ^٥ تَكْفِينِي
 فَإِنْ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ يُشْجِينِي
 وَمَا سِوَاهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفِينِي
 وَرَهْبَةُ اللَّهِ فِي مَوْلَى يَعَادِينِي
 إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَنْفَكُ تَبْرِينِي
 إِنْ كَانَ أَغْنَاكَ سَوْفَ يُغْنِينِي
 وَاللَّهُ يَجْزِيكُمْ عَنِّي وَيَجْزِينِي
 أَلَّا أَحْبَبَكُمْ إِنْ لَمْ تُحِبُّونِي
 وَلَا دَمَاؤُكُمْ جَمْعًا تُرَوِّنِي
 لَظَلَّ^٦ مُخْتَجِزًا^٧ بِالنَّبْلِ يَرْمِينِي
 أَضْرِبُكَ حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةَ اسْقُونِي^٨
 وَإِنْ تَخَلَّقَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينٍ

(١) فِي أُمَالِي الْقَالِي ج ١ ص ٢٥٥ طبع دار الكتب : « بصادق » .

(٢) أَقْلِيهِ : أَبْغَضُهُ .

(٣) أَصْلُهُ : اللَّهُ أَبْنُ عَمِّكَ ، حَذَفَتْ مِنْهُ اللَّامُ الْخَافِضَةُ .

(٤) الدِّيَانُ : الْقَائِمُ بِالْأَمْرِ . وَتَخْزُونِي : تَسُوسُنِي وَتَقْهَرُونِي .

(٥) الْعَزَاءُ : الشَّدَّةُ .

(٦) الْمُخْتَجِزُ : الشَّادُّ مَثْرَهُهُ عَلَى وَسْطِهِ وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنِ التَّهْيِئَةِ لِلْأَمْرِ وَالتَّشْمِيرِ لَهُ .

(٧) هَذَا وَارِدٌ عَلَى مَا يَزْعُمُهُ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ مِنْ أَنَّ رُوحَ الْقَتِيلِ الَّذِي لَمْ يَدْرِكْ بَثْرَهُ تَصِيرُ هَامَةً فَتَرْقُو عِنْدَ قَبْرِهِ وَتَقُولُ : اسْقُونِي اسْقُونِي ، فَإِذَا أَدْرَكَ بَثْرَهُ طَارَتْ .

إني لعمرك ما بابي بذني غلق^١
ولا لساني على الأدنى بمنطلق^٢
لا يخرج القسر مني غير مَغْضِبَةٍ^٣
وأنتم مَغْشَرٌ زِيدٌ على مائة^٤
فإن علمتم سبيل الرُّشد فانطلقوا
يا رَبَّ ثوبِ حواشيه كأوسطه
يوماً شَدَدْتُ على فرغاءٍ فاهقةٍ^٥
ماذا علي إذا تدعونني فرعاً^٦
وكنْتُ أعطيكُم مالي وأمنحكم
ياربَّ حيٍّ شديد الشَّغْبِ ذي لَبٍّ^٧
رَدَدْتُ باطلهم في رأس قائلهم
يا عمرو لو كنت لي أَلْفَيْتَنِي يَسْرًا^٨
عن الصديق ولا خيري بَمَنُونِي
بالمذكرات ولا فتكي بأمون^٩
ولا أَلَيْنُ لِمَنْ لا يبتغي ليني
فأجمعوا أمركم شقّي فكيدوني
وإن غبِيتُم طريق الرشد فأتوني
لا عيب في الثوب من حسن ومن لين^{١٠}
يوماً من الدهر تاراتِ ثماريني
ألا أُجيبكم إذ لا تُجيبوني
وُدِّي على مُثَبَّتٍ في الصدر مكنوني
ذَعَرْتُ من راهنٍ منهم ومرهوني
حتى يَظْلُوا خصوماً ذا أفاين^{١١}
سَمَحاً كريماً أجازي من يُجازيني

قصيدته في رثاء قومه :

قال ابو عمرو : وقال ذو الإصبع يرثي قومه :

وليس المرء في شيء من الإبرام والنقض
إذا يفعل شيئاً خا له يقضي وما يقضي

(١) الغلق : ما يغلق به الباب .

(٢) في الفضليات : « مأية » ومعناه : إذا أكرهت على شيء لم يكن عندي إلا الإباء له .

(٣) المغضبة : الواسعة والمراد طعنة واسعة . والفاهقة : التي تفهق بالدم أي تصب .

(٤) اللجب : ارتفاع الأصوات واختلاطها .

(٥) اليسر : السهل الانقياد .

جديد العيش ملبوس^١ وقد يُوشك^٢ أن يُنضي

وقد مضى بعض هذه القصيدة متقدماً في صدر هذه الأخبار، وتامها :

وأمرَ اليوم أصلحه ولا تعرض لما يمضي
فبيننا المرء في عيش له من عيشة خفض
أتاه طبق^٣ يوماً على مزلة دحض
وهم كانوا فلا تكذب ذوي القوة والنهض
وهم إن ولدوا أشبوا بسر الحسب المحض
لهم كانت أعالي الأر ض فالسران فالعرض^٤
إلى ما حازه الحزن فما أسهل للحمض
إلى الكفرين من نخللة فالداعة^٥ فالمرض
لهم كان حجام^٦ الماء لا المزجي ولا البرض
فكان الناس إذ هموا يئسر خاشع^٧ مُنضي
تنادوا ثم ساروا برئيس لهم مرضي
فمن ساجلهم حرباً في الحية والخفض
وهم نالوا على الشنا ن والشحناء والبغض

(١) الطبق : الشدة ، وبه فسر قوله تعالى : (لتركن طبقاً عن طبق) .

(٢) يقال : أشي فلان إذا ولد له ولد كئيس .

(٣) السران : اسم موضع . والعرض : واد اليمامة . ويقال لكل واد فيه قرى ومياه : عرض .

(٤) الداعة (بوزن داعة) : اسم للجبل الذي يحجز بين نخلتين الشامية واليانية من نواحي مكة .

(٥) الحجام : جمع جم وهو الكثير من كل شيء .

(٦) المزجي : القليل ، ومنه بضاعة مزجة أي قليلة . والبرض : القليل أيضاً ، يقال : ماء برض ، في مقابلة ماء غمر . وفي المثل « برض من عد » أي قليل من كثير .

معالي لم ينلها الناس في بسط ولا قبض

شعر ابنته :

قال أبو عمرو : قالت أُمّامة بنتُ ذي الإصبع وكانت شاعرة
ترثي قومها :

كم من فتى كانت له مِيعَةٌ^(١) أبْلَجَ مثل القمر الزاهر
قد مرّت الخيلُ بجافاته كمرّ غيثٍ لَجِبٍ^(٢) ما طر
قد لقيتُ فُهمٌ وعدوانها قَتَلًا وهلكًا آخرَ الغابر
كانوا ملوكًا سادةً في الذرى دهرًا لها الفخرُ على الفاخر
حتى تساقوا كأسهم بينهم بَغْيًا فيا للشاربِ الحاسرِ
بادوا فمن يَحُلُّ بأوطانهم يَحُلُّ برُسمٍ مُقْفِرٍ دائرِ

شعره في الكبر :

قال أبو عمرو : ولأُمّامة أبلته هذه يقول ذو الإصبع ورأته قد نهض فسقط
وتوكأ على العصا فبكت فقال :

جَزَعَتْ أُمّامةٌ أن مَشَيْتُ على العصا وَتَدَكَّرَتْ إذ نحن مِ الْفَتِيَانِ
فَلَقَبْتُ ما رام الإله بكَيْده إِرْمًا وهذا الحيّ مِنْ عَدَوَانِ

(١) المِيعَة : أوّل الشباب وأنشطه .

(٢) يقال : غيث لَجِبٍ أو سحاب لَجِبٍ ، لما فيه من قعقة الرعد .

بعد الحكومة والفضيلة والنهي طاف الزمان عليهم بأوان
وتفرقوا وتقطعت أشلاؤهم وتبددوا فرقا بكل مكان
جذب البلاد فأعقمت أرحامهم والدهر غيرهم مع الحدنان
حتى أبادهم على أخراهم صرعى بكل نقيرة ومكان
لا تعجبن أمام من حدث عرا فالدهر غيرنا مع الأزمان

ذكر قيل مولى العبلات

ولاؤه وغناؤه :

قال هارون بن محمد بن عبد الملك : أخبرني حماد بن إسحاق عن أبيه قال :
كان يحيى قيل عبداً للثريا ورُضياً وأخواتها بنات علي بن عبد الله بن الحارث
أبن أمية الأصغر بن عبد شمس مولات الغريض .

قال وحدثني حماد قال حدثني أبي قال حدثني ابن أبي جراح قال حدثنا
مقحف بن ناصح مولى عبد الله بن عباس قال قال حدثني هشام بن المريه - وهي
أمه ، وهو مولى بني مخزوم - قال :

كان يحيى قيل عبداً لامرأة من العبلات ، وله من الغناء :

وأخرجتها من بطن مكة بعد ما أصات المنادي للصلاة وأعتما
فمرت ببطن الليث تهوي كأنما تبادر بالإصباح نهباً مقسماً
والشعر لابي ذهل الجحى . وأول هذه القصيدة :

ألا علق القلب المتيم كأنما

(١) أعتم : دخل في العتمة وهي ثلث الليل الأول بعد مغيب الشفق .

(٢) الليث (بكسر اللام) : وادٍ بأسفل السراة يدفع في البحر أو موضع بالحجاز . ويروى :
« البيت » .

ابو دهبيل المجحي :

وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني يحيى
بن المقداد الزمعي قال حدثني عمي موسى بن يعقوب الزمعي قال أنشدني أبو
دهبيل المجحي لنفسه :

أَلَا عَلِقَ الْقَلْبُ الْمَتِيمُ كَلْتًا لَجُوجًا وَلَمْ يَلْزَمْ مِنْ الْحَبِّ مَلَزَمًا
خَرَجْتُ بِهَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ بَعْدَ مَا أَصَاتَ الْمَنَادِي لِلصَّلَاةِ وَأَعْتَمًا
فَمَا نَامَ مِنْ رَاعٍ وَلَا أَرْتَدَّ سَامِرُ مِنَ الْحَيِّ حَتَّى جَاوَزْتُ بِي يَلْمَلِمًا
وَمَرَّتْ بِبَطْنِ اللَّيْثِ تَهْوِي كَأَنَّمَا تُبَادِرُ بِالْإِدْلَاجِ نَهَبًا مُقْسَمًا
أَجَازَتْ عَلَى الْبَزْوَاءِ وَاللَّيْلِ كَاسِرُ جَنَاحَيْنِ بِالْبَزْوَاءِ وَرَدًّا وَأُدْهَمًا
فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى تَبَيَّنَتْ بِعُلَيْبٍ نَحْلًا مُشْرِفًا وَمُخَيَّمًا
وَمَرَّتْ عَلَى أَشْطَانٍ دُومَةٍ بِالضَحَى فَمَا خَزَرْتُ لِمَاءِ عَيْنًا وَلَا فَمَا
وَمَا شَرَبْتُ حَتَّى ثَنَيْتُ زِمَامَهَا وَخَفْتُ عَلَيْهَا أَنْ تُحْزَرَ وَتُكَلَّمَا
فَقُلْتُ لَهَا قَدْ تَعَتَّ^٧ غَيْرَ ذَمِيمَةٍ وَأَصْبَحَ وَادِي الْبُرُكِ^٨ غَيْثًا مُدَيِّمًا

(١) يللم : موضع على ليلتين من مكة وهو ميقات أهل اليمن ، وفيه مسجد معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٢) البزواء : موضع في طريق مكة قريب من الجحفة .

(٣) الورد : وصف من الوردة وهي لون أحمر يضرب إلى صفرة ، يقال : ورد الفرس يورد وُرْدَةً إذا صار ورداً أي كلون الورد وهو ما بين الكميث والأشقر ، والمراد بالورد هنا الفجر عند انبثاقه ، وبالأدھم آخر ما بقي من سواد الليل .

(٤) عليب : موضع بتهامة .

(٥) الأشطان : جمع شطن وهو الحبل الطويل الشديد القتل يستقى به .

(٦) الدومة : وادي بين المدينة وخيبر به آبار .

(٧) تعت : أسرع في السير ، من تاع الماء يتبع تبعاً أي سال على وجه الأرض .

(٨) ناحية باليمن بين ذهبان وحلي وهو نصف الطريق بين حلي ومكة .

قال فقلت له : يا عمّ ما كنت إلا على الريح ! فقال : يا بن أخي إن عمّك كان إذا همّ فعل ، وهي العجاجة ، أما سمعت قول أخي بني مرة :

إذا أقبلت قلت مشحونة أقلت لها الريح قلعا جفولا
وإن أدبرت قلت مدعورة من الرمد تتبع هيقا ذمولا
وإن أعرضت خال فيها البصير ما لا يكلفه أن يفيل
يدا سرحا مائرا ضبعها تسوم وتقدم رجلا زجولا
فرت على كشب غدوة ومرت فوق أريك أصيلا
تخبط بالليل حزانه كخبط القوي العزيز الذليلا

- (١) هو بشامة بن عمرو الغدير كما في معجم ياقوت البكري في الكلام على « كشب » .
- (٢) القلع : شراع السفينة .
- (٣) الرمد : جمع رمداء وهي النعامة التي فيها سواد منكسف كلون الرماد ، ويروى : « الدبر » وهو النحل والزناير .
- (٤) الهيق : الظلم وهو ذكر النعام . ودمولا : سريعا .
- (٥) أعرضت : رأيته من عرضها وأحد جانبيها .
- (٦) يفيل : يخطيء ، من فال رأيه إذا أخطأ ، والمراد أنها إذا رؤيت لم يخطيء البصير في نجابتها .
- (٧) يقال : مارت الناقة تمور فهي مائرة إذا كانت نشيطة في سيرها . والضبع : العضد ، وقيل : هو ما بين الإبط إلى نصف العضد .
- (٨) تسوم : تعدو على وجهها ، وقيل : تمرّ مرّا سهلا . وزجولا بالزاي والجيم من الزجل وهو الدفع ، والمراد تدفع نفسها .
- (٩) كذا في معجم ياقوت في مادة كشب والبكري ، وقد اختلف ضبطه في ياقوت والبكري وشرح القاموس فقد روى بضم أوله وتشديد ثانيه المفتوح كما روي ككتب وككتف وهو جبل مما يلي حدود اليمن . وفي جميع النسخ وياقوت في الكلام على أريك : « فرت بذى خشب الخ » وذو خشب : موضع قرب المدينة .
- (١٠) أريك : جبل في بلاد بني مرة ، قال جابر بن حنّ التغلبي :
- تصعد في بطحاء عرق كأنها ترقى إلى أعلى أريك بسلم
- وقال الأخفش : إنما سمي أريكا لأنه جبل كثير الأراك .
- (١١) الحزان بكسر الحاء وضمها : جمع حزين وهو المكان الغليظ الصلب من الأرض ، وفي الأصول : « حزانة » بالتاء المنقوطة وهو تحريف .

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني ابن أصبغ السامي قال :

جاء إنسانٌ يُغَيِّي إلى عيَّاش المنقريِّ بالعقيق فجعل يُغَيِّيه قول أبي دهب :

أَلَا عَلِقَ الْقَلْبُ الْمَتِيمُ كَلْمًا

وجعل يعيده فلما أكثر قال له عيَّاش : كم تُنذر بالعجوز عافاك الله ! إسم أمي

كلثمُ ، قال : وتسمع العجوز ، فقالت : لا والله ما كان بيني وبينه شيء .

قال : ومن غنائه :

أَزْرَى بِنَا أَنَا سَأَلْتُ نَعَامُنَا خَفَانِي دُونَهُ بَلْ خِلْتَهُ دُونِي

فَإِنْ تُصَبِّكَ مِنَ الْأَيَّامِ جَائِحَةٌ لَا نَبْكَ مِنْكَ عَلَى دُنْيَا وَلَا دِينَ

وأول هذه الأبيات فيما أنشدناه علي بن سليمان الأخفش عن ثعلب .

صوت

من المائة المختارة

لِي أَبْنُ عَمَّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خَلْقٍ مُخْتَلِفَانِ فَأَقْلِيهِ وَيَقْلِينِي

لَاهِ أَبْنُ عَمِّكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبِ عَمِّي وَلَا أَنْتَ دِيَّانِي فَتَخْزُونِي

غنى في هذين البيتين الهذلي ثاني ثقيل بالوسطى .

وقد عَجِبْتُ وَمَا فِي الدَّهْرِ مِنْ عَجَبٍ يَدُ كَشْحٍ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي

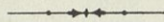
صوت

من المائة المختارة

إِرْفَعْ ضَعِيفَكَ لَا يَجْرُ بِكَ ضَعْفُهُ يَوْمًا فَتَدْرِكُهُ الْعَوَاقِبُ قَدْ نَمَّا

يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإِنْ مَنْ أَثْنَى عَلَيْكَ بَمَا فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى

عروضه من الكامل . الشعر لغريض^١ اليهودي وهو السموءل^٢ بن عادياء ،
وقيل إنه لأبنة سعية^٣ بن غريض ، وقيل إنه لزيد بن عمرو بن نُفيل ، وقيل إنه
لورقة بن نوفل ، وقيل إنه لزهير بن جناب ، وقيل إنه لعامر بن المجنون الجرهمي^٤
الذي يقال له : مدرج الرياح ، والصحيح أنه لغريض أو لأبنة .



(١) كذا ورد هذا الاسم بالغين المعجمة وفي شرح القاموس مادة عرض ذكر ابنه سعية فقال :
« وكزبير سعية بن عريض ويقال بالغين المعجمة أيضاً » وقد جاء في الاصابة ج ٣ ص ١٦٧ في الكلام
على سعية أنه سعية بن غريض بفتح الغين المعجمة .

(٢) ذكر أبو الفرج هذا الاسم هنا فقال : إن الغريض اليهودي هو السموءل بن عادياء وفي
ترجمة السموءل ج ١٩ ص ١٨ طبع بولاق قال : إنه السموءل بن غريض بالغين المعجمة ، وقال صاحب
معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص « إنه السموءل بن عريض » بالغين المهملة .

(٣) صحح الاستاذ الشنقيطي في نسخته طبع بولاق هذا الاسم هكذا : سعية بالسين والعين والياء
وسعة بالسين والعين والنون وكتب فوقه كلمة « معاً » إشارة الى أن كليهما صحيح ، وقد ذكرهما كذلك
ابن حجر في كتاب الاصابة ، وجاء في شرح القاموس مادة سعي « وسعية بن عريض شاعر » . وفي
جميع الاصول : « شعبة بن غريض » .

خبر غريض اليهودي

نسبه واصل قومه :

وغريضٌ هذا من اليهود من ولد الكاهن بن هارون بن عمران صلى الله عليه وسلم ، وكان موسى عليه الصلاة والسلام وجه جيشاً الى العماليق وكانوا قد طَفَّوْا وبلغت غاراتهم الى الشام وأمرهم إن ظفروا بهم يقتلوهم أجمعين ، فظفروا بهم فقتلوهم أجمعين سوى ابن مللكهم كان غلاماً جميلاً فرحموه وأستبقوه ، وقدموا الشام بعد وفاة موسى عليه السلام فأخبروا بني إسرائيل بما فعلوه ؛ فقالوا : أنتم عصاةٌ لا تدخلون الشام علينا أبداً ، فأخرجوهم عنها . فقال بعضهم لبعض : ما لنا بلدٌ غير البلد الذي ظفروا به وقتلنا أهله ؛ فرجعوا الى يَثْرَبَ فأقاموا بها وذلك قبل ورود الأوس والخزرج إليها عند وقوع سيل العرم باليمن ، فمن هؤلاء اليهود قريظة والنضير وبنو قينقاع وغيرهم ، ولم أجد لهم نسباً فأذكره لأنهم ليسوا من العرب فتدون العرب أنسابهم إنما هم حلفاؤهم ، وقد شرحت أخبارهم وما يُغني به من أشعارهم في موضع آخر من هذا الكتاب .

والغناء في اللحن المختار لابن صاحب الوضوء واسمه محمد وكنيته أبو عبد الله ، وكان أبوه على الميضة بالمدينة فعرف بذلك ، وهو يسير الصناعة ليس من خدام الخلفاء ولا شهر عندهم شهرة غيره . وهذا الغناء ماخوري بالبصرة وفيه ليونس ثاني ثقل بالبصرة .

(١) العرم : اسم واد وقيل : السيل الذي لا يطاق ، وقيل : المطر الشديد .

(٢) الميضة : مطهرة كبيرة يتوضأ منها ، والعامية تقول : ميضة .

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة قال :

إرفع ضعيفك لا يجر بك ضعفه لغريض اليهودي .

وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أحمد بن عيسى قال حدثنا مؤمل بن عبد الرحمن الثَّقَفي قال حدثني سهل بن المغيرة عن الزُّهري عن عروة عن عائشة قالت :

دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أتملّ بهذين البيتين :

إرفع ضعيفك لا يجر بك ضعفه يوماً فتدركه العواقبُ قد نما
يجزيك أو يُثني عليك وإنّ من أثنى عليك بما فعلت فقد جزي

فقال صلى الله عليه وسلم : « رُدّي عليّ قول اليهودي قاتله الله ! لقد أتاني جبريلُ برسالة من ربي : أئِما رجل صنعَ الى أخيه صنيعاً فلم يجدْ له جزاءً إلّا الثناء عليه والدعاء له فقد كافأه » .

قال أبو زيد : وقد حدثني أبو عثمان محمد بن يحيى أن هذا الشعر لورقة بن نوفل ، وقد ذكر الزُّبير بن بكار أيضاً أن هذا الشعر لورقة بن نوفل وذكر هذين البيتين في قصيدة أولها :

-
- (١) لعله سهل أبو حريز مولى المغيرة، قال عنه ابن حبان يروي عن الزهري العجائب، وله ترجمة .
(٢) جاء في الجزء الثالث من العقد الفريد لابن عبد ربه صحيفة ١١٩ في باب (فضائل الشعر) :
« وسمع النبي صلى الله عليه وسلم عائشة وهي تنشد شعر زهير بن حباب - وصوابه جناب - تقول :

ارفع ضعيفك لا يحل بك ضعفه يوماً فتدركه عواقب ما جنى
يجزيك أو يُثني عليك فإن من أثنى عليك بما فعلت كمن جزي

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « صدق يا عائشة لا شكر الله من لا يشكر الناس » ويرى المتأمل أن في هذه الرواية والبيتين اختلافاً عما هو وارد في الأغاني .

رَحَلْتُ قَتِيلَةً عَيْرَهَا قَبْلَ الضَحَى وَأَخَالُ أَنْ شَحَطْتَ بِجَارَتِكَ النَّوَى
 أَوْ كُلَّمَا رَحَلْتُ قَتِيلَةً غُدُوَّةً وَغَدَتُ مُفَارَقَةً لَا رُضْهَمُ بَكِي
 وَلَقَدْ رَكِبْتُ عَلَى السَّفِينِ مُلْجِجًا^(١) أَذْرُ الصَّدِيقَ وَأَنْتَحِي دَارَ الْعِدَا
 وَلَقَدْ دَخَلْتُ الْبَيْتَ يُخْسِي أَهْلُهُ بَعْدَ الْهُدُوءِ وَبَعْدَ مَا سَقَطَ النَّدَى
 فَوَجَدْتُ فِيهِ حُرَّةً^(٢) قَدْ زُيِّنَتْ بِالْحُلِيِّ تَحْسَبُهُهَا جَمْرَ الْغَضَا
 فَنِعِمْتُ بِالْأَلَا إِذْ أَتَيْتُ فِرَاشَهَا وَسَقَطَتْ مِنْهَا حِينَ جِئْتُ عَلَى هَوَى
 فَلْتَلِكْ لَذَاتُ الشَّبَابِ قَضِيَّتُهَا عَنِّي فَسَائِلُ بَعْضِهِمْ مَاذَا قَضَى
 فَرَجَ الرَّبَّابِ فَلَيْسَ يُوْدِي فَرْجَهُ لَا حَاجَةَ قَضَى وَلَا مَاءَ بَغْيِ
 فَارْفَعْ ضَعِيفَكَ لَا يَجْرُ بِكَ ضَعْفُهُ يَوْمًا فَتَدْرِكُهُ الْعَوَاقِبُ قَدْ نَمَا
 يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإِنْ مَنَ أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى

(١) ملججاً : خائضاً اللجة وهي معظم الماء .

(٢) ويروى « طفلة » بفتح الطاء وهي المرأة الناعمة الرخصة .

ذكر ورقة بن نوفل ونسبه

هو ورقة بن نوفل بن عبد الغزى بن قصي ، وأمه هند بنت أبي كثير بن عبد بن قصي . وهو أحد من اعتزل عبادة الاوثان في الجاهلية وطلب الدين وقرأ الكتب وامتنع من أكل ذبائح الاوثان .

نسبة ما في هذا الشعر من الغناء

غير « أرفع ضعيفك . . . »

صوت

ولقد طرقت البيت يخشى أهله بعد الهدوء وبعد ما سقط الندى
فوجدت فيه حرة قد زينت بالخلي تحسبه بها جمر الغضا
الشعر لورقة بن نوفل . والغناء لابن محرز من القدر الاوسط من الثقل
الاول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

أخبرنا الطوسي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الله بن معاذ عن
معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير قال :

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة بن نوفل كما بلغنا فقال : « قد

(١) ذكر في شرح شواهد الرضى أن هذه الأبيات لزيد بن عمرو بن نفيل ، وقيل لأمية بن أبي الصلت .

رأيتُه في المنام كأنَّ عليه ثياباً بيضاً فقد اُظنَّ أن لو كان من أهل النار لم أرَ عليه البياض» .

قال الزبير وحديثنا عبد الله بن مُعَاذٍ عن معمر عن الزُّهريَّ عن عائشة :
أنَّ خديجة بنت خويلدٍ أنطلقت بالنبيَّ صلى الله عليه وسلم حتى أتت به ورقة
ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عمِّ خديجة أخي أبيها ، وكان أمراً
تنصّر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانيّ فيكتب بالعبرانية من الإنجيل
ما شاء أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت خديجة : أي ابن عمِّ ،
أسمع من ابن أخيك ؟ قال ورقة : يابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى
الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزله الله تبارك وتعالى
على موسى ؛ يا ليتني فيها جذعٌ ، ليتني أكون حياً إذ يُخرجك قومك ؛ قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مُخرجي هم ؟ قال ورقة : نعم ، لم يأت رجل
قطُّ بمثل ما جئتَ به إلا عودي ، وإن يدركني يومك لا أنصرك نصرأ مؤزراً ،
ثم لم ينسب ورقة أن تُوفي .

انتصاره لمعذب في الله :

قال الزُّبير حدَّثني عثمان عن الضحَّاك بن عثمان بن عبد الرحمن بن أبي الزناد

(١) ورد الحديث في ص ٨٨ جزء خامس من اسد الغابة في معرفة الصحابة في حديث عائشة قالت :
«سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة فقالت له خديجة : إنه كان صدقك وإنه مات قبل أن
تظهر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتُه في المنام وعليه ثياب بياض ولو كان من أهل النار
لكان عليه لباس غير ذلك» .

(٢) الكتاب : مصدر كالكتابة .

(٣) الناموس في الأصل : صاحب السر أو صاحب سر الوحي ، والمراد به جبريل عليه السلام .

(٤) الجذع : الشاب الحدث ، أي يا ليتني أكون شاباً حين تظهر نبوته حتى أبلغ في نصرته .

(٥) الضحَّاك بن عثمان إما أن يكون الضحَّاك بن عثمان بن عثمان المتوفي سنة ثمانين ومائة
وهو الذي وصفه الزبير بن بكار بأنه كان علامة قريش بأخبار العرب وأيامها وأشعارها وأحاديث
الناس وهو الذي يروي الزبير بن بكار عن أبيه محمد كما سيأتي ، وإما أن يكون الضحَّاك بن عثمان
جده المتوفي سنة ثلاث وخمسين ومائة ، لأن كلا منها عاصر عبد الرحمن بن أبي الزناد الذي ولد سنة
مائة وتوفي سنة أربع وسبعين ومائة .

قال قال عروة : كان بلالٌ لجارية من بني جُمَح بن عمرو ، وكانوا يعذبونه برُمضاء مكة ، يلصقون ظهره بالرمضاء لِيُشْرِكَ بالله ؛ فيقول : أحدٌ أحدٌ ؛ فيمرّ عليه ورقة ابن نوفل وهو على ذلك يقول : أحدٌ أحدٌ ، فيقول ورقة بن نوفل : أحدٌ أحدٌ والله يا بلال ! والله لئن قتلتموه لَأَتَّخِذَنَّهُ حَنَاناً كأنه يقول : لَأَتَمَسَّحَنَّ بِهِ . وقال ورقة بن نوفل في ذلك :

لقد نصحتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم	أنا النذيرُ فلا يغرُرْكم أحدُ
لا تعبدنَّ إلهاً غير خالقكم	فإن دَعَوْكم فقولوا بيننا حَدَدٌ
سبحانَ ذي العرش سبحاناً نعوذ به	وقبلُ قد سبَّحَ الجوديَّ والجُمُدُ
مُسَحَّرٌ كلُّ ما تحت السماء له	لا ينبغي أن يُناوي مُلكه أحدُ
لا شيء مما ترى تبقى بَشاشتهُ	يبقى الإله ويؤدي المالُ والولدُ
لم تُغنِ عن هُرْمَزٍ يوماً خزائنه	والخُلْدَ قد حاولتُ عادٌ فما خلدوا
ولا سُليمانَ إذ دان الشعوبُ له	والجنُّ والانسُ تجري بينها البرُدُ

ثناء عليه :

قال الزبير حدَّثني عمي قال حدَّثنا الضحَّاك بن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة :

(١) الرمضاء : الأرض الحامية من شدة حر الشمس .

(٢) شرح اللسان هذه العبارة في مادة «حنن» فقال : الحنان : الرحمة والعطف ، والحنان : الرزق والبركة ؛ أراد لأجعلن قبره موضع حنان أي مظنة من رحمة الله تعالى فأتمسح به متبركاً كما يتمسح بقبور الصالحين الذين قتلوا في سبيل الله من الأمم الماضية فيرجع ذلك عاراً عليكم وسبة عند الناس ، وضعف هذا الحديث بأن ورقة مات قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وبلال ما عذب إلا بعد أن أسلم ، وهو ضعيف الإسناد لأنه مرسل وعروة تابعي لم يدرك عصر النبوة .

(٣) الحدد (بالتحريك) : المنع ، يقال : دونه حدد أي منع .

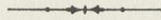
(٤) الجودي : جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه السلام ، والجُمُد : جبل بنجد .

(٥) البرد : جمع بريد وهو الرسول : وقد ورد البيت الثالث من هذه الايات في كتاب سيبويه غير معز لأحد وذهب أكثر شراحه الى أنه لأمية بن الصلت وقال بعضهم : إنه لزيد بن عمرو بن نفيل ، وصوب البغدادى في الخزانة ج ٢ ص ٣٩ أن هذا الشعر لورقة بن نوفل كما نسبته اليه السهيلي والحافظ الكلاعي في سيرته .

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَخِي وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ أَوْ لِابْنِ أَخِيهِ :
« شَعَرْتُ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ لَوْرَقَةَ جَنَّةٍ ، أَوْ جَنَّتَيْنِ » ، يَشْكُ هِشَامُ .

قال عروة : وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ سَبِّ وَرَقَةَ .
وقال الزبير وَحَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي الضَّحَّاكُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزِّنَادِ
عَنْ هِشَامِ بْنِ عُروَةَ عَنْ أَبِيهِ :

أَنَّ خَدِيجَةَ كَانَتْ تَأْتِي وَرَقَةَ بِمَا يُخْبِرُهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَأْتِيهِ
فَيَقُولُ وَرَقَةَ : لَئِنْ كَانَ مَا يَقُولُ حَقًّا إِنَّهُ لَيَأْتِيهِ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ نَامُوسَ عِيسَى بْنِ
مَرْيَمَ الَّذِي لَا يُجِيزُهُ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا بِشْمَنِ^١ ، وَلَئِنْ نَطَقَ وَأَنَا حَيٌّ لَا تُبْلِيَنَّ فِيهِ
لِللَّهِ بَلَاءٌ حَسَنًا .



(١) هذه الكلمة محرفة في جميع الاصول وفي شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ١ ص ٢٥٩ طبع
ببولاقي : « إِنَّهُ لَيَأْتِيهِ نَامُوسُ عِيسَى الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَبْنَاءَهُمْ » .

خبر زيد بن عمرو ونسبه

هو زيد بن عمرو بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن رياح بن عبد الله بن قُرُط بن رَزَاح بن عَدِيّ بن كَعْب بن لُؤَيٍّ بن غالب . وأمه جَيْدَاء بنت خالد بن جابر أبي حبيب بن فَهْم . وكانت جَيْدَاء عند نُفَيْل بن عبد العُزَّى فولدت له الخطَّاب أبا عُمر بن الخطَّاب وعبدُهم ، ثم مات عنها نُفَيْل فتزوجها ابنه عمرو فولدت له زيدا ، وكان هذا نِكَاحاً يَنْكِحُه أهلُ الجاهلية .

اعتزاله الأوثان :

وكان زيد بن عمرو أحدَ مَنْ اعتزل عبادة الأوثان وأمتنع من أكل ذبائحهم وكان يقول : يا معشر قريش ، أُرْسِلُ الله قطرة السماء ويُنبِت بَقْل الأرض وَيَخْلُق السائمة فتَرعى فيه وتذبحوها لغيره ! والله ما أعلمُ على ظهر الأرض أحداً على دين إبراهيم غيري .

أخبرنا الطوسيُّ قال حدثنا الزُّبَيْر قال حدثني عمي مصعب بن عبد الله ومحمد ابن الضحَّاك عن أبيه ، قال :

نفيه :

كان الخطَّاب بن نُفَيْل قد أخرج زيد بن عمرو من مكة وجماعةً من قريش ومنعوه أن يدخلها حين فارق أهل الأوثان ، وكان أشدَّهم عليه الخطَّاب بن نُفَيْل .

(١) منهم بالضم : شيطان أو صنم لمزينة ، وبه سموا «عبدنهم» .

وكان زيد بن عمر اذا خلص الى البيت استقبله ثم قال: لَبَّيْكَ حَقًّا حَقًّا؛ تَعْبُدًا
ورقًا؛ البرَّ أَرْجُو لَا الْخَالَ^٢، وهل مُهَجَّرٌ^٣ كَمَنْ قَالَ! ثم يقول:

عُدْتُ بِمَا عَاذَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَقِيلَ الْكَعْبَةِ وَهُوَ قَائِمٌ
يَقُولُ أَنِّي لَكَ عَانٍ رَاغِمٌ مَهْمَا تُجَشِّمَنِي فَإِنِّي جَاشِمٌ^٤

ثم يسجد . قال محمد بن الضحَّاك عن أبيه : وهو الذي يقول :

لَا تُهَمُّ إِنِّي حَرَمٌ لَا حِلَّهُ^٥ وَإِنَّ دَارِي أَوْسَطُ الْمَحَلَّةِ

عند الصَّفا ليست بها مَضَلَّةٌ

قال الزُّبَيْرُ وَحَدَّثَنِي مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ الضَّحَّاكِ بْنِ عَثَانَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
أَبْنِ أَبِي الزَّنَادِ قَالَ قَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّهَا قَالَتْ :
قال زيد بن عمرو بن نفيل :

عَزَلْتُ الْجَنَّ وَالْجِنَّانَ عَنِّي^٦ كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْجَلْدُ الصَّبْرُ

(١) البر : الطاعة والخير .

(٢) الحال : الخلاء .

(٣) المهجر : السائر في الهجرة .

(٤) قال : أقام في القائلة .

(٥) جاشم : وصف من جشم الأمر اذا تجشمه وتكلفه على مشقة .

(٦) كذا ورد «حرم» و«حله» مضبوطين في بعض الاصول ، وهذا الضبط هو الذي يتزن
به الشعر ، فلعلهما مصدران وصف بهما ، إذ الوصف الذي ورد في كتب اللغة من هذه المادة في هذا
المعنى : «حرم» و«حل» بالكسر و«حرام» و«حلال» .

(٧) الأرب في أحوال العرب ج ٢ ص ٢٢٠ طبع مطبعة دار السلام ببغداد :

تركت اللات والعزى جميعاً

فلا العزى أدين ولا أبتئها ولا صنمي بني غنم أزور
ولا هبلأ أدين وكان رباً لنا في الدهر إذ حلني صغير
أرباً واحداً أم الف رب أدين إذا تُقْسِمَت الأمور
ألم تعلم بأن الله أفنى رجلاً كان شأنهم الفجور
وأبقى آخرين ببر قوم فيربو منهم الطفل الصغير
وبينا المرء يعثرُ ثاباً يوماً كما يتروح الغصن النضير

فقال ورقة بن نوفل لزيد بن عمرو بن نفيل :

رَشَدْتَ وَأَنْعَمْتَ أَبْنِ عَمْرُو وَإِنَّمَا تَجَنَّبْتَ تَنُوراً مِنَ النَّارِ حَامِياً
بَدِينِكَ رَبّاً لَيْسَ رَبُّ كَمِثْلِهِ وَتَرَكْتَ جَنَّاتِ الْجِبَالِ كَمَا هِيَ
أَقُولُ إِذَا مَا زُرْتُ أَرْضاً مَخُوفَةً حَنَانِيكَ لَا تُظْهِرُ عَلَيَّ الْأَعَادِيَا
حَنَانِيكَ إِنَّ الْجَنَّةَ كَانَتْ رَجَاءَهُمْ وَأَنْتَ إِلَهِي رَبَّنَا وَرَجَائِيَا
أَدِينُ لِرَبِّ يَسْتَجِيبُ وَلَا أَرَى أَدِينُ لِمَنْ لَا يَسْمَعُ الدَّهْرَ دَاعِياً
أَقُولُ إِذَا صَلَّيْتُ فِي كُلِّ بَيْعَةٍ تَبَارَكَتْ قَدْ أَكْثَرَتْ بِأَسْمِكَ دَاعِياً
يَقُولُ : خَلَقْتَ خَلْقاً كَثِيراً يَدْعُونَ بِأَسْمِكَ .

امتناعه عن الذبائح :

قال الزُّبَيْرُ وَحَدَّثَنِي مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي الضَّحَّاكُ بْنُ عَثْمَانَ عَنْ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزُّنَادِ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ قَالَ سَمِعْتُ مَنْ أَرْضَى يَحْدِثُ :

(١) كَذَا فِي كِتَابِ الْأَصْنَامِ لِابْنِ الْكَلْبِيِّ ص ٢٢ طَبَعُ الْمَطْبَعَةِ الْأَمِيرِيَّةِ وَبُلُوغُ الْأَرَبِ فِي أَحْوَالِ
الْعَرَبِ ، وَالَّذِي فِي الْأَصُولِ : « بَنِي طَسَم » وَطَسَمٌ مِنَ الْقَبَائِلِ الْبَائِدَةِ فَلَمْ يَكُنْ لَهَا فِي عَهْدِ زَيْدِ بْنِ
عَمْرُو أَصْنَامٌ يَهْجُرُهَا .

(٢) كَذَا فِي كِتَابِ الْأَصْنَامِ لِابْنِ الْكَلْبِيِّ ، وَهَبْلُ كَصَرْدٍ : صَنَمٌ كَانَ لِقَرِيشٍ فِي الْكَعْبَةِ يَعْبُدُونَهُ .

(٣) ثَابٌ : عَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ اسْتِقَامَةٍ .

(٤) جَنَّاتُ الْجِبَالِ : الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْفَسَادِ مِنْ شَيَاطِينِ الْأَنْسِ أَوْ مِنَ الْجِنِّ .

ان زيد بن عمر كان يعيب على قريش ذبايحهم ويقول : الشاة خلقها الله وانزل
من السماء ماءً وانبت لها من الارض نباتاً ثم تذبحونها على غير اسم الله ! إنكاراً
لذلك وإعظماً له .

قال الزبير : وحدّثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن
أبن أبي الزناد عن موسى بن عتبة عن سالم بن عبد الله انه سمع عبد الله بن عمر
يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه لقي زيد بن عمر بن نفيل بأسفل
بلدح^١ ، وكان قبل ان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي^٢ ، فقدم اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم سُفرة^٣ فيها لحم ، فأبى ان يأكل ، وقال : إني لا
أكل إلا ما ذكر اسم الله عليه .

تحفته :

قال الزبير وحدّثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن
أبن ابي الزناد عن موسى بن عتبة عن سالم بن عبد الله قال - قال موسى : لا أراه
إلا حدّثه عن عبد الله بن عمر - :

إن زيد بن عمر خرج الى الشام يسأل عن الدين ويتبعه ، فلتى عالماً من اليهود
فسأله عن دينهم فقال : لعلي أدين بدينكم فأخبرني بدينكم ؛ فقال اليهودي : إنك
لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله ؛ فقال زيد بن عمرو :
لا أفرّ إلا من غضب الله وما احمل من غضب الله شيئاً أبداً وأنا أستطيع ، فهل
تدّئني على دين ليس فيه هذا ؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً ؛ قال : وما

(١) بلدح : وادٍ قبل مكة من جهة الغرب . قال ابن قيس الرقيات :

فنى فالجمار من عبد شمس مقفرات فبلدح فحراء

(٢) السفرة : جلد مستدير يحمل فيه المسافر طعامه ، وهي في الاصل اسم لنفس الطعام ثم نقلت

الى الجلد لأنه يحمل فيها .

الحنيف؟ قال: دين إبراهيم؛ فخرج من عنده وتركه. فأتى عالماً من علماء النصارى فقال له نحواً مما قال لليهودي، فقال له النصراني: إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله، فقال: إني لا أمل لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً وأنا أستطيع، فهل تدلني على دين ليس فيه هذا؟ فقال له نحواً مما قال اليهودي: لا أعلمه إلا أن يكون حنيفاً؛ فخرج من عندهما وقد رضي بما أخبراه واتفقا عليه من دين إبراهيم، فلما برز رفع يديه وقال: اللهم إني على دين إبراهيم.

مصرعه:

قال الزبير وحدثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن ابن أبي الزناد قال قال هشام بن عروة:

بلغنا أن زيد بن عمرو كان بالشام، فلما بلغه خبر النبي صلى الله عليه وسلم أقبل يريد قتلته أهل مَيْقَةَ.

قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: انه يأتي يوم القيامة أمة وحده:

قال الزبير وحدثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن سعيد بن زيد بن عمرو قال:

سألت أنا وعمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيد فقال:

«يأتي يوم القيامة أمة وحده».

وأُشِدَّ محمد بن الضحّاك عن الحزامي عن أبيه لزيد بن عمرو:

أُسَلِّمْتُ وجهي لمن أُسَلِّمُ له المزن تحمل عَذْباً زُلاًلاً

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثِقَالًا
دَحَاها فَلَمَّا أَسْتَوْتُ شَدَّهَا سَوَاءً وَأَرَسَى عَلَيْهَا الْجِبَالَ

زهير بن جناب وشعره في الكبر :

وأما زهير بن جناب الكلبي فإنه أحد المعمرين، يقال : إنه عُمِرَ مائةً وخمسين سنة وهو - فيما ذكر - أحد الذين شربوا الخمر في الجاهلية حتى قتلتهم ؛ وكان قد بلغ من السن الغاية التي ذكرناها ، فقال ذات يوم : إِنَّ الْحَيَّ ظَاعِنٌ ، فقال عبد الله بن عُليم بن جناب : إِنَّ الْحَيَّ مَقِيمٌ ؛ فقال زهير : إِنَّ الْحَيَّ مَقِيمٌ ؛ فقال عبد الله : إِنَّ الْحَيَّ ظَاعِنٌ ، فقال : مَنْ هَذَا الَّذِي يَخَالِفُنِي مِنْذُ الْيَوْمِ ! قِيلَ : ابْنُ أَخِيكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُليم ؛ فقال : أَوْ مَا هَاهُنَا أَحَدٌ يَنْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ ! قَالُوا : لَا ، فغضب وقال : لَا أُرَانِي قَدْ خُولِفْتُ ، ثُمَّ دَعَا بِالْخَمْرِ فَشَرِبَهَا صَرْفًا بغير مزاج وعلى غير طعام حتى قتلته . وهو الذي يقول في ذم الكبر وطول الحياة :

الموتُ خَيْرٌ للفتى فليَهْلِكَنَّ وبه بَقِيَّةُ
مَنْ أَنْ يُرَى الشَّيْخَ الْبَجَا لَ إِذَا تَهَادَى بِالْعَشِيَّةِ
أَبْنِي إِنْ أَهْلَكَ فَقَدْ أَوْرَثَكُمْ مَجْدًا بَنِيَّةُ
وَتَرَكْتُمْ أَبْنَاءَ سَا دَاتِ زِنَادُكُمْ وَرِيَّةُ
بَلْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نَلْتُهُ إِلَّا التَّحِيَّةُ

(١) الزيادة عن كتاب شعراء النصرانية ج ١ ص ٢٠٧ وقد جاء في القاموس وشرحه مادة علم «وكزبير اسم رجل وهو عُليم بن جناب أخو زهير من بني كلب بن وبرة» .

(٢) البجال : الكبير العظيم ، ونقل صاحب اللسان في مادة بجل عن أبي عمر : أَنَّ الْبَجَالَ : الرَّجُلُ الشَّيْخُ السَّيِّدُ وَاسْتَشْهَدَ لَهُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ .

(٣) مما يطلق عليه التحية الملك والبقاء . قال ابن بري : والمراد هنا البقاء ، لأن زهير بن جناب كان ملكاً في قومه

مدرج الريح وسبب هذه التسمية :

وأما مدرجُ الريح فأسمه عامر بن المجنون الجرمي، وإفنا سمي مدرجَ الريح بشعر
قاله في امرأة كان يزعم أنه يهواها من الجنّ وأنها تسكن الهواء وتترأى له،
وكان محمّلاً؛ وشعره هذا :

صوت

لأَبْنَةِ الْجَنِّيِّ فِي الْجَوِّ طَلَلْ دَارِسُ الْآيَاتِ عَافٍ كَالْحَلَلْ
دَرَسَتْهُ الرِّيحُ مِنْ بَيْنِ صَبَا وَجَنُوبٍ دَرَجَتْ حِينًا وَطَلْ

الغناء فيه لحنين ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن الهشامي وأبن المكّي، وذكر
حبش أنه لمعبد، وذكر عمر بن بانه أنّ لحن حنين من خفيف الثّقل الأوّل
بالبنصر. وأخبار عامر بن المجنون تُذكر في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

سعية بن غريض وشعره وهو محتضر :

وأما سعية بن غريض فقد كان ذُكر خبر جدّه السموءل بن غريض بن
عاديا في موضع غير هذا. وكان سعية بن غريض شاعراً، وهو الذي يقول لما
حضرته الوفاة يرثي نفسه :

صوت

يَا لَيْتَ شَعْرِي حِينَ يُذَكَّرُ صَالِحِي مَاذَا تَوْبُّنِي بِهِ أَنْوَاحِي

أَيْقُلْنَ لَا تَبْعُدْ، فَرَبَّ كَرِيهَةً فَرَجَّتْهَا بِبِشَارَةٍ وَسَمَّاحٍ
وَإِذَا دُعِيَتْ لَصَبَةٍ سَهَّلَتْهَا أَدْعَى بِأَفْلَحٍ تَارَةً وَنَجَاحٍ

غَنَاهُ أَبُو سَرِيحٍ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ عَلَى مَذْهَبِ إِسْحَاقَ مِنْ رَوَايَةِ عَمْرِو -
وَأَسْلَمَ سَعِيَّةٌ وَعُمَيْرٌ طَوِيلًا ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ مَاتَ فِي آخِرِ خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ .

سَعِيَّةُ بْنُ غَرِيضٍ وَمُعَاوِيَةُ .

فَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْغَزِيرِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شُبَةَ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ
أَبْنُ مُعَاوِيَةَ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ :

حَجَّ مُعَاوِيَةُ حِجَّتَيْنِ فِي خِلَافَتِهِ ، وَكَانَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ بَغْلَةً يَحْجُ عَلَيْهَا نِسَاؤُهُ
وَجَوَارِيهِ . قَالَ : فَحَجَّ فِي إِحْدَاهُمَا فَرَأَى شَيْخًا يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ
أَبْيَضَانِ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : سَعِيَّةُ بْنُ غَرِيضٍ ، وَكَانَ مِنَ الْيَهُودِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ
يَدْعُوهُ ، فَأَتَاهُ رَسُولُهُ فَقَالَ : اجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَالَ : أَوْ لَيْسَ قَدْ مَاتَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ ! قِيلَ : فَأَجِبْ مُعَاوِيَةَ ؛ فَأَتَاهُ فَلَمْ يَسَلِّمْ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ ؛ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : مَا
فَعَلْتَ أَرْضَكَ الَّتِي بَنِيَاءُ ؟ قَالَ : يُكْسَى مِنْهَا الْعَارِي وَيُرَدُّ فَضْلُهَا عَلَى الْجَارِ ؛
قَالَ : أَفَتَبِيعُهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : بِكُمْ ؟ قَالَ : بِسِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَلَوْ لَا خَلَّةٌ
أَصَابَتْ الْحَيَّ لَمْ أَبِيعْهَا ؛ قَالَ : لَقَدْ أَغْلَيْتَ ! قَالَ : أَمَّا لَوْ كَانَتْ لِبَعْضِ أَصْحَابِكَ
لَأَخَذْتُهَا بِسِتِّ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ثُمَّ لَمْ تُبَلِّ ! قَالَ : أَجَلْ ، وَإِذْ بَخِلْتَ بِأَرْضِكَ فَأَنْشَدَنِي
شِعْرَ أَبِيكَ يَرْتِي بِهِ نَفْسَهُ ؛ فَقَالَ : قَالَ أَبِي :

(١) وَيُرْوَى « لَمْ تَبَالِ » وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ تَقُولُ : « لَمْ أَبَالِ » وَهُوَ الْأَصْلُ « وَلَمْ أَبَلِ » حُذِفَتْ
مِنْهَا الْيَاءُ تَخْفِيفًا ، وَزُلْزِلَتِ اللَّامُ مِنْزِلَةَ النُّونِ مِنْ يَكُنْ فَسَكُنَتْ لِلْجَازِمِ وَحُذِفَتْ الْأَلْفُ لِلتَّقَاءِ السَّاكِنِينَ .

يا ليت شعري حين أندبُ هالكاً ماذا تؤبّني به أنواحي
أيقنن لا تبعء، فربّ كريمة فرجتها بشجاعةٍ وسماحٍ
ولقد ضربتُ بفضل مالي حقه عند الشتاء وهبة الأرواح
ولقد أخذتُ الحقّ غير مخاصمٍ ولقد رددتُ الحقّ غير مُلاحٍ
واذا دُعيتُ لصعبةٍ سهلتها أدعى بأفْلَحٍ مرةً ونجاحٍ

فقال: أنا كنتُ بهذا الشعر أولى من أبيك؛ قال: كذبتَ ولؤمتَ؛ قال:
أما كذبتُ فنعم، وأما لؤمتُ فلم، قال: لآنك كنتَ مميتَ الحقّ في الجاهلية
وميتَه في الإسلام، أما في الجاهلية فقاتلتَ النبيّ صلى الله عليه وسلم والوحيّ
حتى جعل الله عزّ وجلّ كيدك المردود، وأما في الإسلام فننعتَ ولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم الخلافة، وما أنتَ وهي! وأنتَ طليقٌ! ابن طليق! فقال
معاوية: قد خرف الشيخ فأقيموه، فأخذ بيده فأقيم.

وسعيةُ هذا هو الذي يقول:

صوت

يا دارَ سُغدى بأقصى تَلْعَةٍ النعم
حيّيتِ داراً على الإقواء والقِدم
وما يجزئك إلا الوحشُ ساكنةً
وهامدٌ من رَمادِ القِدرِ والحُتم
عُجناً فما كلّمثنا الدارُ إذ سُئِلتُ
وما بها عن جوابٍ خلتُ من صمم

الشعر لسعية بن غريض، والغناء لابن مُحَرز ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالسبابة في مجرى
البنصر.

(١) أي من الطلقاء وهم الذين حاربوا النبيّ صلى الله عليه وسلم من قريش وآذوه، فلما غلبهم
عام الفتح خطبهم فقال: «يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟» قالوا: خيراً، أخ كريم وابن
أخ كريم، فقال: «أذهبوا فأنتم الطلقاء» (انظر سيرة ابن هشام ص ٨٢١ طبع أوروبا).

(٢) تلعة النعم: موضع بالبادية استشهد له ياقوت بهذا البيت.

أخبار ابن صاحب الوضوء ونسبه

اسمه محمد بن عبد الله ، ويُكنى أبا عبد الله ، مولى بني أمية ، وهو من أهل المدينة ؛ وكان أبوه على مِيضَاة المدينة فسُمِّيَ صاحبَ الوُضوء . وهو قليل الصنعة لم يذكر له إسحاق إلا صوتين كلاهما في خفيف الثقيل الثاني المعروف بالماخوري ، ولا ذكر له غير إسحاق سواهما إلا ما هو مرسوم في الكتاب الباطل المنسوب الى إسحاق فإن له فيه شيئاً كثيراً لا أصل له ، وفي كتاب حبش الصيني . وهو رجل لا يُحْصَل ما يقوله ويرويه .

مدح يونس الكاتب غناه :

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده عن سباط عن يونس الكاتب قال :

غنى ابن صاحب الوضوء في شعر النابغة :

خَطَاطِيفُ حُجْنٍ^١ في جبالٍ متينةٍ تَمُدُّ بها أَيْدٍ اليك نَوَازِعُ

وفي شعر بعض اليهود :

(١) حجن : معوجة ، جمع أحجن وحجناء .

إرفع ضعيفك لا يجر بك ضعفه يوماً فتدركه العواقبُ قد نما

فأجاد فيهما ما شاء وأحسن غاية الإحسان، فقل له : ألا تزيد وتصنع شيئاً آخر؟ فقال : لا والله حتى أرى غيري قد صنعَ مثل ما صنعت وأزيد ، وإلا فحسبي هذا .

غناء في المحراب :

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وإسماعيل ابن يونس الشيعي، قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي - قال ابن عمار في خبره : وكان يُسمَّى المبارك - قال حدثنا أبو مسلمة المصبحي قال :

قدم علينا أسودُ من أهل الكوفة فغنى :

إرفع ضعيفك لا يجر بك ضعفه يوماً فتدركه العواقبُ قد نما

قال : فررت بعبد الله بن عامر الأسلمي، وكان يؤمنا وهو قائم يُصلي الظهر، فقلت له : قدم علينا أسودُ من الكوفة يُغني كذا وكذا فأجاده ؛ فأشار إليّ بيده أن أجلس ؛ فلما قضى صلاته قال : أخذته عنه ؟ قلت : نعم ؛ قال : فأمره عليّ ، ففعلتُ ؛ قال : فلما كان بالليل صلى بنا فأدّاه في المحراب .

صوت

من المائة المختارة التي رواها علي بن يحيى

يا ليلتي تزدادُ نُسكرًا من حُبٍ من أحببتُ بكرًا

حوراء إن نظرتُ إليك سقتك بالعينين خمرًا

الشعر لبشار ، والغناء في اللحن المختار ليزيد حوراء رمل بالبنصر عن عمرو
ويحيى المكي وإسحاق . وفيه لسياط خفيف رمل بالبنصر عن عمرو وإبراهيم
الموصلي .

أخبار بشار بن برد ونسبه

كنيته وطبقته في الشعراء :

هو، فيما ذكره الحسن بن عليّ عن محمد بن القاسم بن مَهْرويه عن غيلان الشعويّ،
بَشَّار بن بُرْد بن يَرْجُوخ بن أزد كرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فَيروز بن
كرديه بن ماهفيدان بن دادان بن بهمن بن أزد كرد بن حسيّس بن مهران بن خسروان
أبن أخشين بن شهر داد بن نبوذ بن ما خرشيدا غاذ بن شهريار بن بنداد سيحان بن
مكرر بن أدريوس بن يستاسب بن هراسف . قال : وكان يَرْجُوخ من طُخارستان
من سَنِي المَهْلَب بن أَبِي صُفْرَةَ . وَيُكْنَى بَشَّارُ أبا مُعَاذ . ومَحَلُّهُ في الشعر وتَقْدُمُهُ
طبقات المُحدثين فيه بإجماع الرُّوَاة ورياسته عليهم من غير اختلاف في ذلك يغني عن
وصفه وإطالة ذكر محله . وهو من مُحَضَّرَمِيّ شعراء الدولتين العبَّاسية والأموية ، قد
شُهِرَ فيهما ومَدَحَ وهَجَا وأخذ سَنِيّ الجواثِر مع الشعراء .

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم قال قال حميد بن سعيد :

(١) قال ابن خلكان في ترجمته لبشار : « ذكر له أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني ستة وعشرين
جداً أسماؤهم أعجمية ، فأضربت عن ذكرها لطولها واستعجامها ، وربما يقع فيها التصحيف والتحريف
فانه لم يضبط شيئاً منها ، فلا حاجة الى الإطالة فيها بلا فائدة » . وقد حاولنا وجه الصواب في هذه
الأسماء وضبطها فلم نوفق ، فأثبتناها هنا كما وردت في الأغاني طبعة بولاق ونسخة ط وذلك لاختلافها
واضطرابها في الأصول التي بين أيدينا والإطالة فيها بلا فائدة كما قال ابن خلكان .

(٢) ضبطها ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان في ترجمته لبشار ج ١ ص ١٢٥ بضم الطاء وضم
الراء وضبطها ياقوت بفتح الطاء .

كان بشار من شعب ادريوس بن يستاسب الملك بن هراسف الملك . قال :
وهو بشار بن برد بن بهمن بن أزدكرد بن بهمن بن دارا بن فيروز . قال : وكان
يكنى أبا معاذ .

ولاؤه لبني عقيل :

وأخبرني يحيى بن عليّ ومحمد بن عمران الصيرفيّ وغيرهما عن الحسن بن عليل
الغزيّ عن خالد بن يزيد بن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه قال :

كان بشار بن برد بن يرجوخ وأبوه بردّ من قنّ خيرة القشيرية امرأة
المهلب بن أبي صفرة ، وكان مقيماً لها في ضيعتها بالبصرة المعروفة « بخيرتان »
مع عبيد لها وإماء ، فوهبت برداً بعد أن زوجته لأمراة من بني عقيل كانت
متصلة بها ، فولدت له امرأته وهو في ملكها بشاراً فأعتقته العقيلية .

وأخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه
قال : كان بردّ أبو بشار مولى أمّ الطّباء العقيلية السّدوسية ، فادّعى بشار أنه
مولى بني عقيل لتزوله فيهم .

وأخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدثنا الغزيّ قال حدثني رجل من
ولد بشار يقال له حمدان كان قصّاراً بالبصرة ، قال : ولاؤنا لبني عقيل ؛ فقلت :
لأيهم ؟ فقال : لبني ربيعة بن عقيل .

وأخبرني وكيع قال حدثني سليمان المدنيّ قال قال أحمد بن معاوية الباهليّ :

(١) قال ياقوت عند الكلام على خطط البصرة وقرها : خيرتان منسوب الى خيرة بنت ضمرة
امرأة المهلب بن أبي صفرة . قال : ومن اصطلاح أهل البصرة أن يزيدوا في الاسم الذي تنسب اليه
القرية ألفاً ونوناً : نحو قولهم : طلحتان : نهر ينسب الى طلحة بن أبي رافع (انظر ياقوت في اسم
البصرة) .

(٢) القصار : محوّر الثياب أي مبيضها .

كان بشارٌ وأُمُّه لرجل من الأزد، فتزوج امرأة من بني عُقيل، فساق إليها بشاراً وأُمُّه في صداقتها، وكان بشارٌ ولدَ مكفوفاً فأعتقته العقيلية.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا قعنب بن الحارث الباهلي قال حدثني محمد بن الحجاج قال :

باعت أمُّ بشارٍ بشاراً على أمِّ الأطباء السدوسية بدينارين فأعتقته . وأمُّ الأطباء امرأة أوس بن ثعلبة أحد بني تميم اللات بن ثعلبة ، وهو صاحب قصر أوس بالبصرة ؛ وكان أوسٌ أحد فرسان بكر بن وائل الجُراسان .

ابوه طيان :

أخبرني الحسن بن علي الحفاف قال حدثنا العنزي قال حدثنا محمد بن زيد العجلي قال أخبرني بدر بن مزاحم :

أنَّ بُرداً أبا بشار كان طيئناً يضرب اللين ، وأراني أبي يبتين لنا فقال لي : لين هذين البيتين من ضرب بُردٍ أبي بشار . فسمع هذه الحكاية حماد عجرد فهجاه فقال :

يَا بْنَ بُرْدٍ إِخْسَأْ إِلَيْكَ فَتِلُ الْكَلْبِ فِي النَّاسِ أَنْتَ لَا الْإِنْسَانَ
بَلْ لَعَمْرِي لَأَنْتَ شَرُّ مِنَ الْكَلْبِ وَأَوْلَى مِنْهُ بِكُلِّ هَوَانٍ
وَأَرِيحُ الْخَزِيرَ أَهَوْنُ مِنْ رِيحِكَ يَا بْنَ الطَّيَّانِ ذِي الثُّبَانِ

أخبرني يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني عن أبي الصلت البصري عن أبي عدنان قال حدثني يحيى بن الجون العبدي راوية بشار قال :

قال : لما دخلتُ على المهدي قال لي : فيمن تعتدُّ يا بشار ؟ فقلتُ : أمّا

اللِّسان والزَّيُّ فَعَرِيَّانَ ، وَأَمَّا الْأَصْلُ فَعَجْمِيَّ ، كَمَا قَلْتُ فِي شَعْرِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ :

وُنَبِّئْتُ قَوْمًا بِهِمْ جَنَّةٌ يَقُولُونَ مَنْ ذَا وَكُنْتُ الْعَلَمُ
أَلَا أَيُّهَا السَّائِلِي جَاهِدًا لِيَعْرِفْنِي أَنَا أَنْفُ الْكَرَمِ
نَمَتُ فِي الْكَرَامِ بَنِي عَامِرٍ فُرُوعِي وَأَصْلِي قَرِيشُ الْعَجَمِ
فَإِنِّي لَا أُغْنِي مَقَامَ الْفَتَى وَأُصِي الْقَتَاةَ فَمَا تَعْتَصِمُ

قال : وكان أبو دُلَامَةَ حاضراً فقال : كَلَّا ! لَوْجُهِكَ أَقْبَحُ مِنْ ذَلِكَ وَوَجْهِي
مَعَ وَجْهِكَ ؛ فَقُلْتُ : كَلَّا ! وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَصْدَقَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَكْذَبَ عَلَى
جَلِيسِهِ مِنْكَ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَطَوِيلُ الْقَامَةِ عَظِيمُ الْهَامَةِ تَامَ الْأُلُوحِ أَسْجَحُ الْخَدَّيْنِ ،
وَلَرُبَّ مُسْتَرْخِي الْمَذْرُوعِينَ لِلْعَيْنِ فِيهِ مَرَادٌ قَدْ جَلَسَ مِنَ الْقَتَاةِ حَجْرَةً^١ وَجَلَسْتُ مِنْهَا
حَيْثُ أُرِيدُ ، فَأَنْتَ مِثْلِي يَا مَرَضِعَانُ^٢ ! قال : فَسَكَتَ عَنِّي . ثُمَّ قَالَ لِي الْمَهْدِيُّ :
فَمِنْ أَيِّ الْعَجَمِ أَصْلُكَ ؟ فَقُلْتُ : مِنْ أَكْثَرِهَا فِي الْفَرَسَانِ ، وَأَشَدِّهَا عَلَى الْأَقْرَانِ ،
أَهْلُ طَخَارُوسْتَانَ ؛ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : أُولَئِكَ الصُّغْدُ ؛ فَقُلْتُ : لَا ، الصُّغْدُ تِجَارُ^٣ ؛
فَلَمْ يَرُدُّ ذَلِكَ الْمَهْدِيُّ .

وكان بَشَّارٌ كَثِيرُ التَّلَوْنِ فِي وَلَائِهِ ، شَدِيدُ الشَّغْبِ وَالتَّعَصُّبِ لِلْعَجَمِ ، مَرَّةً
يَقُولُ يَفْتَخِرُ بَوْلَائِهِ فِي قَيْسٍ :

أَمِنْتُ مَضْرَّةَ الْفُحْشَاءِ^٤ أَنِي أَرَى قَيْسًا تَضُرُّ وَلَا تَضَارُ
كَأَنَّ النَّاسَ حِينَ تَغِيبُ عَنْهُمْ نَبَاتُ الْأَرْضِ أَخْطَأَهُ الْقَطَارُ^٥

(١) يقال : سَجَحَ الْخَدَّ : سَهَلَ وَلَانَ .

(٢) الْمَذْرُوعَانِ : طَرَفَا الْأَلْيَتَيْنِ أَوْ طَرَفَا كُلِّ شَيْءٍ ، وَلَعَلَّهُ يَرِيدُ أَنَّهُ بَضْ سَمِينٍ يَجْذِبُ النَّظَرَ إِلَيْهِ .

(٣) حَجْرَةٌ : نَاحِيَةٌ .

(٤) الْمَرَضِعَانِ : اللَّثِيمُ ، مِنَ الرِّضَاعَةِ وَهِيَ اللَّؤْمُ .

(٥) الْفُحْشَاءُ : جَمْعُ فَاحِشٍ كَجَاهِلٍ وَجُهْلَاءَ . وَالفاحش : السَّيِّئُ الْخَلْقِ .

(٦) الْقَطَارُ : جَمْعُ قَطَرٍ وَهُوَ الْمَطَرُ .

وقد كانت بتدُمَر خيل قيسٍ فكان لتدُمَر فيها دَمارُ
بجيٍّ من بني عيلانٍ شوسٍ^(١) يسيرُ الموتُ حيثُ يقال ساروا
وما نلقاهمُ إلا صَدَرنا بريٍّ منهمُ ومهمُ حرارٍ^(٢)

ومرّةً يتبرأ من ولاء العرب فيقول :

أصبحت مولى ذي الجلالِ وبعضهم مولى العريب خذ بفضلِكَ فافخرِ
مولاك أكرمُ من تميمٍ كلِّها أهلُ الفَعَالِ^(٣) ومن قُرَيْشِ المَشْعَرِ
فارجعْ إلى مولاك غير مُدافع سبحانَ مولاك الأجلِّ الأكبرِ

وقال يفتخر بولاء بني عُقيل :

إنني من بني عُقيل بنِ كعبٍ موضعَ السيفِ من طليّ الأعناقِ^(٤)

يلقب بالمرعث :

ويكنى بشارَ أبا مُعاذٍ، ويُلقَّبُ بالمرعث .

أخبرني عمي ويحيى بن عليّ قالا حدثنا أبو أيوب المدينيّ قال حدّثني محمد بن سلام قال : بشارُ المرعث هو بشارُ بن بُردٍ، وإنما سُمِّيَ المرعث بقوله :

قال ريمٌ مُرعثٌ ساحرُ الطَّرفِ والنَّظَرِ
لستَ والله نائي قلتُ أوْ يغلبُ القَدَرُ

(١) شوس : جمع أشوس وهو الذي ينظر بمؤخر عينيه .

(٢) حرار : جمع حرّان وهو الشديد العطش .

(٣) الفَعَال (بالفتح) : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .

(٤) الطليّ : أصول الأعناق ؛ واحداً طلية أو طلاة .

(٥) أو : هنا بمعنى بل .

أَنْتَ إِنْ رُمْتَ وَصَلْنَا فَانْجُ، هَلْ تُدْرِكُ الْقَمَرَ

قال أبو أيوب : وقال لنا ابن سلام مرةً أخرى : إنما سُمِّيَ بِشَارَ المرَّث ، لأنه كان لقميصه جيبان : جيبٌ عن يمينه وجيبٌ عن شماله ، فإذا أراد لبسه ضَمَّه عليه من غير أن يُدخل رأسه فيه ، وإذا أراد نزعه حلَّ ازرارده وخرج منه ، فشَبَّهَتْ تلك الجيوب بالرعَث لاسترسالها وتدلِّيها ، وسُمِّيَ من أجلها المرَّث .

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدثنا عليّ بن مهديّ قال حدثني أبو حاتم قال قال لي أبو عبيدة :

لُقِّبَ بِشَارُ بالمرَّث لأنه كان في أذنه وهو صغير رعَثٌ . والرعَث : القرطة ، واحدتها رَعَثَةٌ وجمعها رِعَاثٌ ، ورعَثاتٌ . ورعَثاتُ الديك : اللحم المتدلي تحت حنكه ؛ قال الشاعر :

سَقَيْتُ أَبَا الْمَصْرَعِ إِذْ أَتَانِي وَذُو الرِّعَاثِ مُنْتَصِبٌ يَصِيحُ
شَرَاباً يَهْرَبُ الذِّبَانُ مِنْهُ وَيَلْتَعُ حِينَ يَشْرِبُهُ الْفَصِيحُ

قال : والرعَثُ : الاسترسال والتساقط . فكأنَّ أَسْمَ القرطةِ أَشْتُقُّ منه .

أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العنزيّ قال حدثنا محمد بن بدر العجليّ قال : سمعتُ الأصمعيّ يذكر أنَّ بِشَاراً كان من أشدَّ الناس تبرُّماً بالناس ، وكان يقول : الحمد لله الذي ذهب ببصري ؛ فقليل له : ولمَّ يا أبا مُعَاذٍ ؟ قال : لئلا أرى مَنْ أُبْغِضُ . وكان يلبس قميصاً له لِبَتَتَانُ ، فإذا أراد أن ينزعه نزعه من أسفله ، فبذلك سُمِّيَ المرَّث .

صفاته :

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخراعي قال حدثنا قعنب بن مُحَرِّز عن الأصمعي قال :

كان بشار ضخماً ، عظيم الخلق والوجه ، مجدوراً ، طويلاً ، جاحظاً المقلتين قد تغشاهما لحم أحمر ، فكان أقبح الناس عَمًى وأفظعه منظرأً ، وكان إذا أراد أن ينشد صقق يديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله ثم ينشد فيأتي بالعجب .

أخبرنا يحيى بن علي عن أبي أيوب المديني عن محمد بن سلام قال :

وُلِدَ بشار أعمى ، وهو الأكمه . وقال في تصدق ذلك أبو هشام الباهلي يهجوهُ :

وعبدي فقام عينيك في الرَّحْمِ أيرهُ جئت ولم تعلم لعينيك فاقياً
أأمك يا بشارُ كانت عفيفة؟ علي إذا مشي الى البيت حافياً

قال : ولم يزل بشار منذ قال فيه هذين البيتين منكسراً .

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال :

وُلِدَ بشار أعمى فما نظر الى الدنيا قط ، وكان يُشَبِّه الأشياء بعضها ببعض في شعره فيأتي بما لا يقدر البصراء أن يأتوا بمثله ؛ فقليل له يوماً وقد أنشد قوله :

كان مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبهُ

(١) كذا في الاصل بإفراد الضمير . وهو استعمال عربي فصيح ، يقال : أحسن الناس خلقاً وأحسنه وجهاً ، والمراد أحسنهم ، وهو كثير من أفصح الكلام . انظر اللسان مادة « حنة » .

(٢) فقام : قلع ، والأصل فيه الهمز فسهل .

ما قال أحدٌ احسن من هذا التشبيه ، فمن اين لك هذا ولم تر الدنيا قطّ ولا شيئاً فيها ؟ فقال : إن عدم النظر يُقوّي ذكاء القلب ويقطعُ عنه الشغل بما يُنظرُ اليه من الأشياء فيتوقّر حسه وتذكو قريحته ؛ ثم أنشدهم قوله :

عميتُ جنيناً والذكاء من العمى خُجْتُ عَجيبَ الظنِّ للعلم مَوئِلاً
وغازَ ضياءَ العين للعلم رافداً لقلب اذا ما ضيّع الناسُ حصّلاً
وشرعِ كنورِ الروض لامتُ بينه بقول اذا ما أحزن الشعرُ أسهلاً

أخبرنا هاشم قال حدثنا العنزيّ عن قَعْنَب بن مُحَرِّز عن أبي عبد الله الشراذنيّ قال : كان بشارٌ أعمى طويلاً ضخماً آدمَ مجدورا .

وأخبرني يحيى بن عليّ عن أبي أيوب المدينيّ قال قال الحرانيّ قالت لي عمّي : زرتُ قرابةً لي في بني عُقيل فاذا أنا بشيخ أعمى ضخّم يُنشد :

من المفتون بشارِ بن بُردٍ الى شَيانَ كهْلِهِمْ ومُردٍ
بأنّ فتاتكم سلّبت فؤادي فنِصْفٌ عندها والنصفُ عندي
فسألت عنه فقليل لي : هذا بشار .

أخبرني محمد بن يحيى الصيرفيّ قال حدثنا العنزيّ قال حدثنا أبو زيد قال سمعت أبا محمد التّوّزيّ يقول : قال بشار : أزرى بشعري الأذان . يقول : إنه إسلامي .

وأخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال حدثنا عمر بن شُبّة قال قال أبو عبيدة : قال بشار الشعر ولم يبلغ عشرَ سنين ، ثم بلغ الحُلُم وهو مُحَشِيٌّ مَعَرّة لسانه .

هجاؤه جريراً :

قال : وكان بشار يقول : هجوتُ جريراً فأعرض عني وأستصغرنني ، ولو أجابني لكنتُ أشعر الناس .

واخبرنا يحيى بن علي بن يحيى واحمد بن عبد العزيز الجوهري قالوا حدثنا عمر
ابن شبة قال :

كان الأصمعي يقول : بشارٌ خاتمة الشعراء ، والله لولا أن أيامه تأخرت
لفضّلته على كثير منهم .

قال ابو زيد : كان راجزاً مقصداً .

حسه النقدي :

اخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا محمد بن صالح بن النطّاح قال حدثني
أبو عبيدة : قال سمعتُ بشاراً يقول وقد أنشد في شعر الأعشى :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصّلعا

فأنكره ، وقال : هذا بيت مصنوع ما يُشبه كلام الأعشى ؛ فعجبت لذلك .
فلما كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالسا عند يونس ، فقال : حدثني ابو عمرو بن
العلاء أنه صنع هذا البيت وأدخله في شعر الأعشى :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصّلعا

فجعلت حينئذٍ أزداد عجباً من فطنة بشار وصحة قريحته وجودة نقده للشعر .

اكثاره :

اخبرني عمي قال حدثني الكُراني قال حدثني أبو حاتم عن ابي عبيدة قال :

قال بشار : لي اثنا عشر ألف بيت عَيْن ؛ فقليل له : هذا ما لم يكن يدعيه

أحدُ قطُّ سواك ؛ فقال : لي اثنتا عشرة ألف قصيدة ، لعنَها الله ولعن قائلها إن لم يكن في كل واحدةٍ منها بيتٌ عني .

واخبرنا يحيى بن عليّ قال حدثنا عليّ بن مهديّ عن أبي حاتم قال :

موازنة بينه وبين مروان :

قلتُ لأبي عُبَيْدة : أَمَرُوانُ عندك أشعرُ أم بشارُ ؟ فقال : حَكَمَ بشارُ لنفسه بالأستظهار انه قال ثلاثةَ عشر ألف بيتٍ جيّدٍ ، ولا يكون عددُ الجيّد من شعر شعراء الجاهلية والإسلام هذا العدد ، وما أحسبهم برّزوا في مثلها ، ومروانُ أمدحُ للملوك .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثنا الأصمعيّ قال : قال بشارُ الشعر وله عشرُ سنين ، فما بلغ الحُلُمَ إلا وهو مخشيٌ مَعَرَّةَ اللسان بالبصرة . قال : وكان يقول : هَجوتُ جريراً فأستصغرنِي وأعرض عني ، ولو أجابني لكنتُ أشعرَ أهلِ زمانِي .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدثنا أبو العواذِلِ زكريا بن هارون قال :

قال بشارُ : لي اثنا عشرَ ألفَ بيتٍ جيّدٍ ؛ فقيّل له : كيف ؟ قال : لي اثنتا عشرةَ ألفَ قصيدةٍ ، أمّا في كلِّ قصيدةٍ منها بيتٌ جيّدٌ ! .

كلام الجاحظ عنه :

وقال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين وقد ذكره : كان بشارُ شاعراً خطيباً

صاحب منشورٍ ومزدوجٍ^١ وسجعٍ ورسائلٍ، وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع المقتنين في الشعر القائلين في أكثر أجناسه وضروبه؛ قال الشعر في حياة جرير وتعرض له، وحكي عنه انه قال: هجوت جريراً فأعرض عني، ولو هاجاني لكنت أشعر الناس.

قوله بالرجعة:

قال الجاحظ: وكان بشار يدين بالرجعة^٢، ويكفر جميع الأمة، ويصوب رأي إبليس في تقديم النار على الطين، وذكر ذلك في شعره فقال:

الأرض مظلمة والنار مشرقة^٣ والنار معبودة مذ كانت النار

قال: وبلغه عن أبي حذيفة واصل بن عطاء إنكار لقوله وهتف به، فقال

يهجوه:

ما لي أشايع غرّاً^٤ له عنق^٥ كنفق^٦ الدوّ^٧ إن ولي وإن مثلاً
عنق الزرافة ما بالي وبالكم^٨ تكفرون رجالاً كفروا رجالاً!

قال: فلما تتابع على واصل منه ما يشهد على إلحاده خطب به واصل،

(١) المزدوج: ما أشبه بعضه بعضاً في السجع أو الوزن.

(٢) الرجعة: الإيمان بالرجوع بعد الموت إلى الدنيا وهو مذهب قوم من العرب في الجاهلية، ومذهب طائفة من أولي البدع والاهواء من المسلمين يقولون إن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حياً.

(٣) عرف واصل بن عطاء بالغزال لكثرة جلوسه في سوق الغزالين إلى أبي عبد الله مولى قطن الهلالي.

(٤) النفق: الظلم وهو ذكر النعام. والدوّ: الفلاة.

(٥) وفي رواية «أتكفرون رجالاً أكفروا» بالهمزة في الفعلين، وكفره بالتضعيف، وأكفره بالهمز: نسبه للكفر.

وكان أُلْتَفِحَ على الرءاء فكان يجتنبها في كلامه ، فقال : أما لهذا الأعمى المُلْجِد ،
أما لهذا المُشَنَّف المَكْنِيَّ بأبي مُعَاذ من يقتله ؟ أَمَا والله لولا أن الغيلة سَجِيَّةٌ من
سَجَايا الغالية لَدَسَسْتُ اليه من يَبْعَج بطنه في جوف منزله أو في حَفْله^١ ، ثم كان
لا يتوَلَّى ذلك إِلَّا عُقْبِيَّ^٢ أو سَدُوسِي^٣ ! فقال أبا مُعَاذٍ ولم يقل بشار ، وقال المُشَنَّف
ولم يقل المُرْعَث ، وقال : من سَجَايا الغالية ولم يقل الرافضة ، وقال : في منزله ولم
يقُل في داره ، وقال : يبيع بطنه ولم يقل يَبْقُر ، لِلثَّغَةِ التي كان به في الرءاء .

قال : وكان واصلٌ قد بَلَغَ من اقتداره على الكلام وتمكُّنه من العبارة أن
حَذَفَ الرءاء من جميع كلامه وخطبه وجعل مكانها ما يقوم مقامها .

بشار والكلام «اللاهوت» :

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدثني ابي عن عافية بن شبيب قال حدثني ابو سُهَيْل
قال حدثني سعيد بن سَلَام قال :

كان بالبصرة ستة من اصحاب الكلام : عمرو بن عُبيد ، وواصل بن عطاء ،
وبَشَّار الأعمى ، وصالح بن عبد القدُّوس ، وعبد الكريم بن أبي العوجاء ، ورجل
من الأزدي - قال ابو أحمد : يعني جرير بن حازم - فكانوا يجتمعون في منزل
الأزديّ ويختصمون عنده . فأما عمرو وواصل فصارا الى الاعتزال . وأما عبد
الكريم وصالح فصَحَّحا التوبة . وأما بشار فبقي متَحَيِّراً خَلِطاً . وأما الأزديّ فقال
الى قول السَّمْنِيَّة^٤ ، وهو مذهب من مذاهب الهند ، وبقي ظاهره على ما كان عليه .

(١) الحفل : الجمع من الناس .

(٢) في جميع الأصول : «فقال أبو معاذ ولم يقل بشار» ولا وجه لرفع أبي معاذ وبشار هنا ، لأن
القول ينصب المفرد اذا لم يكن في إسناد .

(٣) السمنية (بضم السين وفتح الميم) : قوم من أهل الهند دهريون . وقال الجوهري : السمنية :
فرقة من عبدة الاصنام تقول بالتناسخ وتكرر وقوع العلم بالاخبار ، وهي نسبة الى «سومنت» بلد
بالهند . والدهريون : هم الذين ذهبوا الى قدم الدهر وإسناد الحوادث اليه ، وهم قوم ملحدون لا
يؤمنون بالآخرة .

قال : فكان عبد الكريم يُفسد الأحداث ؛ فقال له عمرو بن عُبيد : قد بلغني أنك تخلو بالحدث من أحداثنا فتُفسده وتستزله^(١) وتُدخله في دينك ، فإن خرجت من مصرنا وإلا قتُ فيك مقاماً آتي فيه على نفسك ؛ فليحق بالكوفة ، فدلّ عليه محمد بن سليمان فقتله وصلبه بها . وله يقول بشار :

قلْ لعبد الكريم يابن أبي العوّ جاء بعث الإسلام بالكفر موقاً^(٢)
لا تصلي ولا تصوم فإن صُنّت فبعض النهار صوماً رقيقاً
لا تبالي إذا أصبت من الحر عتيقاً ألا تكون عتيقاً
ليت شعري غداة حُلّيت في الجيد حنيفاً حُلّيت أم زنديقاً
أنت ممن يدور في لعنة الله صديق لمن ينيك الصديقاً

رأي الأصمعي فيه :

اخبرني هاشم بن محمد قال حدثني الرياشي قال : سئل الأصمعي عن بشار ومروان أيهما أشعر ؟ فقال : بشار ؛ فسئل عن السبب في ذلك ، فقال : لأن مروان سلك طريقاً كثر من يسلكه فلم يلحق من تقدمه ، وشركه فيه من كان في عصره ، وبشار سلك طريقاً لم يسلك وأحسن فيه وتفرّد به ، وهو أكثر تصرفاً وفنوناً شعرياً وأغزراً وأوسعُ بديعاً ، ومروان لم يتجاوز مذاهب الأوائل .

اخبرني هاشم بن محمد قال حدثني العنزي عن أبي حاتم قال سمعت الأصمعي وقد عاد الى البصرة من بغداد فسأله رجل عن مروان بن أبي حفصة ، فقال : وجد اهل بغداد قد ختموا به الشعراء وبشار أحق بأن يَختموا به من مروان ؛ فقليل له : ولم ؟ فقال : وكيف لا يكون كذلك وما كان مروان في حياة بشار يقول شعراً حتى يصلحه له بشار ويُقوّمه ! وهذا سلم الخاسر من طبقة مروان

(١) تستزله : توقعه في الزلل .

(٢) موقاً : حقاً وغباًوة .

يزاحمه بين ايدي الخلفاء بالشعر ويساويه في الجوائز، وسلم مُعترف بأنه تبع لبشار.

مقارنته بامرئ القيس والقطامي :

اخبرني جَحْظَةُ قال سمعتُ عليّ بن يحيى المنجم يقول : سمعتُ مَنْ لا أُحْصي
من الرواة يقولون : أحسن الناس ابتداءً في الجاهلية أمرؤ القيس حيث يقول :

ألا أنعم صباحاً أيها الطلل البالي

وحيث يقول :

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ

وفي الإسلام القطاميّ حيث يقول :

إنا مُحْيُوكَ فأسلم أيها الطللُ

ومن المحدثين بشار حيث يقول :

صوت

أبي طَلَلٌ بِالْجَزْعِ ان يَتَكَلَّمَا وماذا عليه لو أجاب مُتَيّا
وبالفرع آثارٌ بقين وباللوى مَلَاعِبُ لا يُعْرِفَنَّ إِلَّا تَوَهُمَا

(١) الفرع بالفتح ثم السكون : موضع من وراء الفك . والفرع بالضم والسكون : قرية بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة . فيها نخل ومياه كثيرة ، ومنهم من ضبط اسم هذه القرية بضم أوله وثانيه . وفي رواية «وبالقاع» ، والقاع : منزل بطريق مكة بعد العقبة ، وفي أخرى «وبالجزع» .

(٢) اللوى في الاصل : منقطع الرملة ، وهو اسم موضع بعينه . قال ياقوت : «قد أكثر الشعراء من ذكره وخطت بين ذلك اللوى والرمل فعزّ الفصل بينهما» ثم قال : «وهو وادٍ من أودية بني سليم» .

وفي هذين البيتين لأبن المكي ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى من كتابه . وفيهما لأبن جوذرة رمل .

أخبرني عمي عن الكُرانيّ عن أبي حاتم قال :

كان الأصمعيّ يُعجبُ بشعر بشار لكثرة فنونه وسعة تصرفه ، ويقول : كان مطبوعاً لا يُكلف طبعه شيئاً متعذراً لا كمن يقول البيت ويحككه أياماً . وكان يُشبه بشاراً بالأعشى والنابعة الذُبيانيّ ، ويشبه مروان بزُهير والحطيئة ، ويقول : هو متكلف .

قال الكُرانيّ : قال أبو حاتم : وقلت لأبي زيد : أيما أشعر بشار أم مروان ؟ فقال : بشار أشعر ، ومروان أكفر .

قال أبو حاتم : وسألت أبا زيد مرة أخرى عنها فقال : مروان أجد وبشار أهزل ؛ فحدثت الأصمعيّ بذلك ؛ فقال : بشار يصلح للجد والهزل ، ومروان لا يصلح إلا لأحدهما .

شعره سيار :

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدثنا عليّ بن مهديّ قال حدثنا نجم بن النطّاح قال :

عهدي بالبصرة وليس فيها غزل ولا غزلة إلا يروي من شعر بشار ، ولا نائحة ولا مغنية إلا تتكسّب به ، ولا ذو شرف إلا وهو يهابه ويخاف معرفة لسانه .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أحمد بن المبارك قال حدثني أبي قال :

قلت لبشار : ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلا وقد قال فيه شيئاً استنكرته

العرب من ألفاظهم وشكّ فيه ، وإنه ليس في شعرك ما يُشكّ فيه ؛ قال : ومن
أين يأتيني الخطأ ! ولدت هاهنا ونشأت في حُجور ثمانين شيخاً من فصحاء بني
عُقيل ما فيهم أحدٌ يعرف كلمة من الخطأ ، وإن دخلتُ الى نسائهم فנסأؤهم أفصحُ
منهم ، وأيفعتُ فأبديتُ الى ان ادركتُ ، فمن أين يأتيني الخطأ ! .

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي واحمد بن عبد العزيز ويحيى بن عليّ قالوا حدثنا
عمر بن سبّة قال :

كان الأصمعيّ يقول : إنّ بشاراً خاتمةُ الشعراء ، والله لولا أنّ أيامه تأخّرتُ
لفضّلته على كثير منهم .

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني ابو الفضل المروزيّ قال حدّثني قنعب بن
الحُمرز الباهليّ قال قال الأصمعيّ :

لَقِيَ أَبُو عمرو بن العلاء بعض الرواة فقال له : يا أبا عمرو ، مَنْ أْبَدَعُ الناسُ
بيتاً ؟ قال : الذي يقول :

لَمْ يَطُلْ لِيْ وَلَكِنْ لَمْ أَنْمِ وَنَفَى عَنِّي الْكَرَى طَيْفُ الْمِ
رَوْحِي عَنِّي قَلِيلاً وَأَعْلَمِي أَنَّنِي يَا عَبْدَ مَنْ لَحْمٍ وَدَمٍ

قال : فمن أمدحُ الناس ؟ قال : الذي يقول :

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغَنَى وَلَمْ أَدْر أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْذِي
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذَوُو الْغَنَى أَفَدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَتَلَفْتُ مَا عِنْدِي

قال : فمن أهجى الناس ؟ قال : الذي يقول :

(١) يفع الغلام وأيفع إذا راهق البلوغ فهو يافع ولا يقال : موفع .

(٢) أبديت (بالبناء للمفعول) : أخرجت الى البادية .

رَأَيْتُ السَّهْلَيْنِ أَسْتَوَى الْجُودُ فِيهِمَا عَلَى بُعْدِ ذَا مِنْ ذَاكَ فِي حُكْمِ حَاكِمِ
سُهَيْلُ بْنُ عَثَانَ يَجُودُ بِمَالِهِ كَمَا جَادَ بِالْوَجْعَاءِ سُهَيْلُ بْنُ سَالِمِ
قال : وهذه الأبيات كلها لبشار .

نسبة ما في هذا الخبر من الأشعار التي يُغْنَى فيها

صوت

لَمْ يَطْلُ لِيْلِي وَلَكِنْ لَمْ أَنْمِ وَنَنِي عَنِّي الْكَرَى طَيْفُ الْمِ
وَإِذَا قُلْتُ لَهَا جُودِي لَنَا خَرَجْتُ بِالصَّمْتِ عَنْ لَا وَنَعَمْ
نَفْسِي يَا عَبْدَ عَنِّي وَأَعْلَمِي أَنَّنِي يَا عَبْدَ مَنْ لَحْمٍ وَدَمٍ
إِنَّ فِي بُرْدِي جَسَماً نَاحِلاً لَوْ تَوَكَّاتٍ عَلَيْهِ لَأَنْهَدَمَ
خَتَمُ الْحَبِّ لَهَا فِي عُنْتِي مَوْضِعَ الْخَاتَمِ مِنْ أَهْلِ الدِّمَمِ

غناه إبراهيم هزجاً بالسَّبَّابة في مجرى الوُسْطَى عن ابن المكي والهشامي .
وفيه لقَعْنَبُ الْأَسُودُ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ . فأما الأبيات التي ذكر أبو عمرو أنه فيها
أَمَدَحُ النَّاسِ وَأَوَّلُهَا :

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغَنَى

فإنه ذكر أنها لبشار . وذكر الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ أَنَّهَا لَأَبْنِ الْخَيْطِ فِي الْمَهْدِيِّ ،
وذكر له فيها معه خبراً طويلاً قد ذكرته في أخبار ابن الخياط في هذا الكتاب .

هجاؤه :

أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مَهْدِيٍّ الْكِسْرَوِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو
حَاتِمٍ قَالَ :

كان بشارٌ كثيرُ الولوعِ بديسمِ العنزيِّ وكان صديقاً له وهو مع ذلك يُكثرُ هجاءه ، وكان ديسمٌ لا يزال يحفظ شيئاً من شعر حمادٍ وأبي هشام الباهليِّ في بشارٍ ؛ فبلغه ذلك فقال فيه :

أديسمُ يابنَ الذئبِ من نجلِ زارعٍ أتروي هجائي سادراً غيرَ مُقصر

قال أبو حاتم : فأُشِدْتُ أبا زيد هذا البيتَ وسألتُهُ ما يقولُ فيه ، فقال لمن هذا الشعرُ ؟ فقلتُ : لبشار يقولُه في ديسمِ العنزيِّ ؛ فقال : قاتله الله ما أعلمُه بكلامِ العربِ ! ثم قال : الديسمُ : ولد الذئبِ من الكلبةِ ، ويقال الكلاب : أولاد زارعٍ . والعسبارُ : ولد الضبعِ من الذئبِ . والسمعُ : ولد الذئبِ من الضبعِ . وترعمُ العربُ أن السمعَ لا يموتُ حتفَ أنفه ، وأنه أسرعُ من الريحِ وإنما هلاكُه بعرضٍ من أعراضِ الدنيا .

مع مصور :

أخبرنا حبيبُ بنِ نصر المهلبِيَّ قال حدثنا عمرُ بنُ شَبَّة قال :

كان بالبصرة رجلٌ يقال له حمدانُ الخراطُ ، فأتخذه جاماً لا إنسان كان بشارٌ عنده ، فسأله بشارٌ أن يتخذَ له جاماً فيه صورُ طيرٍ تطيرُ ، فأتخذه له وجاءه به ، فقال له : ما في هذا الجامِ ؟ فقال : صورُ طيرٍ تطيرُ ؛ فقال له : قد كان ينبغي أن تتخذَ فوق هذه الطيرِ طائراً من الجوارحِ كأنه يريدُ صيدها ، فإنه

(١) السادر : الذي لا يهتمُّ لشيءٍ ولا يُبالِي ما صنع .

(٢) أي إن أمه ضبع وأباه ذئب كما ذكره الدميريُّ في حياة الحيوان في الكلام على الضبع .

(٣) اتفقت كتب اللغة على هذا التفسير ولعله « الذئبة » بالنساء لأن الذئب لا يذكر ويؤنث كالضبع . وفي كتاب الحيوان للجاحظ جزء ٦ ص ٤٥ ما يؤيد ذلك حيث قال : « والأعراب ترعم أن الله تعالى لم يدع ماكساً إلا أنزل فيه بلية وأنه مسخ منهم اثنين ضبعاً وذئباً فهذه القرابة تسافداً وتناجلاً وإن اختلفا في سوى ذلك ، ومن ولدهما : السمع والعسبار وإنما اختلفتا لأن الأم ربما كانت ضبعاً والأب ذئباً وربما كانت الأم ذئبة والأب ذينخاً والذنيخ : « ذكر الضباع » .

كان أحسن؛ قال: لم أعلم؛ قال: بلى قد علمت، ولكن علمت أني أعمى لا أبصر شيئاً! وتهده بالهجاء، فقال له حمدان: لا تفعل فإنك تندم؛ قال: أو تهددني أيضاً! قال: نعم؛ قال: فأني شيء تستطيع أن تصنع بي إن هجوتك! قال: أصورك على باب داري بصورتك هذه وأجعل من خلفك قرداً ينكحك حتى يراك الصادر والوارد؛ قال بشار: اللهم أخزه، أنا أمارحه وهو يأبى إلا الجدة!.

مفاخره :

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى والحسن بن علي ومحمد بن عمران الصيرفي قالوا: حدثنا العتري قال حدثني جعفر بن محمد العدوي عن محمد بن سلام قال حدثني مخلد أبو سفيان قال:

كان جرير بن المنذر السدوسي يفاخر بشاراً؛ فقال فيه بشار:

أمثل بني مضر وإيل فقدت من فاخر ما أجن
أفي النوم هذا أبا منذر فخيلاً رأيت وخيراً يكن
رأيتك والفخر في مثلها كعاجنة غير ما تطحن

وقال يحيى في خبره: فحدثني محمد بن القاسم قال حدثني عاصم بن وهب أبو شبلي الشاعر البرهمي قال حدثني محمد بن الحجاج السراذني قال:

كنّا عند بشار وعنده رجل ينازعه في اليانية والمصرية إذ أذن المؤذن، فقال له بشار: رؤيداً، تفهم هذا الكلام؛ فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله، قال له بشار: أهذا الذي نودي باسمه مع اسم الله عز وجل من مضر هو أم من صداء وعك وحير؟ فسكت الرجل.

نقده للشعر :

خبرني هاشم بن محمد الخراعي قال حدثنا الرياشي قال أنشد بشار قول الشاعر:

وقد جعل الأعداء ينتقصوننا وتطمعُ فينا ألسُنٌ وعيونُ
ألا إنا ليلي عصا خيزُرانةٍ إذا غزوها بالأُكفِ تلينُ

فقال : والله لو زعم أنها عصا مُخِّ أو عصا زُبْدٍ ، لقد كان جعلها جافيةً خَسِنةً
بعد أن جعلها عصاً ! ألا قال كما قلتُ :

ودُعجاء المحاجر من معدٍ كأن حديثها ثمرُ الجنانِ
إذا قامت لمشيئها تثنتُ كأن عظامها من خيزُرانِ

اعتداده بنفسه :

أخبرني حبيبُ بن نضر المهلبي قال حدثنا عمر بن سُبة قال أخبرني محمد بن
صالح بن الحجَّاج قال :

قلت لبشار : إني أنشدتُ فلانا قولك :

إذا أنتَ لم تشربْ مراراً على القذى ظمئتُ وأيُّ الناسِ تصفو مشاربهُ

فقال لي : ما كنتُ أظنه إلا لرجل كبير ؛ فقال لي بشار : ويلك ! أفلا قلتُ
له : هو والله لاكبر الجنِّ والانسِ ! .

مواعدة وعتاب :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدثني
أبو السَّيْل عن محمد بن الحجَّاج قال :

كان بشار يهوى امرأةً من أهل البصرة فراسلها يسأُلها زيارته ، فوعده بذلك

(١) في كامل المبرد « لِسُبْحَتِهَا » والسَّيِّحَةُ : صلاة التطوُّع والنافلة . والمشهور في رواية هذا

البيت إذا قامت لحاجتها تثنت

البيت

ثم أخلقته ، وجعل ينتظرها ليلته حتى أصبح ، فلما لم تأت له أرسل إليها يُعَاتِبُهَا ،
فأعذرت بمرض أصابها ؛ فكتب إليها هذه الأبيات :

يا لَيْتِي تَرَدَّدُ نَكَرًا مِنْ حُبِّ مَنْ أَحْبَبْتُ بِكَرًا
حَوْرَاءُ إِنْ نَظَرْتُ إِلَيْكَ سَقَتَكَ بِالْعَيْنَيْنِ خَمْرًا
وَكَأَنَّ رَجَعَ حَدِيثَهَا قَطَعَ الرِّيَاضَ كُسَيْنَ زَهْرًا
وَكَأَنَّ تَحْتَ لِسَانِهَا هَارُوتَ يَنْفُثُ فِيهِ سِحْرًا
وَتَحَالُ مَا جَمَعَتْ عَلَيْهِ ثِيَابُهَا ذَهَبًا وَعِطْرًا
وَكَأَنَّهَا بَرْدُ الشَّرَا بِصَفَا وَوَافَقَ مِنْكَ فِطْرًا
جَنِّيَّةٌ إِنْسِيَّةٌ أَوْ بَيْنَ ذَاكَ أَجَلُ أَمْرًا
وَكِفَاكَ أَنِّي لَمْ أَحِطْ بِشَكَاةٍ مَنْ أَحْبَبْتُ خُبْرًا
إِلَّا مَقَالَةً زَائِرٍ نَثَرَتْ لِي الْأَحْزَانَ نَثْرًا
مُتَخَشِّعًا تَحْتَ الْهَوَى عَشْرًا وَتَحْتَ الْمَوْتِ عَشْرًا

حدثني جحظة قال حدثني علي بن يحيى قال :

كان إسحاق الموصلي لا يعتد ببشار ويقول : هو كثير التخليط في شعره ،
وأشعاره مختلفة ، لا يشبه بعضها بعضاً ؛ أليس هو القائل :

إِنَّمَا عَظُمُ سُلَيْمَى جَبَّتِي قَصَبُ السُّكَّرِ لَا عَظْمُ الْجَلْجَلِ
وَإِذَا أَدْنَيْتَ مِنْهَا بَصَلًا غَلَبَ الْمِسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ

لو قال كل شيء جيد ثم أضيف إلى هذا لزيقته . قال : وكان يُقَدِّمُ عليه مروان
ويقول : هذا هو أشدُّ استواء شعرٍ منه ، كلامه ومذهبه أشبه بكلام العرب
ومذاهبها ، وكان لا يُعَدُّ أبا نواس ألبتة ولا يرى فيه خيراً .

هجو هذيل بن علي بن يحيى

حدثنا محمد بن علي بن يحيى قال حدثنا محمد بن زكريا قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن التيمي قال :

دخل بشر الى ابراهيم بن عبد الله بن حسن ، فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير عليه برأي يستعمله في أمره ، فلما قتل ابراهيم خاف بشر ، فقلب الكنية ، وأظهر أنه كان قالها في أبي مسلم وحذف منها أبياتاً وأولها :

أبا جعفر ما طول عيش بدائم ولا سالم عما قليل بسالم

قلب هذا البيت فقال : « أبا مسلم » :

على الملك الجبار يقتحم الردى ويصرعه في المازق المتلاحم
كأنك لم تسمع بقتل متوج عظيم ولم تسمع بقتك الأعاجم
تقسم كسرى رهطه بسيوفهم وأمسى أبو العباس أحلام ناغم

يعني الوليد بن يزيد

وقد كان لا يخشى انقلاب مكيدة ومقيماً على اللذات حتى بدت له
وجوه المنايا حاسرات العمام وقد ترد الأيام غوراً وربما
ورذن كلوحاً باديات الشكائم ومروان قد دارت على رأسه الرحي
وكان لما أجزمت تزر الجرائم فأصبحت تجري سادراً في طريقهم
ولا تتقي أشباه تلك النقايم وتجردت للإسلام تعفو سبيله
وتعري مطاه لليوث الضراغم

(١) يريد به مروان الحمار آخر ملوك بني أمية الذي قتله أبو العباس السفاح بمصر .

(٢) تعفو : تمحو ، يقال : عفت الريح المنزل أي محته ودرسته .

(٣) المطا : الظهر .

فَا زِلْتَ حَتَّى اسْتَنْصَرَ الدِّينُ أَهْلَهُ عَلَيْكَ فَعَادُوا بِالسَّيُوفِ الصَّوَارِمِ
فَرُمٌ وَزَرًا يُنْجِيكَ يَا بَنَ سَلَامَةٍ فَلَسْتَ بِنَاجٍ مِنْ مَضِيمٍ وَضَائِمٍ

جعل موضع «يأبن سلامة» «يأبن وشيكة» وهي أم أبي مسلم.

لَحَا اللَّهُ قَوْمًا رَأْسُوكَ عَلَيْهِمْ وَمَا زِلْتَ مَرَّةً وَسَاءَ خَبِيثَ الْمَطَاعِمِ
أَقُولُ لِبَسَامٍ عَلَيْهِ جَلَالَةٌ غَدَا أَرْجِيًّا عَاشِقًا لِلْمَكَارِمِ
مِنَ الْفَاطِمِيْنَ الدُّعَاةِ إِلَى الْهُدَى جِهَارًا وَمَنْ يَهْدِيكَ مِثْلُ ابْنِ فَاطِمٍ

هذا البيت الذي خافه وحذفه بشار من الأبيات.

سِرَاجٌ لَعِينُ الْمُسْتَضِيِّ وَتَارَةٌ يَكُونُ ظَلَامًا لِلْعَدُوِّ الْمُرَاحِمِ
إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِنَ بِرَأْيِ نَصِيحٍ أَوْ نَصِيحَةٍ حَازِمِ
وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاصَةً فَإِنَّ الْخَوَافِي قُوَّةٌ لِلْقَوَادِمِ
وَمَا خَيْرُ كَفٍّ أَمْسَكَ الْغُلَّ؟ أَخْتَهَا وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمِ
وَحَلَّ أَهْوَيْنَا لِلضَّعِيفِ وَلَا تَكُنْ نَوْوَمًا فَإِنَّ الْحَزْمَ لَيْسَ بِنَائِمِ
وَحَارِبٌ إِذَا لَمْ تُعْطَ إِلَّا ظُلَامَةٌ شَبَا الْحَرْبِ خَيْرٌ مِنْ قَبُولِ الْمَظَالِمِ

قال محمد بن يحيى: فحدثني الفضل بن الجباب قال سمعت أبا عثمان المازني يقول سمعت أبا عبيدة يقول: ميمية بشار هذه أحب إلي من ميميتي جرير والفرزدق.

قال محمد: وحدثني أبن الرياشي قال حدثني أبي قال:

قال الأصمعي قلت لبشار: يا أبا معاوية، إن الناس يعجبون من أبياتك

(١) كذا في أكثر الأصول: وهو الموافق لما في وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ١ ص ٣٩٧) في ترجمة أبي مسلم الخراساني.

(٢) أصله فاطمة فرخه بجذف تاء التأنيث، والترخيم في غير النداء جائز للضرورة.

(٣) الغل بالضم: الحديد التي تجمع بين يد الأسير وعنقه، وتسمى الجامعة.

في المَشُورَةِ ؛ فقال لي : يا أبا سعيد ، إن المَشَاوِرَ بين صَوَابٍ يَفُوزُ بِشِمرته أَوْ
خَطَاٍ يُشَارِكُ في مَكْرُوْهه ؛ فقلت له : أنت والله في قولك هذا أشعرُ منك
في شعرك .

ظرف بادرته :

حدَّثني الحسنُ بنُ عليٍّ قال حدَّثنا الفضلُ بنُ محمدٍ اليزيديِّ عن إسحاقٍ وحدَّثني
به محمد بن مَرْيَد بن أبي الأزهر عن حمَّاد عن أبيه قال :

كان بَشَّارٌ جالِساً في دار المهديِّ والناسُ يَتَنظَرُونَ الإِذْنَ ، فقال بعض
موالي المهديِّ لمن حضر : ما عندكم في قول الله عزَّ وجلَّ :

(وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ) فقال
له بَشَّارٌ : النحل التي يعرفها الناسُ ؛ قال : هيهات يا أبا مُعَاذٍ ، النحلُ : بنو
هاشم ، وقوله : (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ)
يعني العلم ؛ فقال له بشار : أراني الله طَعَامَكَ وشرابَكَ وشِفَاءَكَ فيما يخرج من
بطون بني هاشم ، فقد أَوْسَعْتَنَا غَنَاءَةً ؛ فغضب وشتم بشاراً ؛ وبلغ المهديُّ الخبرُ
فدعا بهما فسألهما عن القصة ، فحدّثه بَشَّارٌ بها ؛ فضحك حتى أمسك على بطنه ، ثم
قال للرجل : أَجَلْ ! فجعل الله طَعَامَكَ وشرابَكَ مما يخرجُ من بطون بني هاشم ،
فإنك باردٌ غَثٌّ . وقال محمد بن مَرْيَد في خبره : إنَّ الذي خاطب بَشَّاراً بهذه
الحكاية وأجابه عنها من موالي المهديِّ المَعْلَى بنُ طريف .

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

دخل يزيدُ بنُ منصور الحِمَيريُّ على المهديِّ وبَشَّارٌ بين يديه يُنشدُه قصيدةً
أمتدحه بها ، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيدُ بنُ منصور الحِمَيريُّ ، وكانت فيه
غَفْلَةٌ ، فقال له : يا شيخُ ، ما صناعتك ؟ فقال : أَثَقِبُ اللُّؤْلُؤَ ؛ فضحك المهديُّ

ثم قال لبشار : أَعْزُبُ^١ ويلك ؛ أَتَتَنَادَرُ^٢ على خالي ! فقال له : وما أَصْنَعُ به !
يرى شيخاً أَعْمَى يُنْشِدُ الخليفةَ شعراً ويسأله عن صناعته ! .

ترفعه عن عابه :

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال :

وقف على بشار بعضُ المُجَانِّ وهو يُنْشِدُ شعراً ؛ فقال له : أَسْتُرُ شعركَ هذا
كما تستر عورتك^٣ ؛ فصَقَّ بشارُ بيديه وغضب وقال له : من أنت ويلك ؟ قال :
أنا أعزك الله رجل من باهلة^٤ ، وأخوالي من سلول^٥ ، وأصهاري عُكَلُ^٦ ، وأسمي
كلب^٧ ، ومولدي بأضاخ^٨ ، ومتزلي بنهر بلال^٩ ؛ فضحك بشارُ ثم قال ؛ أذهب
ويلك ! فأنت عتيق لؤمك^{١٠} ، قد علم الله أنك أستترت مني بـجـصـون من حديد .

سخره :

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدثني
الفضل بن سَعِيد قال حدثني أبي قال :

مرَّ بشار بقاصٍّ بالبصرة فسمعه يقولُ في قصِّصه : مَنْ صام رجبا وشعبانَ

(١) اعزب : ابعد . وفي رواية « اغرب » بالغين المعجمة والراء المهملة وهي بمعناها .

(٢) باهلة : قبيلة من قيس عيلان وهو اسم امرأة من همدان كانت تحت معن بن أعصر بن سعد
ابن قيس عيلان فنسب ولده اليها .

(٣) سلول : قبيلة من هوازن وهم بنو مرّة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وسلول
أهم نسبوا اليها .

(٤) عكل : قبيلة فيهم غباوة وقلة فهم ، ولذلك يقال لكل من فيه غفلة ويستحمق : عكلي .

(٥) أضاخ : قرية من قرى اليمامة لبني نخير .

(٦) نهر بلال بالبصرة احتفره بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، وجعل على جنبه
حوانيت ونقل اليها السوق .

ورمضان بنى الله له قصرًا في الجنة صحته ألف فرسخ في مثلها وعلوه ألف فرسخ وكل باب من أبواب بيوته ومقاصره عشرة فراسخ في مثلها ، قال : فالتفت بشار إلى قائده فقال : بئست والله الدار هذه في كانون الثاني .

قال الفضل بن سعيد حدثني رجل من أهل البصرة من كان يتروج بالنهاريات قال : تزوجت امرأة منهن فاجتمعت معها في علو بيت وبشار تحتنا أو كنا في أسفل البيت وبشار في علوه مع امرأة ، فنهق حمار في الطريق فأجابه حمار في الجيران وحمار في الدار فارتجت الناحية بنهيقها ، وضرب الحمار الذي في الدار الأرض برجله وجعل يدقها بها دقًا شديدًا فسمعت بشارًا يقول للمرأة : نفخ - يعلم الله - في الصور وقامت القيامة أما تسمعين كيف يدق على أهل القبور حتى يخرجوا منها ! قال : ولم يلبث أن فرغت شاة كانت في السطح فقطعت جبلها وعدت فألقت طبقًا وغضارة إلى الدار فانكسرا ، وتطاير حمام ودجاج كن في الدار لصوت الغضارة وبكى صبي في الدار ؛ فقال بشار : صح والله الخبر ونشر أهل القبور من قبورهم أزفت - يشهد الله - الآزفة وزلزلت الأرض زلزالها ؛ فعجبت من كلامه وغازني ذلك ؛ فسألت من المتكلم ؟ فقبل لي : بشار ، فقلت : قد علمت أنه لا يتكلم بمثل هذا غير بشار .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن محمد جدار قال حدثني قدامة بن نوح قال :

مر بشار برجل قد راحته بغلة وهو يقول : الحمد لله شكرًا ، فقال له بشار : استرده يزدك . قال : ومر به قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشي بها ، فقال : ما لهم مُسرعين ! أترأىهم سرّقه فهم يخافون أن يلحقوا فيؤخذ منهم ! .

(١) كانون الاول وكانون الثاني : شهران شمسيان يقعان في قلب الشتاء ، معربان عن الرومية .

(٢) لعلها نسبة الى بني النهاري : قبيلة من الأشراف باليمن .

(٣) الغضارة : القصعة الكبيرة فارسية .

(٤) راحته : رفته .

رثاؤه ابنه :

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن عافية بن شبيب، وأخبرني به وكيع عن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الملك عن الحسن بن جمهور، قالوا :

توفي ابن بشار فجزع عليه ؛ ففيل له : أجرٌ قدمته ، وفرطٌ أفرطته ، وذخرٌ أحرزته ، فقال : ولدٌ دفنته ، وشكلٌ تعجلته ، وغيبٌ وعدته فانتظرته ؛ والله لئن لم أجزع للنقص لا أفرح للزيادة . وقال يرثيه :

أجارتنا لا تجزعي وأنبي	أتاني من الموت المِطْل نصبي
بني على رغي وسخطي رزته	وبدل أحجاراً وجالاً قلب
وكان كريحان الغصون تحاله	ذوى بعد إشراق يسر وطيب
أصيب بني حين أورق غصنه	وألقي عليّ ألهم كل قريب
عجبت لإسراع المنية نحوه	وما كان لو مليته بعجيب

نواذره :

أخبرني يحيى بن علي قال ذكر عافية بن شبيب عن أبي عثمان الليثي، وحدثني به الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن أبي مسلم، قالوا :

رفع غلام بشار إليه في حساب نفقته جلاء مِراةٍ عشرة دراهم ، فصاح به بشار وقال : والله ما في الدنيا أعجب من جلاء مِراةٍ أعشى بعشرة دراهم ، والله لو صدقت عين الشمس حتى يبقى العالم في ظلمة ما بلغت أجرة من يحلوها عشرة دراهم .

(١) الجال : الجانب ، والقلب في الأصل : البئر لأنها قلبت الأرض بالحفر ، والمراد هنا القبر ،

(٢) وفي رواية « العروس » .

(٣) مليته : تمتع به ، يقال ملاك الله حبيبك أي تمتع به وأعاشك معه طويلاً .

أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثني المغيرة بن محمد المهلي قال حدثنا
أبو معاذ الثميري قال : قلت لبشار : لم مدحت يزيد بن حاتم ثم هجوتهُ ؟
قال : سألتني أن أنيكه فلم أفعل ؛ فضحكت ثم قلت : فهو كان ينبغي له أن
يغضب ، فما موضع الهجاء ! فقال : أظنك تحب أن تكون شريكه ؛ فقلت :
أعوذ بالله من ذلك ويلك !

دفاعه عن شعره :

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثنا أحمد بن خلاد ،
وأخبرنا يحيى بن علي ومحمد بن عمران الصيرفي ، قالا حدثنا العزي قال حدثنا
أحمد بن خلاد قال حدثني أبي قال قلت لبشار : إنك لتجيء بالشيء الهجين
المتفاوت ، قال : وما ذاك ؟ قال قلت : بينما تقول شعراً تُثيرُ به النقع وتخلع به
القلوب ، مثل قولك :

إذا ما غَضِبْنَا غَضَبَةً مُضَرِّيَةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ تُمَطِّرَ الدِّمَا
إذا ما أَعْرَضْنَا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ ذُرَى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمَا

تقول :

رَبَابَةٌ رَبَّةُ الْبَيْتِ تَصُبُّ الْخَلَّ فِي الزَّيْتِ
لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ وَدِيكَ حَسَنُ الصَّوْتِ

فقال : لكل وجه وموضع ، فالقول الأولُ جدٌ ، وهذا قُلْتُهُ في رَبَابَةٍ جَارِيَةٍ ،
وَأَنَا لَا آكُلُ الْبَيْضَ مِنَ السُّوقِ ، وَرَبَابَةٌ هَذِهِ لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ وَدِيكَ فَهِيَ
تَجْمَعُ لِي الْبَيْضَ وَتَحْفَظُهُ عِنْدَهَا فَهَذَا عِنْدَهَا مِنْ قَوْلِي أَحْسَنُ مِنْ :

قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَيْبٍ وَمَنْزِلٍ

عندك .

حشوه شعره بما لا حقيقة له :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني أحمد بن محمد جدار قال حدثني قدامة ابن نوح قال :

كان بشار يحشو شعره إذا أعوزته القافية والمعنى بالأشياء التي لا حقيقة لها ،
فمن ذلك أنه أنشد يوماً شعراً له فقال فيه :

غَنِّي للعَرِيضِ يَا بَنَ قَنَانِ

ف قيل له : مَنْ بَنُ قَنَانِ هذا ، لَسْنَا نَعْرِفُهُ مِنْ مُغَنِّي البَصْرَةِ ؟ قال : وما عليكم منه ! أَلَكُمْ قَبْلَهُ دَيْنٌ فَتَطْلُبُوهُ بِهِ ، أَوْ ثَارٌ تُرِيدُونَ أَنْ تُدْرِكُوهُ ، أَوْ كَفَلْتُ لَكُمْ بِهِ فَإِذَا غَابَ طَالِبُثُمُونِي بِإِحْضَارِهِ ؟ قالوا : ليس بيننا وبينه شيء من هذا ، وَإِنَّمَا أَرَدْنَا أَنْ نَعْرِفَهُ ، فَقَالَ : هو رجل يُغَنِّي لي ولا يُخْرِجُ من بيتي ؛ فقالوا له : إلى متى ؟ قال : مُدَّ يَوْمَ وُلِدَ وَإِلَى يَوْمِ يَمُوتُ . قال : وأنشدنا أيضاً في هذه القصيدة :

... .. ووافا في هلال السماء في البردانِ

فقلنا : يا أبا مُعَاذٍ . أَيْنَ البردان هذا ؟ لَسْنَا نَعْرِفُهُ بالبصرة ، فقال : هو بيت في بيتي سَمَّيْتُهُ البردان ، أَفَعَلَيْكُمْ مِنْ تَسْمِيَتِي دَارِي وَبَيوتَهَا شيء فتسألوني عنه ! .

حدثني هاشم بن محمد الخراعيّ قال حدثني أَبُو غَسَّانَ دِمَازٌ - واسمه رفيع بن سلمة - قال حدثني يحيى بن الجونّ العبديّ راوية بشار قال :

كنا عند بشار يوماً فأنشدنا قوله :

وجارية خُلِقَتْ وحدها كأن النساء لَدَيْهَا خَدَمٌ

دُوارُ العذارى اذا زُرَّنها أطفنَ بجوراءٍ مثل الصَّم^٢
 ظمِئتُ إليها فلم تَسْقِنِي بريٍّ ولم تَشْفِنِي من سَقَمِ
 وقالت هَوَيْتَ فمتُ راشداً كما مات عُروة^٣ غمّاً بغمِ
 فلما رأيتُ الهوى قَاتِلِي ولستُ بجارٍ ولا بامرئِ عَمِ
 دَسَسْتُ إليها أبا مَجْلَزٍ وأيِّ فتىٍّ إن أصابَ أَعْتَزَمِ
 فما زال حتى أَنَابَتْ له فراح وحلَّ لنا ما حَرُمِ

فقال له رجل : وَمَنْ أَبُو مَجْلَزٍ هَذَا يَا أبا مُعَاذٍ ؟ قال : وما حاجتك إليه ! لك عليه دينٌ أَوْ تُطَالِبُهُ بِطَائِلَةٍ ! وهو رجل يترددُ بيني وبين معارفي في رسائل . قال : وكان كثيراً ما يحشو شعره بمثل هذا .

شعره في قينة :

أخبرني محمد بن مَرْيَد بن أَبِي الأَزهَر قال حَدَّثَنَا حمَّاد بن إِسحاق عن أبيه قال :

كانتُ بالبصرة قَيْنَةً لبعض وَلَدِ سُلَيْمَانَ بن عَلِيٍّ وكانت مُحْسِنَةً بَارِعَةً الظَّرْفِ ، وكان بَشَّارَ صَدِيقاً لِسَيِّدِهَا وَمَدَّاحاً لَهُ ، فحضر مجلسه يوماً والجارية تُغَنِّي ؛ فَسَرَّ بحضوره وشرب حتى سَكِرَ ونَامَ ، ونَهَضَ بَشَّارٌ ؛ فقالت : يَا أبا مُعَاذٍ ، أَحَبُّ أَنْ تَذْكُرَ يَوْمَنَا هَذَا فِي قَصِيدَةٍ وَلَا تَذْكُرَ فِيهَا أَسْمِي وَلَا أَسْمَ سَيِّدِي وَتَكْتُبَ بِهَا إِلَيْهِ ؛ فَأَنْصَرَفَ وَكَتَبَ إِلَيْهِ :

(١) الدوار بضم الدال وفتحها مع تخفيف الواو وقد تشدد : صم كانت العرب تنصبه ، يجعلون موضعاً حوله يدورون به ، وهو وارد هنا على وجه التشبيه ؛ وفي زهر الآداب ج ٢ ص ١١٩ طبع المطبعة الرحمانية : « رواء » .

(٢) كذا في زهر الآداب وفي جميع الأصول : « الصم » بالضاد المعجمة والميم ، وهو تحريف .

(٣) يشير الى عروة بن حزام العذري صاحب عفراء ، أحد العشاق المشهورين الذين قتلهم العشق .

(٤) الطائلة : الذخل والتأثر .

و ذات دَلِّ كَأَنَّ الْبَدْرَ صُورُتُهَا
(إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرَفِهَا حَوْرٌ
فَقُلْتُ أَحْسَنْتُ يَا سُؤْلِي وَيَا أَمْلِي
(يَا حَبْدًا جَبَلُ الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ
قَالَتْ فَهَلَّا، فَذَلِكَ النَّفْسُ أَحْسَنَ مِنْ
(يَا قَوْمِ أَذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ
فَقُلْتُ أَحْسَنْتِ أَنْتِ الشَّمْسُ طَالَعَةٌ
فَأَسْمِعِينِي صَوْتًا مُطْرِبًا هَزْجًا
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُفَّاحًا مُفْلَجَةً
حَتَّى إِذَا وَجَدْتُ رِيحِي فَأَعْجَبَهَا
فَحَرَكْتُ عُودَهَا ثُمَّ أَنْشَنْتُ طَرِبًا
(أَصْبَحْتُ أَطْوَعَ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
فَقُلْتُ أَطْرِبْتِنَا يَا زَيْنَ مَجْلِسِنَا
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الْحَبَّ يَقْتُلُنِي
فَغَنَّتِ الشَّرْبَ صَوْتًا مُؤْنَقًا رَمَلًا
(لَا يَقْتُلُ اللَّهُ مَنْ دَامَتْ مَوَدَّتُهُ
بَاتَتْ تُغَيِّي عَمِيدَ الْقَلْبِ سَكْرَانًا :
قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُجِئَنَّ قَتْلَانَا)
فَأَسْمِعِينِي جَزَائِكَ اللَّهُ إِحْسَانًا :
وَحَبْدًا سَاكِنُ الرِّيَّانِ مَنْ كَانَا)
هَذَا لِمَنْ كَانَ صَبَّ الْقَلْبِ حَيْرَانًا :
وَالْأَذْنَ تَعَشَّقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانًا)
أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ وَالْأَحْشَاءِ نِيرَانًا
يَزِيدُ صَبًّا مُجِبًّا فَيْكَ أَشْجَانًا
أَوْ كُنْتُ مِنْ قُضْبِ الرِّيحَانِ رِيحَانًا
وَنَحْنُ فِي خَلْوَةٍ مُثَلَّتْ إِنْسَانًا
تَشْدُو بِهِ ثُمَّ لَا تُخْفِيهِ كِتْمَانًا :
لَا كَثُرَ الْخَلْقُ لِي فِي الْحَبِّ عَصِيَانًا)
فَهَاتِ إِنَّكَ بِالْإِحْسَانِ أَوْلَانَا
أَعَدَدْتُ لِي قَبْلَ أَنْ أَلْقَاكَ أَكْفَانًا
يُذْكَى السَّرُورَ وَيُبْكِي الْعَيْنَ أَلْوَانًا :
وَاللَّهُ يَقْتُلُ أَهْلَ الْغَدْرِ أَحْيَانًا)

ووجه بالأبيات إليها، فبعث إليه سيدها بألفي دينار وسرها سروراً شديداً .

مع اعرابي :

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثني الحسن بن علي بن عليل قال حدثني

- (١) عميد القلب : مريضه، يقال : قلب عميد إذا هده العشق وكسره .
- (٢) الريان : جبل في ديار طيء لا يسيل منه الماء، وهو في مواضع كثيرة منها .
- (٣) الهزج : ضرب من ضروب الأغاني فيه تطريب بتدارك الصوت وتقاربه .
- (٤) مفلجة : مقسمة، ويريد بذلك أنها إذا قسمت كانت أسطع نفحاً وأضوع شذاً وطيباً .
- (٥) مؤنقاً : معجباً، يقال : آنقني الشيء فهو مؤنق وأنيق كما يقال مؤلم وأليم؛ والرميل : ضرب من الأغاني .

عليّ بن منصور أبو الحسن الباهليّ قال حدثني أبو عبد الله المقرئ الجحدريّ الذي كان يقرأ في المسجد الجامع بالبصرة، قال :

دخل أعرابيّ على مجزأة بن ثور السدوسيّ وبشارٌ عنده وعليه بزّة الشعراء، فقال الأعرابيّ : من الرجلُ ؟ فقالوا : رجلٌ شاعرٌ ؛ فقال : أمّو لي هو أمّ عريّ ؟ قالوا : بل مو لي ؛ فقال الأعرابيّ : وما للموالي وللشعر ! فغضبَ بشارٌ وسكتَ هنيهةً ، ثم قال : أتأذن لي يا أبا ثور ؟ قال : قل ما شئت يا أبا معاذ ؛ فأنشأ بشارٌ يقول :

خليلي لا أنامُ على اقتسارٍ	ولا آبي على مو لي وجارٍ
سأخبرُ فاخرَ الأعراب عني	وعنه حين تأذنُ بالفخارِ
أحين كُسيّت بعد العُريّ خزا	ونادمت الكرامَ على العقارِ
تُفاخرُ يا بنَ راعيةٍ وراعٍ	بني الأحرارِ حسبك من خسارِ
وكنت إذا ظمئت إلى قراحٍ	شركت الكلب في ولغِ الإِطارِ ^١
تُريغُ ^٢ بخطبةٍ كسرَ الموالي	ويُنسيك المكارمَ صيدُ فارٍ
وتغدو للقناذ تدريها ^٣	ولم تعقلْ بدرّاجِ الديارِ
وتتشج ^٤ الشمالَ لإلبسيها	وترعى الضأن بالبلد القفارِ

(١) من معاني الإِطار : ما حول البيت فلعله المراد هنا وأن الكلب يبلغ في المياه الراكدة حول الدور .

(٢) تريغ : تريد وتطلب وهو المناسب لسياق الكلام، وفي جميع الأصول : « تريغ » بالعين المهملة .

(٣) تدريها : تحتلها لتصيدها .

(٤) كذا في جميع النسخ، ولعله « تعلق »، يريد أنه يحاول صيد القناذ ولا يلحقها .

(٥) الدرّاج : القنفذ .

(٦) كذا في جميع النسخ، ولعله « وتنسج » بمعنى « تنسج »، والشمال : جمع شملة وهي الكساء ينسج به؛ وفي حديث عليّ قال للأشعث بن قيس : « إن أبا هذا كان ينسج الشمال باليمين »؛ ولا يخفى ما في هذه المقابلة من الحسن .

مُقامُكَ بيننا دَنَسٌ علينا فليتك غائبٌ في حَرِّ نارٍ
وخرُّكَ بين خنزيرٍ وكلبٍ على مثلي من الحدثِ الكبارِ

فقال مجزأةٌ للأعرابي: قَبَحَكَ اللهُ! فأنتَ كَسَبْتَ هذا الشرَّ لنفسك
ولاً مثالك! .

أخبرني أحمدُ بنُ العباسِ العسكري قال حدثني العتريُّ عن الرياشي قال :
حضرَ بشارٌ بابَ محمد بن سليمان، فقال له الحاجبُ : أصبر؛ فقال : إنَّ الصبرَ
لا يكون إلا على بليَّةٍ؛ فقال له الحاجبُ : إني أظنُّ أنَّ وراءَ قولك هذا شرًّا
ولن أتعرضَ له، فقم فادخل .

بشار وهلال الرأي :

أخبرني وكيعٌ قال حدثنا أبو أيوبَ المديني عن محمد بن سلام قال :

قال هلال الرأي^١ - وهو هلالُ بنُ عطية - لبشارٍ وكان له صديقاً يمازحه:
إنَّ اللهَ لم يُذهبْ بصرَ أحدٍ إلا عَوَّضَهُ بشيءٍ، فما عَوَّضَكَ؟ قال : الطويلُ
العريضُ؛ قال : وما هذا؟ قال : ألا أراك ولا أمثالك من الثقلاء . ثم قال له :
يا هلال أتطيعني في نصيحةٍ أَخْصُكَ بها؟ قال نعم؛ قال : إنك كنتَ تسرقُ
الخميرَ زماناً ثم تَبَّتْ وِصْرَتَ رافِضِيٍّ، فعدُّ إلى سَرِقَةِ الخمرِ، فهي والله خيرٌ
لك من الرِّفْضِ^٢ .

(١) هو هلال بن يحيى بن مسلم البصري، أخذ الفقه عن أبي يوسف المتوفى سنة ١٨٢ وزفر
المتوفى سنة ١٥٨، ويقولون مع هذا : إنه توفي سنة ٢٤٥، أنظر الفوائد البهية في تراجم الخنفية وتاج
التراجم في طبقات الخنفية والفهرست لابن النديم ص ٢٠٥، وذكره ابن جحر في لسان الميزان ص ٢٠٢
ج ٦ وبعد أن ذكر أنه توفي سنة ٢٤٥ قال : وفي الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني « هلال الرأي هو
هلال بن عطية » وذكر له قصة مع بشار بن برد، فهذا يدل على أنه متقدم جداً لان بشاراً قتل في
زمن المهدي .

(٢) الرِّفْضُ (بالكسر) : مذهب الرافضة وهم فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي ثم قالوا له :
تبرأ من الشيخين فأبى فرفضوه وانفضوا عنه فسموا الرافضة .

قال محمد بن سلام : وكان هلال يُسْتَقَلُّ، وفيه يقول بشارٌ :

وكيفَ يَخِفُّ لي بصري وسمعي وَحَوَّلِي عَسْكَرَانِ مِنْ الثِّقَالِ
قُعُوداً حَوْلَ دُسْكَرَتِي وعندي كَأَنَّ لَهُمَ عَلَيَّ فَضُولَ مَالِ
إِذَا مَا شَتَّتْ صَبْحَنِي هَلَالٌ وَأَيُّ النَّاسِ أَثْقَلُ مِنْ هَلَالِ

وأخبرني أبو دُلْفٍ الحِزَاعِيُّ بهذا الخبر عن عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة،
فذكر أنَّ الذي خاطب بشاراً بهذه المخاطبة ابنُ سَيَّابَةَ، فلما أجابه بشارٌ بالجواب
المذكور، قال له : من أنت ؟ قال : ابنُ سَيَّابَةَ؛ فقال له : يابن سَيَّابَةَ، لو نُكِحَ
الأسدُ ما أَفْتَسَ؛ قال : وكان يُتَّهَمُ بالابْنَةِ .

قال أيوب وحدثني محمد بن سلام وغيره قالوا : مرَّ ابنُ أخي بشارٍ به ومعه
قومٌ؛ فقال لرجل معه : مَنْ هذا ؟ فقال : ابنُ أخيك؛ قال : أشهد أن أصحابه
أنذالٌ؛ قال : وكيف علمت ؟ قال : ليست لهم نعالٌ .

دقة حسه :

أخبرني محمد بن عليّ قال حدثني أبي قال حدثني عافية بنُ شبيب عن أبي
دُهْمَانَ الغَلَابِيِّ، قال :

مررتُ بِبِشَارٍ يوماً وهو جالس على بابه وحده وليس معه خَلْقٌ وبِيدِهِ مِخْصَرَةٌ^٢
يَلْعَبُ بِهَا وَقَدَّامَهُ طَبَقٌ فِيهِ تُقَّاحٌ^٣ وَأُتْرُجٌ^٤، فلما رَأَيْتُهُ وليس عنده أَحَدٌ تَأَقَّتْ
نَفْسِي إِلَى أَنْ أُسْرِقَ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَجِئْتُ قَلِيلاً قَلِيلاً وَهُوَ كَافٌ يَدُهُ حَتَّى مَدَدْتُ يَدِي
لَا تُنَاولَ مِنْهُ، فَرَفَعَ الْقُضِيبَ وَضَرَبَ بِهِ يَدِي ضَرْبَةً كَادَ يَكْسِرُهَا، فَقُلْتُ

(١) الدسكرة : بناء كالقصر، وهي أيضاً : الأرض المستوية .

(٢) المِخْصَرَةُ : ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا أو قضيب، وقيل المِخْصَرَةُ : شيء يأخذه
الرجل بيده ليتوكأ عليه .

(٣) الأترج : ثمر شجر بستانيّ من جنس الليمون ناعم الورق والخطب .

له : قطع الله يدك يا بن الفاعلة ، أنت الآن أعمى ! فقال : يا أحمق ، فأين الحس ! .

مع نادبات :

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني العنزي قال حدثني خالد بن يزيد بن وهب ابن جرير عن أبيه قال :

كان لبشار في داره مجلسان : مجلس يجلس فيه بالغداة يُسميه «البردان» ومجلس يجلس فيه بالعشي اسمه «الرقيق» ، فأصبح ذات يوم فاحتجم وقال لعلامة : أمسك علي بابي وأطبخ لي من طيب طعامي وصف نبذي ؛ قال : فإنه لكذلك إذ قرع الباب قرعاً عنيفاً ؛ فقال : ويحك يا غلام ! أنظر من يدق الباب دق الشراط ؛ قال : فنظر الغلام ، فقال له : نسوة خمس بالباب يسألن أن تقول لهن شعراً ينحن به ؛ فقال : أدخلهن ، فلما دخلن نظرن إلى النبذ مصفى في قنانيه في جانب بيته ؛ قال : فقالت واحدة منهن : هو خمر ، وقالت الأخرى : هو زبيب وعسل ، وقالت الثالثة : نقيع زبيب ؛ فقال : لست بقائل لكن حرقاً أو تطعمن من طعامي وتشربن من شرابي ؛ قال فتماسكن ساعة ، ثم قالت واحدة منهن : ما عليكم ! هو أعمى فكُلن من طعامه وأشربن من شرابه وخذن شعره ؛ فبلغ ذلك الحسن البصري فعابه وهتف يبشار ؛ فبلغه ذلك - وكان بشار يُسمي الحسن البصري القس - فقال :

لما طلعت من الرقيق علي بالبردان خمسا
وكانهن أهلة تحت الثياب زفن شمسا
باكرن عطر لطيمة وغمن في الجادي غمسا

(١) اللطيمة : نافحة المسك .

(٢) الجادي : الزعفران .

صوت

لَمَّا طَلَعْنَ حَفَفْنَهَا وَأَصْخَنَ مَا يَهْمِسْنَ هَمْسًا
 فَسَأَلْنِي مَنْ فِي الْبُيُوتِ قَقْلَتْ مَا يُؤْوِينَ إِنْسًا
 لَيْتَ الْعَيُونَ الطَّارِفَاتِ طُمِسْنَ عَنَّا الْيَوْمَ طُمْسًا
 فَأَصْبَنَ مِنْ طُرْفِ الْحَدِيدِ لَذَاذَةً وَخَرَجْنَ مُلْسًا
 لَوْلَا تَعَرُّضُهُنَّ لِي يَا قَسُّ كُنْتُ كَأَنْتَ قَسًّا

غنى في هذه الأبيات يحيى المكي، ولحنه رملٌ بالبنصر عن عمرو .

نميه عن التشبيب :

أخبرنا يحيى قال حدثني العتري قال حدثنا علي بن محمد قال حدثني جعفر بن محمد النوفلي - وكان يروي شعراً بشار بن برد - قال : جئتُ بشاراً ذات يومٍ فحدثني، قال : ما شعرتُ منذ أيامٍ إلا بقارِعٍ يقرَعُ بابي مع الصبح، فقلت : يا جارية أنظري من هذا، فرجعتُ إليّ وقالت : هذا مالكُ بن دينار، فقلت : ما هو من أشكالي ولا أضرابي، ثم قلت : أئذني له، فدخل فقال : يا أبا معاذ، أتشتم أعراضَ الناس وتُشيبُ بنسائهم ! فلم يكن عندي إلا أن دفعتُ عن نفسي وقلت : لا أعود، فخرج عني، وقلتُ في أثره :

غداً مالكُ بملاماته عليّ وما بات من باليه

(١) في جميع الأصول : « الطارقات » بالقاف، وهو تحريف .

(٢) كذا في جميع النسخ والقلس : الشرب الكثير من النبيذ، فلعلها مصدر وقع موقع الحال، أو لعلها محرفة عن « ملسا » بمعنى أنهم ملس من العيب أي ليس فيهن عيب . قال العجاج :
 وحاصن من حاصنات ملس وقد فسر به ذلك اللسان في مادة « قنس » .

تَنَاولَ خَوْدًا هَضِيمَ الْحَشَى مِنْ الْحُورِ مَحْظُوظَةً عَالِيَةً
فَقُلْتُ دَعِ اللَّوْمَ فِي حَبِّهَا قَبْلَكَ أَعْيَيْتُ غُذَّالِيَهُ
وَإِنِّي لَا أُكْثِمُهُمْ سِرَّهَا غَدَاةً تَقُولُ لَهَا الْجَالِيَهُ^٢
عَبِيدَةُ مَا لَكَ مَسْلُوبَةً وَكُنْتُ مُعْطَرَةً حَالِيَهُ
فَقَالَتْ عَلَى رِقَبَةٍ^٣ : إِنَّنِي رَهَنْتُ الْمَرْعَى خَلْخَالِيَهُ
بِمَجْلَسِ يَوْمِ سَأُو فِي بِهِ وَلَوْ أَجْلَبَ النَّاسُ أُحْوَالِيَهُ^٥

شعره في محبوبة فاطمة :

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدثنا العازي قال حدثني السَّمِيدَع بن محمد الأزدي قال حدثني عبد الرحمن بن الجهم عن هشام بن الكلبي قال :

كَانَ أَوَّلُ بَدْءِ بَشَّارٍ أَنَّهُ عَشِقَ جَارِيَةً يُقَالُ لَهَا فَاطِمَةُ، وَكَانَ قَدْ كُفَّ وَذَهَبَ بَصْرُهُ، فَسَمِعَهَا تَغْنِي فَهَوِيَهَا وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

دُرَّةٌ بَجَرِيَّةٌ مَكْنُونَةٌ مَازَهَا التَّاجِرُ مِنْ بَيْنِ الدُّرَرِ
عَجِبْتُ فَطْمَةً مِنْ نَعْيِهَا هَلْ يُجِيدُ النَّعْتَ مَكْفُوفُ الْبَصَرِ

(١) كذا في جميع النسخ والمخطوطة ذات الحظ وربما كانت محرّفة عن مخطوطة قال في اللسان : وجارية مخطوطة المتن : ممدودتها وقال الأزهري : ممدودة حسنة مستوية وقد جاء ذلك في الشعر العربي كثيراً كقول الشاعر :

مخطوطة المتن هضم الحشى لا يطيبها الورع الواغل

وكقول القطامي : بيضاء مخطوطة المتن بهكنة ولا يخفى ما بين اللفظين « مخطوطة وعالية » من المقابلة .

(٢) الجالية : الماشطة التي تجلو المرأة وترينها .

(٣) على رقبة : على تحفظ واحتراس .

(٤) لقب بشار كما تقدم .

(٥) أحواليه : من حولي .

أَمْتَا بَدَدَ هَذَا لُعْبِي وَوِشَاحِي حَلَّهٗ حَتَّى أَنْتَرُ
فَدَعَيْنِي مَعَهُ يَا أَمْتَا عَلْنَا فِي خَلْوَةٍ نَقْضِي الْوَطْرُ
أَقْبَلْتُ مُغْضَبَةً تَضْرِبُهَا وَأَعْتَرَاهَا كَجُنُونٍ مُسْتَعِرُ
بِأَبِي وَاللَّهِ مَا أَحْسَنَهُ دَمْعُ عَيْنٍ يَغْسِلُ الْكَحْلَ قَطْرُ
أَيُّهَا النَّوَامُ هُبُوا وَيَحْكُمُ وَأَسْأَلُونِي الْيَوْمَ مَا طَعَمُ السَّهَرُ

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العنزي قال حدثني خالد بن يزيد ابن وهب بن جرير قال حدثني أبي عن الحكم بن مخلد بن حازم قال : مررت أنا ورجل من عُكْلٍ من أبناء سَوَّار بن عبد الله بقصر أوس ، فإذا نحن ببشار في ظلّ القصر وحده ، فقال لي العُكْلِيّ : لا بدّ لي من أن أعبت ببشار ؛ فقلت : ويحك ، مه لا تُعرِّض بنفسك وعِرْضَكَ لَهُ ؛ فقال إني لا أجده في وقتٍ أخلى منه في هذا الوقت ؛ قال فوقفت ناحية ودنا منه فقال : يا بشار ؛ فقال : من هذا الذي لا يَكْنِيَنِي ويدعوني باسمي ؟ قال : سأخبرك من أنا ، فأخبرني أنت عن أمك : أولدتك أعمى أم عَمِيَتَ بعد ما ولدتك ؟ قال : وما تريد الى ذلك ؟ قال : ودِدْتُ أَنَّهُ فُسِحَ لَكَ فِي بَصْرِكَ سَاعَةً تَنْتَظُرُ الى وجهك في المِرْآة ، فعسى أَن تُمَسِكَ عَنْ هِجَاءِ النَّاسِ وتعرفَ قَدْرَكَ ؛ فقال : ويحكم ! مَنْ هَذَا ؟ أَمَا أَحَدٌ يُخْبِرُنِي مَنْ هَذَا ؟ فقال له : على رِسْلِكَ ، أنا رجل من عُكْلٍ وخالي يبيع الفَحْمَ بِالْعَبْلَاءِ فَمَا تَقْدِرُ أَنْ تقول لي ؟ قال : لا شيء ، اذهب ، بأبي أنت ، في حفظ الله .

(١) كذا في الأصول وفي زهر الآداب : « أَمْتِي » ، وأمتا : أمة (وهي المملوكة) مضافة الى ياء المتكلم المنقلبة ألفاً ، ويحتمل أن يكون أصلها يا أُمِّي حذف منه حرف النداء ثم حذفت ياء المتكلم وعوض عنها التاء ، ويجوز في هذه التاء الفتح والكسر وهو الأكثر ، وإذا فتحت لا تلحقها الالف إلا للضرورة .

(٢) كذا في الأصول وفي زهر الآداب : « أَمْتِي » .

(٣) قصر أوس بالبصرة ينسب الى أوس بن ثعلبة بن زفر بن وديعة ، وكان قد ولي خراسان في عهد الدولة الأموية .

(٤) ذكره ياقوت في معجمه فقال : العبلاء أسم علم لصخرة بيضاء الى جنب عكاظ ، وعندها كانت الوقعة الثانية من وقعات الفجار . ثم قال : والعبلاء وقيل العبلاء بلدة كانت لختعم بها كان ذو الخلصة بيت وصنم . وذكره البكري في معجمه (ص ٤٩٢ ، ٦٤١) فقال : العبلاء : قرية وتربة واد من أودية الحجاز ، أسفله لبني هلال والضباب وسلول ، وأعلاه الختعم ، وهناك كان ذو الخلصة بيتهم الذي يحجون اليه .

مدح خالد البرمكي :

أخبرني علي بن سُلَيمان الأَخفش قال حدَّثني هارون بن علي بن يحيى المنجَم قال حدَّثني علي بن مَهدي قال حدَّثني العباس بن خالد البرمكي قال :

كان الزُّوَّار يُسمَّون في قديم الدهر الى أيَّام خالد بن برمك السُّؤال؛ فقال خالد : هذا والله اسمُ أُستثقله لطلَّاب الخير، وأرفعَ قدرَ الكريم عن أن يُسمي به أمثال هؤلاء المؤمنين، لأنَّ فيهم الأشرافَ والأحرارَ وأبناء النِّعم ومن لعلَّه خيرٌ ممن يقصدُ وأفضلُ أدباً، ولكنَّا نسميهم الزُّوَّار؛ فقال بشار يمدِّحه بذلك :

حذا خالدٌ في فعله حذوَ برمكٍ فمَجَّدُ له مُستطَرَفٌ وأصيلُ
وكان ذوو الآمالِ يُدْعَوْنَ قبلَه بلفظٍ على الإِعدام فيه دليلُ
يُسمَّون بالسُّؤال في كلِّ موطنٍ وإن كان فيهم نابهٌ وجليلُ
فسمَّاهم الزُّوَّارَ سترًا عليهم فأستارُه في المُجتدين سُدُولُ

قال : وقال بشار هذا الشعر في مجلس خالد في الساعة التي تكلم خالد بهذا الكلام في أمر الزُّوَّار، فأعطاه لكل بيت ألف درهم .

بشار وصديقه :

أخبرني عمي قال حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدَّثني أبو شبل عاصم بن وهب قال : نهق حمارٌ ذاتَ يوم بقرب بشار، فخطر بباله بيتٌ فقال :

ما قام أيرُ حمارٍ فأمثلاً شَبَقاً إلا تحركَ عرقٌ في أَسْت تسنيم

قال : ولم يُرد تسنيماً بالهجاء؛ ولكنه لما بلغ الى قوله : « إلا تحركَ عرقٌ »

قال : في أَسْتِ مَنْ ؟ ومرَّ به تسنيم بن الحواري وكان صديقه، فسَلَّمَ عليه
وضحك، فقال : في أَسْتِ تسنيم عَلِمَ اللهُ؛ فقال له : أَيْشٌ وَيَحْك ! ؟ فأنشده
البيت ؛ فقال له : عليك لعنةُ الله ! فما عندك فَرْقٌ بين صديقك وعدوك، أَيَّ
شيءٍ حملك على هذا ! أَلَا قلت : « في أَسْتِ حمَّاد » الذي هجأك وفَضَحَك وأَعْيَاكَ،
ولست قافيتك على الميم فَأَعْذِرْك ! قال : صدقتَ والله في هذا كَلِّه، ولكن ما
زلتُ أَقول : في أَسْتِ مَنْ ؟ في أَسْتِ مَنْ ؟ ولا يَخْطُرُ ببالي أحدٌ حتى مرتَ
وسَلَّمْتُ فرُزِقْتَه ؛ فقال له تسنيم : اذا كان هذا جوابَ السَّلام عليك فلا سَلَّمَ
الله عليك ولا عليّ حين سَلَّمْتُ عليك؛ وجعل بَشَّار يَضْحَك وَيُصَفِّقُ بيديه
وتسنيم يَشْتُمُه .

أخبرنا عيسى بن الحُسَيْن قال حدَّثنا عليّ بن محمد النَّوْفَلِيُّ عن عَمِّه قال :

قالت امرأة لبَشَّار : ما أدري لِمَ يَهَابُكَ الناسُ مع قُبْح وجهك ! فقال لها
بَشَّار : ليس من حُسْنِه يَهَابُ الأَسَدُ .

الملاحاة بينه وبين بن رُوْبَة :

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال حدَّثنا عمر بن شُبَّة قال حدَّثنا محمد
ابن الحَجَّاج قال :

دخل بشار على عُقْبَةَ بن سَلَم، فأنشده بعض مدائحه فيه وعنده عُقْبَةُ بن رُوْبَة
ينشده رَجْزاً يمدحه به، فسمعه بَشَّار وجعل يستحسن ما قاله الى أن فرغ؛ ثم أَقبلَ
على بَشَّار فقال : هذا طرازٌ لا تُحْسِنُه أَنْتِ يا أبا مُعَاذٍ؛ فقال له بشار : أَلِي يُقال
هذا ! أنا والله أَرَجُزُ منك ومن أَيْيَك وجدك؛ فقال له عُقْبَةُ : أنا والله وأَيُّ فَتَحْنَا

(١) أَيْش : بمعنى أي شيء خفف منه كما يقال : ويله في معنى : ويل لأمه، على الحذف لكثرة
الاستعمال . وقد قيل : إنه سمع من العرب كما قيل إنه مولد .

(٢) كان عُقْبَةُ والياً على البصرة من قبل أبي جعفر المنصور وكان عاتياً جباراً .

للناس باب الغريب وباب الرجز، ووالله إني خليق أن أسدّ عليهم؛ فقال بشار: أرحمهم رحمك الله! فقال عقبة: أتستخفني يا أبا معاذ وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر! فقال له بشار: فأنت إذاً من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً؛ ثم خرج من عنده عقبة مغضباً. فلما كان من غدٍ غداً على عقبة ابن سلم وعنده عقبة بن ربيعة، فأنشده أرجوزته التي مدحه فيها:

يا طلل الحي بذات الصمد ^١	بالله خير كيف كنت بعدي
أوحشت من دعدٍ وترّب دعدٍ	سقيّاً لأسماء ابنة الأشد ^٢
قامت تراءى إذ رأيتني وحدي	كالشمس تحت الزبرج المنقذ ^٣
صدت بخدّ وجلت عن خدّ	ثم أنثت كالنفس المرتد ^٤
عهدي بها سقيّاً له من عهد	تحلف وعداً وتقي بوعدي
فنحن من جهد الهوى في جهد	وزاهري من سيط وجعد
أهدى له الدهر ولم يستهد ^٥	أفواف ^٦ نور الخبر المجدي
يلقى الضحى ريحانه بسجد	بدلت من ذاك بكى لا يجدي
وافق حظاً من سعى بجدي	ما ضرّ أهل التوك ضعف الجدي
الحرّ يلحى والعصا للعبد	وليس للملحف مثل الرد ^٧
والنصف ^٨ يكفيك من التعدي	وصاحب كالدمل المدي
حملته في رقة من جلدي	أرغب منه مثل يوم الورد ^٩

(١) في معجم ما استعجم للبكري: الصمد: موضع في ديار بني يربوع. وفي معجم ياقوت: الصمد: ماء للضباب.

(٢) الزبرج: السحاب، والمنقذ: المتقطع.

(٣) استهدى فلان: طلب أن يهدى له.

(٤) الأفواف: جمع فوف وهو نوع من برود اليمن تشبه به الأزهار. والخبر: جمع حبرة كعنبه وقصبة وهي ضرب من برود اليمن منمر.

(٥) النصف: الإنصاف.

(٦) يقال: أمد الجرح: حدثت فيه المدة فهو ممد.

(٧) الورد: من أسماء الحمى.

حتى مضى غيرَ فقيدِ الفقدِ وما درى ما رَغِبَتِي من زُهْدِي
 إِسْلَمَ وَحَيَّتَ أَبَا الْمَلَدِ مفتاحَ بابِ الحَدَثِ المنسَدِ
 مُشْتَرَكَ النَّيْلِ وَرِيَّ الرَّندِ أغرَّ لبَّاسَ ثيابِ الحمدِ
 ما كان مِنِّي لك غيرُ الودِّ ثم ثناءً مثلُ رِيحِ الوردِ
 نَسَجْتُهُ فِي مُحْكَمَاتِ النَّدِّ فألبسَ طرازي غيرَ مُستَدِّ
 لله أَيُّمُكَ فِي مَعَدِّ وفي بني قحطانَ غيرَ عَدِّ
 يوماً بِذِي طَخْفَةٍ عِنْدَ الْحَدِّ ومثله أودعتُ أرضَ الهندِ
 بِالْمَرْهَفَاتِ وَالْحَدِيدِ السَّرْدِ والمقرباتِ المُبْعَدَاتِ الجُرْدِ
 إِذَا الْحَيَاءُ أَكْدَى بِهَا لَا تُكْدِي تُلْحِمُ أَمْرًا وَأُمُورًا تُسْدِي
 وَأَبْنُ حَكِيمٍ إِنْ أَتَاكَ يَرْدِي^١ أصمٌّ لَا يَسْمَعُ صَوْتَ الرِّعْدِ
 حَيَّتَهُ^٢ بِتُخْفَةٍ الْمَعْدِ فأنهدَ مثلَ الجبلِ المُنْهَدِ
 كُلَّ أَمْرٍ رَهْنٌ بَمَا يُؤْدِي ورُبَّ ذِي تاجٍ كَرِيمِ الْجَدِّ
 كَالِ كِسْرَى وَكَأَلِ بُرْدِ أنكبَ جافٍ عن سبيلِ القصدِ
 فَصَلَّتْهُ عَنْ مَالِهِ وَالْوُلْدِ

فطرب عُقْبَةُ بْنُ سَلَمٍ وَأَجْزَلَ صَلَّتَهُ، وَقَامَ عُقْبَةُ بْنُ رُؤْبَةَ خَرَجَ عَنِ الْمَجْلِسِ
 بِخِزْيٍ وَهَرَبَ مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِهِ فَلَمْ يَعُدْ إِلَيْهِ .

- (١) الطراز: ما نسج للسلطان من الثياب .
- (٢) طخفة: موضع بعد النجاج وبعد إمرة في طريق البصرة الى مكة، وفيه يوم طخفة لبني يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء .
- (٣) السرد: اسم جامع للدروع وسائر الخلق .
- (٤) الحيا: المطر . وأكدى: بخل .
- (٥) تلحم: تنسج اللحمه وهي ما نسج في الثوب عرضاً بخلاف السدى وهو ما مدّ من خيوطه طولاً، وفي المثل: «ألحم ما أسديت» أي قم ما بدأته .
- (٦) يردي: يعلو .
- (٧) في الأصول: «حيته» بالباء الموحدة، وهو تحريف .
- (٨) الأنكب: المائل، يقال: رجل أنكب عن الحق وناكب عنه أي مائل .

وذكر لي أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي هذا الخبر عن الجاحظ، وزاد فيه الجاحظ قال: فانظر الى سوء أدب عتبة بن ربيعة وقد أجمل بشار محضره وعشرته، فقابل به هذه المقابلة القبيحة، وكان أبوه أعلم خلق الله به، لأنه قال له وقد فآخره بشعره: أنت يا بُنيَّ ذُهبانُ الشعرِ اذا مُتَّ ماتَ شعركَ معكَ، فلم يوجد من يرويه بعدك؛ فكان كما قال له، ما يُعرفُ له بيتٌ واحدٌ ولا خبرٌ غيرُ هذا الخبر القبيح الاخبار عنه الدال على سُخفه وسقوطه وسوء أدبه.

مع معشوقة :

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دماذ قال حدثنا أبو عبيدة قال : كان بشار يهوى امرأةً من أهل البصرة يقال لها عبيدة، خرجت عن البصرة الى عُمان مع زوجها، فقال بشار فيها :

صوت

هوى صاحبي ريح الشمال اذا جرتْ وأشفى لقلبي أن تهبَّ جنوبُ
وما ذاك إلا أنها حين تنتهي تناهي وفيها من عبيدة طيبُ
عذيري من العذال إذ يعدُّونني سفاهاً وما في العاذلين لبيبُ

صوت

يقولون لو عزيت قلبك لأرعى فقلت وهل للعاشقين قلوبُ
إذا نطق القوم الجلوسُ فإني مكبٌ^٢ كأني في الجميع غريبُ

(١) اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند .

(٢) مكب : مطرق .

بشار ابو الشقمق :

أخبرني هاشم قال حدثني دَمَاز قال حدثني رجل من الأنصار قال :

جاء أَبُو الشَّقْمَقِ الى بشار يشكو اليه الصَّيْقَةَ^(١) ويحلف له أَنَّهُ ما عنده شيء؛ فقال له بشار : والله ما عندي شيء يُغْنِيكَ ولكن قُمْ معي الى عُقْبَةَ بنِ سَلَمٍ فقام معه فذكر له أبا الشقمق وقال : هو شاعرٌ وله شكر وثناء؛ فأمر له بخمسمائة درهم ؛ فقال له بشار :

يا واحدَ العرب الذي أمسى وليس له نَظِيرُ
لو كان مِثْلَكَ آخِرُ ما كان في الدنيا فَقِيرُ

فأمر لبشار بألفي درهم؛ فقال له أبو الشقمق : نفعتنا ونفعناك يا أبا مُعَاذٍ؛ فجعل بشار يضحك .

مع المنصور :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدثنا زكريّا بن يحيى أبو السُّكَيْنِ الطَّائِيّ قال حدثني زَحْرُ بنُ حِصْنٍ قال :

حجَّ المنصورُ فاستقبلناه بالرَّضَمِ الذي بين زُبَالَةَ^(٢) والشُّقُوقِ^(٣) فلما رَحَلَ من الشُّقُوقِ رَحَلَ في وقتِ الهاجرة فلم يركب القُبَّةَ^(٤) وركبَ نَجِيباً فسار بيننا فجعلت الشمسُ تضحكُ بين عينيه فقال : إني قائلٌ بيتاً فن أجازه وهبْتُ له جُبَّتِي هذه؛ فقلنا : يقول أمير المؤمنين؛ فقال :

(١) الصيقة بالكسر ويفتح : الفقر وسوء الحال .

(٢) زباله : منزلة معروفة بطريق مكة من الكوفة وهي قرية عامرة بها أسواق . والشقوق : منزل بطريق مكة بعد واقصة من الكوفة .

(٣) القبة : الهودج .

(٤) تضحك : تتلأأ .

وهاجرة نَصَبْتُ لها جِئني يُقَطِّعُ ظهرُها ظَهَرَ العِظَايَةِ^(١)

فبدر بشارُ الاعمى فقال :

وَقَفْتُ بِهَا الْقُلُوصَ ففاضَ دَمْعِي عَلَى خَدَيَّ وَأَقْصَرَ وَإِعْظَايَةِ

فترع الجبَّة وهو راكب فدفعها إليه . فقلت لبشار بعد ذلك : ما فعلت بالجَبَّة ؟
فقال بشارُ : بعثتها والله بأربعمائة دينار .

شعره الغث :

أخبرني أحمدُ بن العباس العسكري قال حدثنا الحسنُ بنُ عُليلٍ العَزَريُّ
قال حدثني عليُّ بن محمد النوفلي قال حدثني عبد الرحمن بن العباس بن الفضل بن
عبد الرحمن بن عيَّاش بن أبي ربيعة عن أبيه قال :

كان بشار منقطعاً إليّ وإلى إخوتي فكان يَغشانا كثيراً، ثم خرج إبراهيمُ بنُ
عبد الله فخرج معه عِدَّةٌ مِنَّا، فلما قُتِلَ إبراهيمُ توارَيْنَا، وجلس المنصورُ مِنَّا عِدَّةً
من إخوتي، فلما وَلِيَ المهديُّ أَمَّنَ الناسَ جميعاً وأطلقَ المحبوسين، فقدمتُ بغدادَ
أنا وإخوتي نلتَمِسُ أماناً من المهديِّ، وكان الشعراءُ يَجْلِسُونَ بالليل في مسجدِ
الرُّصَافَةِ يُنْشِدُونَ ويتحدثون، فلم أُطْلِعْ بشاراً على نفسي إلا بعد أن أظهر لنا
المهديُّ الأمانَ، وكتب أخِي إلى خليفته بالليل، فصَحَّتْ به : يا أبا مُعَاذٍ مَنْ
الذي يقول :

أَحِبُّ الْخَاتَمَ الْأَحْمَرَ مِنْ حُبِّ مَوَالِيهِ

(١) العظاية : دويبة ملساء تعدو وتتردد تشبه سام أبرص .

(٢) الرصافة : اسم لمواقع كثيرة والمراد هنا هي « رصافة بغداد » بالجانب الشرقي، ذكرها
ياقوت فقال : لما بنى المنصور مدينته بالجانب الغربي واستتمَّ بناءها أمر ابنه المهديُّ أن يعسكر في
الجانب الشرقي وأن يبني له فيها دوراً، وجعلها معسكراً له، فالتحق بها الناس وعمروها، فصارت
مقدار مدينة المنصور وعمل المهديُّ بها جامعاً أكبر من جامع المنصور وأحسن . وكان فراغ المهدي
من بناء الرصافة والجامع بها في سنة ١٥٩ هـ وهي السنة الثانية من خلافته .

فأعرض عني وأخذ في بعض إنشاده شعره، ثم صحتُ : يا أبا معاذٍ من الذي يقول :

إِنَّ سَلْمَى خُلِقَتْ مِنْ قَصَبٍ ۚ قَصَبِ السَّكَّرِ لَا عَظَمَ الْجَمَلِ ۚ
وَإِذَا أُدْنِيتَ مِنْهَا بَصَلًا ۚ غَلَبَ الْمِسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ

فغضبَ وصاح : من الذي يُقرِّعنا بأشياء كنا نعبثُ بها في الحداثةِ فهو يُعيرنا بها ! فتركته ساعةً ثم صحتُ به : يا أبا معاذٍ من الذي يقول :

أَخْشَابُ حَقًّا أَنْ دَارِكَ تُرَعَجُ ۚ وَأَنْ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَنْهَجُ ۚ

فقال : وَيحك ! عن مثلِ هذا فسَلْ، ثم أنشدها حتى أتى على آخرها، وهي من جيد شعره، وفيه غناء :

صوت

فَوَاكِدًا قَدْ أَنْضَجَ الشَّوْقُ نَصْفَهَا ۚ وَنَصْفٌ عَلَى نَارِ الصَّبَابَةِ يَنْضَجُ ۚ
وَوَاخِرَنَا مِنْهُمْ يَحْفَنُ هُودَجًا ۚ وَفِي الْهُودَجِ الْحَفُوفِ بَدْرٌ مُتَوَجُّ ۚ
فَإِنْ جِئْتَهَا بَيْنَ النِّسَاءِ فَقُلْ لَهَا ۚ عَلَيْكَ سَلَامٌ مَاتَ مَنْ يَتَرَوَّجُ ۚ
بَكَيْتُ وَمَا فِي الدَّمْعِ مِنْكَ خَلِيفَةٌ ۚ وَلَكِنْ أَحْزَانِي عَلَيْكَ تَوَهَّجُ ۚ

الغناء لسليم بن سلام رملٌ بالوسطى . ووجدتُ هذا الخبرَ بخط ابن مَهْرُويَه فذكر أنه قال هذه القصيدة في امرأة كانت تَغشى مجلسه وكان إليها مائلًا يقال لها خَشَابَةُ، فارسيَّةٌ، فَرُوجَتْ وأُخْرِجَتْ عن البصرة .

أخبرني عمي قال حدثني الكُراني قال حدثني أبو حاتم :

قال أبو النَّصِيرِ الشَّاعِرُ : أَنْشَدْتُ بِشَارًا قَصِيدَةً لِي، فَقَالَ لِي : أَيْجِيئُكَ شَعْرُكَ

(١) كذا في الأصول وفي زهر الآداب ج ١ ص ٢٠٦ طبع المطبعة الرحمانية .

إنما عظم سليمى خلتي قصب الخ

(٢) ينهج : يبلى .

هذا كلما شئت أم هذا شيء يجيئك في الفينة^١ بعد الفينة إذا تعمّلت^٢ له ؟ فقلت : بل هذا شعري يجيئني كلما أردته ؛ فقال لي : قل فإنك شاعر ؛ فقلت له : لعلك حابيتني أبا معاذٍ وتحمّلت^٣ لي ؛ فقال : أنت أبقاك الله أهون علي من ذلك .

اعتذار عن قبلة :

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن العُمري عن عباس بن عباس الزنادي عن رجل من باهلة قال :

كنتُ عند بشارٍ الأعمى فأتاه رجلٌ فسلمَ عليه ، فسأله عن خبر جاريةٍ عنده وقال كيف أبنتي ؟ قال : في عافية ، تدعوك اليوم ؛ فقال بشار : يا باهلي أنهض بنا ، فجئنا إلى منزلٍ نظيف وفَرشٍ سريٍّ ، فأكلنا ، ثم جيء بالنبيذ فشربنا مع الجارية ، فلما أراد الأنصراف قامت فأخذت بيد بشار ، فلما صار في الصحن أوماً إليها ليقبلها ، فأرسلت يدها من يده ، فجعل يحول في العُرصة ؛ وخرج المولى فقال : ما لك يا أبا معاذٍ ؟ فقال : أذنبتُ ذنباً ولا أبرحُ أو أقول شعراً ، فقال :

أتوبُ اليك من السيئات وأستغفر الله من فعلتي
تناولتُ ما لم أردُ نيله على جهلٍ أمرِي وفي سكرتي
ووالله والله ما جئته لعمدٍ ولا كان من همّتي
وإلا فمتُ إذا ضائعاً وعدّيني الله في ميّتي
فمن نال خيراً على قُبلةٍ فلا بارك الله في قُبَلتي

استنجاز وعد :

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا الرّياشي عن الأصمعي قال :

- (١) الفينة : الحين .
- (٢) تعمّلت له : تكلفت وتعبت واجتهدت .
- (٣) كذا في الأصول . ولعله « وتجمّلت لي » بالجميم أي تكلفت الجميل وتظاهرت لي به .
- (٤) سري : جيد .
- (٥) العُرصة : ساحة الدار .

لما أنشدَ بشارٌ أرجوزته :

يا طلل الحيّ بذات الصّمدِ

أبا الملدِّ عُقبةَ بنِ سلمٍ أمر له بخمسين ألفَ درهمٍ فأخراها عنه وكيّله ثلاثة أيامٍ فأمرَ غلامه بشارٌ أن يكتبَ على باب عُقبةَ عن عَيْنِ الباب :

ما زالَ ما مَنَيْتَنِي من هَمِّي والوعدُ غمٌّ فأزحُ من غَمِّي
إن لم تُردِ حَمْدِي فراقِبْ ذِمِّي

فلما خرج عُقبةُ رأى ذلك، فقال : هذه من فَعَلاتِ بشارٍ، ثم دعا بالقَهْرَمَانِ^(١) فقال : هل حملتَ الى بشارٍ ما أمرتُ له به ؟ فقال : أيها الأمير نحن مُضِيقُونَ^(٢) وغداً أحملها ؛ فقال : زدْ فيها عشرة آلاف درهم وأحملها اليه الساعة ؛ فحملها من وقته .

نفيه عن التشيب :

أخبرني هاشم قال حدثنا أبو غسانَ دَمَاز قال :

سألتُ أبا عُبيدةَ عن السبب الذي من أجله نَهَى المهديُّ بشاراً عن ذكر النساء قال : كان أوَّلُ ذلك أَسْتَهْتارَ نساءِ البصرة وشَبَّانِها بشعره، حتى قال سَوار ابن عبد الله الأكبر ومالكُ بن دينار : ما شَيْءٌ أدعى لأهل هذه المدينةِ الى الفسق من أشعار هذا الأعمى ؛ وما زالا يَعِظَانِه ؛ وكان واصلُ بن عطاء يقول :
إِنْ مِنْ أَخْدَعِ حَبَائِلِ الشَّيْطَانِ وَأَغْوَاهَا لَكَلِمَاتِ هَذَا الْأَعْمَى الْمَلْحِدِ . فلما كثر ذلك وانتهى خبره من وجوه كثيرة الى المهديِّ، وأنشدَ المهديُّ ما مدحه به ،
نَهاه عن ذكر النساء وقول التشيب ، وكان المهديُّ من أشدِّ الناس غيرةً ؛ قال :
فقلت له : ما أَحَسَبُ شِعْرَ هذا أبلغَ في هذه المعاني من شعر كثيرٍ وجميلٍ

(١) القهرمان : الوكيل أو أمين الدخل والخرج .

(٢) مضيقون : ضيقوا الحال .

وعروة بن حزام وقيس بن ذريح وتلك الطبقة؛ فقال: ليس كلُّ من يسمع تلك الأشعار يعرف المراد منها، وبشار يُقارب النساء حتى لا يُخفي عليهنَّ ما يقول وما يُريد، وأيُّ حُرَّةٍ حصانٍ تسمع قولَ بشار فلا يؤثر في قلبها، فكيف بالمرأة الغزلة والفتاة التي لا همَّ لها إلا الرجال! ثم أنشد قوله:

قد لآمني في خليلتي عَمَرُ واللَّومُ في غير كُفِّهِ ضَجَرُ
قال أفق قلت لا فقال بلى قد شاع في الناس منكما الخبرُ
قلت وإذ شاع ما اعتذارك ممَّا ليس لي فيه عندهم عُذْرُ
ما ذا عليهم وما لهم خرسوا لو أَنهم في عيوبهم نَظَرُوا
أعشقُّ وحدي ويؤخذون به كالتَّركِ تغرُّو فتؤخذُ الحَزَرُ
يا عجباً للخلاف يا عجباً يفي الذي لام في الهوى الحَجَرُ
حَسْبِي وحَسْبُ الذي كَلَفْتُ به مِنِّي ومنه الحديثُ والنظرُ
أو قُبلةٌ في خلال ذاك وما بأسٌ إذا لم تُحلَّ لي الأزرُ
أو عَصَّةٌ في ذراعها ولها فوق ذراعي من عَصِها أثرُ
أو لَمْسَةٌ دون مِرْطَها بيدي والبابُ قد حال دونه السُّتْرُ
والساقُ برآقةٌ مُخلَّطُها أو مَصْرُوقٌ رقيقٌ وقد علا البُهرُ^٢
وأستخرت الكفَّ للعراك وقالَتِ إِيَّه عَتِي والدمعُ مُنحدرُ
إنهضْ فما أنتَ كالذي زعموا أنتَ وربي مُغازِلُ أَشْرُ
قد غابتَ اليومَ عنكَ حاضِنَتِي واللهُ لي منك فيكَ يَتَنَصَّرُ
ياربِّ خذْ لي فقد ترى ضَرَعِي من فاسقٍ جاء ما به سَكْرُ
أهوى إلى مِعْصِدِي فرَضَضُهُ ذو قوَّةٍ ما يُطاقُ مُقْتَدِرُ
ألصقَ لي لِحْيَةً له خَشَنَتْ ذاتَ سوادٍ كأنها الإِبْرُ

(١) المرط: كساء من خزٍّ أو كتان يؤتزَّر به.

(٢) البهر بسكون ثانية: تتابع النفس وأنقطاعه من الإعياء وقد حرك للضرورة.

(٣) المعصِد: الدمليج، وهو حلي يلبس في المعصم.

حتى عَلَانِي وأُسْرِقِي غَيْبٌ^١ وَيَلِي عَلَيْهِمُ لَوْ أَنَّهُمْ حَضَرُوا
 أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَا نَجُوتَ بِهَا فَاذْهَبْ فَأَنْتَ الْمَسَاوِرُ الظُّفْرُ^٢
 كَيْفَ بَأْسِي إِذْ رَأْتُ شَفَقِي أَمْ كَيْفَ إِنْ شَاعَ مِنْكَ ذَا الْخَبْرِ^٣
 قَدْ كُنْتُ أَخْشَى الَّذِي ابْتَلَيْتُ بِهِ مِنْكَ فَمَاذَا أَقُولُ يَا عِبْرُ^٤
 قُلْتُ لَهَا عِنْدَ ذَاكَ يَا سَكْنِي لَا بَأْسَ إِنْ مَجَرَّبٌ^٥ خَيْرُ
 قَوْلِي لَهَا بَقَّةٌ لَهَا ظُفْرٌ إِنْ كَانَ فِي الْبَقِّ مَا لَهُ ظُفْرُ

ثم قال له : بمثل هذا الشعر تميل القلوب ويلين الصَّعبُ .

قال دَمَاز قال لي أبو عبيدة : قال رجلٌ يوماً لبشار في المسجد الجامع يُعَابِثُهُ :
 يَا أَبَا مُعَاذٍ أَيْعَجِبُكَ الْغَلَامُ الْجَادِلُ ؟ فقال غيرَ مُحْتَشِمٍ وَلَا مُكْتَرِثٍ : لَا ، وَلَكِنْ
 تُعَجِّبُنِي أُمُّهُ .

عند خالد البرمكي :

أخبرني عمي قال حدثنا العنزي قال حدثني محمد بن سهل عن محمد بن الحجاج
 قال :

ورد بشار على خالد بن برمك وهو بفارس فامتدحه : فوعده ومطله : فوقف
 على طريقه وهو يريد المسجد ، فأخذ بلجام بغلته وأنشده :

أَظَلَّتْ عَلَيْنَا مِنْكَ يَوْمًا سَحَابَةٌ أَضَاءَتْ لَنَا بَرْقًا وَأَبْطَأَ رِشَاشُهَا^٥

(١) غَيْبٌ : جمع غائب .

(٢) الْعِبْرُ (بتثنية العين وسكون الباء) . الجريء القوي الذي يشق ما مر به ، فلعل هذا هو المراد هنا ، وحركت الباء بحركة ما قبلها لضرورة الشعر .

(٣) الْمَجَرَّبُ بصيغة المفعول : من جرَّبه الأمور أحكمته ؛ والمَجَرَّبُ بصيغة الفاعل : من عرف الأمور وجرَّبها ، وكلاهما في هذا الموضع صحيح .

(٤) الْغَلَامُ الْجَادِلُ : اليفاع الذي قوي واشتد .

(٥) الرِّشَاشُ (بكسر الراء) : جمع رش (بالفتح) وهو المطر الخفيف .

فلا غيئها يُجلي فيئاس طامعٌ ولا غيئها يأتي فيزوي عطاشها

فَبَسْ بَغْلَتَهُ وَأَمْرٌ لَهُ بَعْشَرَةُ آلَافٍ دَرْهَمٌ، وَقَالَ: لَنْ تَنْصَرِفَ السَّحَابَةُ حَتَّى تَبْلُكَ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

تظاهر بالحج :

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدثنا الحسن بن عُليل قال حدثني عليّ بن حرب
الطائيّ قال حدثني إسماعيل بن زياد الطائيّ قال :

كَانَ رَجُلٌ مَنَا يُقَالُ لَهُ سَعْدُ بْنُ الْقَعْقَاعِ يَتَنَدَّمُ 'بَشَارًا' فِي الْمَجَانَةِ ، فَقَالَ لِبَشَارٍ
وَهُوَ يُنَادِمُهُ : وَيْحَكَ يَا أَبَا مُعَاذٍ ! قَدْ نَسَبْنَا النَّاسُ إِلَى الزَّرْدَقَةِ ، فَهَلْ لَكَ أَنْ
تَخُجَّ بِنَا حِجَّةً تَنْفِي ذَلِكَ عَنَّا ؟ قَالَ : نَعَمْ مَا رَأَيْتَ ! فَاشْتَرَيْتَ بَعِيرًا وَمَحْمِلًا
وَرَكِبًا ، فَلَمَّا مَرَّ بِزُرَّارَةَ قَالَ لَهُ : وَيْحَكَ يَا أَبَا مُعَاذٍ ! ثَلَاثَاةَ فَرَسَخٍ مَتَى نَقْطَعُهَا !
مِلْ بِنَا إِلَى زُرَّارَةَ نَتَنَعَّمْ فِيهَا ، فَذَا قَفَلَ الْحَاجُّ عَارِضُنَاهُمْ بِالْقَادِسِيَّةِ وَجَزَرْنَا رُؤُوسَنَا
فَلَمْ يَشْكُ النَّاسُ أَنَّا جِئْنَا مِنَ الْحَجِّ ؛ فَقَالَ لَهُ بَشَارٌ : نَعَمْ مَا رَأَيْتَ لَوْلَا خَبْتُ
لِسَانَكَ ، وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَفْضَحَنَا . قَالَ : لَا تَخَفْ . فَالَا إِلَى زُرَّارَةَ فَمَا زَالَا
يُشْرَبَانِ الْخَمْرَ وَيَفْسُقَانِ ، فَلَمَّا تَزَلَّ الْحَاجُّ بِالْقَادِسِيَّةِ رَاجِعِينَ ، أَخَذَا بَعِيرًا وَمَحْمِلًا
وَجَزَا رَأْسَيْهِمَا وَأَقْبَلَا وَتَلَقَّاهُمَا النَّاسُ يَهْتَوْنَهُمَا ؛ فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الْقَعْقَاعِ :

أَلَمْ تَرَنِي وَبَشَارًا حَجَجْنَا وَكَانَ الْحَجُّ مِنْ خَيْرِ التَّجَارَةِ
خَرَجْنَا طَائِلِي سَفَرٍ بَعِيدٍ فَالَ بِنَا الطَّرِيقُ إِلَى زُرَّارَةِ
فَأَبَ النَّاسُ قَدْ حَجَّجُوا وَبَرُّوا وَأَبْنَا مُوقِرِينَ مِنَ الْخُسَارَةِ

(١) كذا في أكثر الأصول، وفي بعضها: «يتندم» بتقديم النون على التاء، وليس في كتب اللغة
صيغة من هاتين الصيغتين مستعملة في المعنى الذي يدل عليه سياق الكلام وهو كثرة المنادمة .

(٢) زُرَّارَةُ (بضم أوله) : محلة بالكوفة .

(٣) القادسية : بلدة بينها وبين الكوفة خمسة عشر ميلًا، وبينها وبين العذيب أربعة أميال، كانت
بها وقعة سعد بن أبي وقاص المشهورة مع الفرس في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدثني محمد بن القاسم الدينوريّ قال حدثني محمد بن
عمران بن مطر الشاميّ قال حدثني محمد بن الحسن الضبيّ قال حدثني محمود
الوراق قال حدثني داود بن رزين قال :

أتينا بشاراً فأذن لنا والمائدة موضوعة بين يديه فلم يدعنا الى طعامه، فلما
أكل دعا بطست فكشف عن سوءته فقال؛ ثم حضرت الظهر والعصر فلم يصل،
فدعونا منه قلنا: أنت أستاذنا وقد رأينا منك أشياء أنكرناها؛ قال : وما هي ؟
قلنا : دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا إليه؛ فقال : إنما أذنت لكم أن تأكلوا
ولو لم أرد أن تأكلوا لما أذنت لكم؛ قال : ثم ماذا ؟ قلنا : ودعوت بطست
ونحن حضور فبلت ونحن نراك؛ فقال : أنا مكفوف وأنتم بصراء وأنتم المأمورون
بعض الأبصار، ثم قال : ومه ؟ قلنا : حضرت الظهر والعصر والمغرب فلم
تصل؛ فقال : إن الذي يقبلها تفاريق يقبلها جملة .

أخبرنا يحيى قال حدثني أبو أيوب المدنيّ عن بعض أصحاب بشار قال :

كنا إذا حضرت الصلاة نقوم ويقعد بشار فنجعل حول ثيابه تراباً لننظر هل
يصلّي، فنعود والتراب بحاله .

بشار والثقلاء :

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أبو أيوب عن الحرمازيّ قال :

قعد الى بشار رجل فاستثقله فصرط عليه ضرطة، فظن الرجل أنها أفلتت
منه، ثم صرط أخرى، فقال : أفلتت، ثم صرط ثالثة، فقال : يا أبا معاذ، ما هذا ؟

(١) في تهذيب التهذيب : « حسان » بدون الألف واللام .

(٢) يريد « لما أذنت لكم بالدخول » .

(٣) ومه : أصله « وما » فأبدلت الألف هاء للوقف والسكت .

قال : مه ! أَرَأَيْتَ أَمْ سَمِعْتَ ؟ قال : بل سمعتُ صوتاً قبيحاً ، فقال : فلا تُصدّق
حقى ترى .

قال : وأنشد أبو أيوب لبشارٍ في رجل استثقله :

ربما يثقلُ الجليسُ وإن كا ن خفيفاً في كِفَّةِ الميزانِ
كيفَ لا تحمِلُ الأمانةَ أرضُ حَمَلَتْ فوقها أبا سُفيانِ

وقال فيه أيضاً :

هل لك في مالي وعرضي معاً وكلّ ما يملك جيرانيه
واذهبْ الى أبعدِ ما يُنتوى لا ردّكَ الله ولا ماله

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثني محمد بن إبراهيم الجيليّ قال
حدّثني محمد بن عمران الصّبّيّ قال أنشدنا الوليد بن يزيد قولَ بشار الأعمى :

أيّها الساقيانِ صَبّاً شِراي وأسقياني من ريقِ بيضاءِ رُودِ
إن دائي الظّمّ وإن دوائي شربةٌ من رُضابِ ثغرِ برُودِ
ولها مَضْحَكٌ كُفْرٌ الأَقاحي وحديثٌ كالوشى وشي البرُودِ
تزلتُ في السّوادِ من حَبّةِ القلـبِ ونالتُ زيادةَ المُستزِيدِ
ثم قالت نلقاك بعد لَيالٍ والليالي يُبَلِّغُ كلَّ جديـدِ
عندها الصبرُ عن لقائي وعندي زَفَرَاتُ يَأْكُلْنَ قلبَ الحديـدِ

قال : فطرب الوليد وقال : مَنْ لي بمزاجِ كاسي هذه من ريقِ سَلْمَى فَيَزْوِي
ظَمِّي وَتَطْفَأُ غُلَّتِي ! ثم بكى حتى مزج كأسه بدمعه ، وقال : إن فاتنا
ذاك فهذا .

(١) يُنتوى : يُقصد .

(٢) الرود : الشابة الحسنة الشباب والأصل فيها الهمز وقد سهلت للضرورة .

هجاء جاره :

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد بن
سليمان الطفاوي قال حدثني عبد الله بن أبي بكر - وكان جليساً لبشار - قال :
كان لنا جارٌ يُكنى أبا زيد وكان صديقاً لبشار، فبعث إليه يوماً يطلبُ منه ثياباً
بنسيئة^١ فلم يصادفها عنده، فقال يهجوهُ :

ألا إنَّ أبا زيدٍ زنى في ليلة القدرِ
ولم يرع، تعالى الله ربِّي، حرمة الشهرِ

وكتبها في رُقعة وبعث بها إليه، ولم يكن أبو زيد ممن يقول الشعر، فقلبها وكتب
في ظهرها :

ألا إنَّ أبا زيدٍ له في ذلكم عُذرٌ
أنته أمُّ بشارٍ وقد ضاق بها الأمرُ
فوائبها فجامعها وما ساعده الصبرُ

قال : فلما قرئتُ على بشار غضب وندم على تعرّضه لرجل لا نباهة له، فجعل
ينطح الحائط برأسه غيظاً، ثم قال : لا تعرّضتُ لهجاء سَفَلَةٍ^٢ مثل هذا أبداً .

شعره في قينة :

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مَهْرُويَةَ قال حدثني بعضُ ولد أبي عُبَيْدِ الله
وزير المهدي، قال :

دخل بشار على المهدي وقد عرّضتُ عليه جاريةً مُغَنِّيةً فسمع غناءها فأطربه
وقال لبشار : قل في صفتها شعراً، فقال :

(١) النسيئة : التأخير، يقال : باعه بنسيئة : إذا أخر له ثمن الشيء المبيع .

(٢) سَفَلَةُ الناس وسِفْلَتُهُم : أسافلهم وغوغاؤهم .

ورائحة^١ للعين فيها خيلة^٢ إذا برقت لم تسق بطن صعيد
من المستهلات السرور على الفتى خفا^٣ برقها في عبقر^٤ وعقود
كأن لساناً ساحراً في كلامها أعين بصوت للقلوب صيود
تميت به ألبابنا وقلوبنا مراراً وتحييناً بعد همود

شعره في عقبة بن سلم :

أخبرني عمي قال حدثنا أبو أيوب المديني قال قال أبو عدنان حدثني يحيى
ابن الجون قال :

دخل بشار يوماً على عقبة بن سلم فأنشده قوله فيه :

صوت

إنما لذّة الجواد ابن سلم في عطاء ومركب اللقاء
ليس يعطيك للرجاء ولا الخوف ولكن يلد طعم العطاء
يسقط الطير حيث ينتثر الحب وتغشى منازل الكرماء
لا أبالي صفح اللثيم ولا تجري دموعي على الحرون الصفاء
فعلى عقبة السلام مقيماً وإذا سار تحت ظل اللواء

فوصله بعشرة آلاف درهم . وفي هذه الابيات خفيف رمل مطلق في مجرى
البنصر ليراذل وهو من مختار صنعته وصدورها وما تشبه فيه بالقدماء ومذاهبهم .

(١) الرائحة : واحدة الروائح وهي السحب التي تقي رواحاً، ويقابلها « الغادية » .

(٢) الخيلة (بفتح الميم) : الظن .

(٣) خفا البرق يخفو خفوا وخفوا : لمع وظهر .

(٤) يريد ثيابها، وتنسب الى قرية باليمن تسمى عبقر توشى بها الثياب والبسط، وثيابها
أجود الثياب .

رواية خلف الأحمر عنه :

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال
حدثنا أحمد بن خلاد عن الأصمعي، وأخبرني به الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن
القاسم بن مهرويه قال حدثني أحمد خلاد عن الأصمعي قال :

كنتُ أشهدُ خَلْفَ بنِ أبي عمرو بن العلاء وخَلْفًا الأحمرَ يأتیانِ بشاراً ويُسلِّمانِ
عليه بغاية التعظيم ثم يقولان : يا أبا مُعاذٍ، ما أَدَّثْتَ ؟ فيخبرُهما ويُشَدُّهُما
ويَسْأَلانِه ويكُتبانِ عنه مُتَواضِعِينَ له حتى يَأْتِيَ وقتُ الظَّهرِ ثم يَنصَرِفانِ عنه،
فأتياه يوماً فقالا له : ما هذه القصيدةُ التي أَدَّثْتَها في سَلَمِ بنِ قتيبة ؟ قال :
هي التي بَلَّغْتُكُمَا؛ قالَا : بلغنا أنكَ أَكْثَرْتَ فيها من الغريب؛ فقال : نعم، بلغني
أنَّ سَلَمًا يَتَبَاَصَرُ^(١) بالغريب فأُجِبتُ أن أُورِدَ عليه ما لا يعرفُه؛ قالَا : فَأَنشَدْنَاهَا،
فَأَنشَدُهما :

بَكْرًا صَاحِيَّ قَبْلَ الهَجِيرِ إِنَّ ذَاكَ النِّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ

حتى فرغ منها؛ فقال له خَلْفٌ : لو قلت يا أبا مُعَاذٍ مكان « إِنَّ ذَاكَ النِّجَاحَ » :

بَكْرًا فَالنِّجَاحُ فِي التَّبْكِيرِ

كان أحسن؛ فقال بشار : بَنَيْتُهَا أَعْرَابِيَّةً وَحَشِيَّةً، فقلتُ : « إِنَّ ذَاكَ النِّجَاحَ »
كما يقول الأعرابُ البدويون، ولو قلتُ : « بَكْرًا فَالنِّجَاحُ » كان هذا من كلام
المولدين ولا يُشَبِّه ذلك الكلام ولا يدخلُ في معنى القصيدة؛ فقام خَلْفٌ فقبَّلَ
بينَ عَيْنَيْهِ؛ وقال له خَلْفُ بنِ أبي عمرو يُمَازِحُه : لو كان عُلاثةً^(٢) ولدك يا أبا
مُعَاذٍ لَفَعَلْتُ كما فعل أخِي، وَلَكِنَّكَ مَوَلًى، فمَدَّ بشارُ يَدَه فضرب بها فخذَ
خَلْفٍ وقال :

(١) يتباصر بالغريب : يظهر أنه بصير به .

(٢) يريد أنه لو كان عربياً لقبه كما يدل على ذلك السياق . ويظهر أنه لا يريد بعلاثة اسماً
بعينه ولكنه أتى بهذا الاسم لأنه خاص بالعرب .

أَرُفِقُ بَعْمَرٍوَ إِذَا حَرَّكَتَ نِسْبَتَهُ فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ مِنْ قَوَارِيرِ
فَقَالَ لَهُ : أَفَعَلْتَهَا يَا أَبَا مُعَاذٍ ! قَالَ : وَكَانَ أَبُو عَمْرٍوَ يُغَمِّزُ فِي نِسْبِهِ .
وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ هَذَا الْخَبَرِ حَبِيبُ بْنُ نَصْرٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ شُبَّةَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ،
فَذَكَرَ نَحْوَهُ وَقَالَ فِيهِ : إِنَّ سَلْمًا يُعْجِبُهُ الْغَرِيبُ .

هجاؤه :

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُرَاعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ تَبْنَةُ قَالَ قَالَ
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ قَالَ قَالَ لِي خَلْفٌ :

كَنتُ أَسْمَعُ بِيَشَارٍ قَبْلَ أَنْ أَرَاهُ ، فَذَكَرَهُ لِي يَوْمًا وَذَكَرُوا بَيَانَهُ وَسُرْعَةَ جَوَابِهِ
وَجُودَةَ شَعْرِهِ ، فَاسْتَنْشَدْتُهُمْ شَيْئًا مِنْ شَعْرِهِ ، فَأَنْشَدُونِي شَيْئًا لَمْ يَكُنْ بِالْمَحْمُودِ
عِنْدِي ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا تَبْنِيهِ وَلَا طَاطِئٌ مِنْهُ ، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى بَابِهِ ، فَرَأَيْتُهُ
أَعْمَى قَبِيحَ الْمَنْظَرِ عَظِيمِ الْجَمَّةِ ، فَقُلْتُ : لَعَنَ اللَّهُ مَنْ يُبَايِلِي هَذَا ، فَوَقَفْتُ أَتَأَمَّلُهُ
طَوِيلًا ، فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنَّ فُلَانًا سَبَّكَ عِنْدَ الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ
سُلَيْمَانَ وَوَضَعَ مِنْكَ ؟ فَقَالَ : أَوْقَدْ فَعَلَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَأُطْرَقَ ، وَجَلَسَ الرَّجُلُ عِنْدَهُ
وَجَلَسْتُ ، وَجَاءَ قَوْمٌ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ ، فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَقَدْ دَرَّتْ
أُودَاجُهُ ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا سَاعَةً حَتَّى أَنْشَدَنَا بِأَعْلَى صَوْتِهِ وَأَنْخَمِهِ :

نُبِّئْتُ نَائِكَ أُمِّهِ يَغْتَابُنِي عِنْدَ الْأَمِيرِ وَهَلْ عَلِيَ أَمِيرُ
نَارِي مُحَرَّقَةٌ وَبَيْتِي وَاسِعٌ لِلْمَعْتَفِينَ وَجُلْسِي مَعْمُورُ
وَلِي الْمَهَابَةُ فِي الْأُجْبَةِ وَالْعِدَا وَكَأَنِّي أَسَدٌ لَهُ تَأْمُورُ^٢
غَرَّتْ^٣ حَلِيلَتُهُ وَأَخْطَأَ صَيْدَهُ فَلَهُ عَلَى لَقَمٍ^٤ الطَّرِيقَ زَيْدُ

(١) درت : امتلأت دما؛ والأوداج : جمع ودج وهو عرق في العنق يقطعه الذابح فلا تبقى معه حياة .

(٢) التأمور : عرين الأسد .

(٣) غرَّت : جاعت .

(٤) لقم الطريق : متنه ووسطه .

قال : فارتعدتُ والله فرأيتني وأتَشَعَّرَ جلدي وعَظُمَ في عيني جدًّا ، حتى قلت في نفسي : الحمد لله الذي أبعدني من شرِّكَ .

مدحه خالد بن برمك :

نسختُ من كتاب هارونَ بن عليّ بن يحيى قال حدَّثني عليّ بن مهديّ قال حدَّثنا العباسُ بن خالد قال :

مدح بشارُ خالدَ بنَ برمكٍ فقال فيه :

لعمري لقد أجدى عليّ ابنُ برمكٍ وما كلُّ من كان الغنى عنده يُجدي
حلبتُ بشعري راحتيه فدرّتا سماحاً كما درّ السحابُ مع الرعدِ
إذا جثته للحمد أشرق وجهه إليك وأعطاك الكرامة بالحمدِ
له نعمٌ في القوم لا يستثيها جزاءً وكَيْلَ التاجر المدَّ بالمدِّ
مُفيدٌ ومتلافٌ ، سبيلُ ثرائه^١ إذا ما غدا أوراخَ كالجزر والمدِّ
أخالدُ إنَّ الحمدَ يبقى لأهله جمالاً ولا تبقى الكنوزُ على الكدِّ
فأطعمُ وكلُّ من عارةٍ مُستردةٍ ولا تُبقها، إن العواري للردِّ

فأعطاه خالدُ ثلاثين ألفَ درهمٍ ، وكان قبل ذلك يُعطيهِ في كلِّ وفادةٍ خمسةَ آلاف درهمٍ ، وأمر خالدُ أن يُكتبَ هذان البيتان^٢ في صدر مجلسه الذي كان يجلس فيه . وقال ابنه يحيى بن خالد : آخِرُ ما أوصاني به أبي العملُ بهذين البيتين .

عمر بن العلاء ومدائح الشعراء فيه :

أخبرني عمي قال حدَّثنا عبد الله بن عمر بن أبي سعد قال حدَّثني محمد بن عبد الله بن عثمان قال :

(١) التراث (بضم التاء) : ما يخلفه الرجل لورثته وهو بهذا المعنى لا يتمشى مع كلمات البيت ولا المعنى الذي يريده الشاعر من أن الممدوح كسوب متلاف ، فإله دائماً لذلك يعتوره النقص والزيادة والظاهر أن كلمة « ترائه » محرقة عن « ثرائه » .
(٢) يريد البيتين الأخيرين .

كان أبو الوزير مولى عبد القيس من عُمَّال الخراج، وكان عفيفاً نجياً، فسأل
عُمَرَ بنَ العلاء، وكان جواداً شجاعاً، في رجل فوهب له مائة ألف درهم؛ فدخل
أبو الوزير على المهدي فقال له: يا أمير المؤمنين، إن عُمَرَ بنَ العلاء خائن؛ قال:
ومن أين علمت ذلك؟ قال: كَلِمَ في رجل كان أَقْصَى أَمَلِهِ ألفَ درهم فوهب
له مائة ألف درهم؛ فضحك المهدي ثم قال: «قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ على شَاكِلِيَّتِهِ»،
أما سمعت قول بشار في عُمَرَ:

إذا دِهَمْتِكَ عِظَامُ الْأُمُورِ فَتَنِيهِ هَا عُمَرَا ثُمَّ نَحْمُ
فَتَى لَا يَنَامُ على دِمْنَةٍ وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بَدَمُ

أَوْ مَا سَمِعْتَ قَوْلَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ فِيهِ:

صوت

إِنَّ الْمَطَايَا تَشْتَكِيكَ لِأَنَّهَا قَطَعَتْ إِلَيْكَ سَبَاباً وَرِمَالاً
فَإِذَا وَرَدْنَ بَنَا وَرَدْنَ مُخِجَةً وَإِذَا رَجَعْنَ بَنَا رَجَعْنَ ثِقَالاً

— الغناء لإبراهيم ثاني ثقیل بالوسطی عن عمرو بن بانه — أَوْ لَيْسَ الَّذِي
يَقُولُ فِيهِ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

يَا بْنَ الْعَلَاءِ وَيَا بْنَ الْقَرْمِ مِرْدَاسٍ إِنْني لَأُطْرِيكَ فِي صَحْبِي وَجَلَّاسِي
حَتَّى إِذَا قِيلَ مَا أَعْطَاكَ مِنْ نَشَبٍ أُلْفَيْتُ مِنْ عُظْمٍ مَا أُسْدَيْتُ كَالنَّاسِي

ثم قال: مَنْ أَجْتَمَعَتْ أَلْسُنُ النَّاسِ على مدحه كان حَقِيقاً أَنْ يُصَدِّقَ بِفَعْلِهِ.

شعره في جارية له سوداء:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو بكر الرِّبَيعي قال:

(١) الدمنة: الحقد، وقيل لا يكون الحقد دمنةً حتى يأتي عليه الدهر.

كانت لبشار جارية سوداء وكان يَتَعُّ عليها، وفيها يقول :

وغادة سوداء برّاقة كالماء في طيب وفي لين
كانها صيغت لمن نالها من عنبر بالمسك معجون

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابنُ مَهْرُويَه قال حدثني أبو السَّيْلِ
الْبَرْجُمِيّ قال : قال رجلٌ لبشار : إنَّ مدائحك عُقبة بنِ سَلَمٍ فوق مدائحك كلَّ
أحدٍ ؛ فقال بشار : إنَّ عطاياه إِيَّايَ كانت فوق عطاء كلِّ أحدٍ ؛ دخلتُ إليه يوماً
فأنشدته :

حرّم الله أن ترى كآبنِ سَلَمٍ عُقبةَ الخيرِ مُطعمَ الفقراءِ
ليس يُعطيكَ للرجاء ولا الخوفِ ولكن يَلْدُ طعمَ العطاءِ
يَسْقُطُ الطيرُ حيثُ يَنْتَثِرُ الحُبُّ وتُغشى منازلُ الكرماءِ

فأمر لي بثلاثة آلاف دينار، وها أنا قد مدحتُ المهديَّ وأبا عبيد الله وزيره
- أو قال يعقوب بن داود - وأقتُ بأبوابها حوْلاً فلم يعطيني شيئاً، أفألامُ
على مدحي هذا ! .

مع أبي الشَّمَقِ :

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ أيضاً حدثني عليّ قال حدثني عبيد الله
ابن أبي الشَّيْصِرِ عن دِجِلِ بن عليّ قال :

كان بشارٌ يُعطي أبا الشَّمَقِ في كلِّ سنة مائتي درهمٍ ، فأتاه أبو الشَّمَقِ
في بعض تلك السنين فقال له : هَلُمَّ الجزيةَ يا أبا مُعَاذٍ ؛ فقال وَيْحَكَ ! أَجْزِيَةٌ هِيَ !
قال : هو ما تَسْمَعُ ؛ فقال له بشارٌ يُمازحه : أَنْتَ أَفْصَحُ مِنِّي ؟ قال : لا ؛ قال :
فأَعْلَمُ مِنِّي بِمَثَلِ النَّاسِ ؟ قال : لا ؛ قال : فَأَشْعَرُ مِنِّي ؟ قال : لا ؛ قال : فَلِمَ
أُعْطِيكَ ؟ قال : لئَلَّا أَهْجُوكَ ؛ فقال له : إِنَّ هَجَوْتَنِي هَجَوْتُكَ ؛ فقال له أبو
الشَّمَقِ : هَكَذَا هُوَ ؟ قال : نعم ، فقل ما بدا لك ؛ فقال أبو الشَّمَقِ :

إني إذا ما شاعرٌ هجائيهِ ولجّ في القول له إسانيهِ
أدخلته في أستر أمّه علانيهِ بشارٌ يا بشارٌ

وأراد أن يقول : « يابن الزانيهِ »؛ فوثب بشارٌ فأمسك فاه، وقال : أراد والله أن يشتمني، ثم دفع إليه مائتي درهم ثم قال له : لا يسمعن هذا منك الصبيان يا أبا الشمقمق .

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثني الحسن بن عليل العزري قال حدثني محمد بن بكر قال حدثني الأصمعي قال :

أمر عقبة بن سلم الهنائي لبشار بعشرة آلاف درهم، فأخبر أبو الشمقمق بذلك فوافى بشاراً فقال له : يا أبا معاذ، إني مررت بصبيان فسمعتهم ينشدون :

هَلِّلِينَهُ هَلِّلِينَهُ طَعْنَ قِثَاةً لَتِينَهُ
إِنَّ بشارَ بن بردٍ تيس أعمى في سفِينَهُ

فأخرج إليه بشارٌ مائتي درهم فقال : خذ هذه ولا تكن راوية الصبيان يا أبا الشمقمق .

هجاؤه العباس :

أخبرني أحمد قال حدثنا أبو محمد الصّغّري قال حدثنا محمد بن عثمان البصري قال :

استمنح بشارٌ بن برد العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فلم يمنحه، فقال يهجوه :

ظَلُّ اليَسارِ على العباسِ ممدودٌ وَقَلْبُهُ أبدأً في البخلِ مَعقودٌ
إِنَّ الكَرِيمَ لِيُخْفِي عنكَ عُسرَتَهُ حَتَّى تَراه غَنِيّاً وهو مَجْهُودٌ

(١) نسبة الى هناة بن مالك، وبنو هناة هم وهط عقبة بن سلم .

وللبخيلِ على أمواله عِلٌّ زُرْقُ العيونِ عليها أَوْجُهُ سُودٌ
 إِذَا تَكَرَّهَتْ أَنْ تُعْطِيَ القليلَ ولم تَقْدِرْ على سَعَةٍ لم يَظْهَرْ الجُودُ
 أَوْزِقُ بَخِيرٍ تُرَجَّى للنَّوَالِ فما تُرَجَى الثَّيَارُ إِذَا لم يُورِقِ العودُ
 بُثَّ النَّوَالِ ولا تَمْنَعُكَ قِلَّتُهُ فكلُّ ما سدَّ فَقْرًا فهو مُحْمُودُ

أخبرني أحمد قال حدثنا العنزي قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي قال حدثني
 أبي عن عباد بن عباد قال :

مررتُ بِبَشَّارٍ فقلتُ : السلامُ عليك يا أبا مُعَاذٍ ؛ فقال : وعليك السلام ، أعباد ؟
 فقلتُ : نعم ؛ قال : إني لحسنُ الرأيِ فيكَ ؛ فقلتُ : ما أحوجني إلى ذلك منك
 يا أبا معاذ ! .

أخبرني يحيى بن علي قال أخبرني محمد بن عمر الجرجاني عن أبي يعقوب
 الحرَّيمي^١ الشاعر أن بَشَّارًا قال : لم أزل منذ سمعتُ قولَ امرئ القيس في تشبيهه
 شيئين بشيئين في بيتٍ واحدٍ حيث يقول :

كأنَّ قلوبَ الطيرِ رطبًا ويابسًا لدى وكرها العُنبُ والحشَفُ البالي
 أُعْمِلُ نفسي في تشبيه شيئين بشيئين في بيتٍ حتى قلتُ :
 كأنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فوقَ رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُه
 قال يحيى : وقد أخذ هذا المعنى منصورُ النَّمَريُّ فقال وأحسنَ :
 ليلٌ من النَّقْعِ لا شمسٌ ولا قمرٌ إلا جبينك والمذروبةُ الشُّرْعُ^٢

تقدير اسحاق الموصلي بشعره :

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي قال : كان إسحاقُ الموصلي يُطعنُ على

(١) هكذا أورد شارح القاموس هذا الاسم في المستدرك في مادة « خرم » وقال : « هو أبو يعقوب
 إسحاق بن حسان بن قوهي الحرَّيمي بالضم من شعراء الدولة العباسية ، قيل له ذلك لاتصاله بخريم بن
 عامر بن الحارث المرثي المعروف بالناعم ، وقيل : لاتصاله بابنه عثمان بن خريم ، وقيل : هو مولاهم »
 (٢) المذروبة : المحددة ، والشرع : المشروعة والمراد بها السيوف .

شعر بشارٍ ويضعُ منه ويدكر أنَّ كلامه مُختلفٌ لا يشبه بعضه بعضاً؛ فقلنا: أتقولُ هذا القولَ لمن يقولُ :

صوت

إذا كنتَ في كلِّ الأمور مُعاتباً صديقكَ لم تلقَ الذي لا تُعاتبُهُ
فِعشٌ واحداً أوِصلُ أخاكَ فإنه مُقارِفٌ ذنبٍ مرَّةً ومُجانبُهُ
إذا أنتَ لم تشربْ مراراً على القذى ظمِئتَ وأيُّ الناسِ تصفو مشاربُهُ

- لأبي العباس بن حمدون في هذه الأبيات خفيفٌ ثقيلٌ بالبصرة -
قال علي بن يحيى : وهذا الكلام الذي ليس فوقه كلامٌ من الشعر ولا حشوٌ فيه ؛ فقال لي إسحاق : أخبرني أبو عبيدة مَعمر بنُ المثنى أن شَيْلَ بنَ عَزْرَةَ الضَّبْعِيَّ أنشده هذه الأبيات للمتلمس ، وكان عالماً بشعره لأنها جميعاً من بني ضَبِيعَةَ ؛ فقلتُ له : أفليس قد ذكر أبو عبيدة أنه قال لبشار : إن شَيْلاً أخبره أنها للمتلمس ؛ فقال : كذبَ والله شَيْلٌ ، هذا شعري ، ولقد مدحتُ به ابنُ هُبَيْرَةَ فأعطاني عليه أربعين ألفاً . وقد صدقَ بشارٌ ، قد مدح في هذه القصيدة ابنُ هُبَيْرَةَ ، وقال فيها :

رُويدٌ تصاهلُ بالعراق جِيادُنا كأنك بالضحَّاك قد قام نادِبُهُ
وسامٍ لمروانٍ ومن دونه الشَّجا وهولٌ كلُّج البحر جاشت غوارِبُهُ
أحلتْ به أمُّ المنايا بناتها بأسيا فناء ، إنا ردى من نُحارِبُهُ

(١) مقارِف ذنب : مخالطه ومرتكبه ، من قارِف الخطيئة إذا خالطها .

(٢) ورد هذا الاسم في القاموس مادة شبل « عروة » بالراء والواو وأستدرك عليه شارحه فقال : « شبل بن عروة هكذا في النسخ والصواب ابن عَزْرَةَ بالزاي » وكذلك ورد « عَزْرَةَ » بالزاي في تاريخ الطبري (قسم ٢ ج ٦ ص ١٩١٣ طبع أوربا) .

(٣) في اللسان (مادة رود) : وقال الليث : إذا أردت « برويدا » الوعيد نصبتها بلا تنوين ، وأنشد : رويدٌ تصاهل بالعراق جِيادُنا الخ . وفي الأصول : « رويدا » بالتنوين .

وكنّا إذا دبَّ العدو لِسْخَطِنَا وراقبنا في ظاهرٍ لا نراقبه
ركبنا له جهراً بكلِّ مُثَقِّفٍ وأبيضَ تَسْتَسْقِي الدِّمَاءَ مَضَارِبُهُ

ثم قلتُ لإِسْحاقَ : أخبرني عن قول بَشَّارٍ في هذه القصيدة :

فلَمَّا تَوَلَّى الْحَرُّ وَأَعْتَصَرَ الثَّرَى لَطَى الصَّيْفِ مِنْ نَجْمٍ تَوَقَّدَ لِأَهْبَةِ
وطارت عَصَافِيرُ الشَّقَائِقِ وَأَكْتَسَى مِنَ الْآلِ أَمْثَالَ الْمَجْرَةِ نَاضِبُهُ
غَدَتْ عَانَةٌ تَشْكُو بِأَبْصَارِهَا الصَّدَى إِلَى الْجَابِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تُخَاطَبُهُ

— العانةُ : القطيعُ من الحمير، والجابُ : ذكرها . ومعنى شكواها الصدى بأبصارها
أنَّ العطش قد تبينَ في أحداقها فغارت — قال : وهذا من أحسن ما وُصف به
الحمارُ والائْتُنُّ ، أفهذا للمتلمس أيضاً ! قال : لا ؛ فقلت : ألما هو في غاية الجودة
وشبيهُ بسائر الشعر ؟ فكيف قصد بَشَّارٌ لسرقة تلك الأبياتِ خاصة ! وكيف
خصه بالسرقة منه وحده من بين الشعراء وهو قبله بعصرٍ طويل ! وقد روى
الرواةُ شعره وعلم بشارٌ أنَّ ذلك لا يخفى ، ولم يُعثرْ على بشارٍ أنه سرقَ شعراً
قطَّ جاهلياً ولا إسلامياً . وأخرى فإنَّ شعر المتلمس يُعرفُ في بعض شعر بشارٍ ؛
فلم يردُّ ذلك بشيء .

وقد أخبرني بهذا الخبر هاشمُ بنُ محمد الخراعيّ قال حدثنا أبو غسان دماذ
عن أبي عبيدة أنَّ بشاراً أنشده :

إذا كنتَ في كلِّ الأمور مُعَاتِباً صديقكَ لم تلقَ الذي لا تُعَاتِبُهُ

وذكر الأبيات . قال : وأنشدتها سُبَيْلُ بْنُ عَزْرَةَ الضُّبَعِيُّ ، فقال : هذا للمتلمس ؛
فأخبرتُ بذلك بشاراً ، قال : كذب والله سُبَيْلٌ ، لقد مدحتُ ابنَ هُبَيْرَةَ بهذه
القصيدة وأعطاني عليها أربعين ألفاً .

(١) الشقائق : جمع شقيقة وهي أرض صلبة بين رياض تنبت الشجر والعشب .

(٢) الآل : السراب .

(٣) المجرة : نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء .

قائد المأمون يتمثل بشعره :

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدثنا عليّ بن مهديّ قال حدثنا عليّ بن إبراهيم
المروزيّ، وكان أبوه من قواد طاهر، قال حدثني أبي قال :

لما خلغ محمد المأمونَ وندب له عليّ بن عيسى، ندب المأمونُ للقاء عليّ بن
عيسى طاهر بن الحسين ذا اليمينين^١ وجلس له لعرضه وعرض أصحابه، فربّ به
ذو اليمينين معترضاً وهو يُنشدُ :

رؤيدَ تصاهلُ بالعراق جياذنا كأنك بالضحّاك قد قام ناديه

فتفائل المأمونُ بذلك فاستدناه فاستعاده البيت فأعاد عليه؛ فقال ذو الرّياستين^٢ :
يا أمير المؤمنين هو حَجَرُ العراق؛ قال : أجل . فلما صار ذو اليمينين الى العراق
سأل : هل بقي من ولد بشار أحد ؟ فقالوا : لا ؛ فتوهّمت أنه قد كان همّ
لهم بخير .

غضبه لسرقه شعره :

أخبرني يحيى قال حدثنا أبي قال أخبرني أحمد بن صالح - وكان أحد الأدباء -
قال :

(١) ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان (ج ١ ص ٣٣٥) طاهراً هذا وقال في سياق ترجمته:
واختلفوا في تلقيبه بذى اليمينين لأيّ معنى كان فقيل : لأنه ضرب شخصاً في وقته مع عليّ بن ماهان
فقدّه نصفين وكانت الضربة يبساره فقال فيه بعض الشعراء :

كلتا يديك يمين حين تضربه

وذكر أيضاً في ترجمة الفضل بن سهل (ج ١ ص ٥٨٩) أن الفضل كان أعلم الناس بعلم النجامة ، فلما
عزم المأمون على إرسال طاهر بن الحسين الى محاربة أخيه الأمين، نظر الفضل في مسألته فوجد
الدليل في وسط السماء وكان ذا يمينين، فأخبر المأمون بأن طاهراً يظفر بالأمين ويلقب بذى اليمينين،
فلقب المأمون طاهراً بذلك، وهو أشهر قواده .

(٢) هو الفضل بن سهل وزير المأمون، ولقب بذى الرياستين لأنه تقلد الوزارة والسيف .

(٣) يريد أنه الركن الذي يعول عليه .

غَضِبَ بَشَارٌ عَلَى سَلَمٍ الْخَاسِرِ وَكَانَ مِنْ تِلَامِذَتِهِ وَرُؤَاتِهِ فَاسْتَشْفَعَ عَلَيْهِ
بِجَاعَةٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فُجَاءَوه فِي أَمْرِهِ : فَقَالَ لَهُمْ : كُلُّ حَاجَةٍ لَكُمْ مَقْضِيَّةٌ إِلَّا
سَلَمًا؛ قَالُوا : مَا جِئْنَاكَ إِلَّا فِي سَلَمٍ وَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ تَرْضَى عَنْهُ لَنَا؛ فَقَالَ :
إِنَّ هُوَ الْخَبِيثُ؟ قَالُوا : هَا هُوَ هَذَا؛ فَقَامَ إِلَيْهِ سَلَمٌ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ
وَقَالَ : يَا أَبَا مُعَاذٍ، خَرَّيْجُكَ وَأَدْيُبُكَ؛ فَقَالَ : يَا سَلَمُ، مَنْ الَّذِي يَقُولُ :
مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكُ اللَّهْجُ
قَالَ : أَنْتَ يَا أَبَا مُعَاذٍ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ! قَالَ : فَمَنْ الَّذِي يَقُولُ :
مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجُسُورُ^١

قَالَ : خَرَّيْجُكَ يَقُولُ ذَلِكَ (يَعْنِي نَفْسَهُ)؛ قَالَ : أَقْتَأْخُذُ مَعَانِيَّ الَّتِي قَدْ عُنِيتُ
بِهَا وَتَعَبْتُ فِي اسْتِنْبَاطِهَا، فَتَكْسُوهَا أَلْفَظًا أَخْفَ مِنْ أَلْفَظِي حَتَّى يُرَوَى مَا
تَقُولُ وَيَذْهَبَ شُعْرِي! لَا أَرْضَى عَنْكَ أَبَدًا، قَالَ : فَمَا زَالَ يَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ؛ وَيَشْفَعُ
لَهُ الْقَوْمُ حَتَّى رَضِيَ عَنْهُ . وَفِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ يَقُولُ بَشَارٌ :
لَوْ كُنْتُ تَلَقِينَ مَا نَلَقَى قَسَمْتُ لَنَا يَوْمًا نَعِيشُ بِهِ مِنْكُمْ وَنَبْتَهِجُ

صوت

لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ إِنْ كُنَّا كَذَا أَبَدًا لَا نَلْتَقِي وَسَبِيلُ الْمَلْتَقَى نَهْجٌ^٢
قَالُوا حَرَامٌ تَلَاقِينَا فَقُلْتَ لَهُمْ مَا فِي التَّلَاقِي وَلَا فِي قُبْلَةِ حَرَجٍ
مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكُ اللَّهْجُ
أَشْكُو إِلَى اللَّهِ هَمًّا مَا يُفَارِقُنِي وَشُرْعًا فِي فُؤَادِي الدَّهْرَ تَعْتَلِجُ

(١) هَذَا الْبَيْتُ وَبَيْتُ بَشَارٍ قَبْلَهُ يَذْكُرُهَا عُلَمَاءُ الْبَلَاغَةِ شَاهِدًا لِحَسَنِ اخْتِصَارِ الشَّاعِرِ الثَّانِي مِنَ الْأَوَّلِ،
وَيُسَمُّونَهُ حَسْنَ الْإِتْبَاعِ، لِأَنَّ بَيْتَ سَلَمٍ أَجُودُ سَبْكَاً وَأَخْصَرُ لَفْظاً (أَنْظُرْ مَعَاهِدَ التَّنْصِيفِ صَفْحَةُ ٥٠٦
طَبْعُ بُولَاقِ) .

(٢) فِي مَعَاهِدِ التَّنْصِيفِ : « إِنْ دَمْنَا » .

(٣) النَّهْجُ : الْبَيْنُ، الْوَاضِحُ .

(٤) الشَّرْعُ : الرَّمَاخُ وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا الْخَوَاطِرُ وَمَا إِلَيْهَا بِمَجَازٍ، وَتَعْتَلِجُ : تَتَضَارَبُ وَتَتَارَسُ .

أخبرنا محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليّ العنزي قال
حدثنا أحمد بن خالد قال : أنشدت الأصمعي قول بشار يهجو بهلة :
ودعاني مَعَشَرٌ كُلُّهُمْ حُمُقٌ دام لهم ذاك الحُمُقُ
ليس من جرم ولكن غاظهم شر في العارض قد سدّ الأفق
فاغتاظ الأصمعي فقال : ويلى على هذا العبد القنّ ابن القنّ ! .

دفاعه عن الشيب :

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى قال حدثني علي بن مهدي قال
حدثني عباس بن خالد قال سمعت غير واحد من أهل البصرة يحدث :
أن امرأة قالت لبشار : أي رجل أنت لو كنت أسود اللحية والرأس ! قال
بشار : أما علمت أن بيض البزاة أثمن من سود الغربان ؟ فقالت له : أما قولك
حسن في السمع ، ومن لك بأن يحسن شيبك في العين كما حسن قولك في السمع !
فكان بشار يقول : ما أحفني قط غير هذه المرأة .

ونسخت من كتابه : حدثني علي بن مهدي قال حدثني إسحاق بن كلبه قال
قال لي أبو عثمان المازني :

سئل بشار : أي متاع الدنيا آثر عندك ؟ فقال : طعامٌ مُرٌّ ، وشرابٌ مُرٌّ ،
وبنتٌ عشرين بكر .

مع امرأة :

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد ، وأخبرنا الحسن بن علي قال

(١) القن : عبده مملوك هو وأبوه .

(٢) المز : ما كان طعمه بين الحموضة والحلاوة .

حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو توبة
عن صالح بن عطية قال :

كان النساء المتظرفات يدُخلْنَ الى بشار في كلِّ جمعة يومين، فيجتمعن عنده
ويستمن من شعره، فسمع كلامَ امرأةٍ منهنّ فعلقها قلبه وراسلها يسألها أن تُواصله؛
فقلت لرسوله : وأيُّ معنى فيك لي أو لك في ! وأنت أعمى لا تراني فتعرف
حسني ومقداره، وأنت قبيحُ الوجه فلا حظَّ لي فيك ! فليت شعري لأيِّ شيء
تطلب وصال مثلي ! وجعلت تهزأ به في المخاطبة؛ فأدّى الرسولُ الرسالةَ، فقال
له : عد اليها فقل لها :

أيري له فضلٌ على آيارهم وإذا أشطَّ سجدنَ غير أوابي
تلقاه بعد ثلاثِ عشرةَ قائماً فعل المؤذن شكَّ يومَ سحاب
وكان هامةَ رأسه بطيخةً حملتُ الى ملكٍ بدجلة جابي^٢

دقة حسه النقدي :

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدّثنا أبو هقّان قال أخبرني أحمد بن عبد
الأعلى الشيباني عن أبيه قال :

قال مروان لبشار لما أنشده هذا البيت :

وإذا قلتُ لها جودي لنا خرجت بالصمت من لا ونعم

جعلني الله فداءك يا أبا معاذ ! هلاً قلتَ : « خرسيت بالصمت »؛ قال : إذا أنا في
عقلك فض الله فاك ! أأتطير على من أحبّ بالخرس ! .

(١) أشط : أنعط، وأوابي : ممتنعات واحداً « آبية » .

(٢) جاب : وصف من جبي الخراج يجبيه ويجباه أي جمعه .

مدحه خالدًا :

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني بعضُ أصحابنا قال :
وقد بشار إلى خالد بن برمك وهو على فارس فأنشده :

أخالدُ لم أخطُ^١ اليك بدمّةٍ سوى أنني عافٍ وأنتَ جوادُ
أخالدُ بينَ الأجرِ والحمدِ حاجتي فأيتها تأتي فأنتَ عمادُ
فإن تُعطيني أفرغْ عليك مدائحِي وإن تأبَ لم يُضربْ عليّ سِدادُ^٢
ركابي على حرفٍ وقلبي مُشيعٌ^٣ ومالي بأرضِ الباخلينَ بلادُ
إذا أنكرتني بلدةٌ أو نكرتها خرجتُ مع البازي عليّ سوادُ

قال : فدعا خالد بأربعة آلاف دينار في أربعة أكياس فوضع واحداً عن يمينه
وواحداً عن شماله وآخرَ بينَ يديه وآخر خلفه، وقال : يا أبا معاذ، هل أستقلّ
العماد ؟ فلمس الأكياسَ ثم قال : أستقلّ والله أيها الأميرُ .

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلبيّ قال حدّثنا عمرُ بنُ شبة قال قال محمدُ بن
الحجاج حدّثني بشار قال :

دخلت على الهيثم بن معاوية وهو أمير البصرة، فأنشدته :

إنّ السّلام أيّها الأميرُ عليك والرّحمةُ والسّرورُ

فسمعتُه يقول : إنّ هذا الأعمى لا يدعنا أو يأخذُ من دراهمنا شيئاً ؛ فطمعتُ
فيه فما برحتُ حتى انصرفتُ بجائزته .

(١) أي لم أسر اليك لطلب معروفك متوسلاً بعهد؛ ورواية الخزّانة للبغداديّ ج ١ ص ٥٤٠
طبع بولاق . « لم أهبط » .

(٢) السداد بالكسر : ما يسدّ به الثلمة ونحوها .

(٣) الحرف : الناقة القوية، والمشيّع : الشجاع .

مفاخرة :

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سلام قال :

وقف رجلٌ من بني زيد شريفٌ، لا أُحِبُّ أَنْ أُسَمِّيَهُ، على بَشَّارٍ، فقال له :
يا بَشَّارُ قد أَفْسَدْتَ عَلَيْنَا مَوَالِينَا، تَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِنْتِفَاءِ مِنَّا وَتُرْغِبُهُمْ فِي الرُّجُوعِ
إِلَى أَصُولِهِمْ وَتَرْكِ الْوَلَاءِ، وَأَنْتَ غَيْرُ زَاكِي الْقَرَعِ وَلَا مَعْرُوفِ الْأَصْلِ؛ فقال له
بَشَّارٌ : وَاللَّهِ لَا أَصِلِي أَكْرَمُ مِنَ الذَّهَبِ، وَلَفَرَعِي أَزْكَى مِنْ عَمَلِ الْأَبْرَارِ، وَمَا فِي
الْأَرْضِ كَلْبٌ يُوَدُّ أَنْ نَسْبِكَ لَهُ بِنَسْبِهِ، وَلَوْ سَأَلْتُ أَنْ أَجْعَلَ جَوَابَ كَلَامِكَ كَلَامًا
لَفَعَلْتُ، وَلَكِنْ مَوْعِدُكَ غَدًا بِالْمَرْبَدِّ؛ فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ أَنْ
بَشَّارًا يَحْضُرُ مَعَهُ الْمَرْبَدَ لِيَفَاخِرَهُ، فَخَرَجَ مِنَ الْغَدِ يَرِيدُ الْمَرْبَدَ فَإِذَا رَجُلٌ يُنْشِدُ :
شَهِدْتُ عَلَى الزَّيْدِيِّ أَنْ نِسَاءَهُ ضَبَاعٌ إِلَى أَيْرِ الْعُقَيْلِيِّ تَرَفُّرُ

فسأل عَمَّنْ قَالَ هَذَا الْبَيْتَ؛ فَقِيلَ لَهُ : هَذَا لِبَشَّارٍ فَيْكَ؛ فَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ مِنْ فَوْرِهِ
وَلَمْ يَدْخُلِ الْمَرْبَدَ حَتَّى مَاتَ .

قَالَ ابْنُ سَلَامٍ : وَأَنْشَدَ رَجُلٌ يَوْمًا يُونُسَ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ وَهِيَ :

بَلَوْتُ بَنِي زَيْدٍ فَمَا فِي كِبَارِهِمْ حُلُومٌ وَلَا فِي الْأَصْغَرَيْنِ مُطَهَّرٌ
فَأَبْلَغُ بَنِي زَيْدٍ وَقِلَ لَسْرَاتِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ سَرَاةٌ تُوقَرُ
لَا مَكَمِ الْوَيَلَاتُ إِنْ قَصَائِدِي صَوَاعِقُ مِنْهَا مُنْجَدٌ وَمَغُورٌ
أَجَدَّهُمْ لَا يَتَّقُونَ دَنِيَّةً وَلَا يُؤْثِرُونَ الْخَيْرَ وَالْخَيْرَ يُؤْثِرُ

(١) كَذَا فِي أَكْثَرِ الْأَصُولِ . وَفِي هـ : « أَنْ أَجْعَلَ جَوَابَ كَلَامِنَا شِعْرًا لَفَعَلْتُ » . وَلَعَلَّهُ « جَوَابُ
كَلَامِكَ شِعْرًا » .

(٢) ضَبَاعٌ : جَمْعُ ضَبْعَةٍ وَأَصْلُهُ النَّاقَةُ تَشْتَبِهُ الْفَحْلَ ، يُقَالُ : ضَبَعْتُ النَّاقَةَ تَضْبَعُ ضَبْعًا وَضَبْعَةٌ أَيْ
اشْتَبَهَتْ الْفَحْلَ ، وَقَدْ يَسْتَعْمَلُ فِي النِّسَاءِ كَمَا وَقَعَ فِي هَذَا الْبَيْتِ (انْظُرِ اللَّسَانَ وَالْقَامُوسَ مَادَّةَ ضَبْعَ) .

(٣) يُقَالُ : أَجْدَكَ بِكَسْرِ الْجِيمِ وَأَجْدَكَ بَفَتْحِهَا وَنَضَبَهَا عَلَى الْمَصْدَرِ ، قَالَ اللَّيْثُ : مَنْ قَالَ :
أَجْدَكَ بِكَسْرِ الْجِيمِ فَانْهَ يَسْتَحْلِفُهُ بِجَدِّهِ وَحَقِيقَتُهُ إِذَا فَتَحَ الْجِيمَ اسْتَحْلَفَهُ بِجَدِّهِ وَهُوَ بِخْتِهِ .

يَلْفُونُ^١ أولاد الزنى في عدادهم فعدّتهم من عدة الناس أكثر
إذا ما رأوا من دأبه مثل دأبهم أطافوا به، والغى للغى^٢ أصور^٣
ولو فارقوا من فيهم من دعار^٤؟ لما عرفتهم أمهم حين تنظر
لقد فحروا بالملحقين^٥ عشيّة فقلت أخروا إن كان في اللؤم مفخر
يريدون مسعاتي ودون لقائها قناديل أبواب السموات تره^٦
فقل في بني زيد كما قال مغرب^٧ قوارير حجام غداً تتكسر

فقال يونس^٨ للذي أنشده : حسبك حسبك ! من هيّج هذا الشيطان عليهم ؟
يل : فلان ؛ فقال : ربّ سفيه قوم قد كسب لقومه شراً عظيماً .

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مَرْوِيه قال حدثني عبد الله بن بشر بن هلال
قال حدثني محمد بن محمد البصري قال حدثني النضر بن طاهر أبو الحجاج قال :
قال بشار : دعاني عقبة بن سلم ودعا بجناد عجرد وأغشى بأهله، فلما اجتمعنا
عنده قال لنا : إنه خطر بيالي البارحة مثل^٩ يتمثله الناس : « ذهب الحمار يطلب
قرنين فجاء بلا أذنين » فأخرجوه من الشعر، ومن أخرجه فله خمسة آلاف درهم،
وان لم تفعلوا جلدتكم كلكم خمسمائة؛ فقال حماد : أجلبنا أغرّ الله الأمير شهراً؛
وقال الاعشى : أجلبنا أسبوعين؛ قال : وبشار ساكت لا يتكلم؛ فقال له عقبة :
مالك يا أعمى لا تتكلم ! أعمى الله قلبك ! فقال : أصلح الله الأمير، قد
حضرني شيء فإن أمرت قلته؛ فقال قل ؛ فقال :

(١) يلفون : يجمعون .

(٢) أصور : أميل ، يقال : صور يصور صوراً أي مال .

(٣) أي لو فارقوا من انضم اليهم من طريق الدعار .

(٤) يريد بالملحقين : الذين استلحقوهم وألصقوهم بهم من أولاد الزنى .

(٥) المسعاة : المكرمة والمعلقة في أنواع المجد والجود . وفي اللسان : « والعرب تسمي ماثر
أهل الشرف والفضل « مساعي » واحدها مسعاة لسعيهم فيها كأنها مكاسبهم وأعمالهم التي أعنوا فيها
أنفسهم » .

(٦) تره : تتلأأ .

سَطَّ بِسَلْمَى عَاجِلُ الْبَيْنِ وَجَاوَرْتُ أُسْدَ بَنِي الْقَيْنِ
 وَرَنْتِ النَّفْسُ لَهَا رَنَّةً كَادَتْ لَهَا تَنْشَقُ نَصْفَيْنِ
 يَابَنَةُ مَنْ لَا أَشْتَهِي ذَكَرَهُ أَخَشَى عَلَيْهِ عُقْلَ الشَّيْنِ
 وَاللَّهُ لَوْ أَلْقَاكَ لَا أَتَّقِي عَيْنًا لَقَبَلْتُكَ أَلْفَيْنِ
 طَالَبْتُهَا دِينِي فَوَاعَتْ بِهِ وَعَلَّقَتْ قَلْبِي مَعَ الدِّينِ
 فَصَرْتُ كَالْعَيْرِ غَدَا طَالِبًا قَرْنَا فَلَمْ يَرْجِعْ بِأُذُنَيْنِ

قال : فَأَنْصَرَفَ بِشَارٍ بِالْجَائِزَةِ .

مع نزول بالبصرة :

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى : حدثنا علي بن مهدي قال
 حدثني عبد الله بن عطية الكوفي قال حدثني عثمان بن عمرو الثقفي قال قال
 أبان بن عبد الحميد اللاحقي :

نزل في ظاهر البصرة قومٌ من أعراب قيس عيلان وكان فيهم بيانٌ وفصاحةٌ،
 فكان بشار يأتهم وينشدهم أشعاره التي يدح بها قيساً فيجلونه لذلك ويعظمونه،
 وكان نساؤهم يجلسن معه ويتحدثن إليه وينشدن أشعاره في الغزل وكن
 يُعجبن به ، وكنت كثيراً ما آتي ذلك الموضع فأسمع منه ومنهم ، فأتيهم يوماً
 فإذا هم قد ارتحلوا، فجيئت إلى بشار فقلت له : يا أبا معاذ ، أعلمت أن القوم قد
 ارتحلوا ؟ قال : لا ؛ فقلت : فأعلم ؛ قال : قد علمت لا علمت ! ومضيت ، فلما
 كان بعد ذلك بأيام سمعت الناس يُنشدون :

دعا بفراق من تهوى أبان ففاض الدمع وأحترق الجنان
 كأن شرارة وقعت بقلبي لها في مُقلتي ودمي أسنان
 إذا أنشدت أو نسيت عليها رياح الصيف هاج لها دُخان

فعلِمتُ أنها لبشار ، فأثبته فقلت : يا أبا مُعاذ ، ما ذنبي إليك ؟ قال : ذنب غراب
البن ؛ فقلت : هل ذكرتني بغير هذا ؟ قال : لا ؛ فقلت : أنشدك الله ألا تريد ؛
فقال : أمض لشأنك لقد تركتُك .

تساميه :

ونسختُ من كتابه : حدثني علي بن مهدي قال حدثني يحيى بن سعيد
الأيوزردي المعتزلي قال حدثني أحمد بن المعذل عن أبيه قال :

أنشد بشار جعفر بن سليمان :

أَقْلِي فَإِنَّا لَاحِقُونَ وَإِنَّمَا يُؤْخِرُنَا أَنَّا يُعَدُّ لَنَا عَدَا
وما كنتُ إلا كالأغرَّ ابن جعفرِ رأى المال لا يبقى فأبقى به حمدا

فقال له جعفر بن سليمان : مَنْ ابنُ جعفر ؟ قال : الطيارُ في الجنة ؛ فقال : لقد
ساميتَ غير مُسامي ! فقال : والله ما يُقعدُني عن شأوه بعدُ النسبُ ، لكن قلةُ
النسبِ ، وإني لأجودُ بالقليل وإن لم يكن عندي الكثيرُ ، وما على مَنْ جاد
بما يملك ألا يهبَ البدورُ ؛ فقال له جعفر : لقد هزرتَ أبا مُعاذ ، ثم دعا له
بكيس فدفعه إليه .

سر ميله للهجاء :

ونسخت من كتابه : حدثني علي بن مهدي قال حدثني أحمد بن سعيد
الرازي عن سليمان بن سليمان العلوي قال :

(١) الطيار لقب جعفر بن أبي طالب ، وسبب هذا اللقب أنه أخذ الراية في غزوة « موة » بعد
زيد بن حارثة فقاتل حتى قطعت يداه ومات ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يطير مع الملائكة
في السماء ، وكان ابن عمر إذا سلم على عبد الله بن جعفر قال : السلام عليك يا بن ذي الجناحين .
(انظر البخاري بشرح القسطلال ج ٦ ص ١٤٣ طبع بولاق) .

(٢) البدور : جمع بدرة وهي كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار .

قيل لبشار : إنك لكثيرُ الهجاء ! فقال : إني وجدتُ الهجاءَ المؤلمَ آخذَ بضبعِ الشاعرِ من المديحِ الرائعِ ، ومن أراد من الشعراء أن يُكرمَ في دهر اللثامِ على المديحِ فليستعدَّ للفقرِ وإلا فليبالغِ الهجاءَ ليُخافَ فيُعطى .

في صباه :

أخبرني هاشمُ بن محمد الخزازي قال حدثنا أبو غسانَ دَمَازَ عن أبي عُبَيْدة قال : كان بُردُ أبو بشارَ طَيَّاناً حاذقاً بالتَّطيينِ ، ووُلِدَ له بشارٌ وهو أعمى ، فكان يقول : ما رأيتُ مولوداً أعظمَ بركةً منه ، ولقد وُلِدَ لي وما عندي درهمٌ فما حال الحولِ حتى جمعتُ مائتيَ درهمٍ . ولم يمت بُردٌ حتى قال بشارُ الشعرَ . وكان لبشارِ أخوان يُقال لأحدهما : بشر ، وللآخر : بشير ، وكانا قصَّايين وكان بشارُ باراً بهما على أنه كان ضيقَ الصدرِ مُتبرِّماً بالناسِ ، فكان يقول : اللهم إني قد تبرَّمتُ بنفسي وبالناسِ جميعاً ، اللهم فأرحني منهم . وكان إخوته يَسْتَعِيرُونَ ثيابه فيوسِّخونها ويُنتِنون ريحها ، فأتخذَ قيصاً له جِيبانَ وحلفَ ألا يُعيرهم ثوباً من ثيابه ، فكانوا يأخذونها بغيرِ إذنه ؛ فإذا دعا بثوبه فلبسه فأنكرَ راحته فيقول : إذا وجدَ رائحةً كريهةً من ثوبه : « أَيْنَا أَتَوَّجَهَ أَلْقَ سَعْدًا » . فإذا أعياه الأمرُ خرج إلى الناسِ في تلكَ الثيابِ على نثنها ووسخها ، فيقال له : ما هذا يا أبا مُعَاذٍ ؟ فيقول : هذه ثمرَةُ صِلَةِ الرَّحِمِ ، قال : وكان يقولُ الشعرَ وهو صغيرٌ ، فإذا هجا قوماً جاءوا إلى أبيه فشكَّوه فيضربُه ضرباً شديداً ، فكانت أمه تقول : كم تضربُ هذا الصبيَّ الضَّريءَ ، أما ترحمه ! فيقول : بلى والله إني لأرحمه ولكنه

(١) الضبع : العضد .

(٢) كذا بالأصول وآفتران جواب الشرط الصالح للشرطيَّة بالفاء خلاف الأصل (انظر شرح الأشموني ج ٣ ص ٦٠ طبع بولاق) .

(٣) هذا مثل يضرب لمن يلقى سوءَ المعاشرة في كلِّ مكان ، وأصله أن الأضبط بن قُريع كان سيِّد قومه فرأى منهم جفوةً فرحل عنهم إلى آخرين فرآهم يصنعون بساداتهم مثل ذلك فقال هذا القول .

يتعرضُ للناس فيشكونه إليّ؛ فسمعه بشارٌ فطَمِع فيه فقال له : يا أبتِ إنَّ هذا الذي يشكونه مِنِّي إليك هو قولُ الشعر ، وإني إن أَلَمْتُ عليه أَغْنَيْتُكَ وسائرَ أهلي ، فإن شَكُونِي إليك فقل لهم : أليس الله يقولُ : (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ) فلما عاودوه شَكْوَاهُ قال لهم بُردٌ ما قاله بشارٌ ؛ فأنصرفوا وهم يقولون : فَقَهُ بُردٍ أَغِيظُ لَنَا مِنْ شَعْرِ بَشَار .

حباء عاشق له :

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ قال حدَّثني محمدُ بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدَّثني محمد بن عثمان الكُرَيزيُّ قال حدَّثني بعضُ الشعراء قال :

أَتَيْتُ بِشَّارًا الْأَعْمَى وَبَيْنَ يَدَيْهِ مَائَتَا دِينَارٍ ، فَقَالَ لِي : خذْ مِنْهَا مَا شِئْتَ ، أَوْ تَدْرِي مَا سَبَبُهَا ؟ قُلْتُ : لَا ؛ قَالَ : جَاءَنِي فَتًى فَقَالَ لِي : أَنْتَ بِشَّارٌ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ؛ فَقَالَ : إِنِّي آلَيْتُ أَنْ أَدْفَعَ إِلَيْكَ مَائَتِي دِينَارٍ وَذَلِكَ أَنِّي عَشِيقْتُ أَمْرَأَةً فَجِئْتُ إِلَيْهَا فَكَلَّمْتُهَا فَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَيَّ ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَتْرَكَهَا فَذَكَرْتُ قَوْلَكَ :

لَا يُؤَيِّسُنَاكَ مِنْ حُبَّاءٍ قَوْلُ تَغْلِظُهُ وَإِنْ جَرَحَا
عُسْرُ النِّسَاءِ إِلَى مُيَاسِرَةٍ وَالصَّعْبُ يُكِنُّ بَعْدَ مَا جَمَحَا

فعدتُ إِلَيْهَا فَلَازِمْتُهَا حَتَّى بَلَغْتُ مِنْهَا حَاجَتِي .

مع النحويين :

أخبرني عمي قال حدَّثني الكُرَانيُّ عن أَبِي حَاتِمٍ قَالَ :

كَانَ الْأَخْفَشُ طَعَنَ عَلَى بِشَّارٍ فِي قَوْلِهِ :

فَالْآنَ أَقْصَرَ عَنْ سُمَيَّةَ بَاطِلِي وَأَشَارَ بِالْوَجَلِيِّ عَلِيٍّ مَشِيرِ

وَفِي قَوْلِهِ :

على الغزلَى مِنِّي السَّلامُ فَرَبَّما لَهَوْتُ بِهَا فِي ظِلِّ مَرْءٍ وَمَةٍ زُهر

وفي قوله في صفة سفينة :

تُلاعِبُ نِينَانَ الْبُحُورِ وَرَبَّما رَأَيْتَ نَفُوسَ الْقَوْمِ مِنْ جَرِّهَا تَجْرِي

وقال : لم يُسَمِعْ من الوَجَلِ والغَزَلِ فعلى ، ولم أَسْمَعْ بُنُونِ وَنِينَانَ ؛ فبلغ ذلك بَشَّارًا فقال : وَيَلِي على الْقَصَّارِينَ ! متى كانتِ الفصاحةُ في بيوتِ الْقَصَّارِينَ ! دَعُونِي وإِيَّاهُ ؛ فبلغ ذلك الْأَخْفَشُ فبكى وَجَزَعٌ ؛ فقيل له : ما يُبْكِيكَ ؟ فقال : وما لي لا أَبْكِي وقد وَقَعْتُ في لسانِ بَشَّارٍ الْأَعْمَى ! فذهب أَصْحَابُهُ إلى بَشَّارٍ فَكَذَّبُوا عنه وَأَسْتَوْهَبُوا منه عِرْضَهُ وسألوه أَلَّا يَهْجُوهُ ؛ فقال : قد وَهَبْتُهُ لِلْوَمِّ عِرْضَهُ . فكان الْأَخْفَشُ بعد ذلك يَحْتَجُّ بِشعره في كُتُبِهِ لِيَبْلُغَهُ ؛ فَكَفَّ عن ذكره بعد هذا .

قال : وقال غيرُ أَبِي حَاتِمٍ : إِنَّمَا بَلَغَهُ أَنَّ سَيَبَوِيهَ عَابَ هَذِهِ الْأَحْرَفَ عَلَيْهِ لا الْأَخْفَشَ ، فقال يَهْجُوهُ :

أَسْبَوِيهَ يَا بَنَ الْفَارَسِيَّةِ مَا الَّذِي تَحَدَّثْتَ عَنْ شَتْمِي وَمَا كُنْتَ تَنْبِذُ
أَظَلْتُ تُغَيِّي سَادِرًا فِي مَسَاءِ تِي وَأُمُّكَ بِالْمُضَرِّينِ تُعْطِي وَتَأْخُذُ

قال : فتوقَّاه سَيَبَوِيهَ بعد ذلك ، وكان إِذَا سُئِلَ عن شيءٍ فَأَجَابَ عنه ووجدَ له شَاهِدًا من شعرِ بَشَّارٍ أَحْتَجُّ بِهِ أَسْتَكْفِافًا لَشَرِّهِ .

(١) مرعومة : محبوبة مألوفة .

(٢) ورد هذا الجمع في كتب اللغة ، فقد جاء في لسان العرب والقاموس وغيرهما في مادة «نون» : النون : الحوت والجمع أنوان ونينان .

(٣) القصار : من يحوّر الثياب ويدقها .

(٤) الأحرف : الكلمات .

(٥) السادر : المنحير ، والذي يتكلم غير مثبت في كلامه ، وقيل : هو اللاهي الذي لا يهتم لشيء ولا يبالي ما صنع .

ذم بني سدوس :

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال
حدثني أحمد بن علي بن سويد بن منجوف قال :

كان بشار مجاوراً لبني عقيل وبني سدوس في منزل الحيين، فكانوا لا
يزالون يتفاخرون، فاستعانت عقيل ببشار وقالوا له: يا أبا معاذ، نحن أهلك وأنت
أبننا وربيت في حُجُورنا فأعنا؛ فخرج عليهم وهم يتفاخرون، فجلس ثم أنشد :

كَأَنَّ بَنِي سَدُوسٍ رَهْطَ ثَوْرٍ خَنَافِسُ تَحْتَ مُنْكَسِرِ الْجِدَارِ
تُحَرِّكُ لِلْفَخَارِ زُبَانِيَّهَا وَخَرُّ الْخُنَفَاءِ مِنَ الصَّغَارِ

فوثب بنو سدوس إليه فقالوا: ما لنا ولك يا هذا! نعوذ بالله من شرك! فقال:
هذا دأبكم إن عاودتم مفاخرة بني عقيل؛ فلم يُعاودوها.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثني محمد بن إسماعيل
عن محمد بن سَلَام قال: قال يونس النحوي: العجب من الأزدي دعون هذا
العبد ينسب بنسائهم ويهجو رجالهم - يعني بشاراً - يقول:

أَلَا يَا صَنَمَ الْأَزْدِ الَّذِي يَدْعُونَهُ رَبًّا

أَلَا يَبْعَثُونَ إِلَيْهِ مَنْ يَفْتِقُ بَطْنَهُ ! .

أخبرني الحسن قال حدثني ابن مَهْرُويه عن أحمد بن إسماعيل عن محمد بن
سَلَام قال :

مر ابن أخ لبشار ببشار ومعه قوم : فقال لرجل معه وسمع كلامه : من هذا ؟
فقال : ابن أخيك ؛ قال : أشهد أن أصحابه سفلة ؛ قال : وكيف علمت ؟
قال : ليس عليهم نعال ؛

(١) تثنية زباني، وزبانيا العقرب : قرناها . وفي بعض النسخ : « زبانتها » وهو تصحيف .

التغني بشعره :

أخبرني الحسنُ قال حدثنا محمدُ بن القاسم قال حدثني الفضلُ بن يعقوبَ
قال :

كنّا عند جاريةٍ لبعض التجار بالكركُ تَغْتَيْنَا، وبَشَّارٌ عندنا، فغَنَّتْ في قوله :
إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ أَبَى وَإِذَا أَبِي شَيْئًا أَيْتُهُ
وَمُخَضَّبٌ رَخَصَ الْبَنَاءَ نِ بَكَى عَلَيَّ وَمَا بَكَيتُهُ
يَا مَنْظَرًا حَسَنًا رَأَيْتُ بَوَجهِ جَارِيَةٍ فَدَيْتُهُ
بَعَثْتُ إِلَيَّ تَسْؤُمُنِي ثَوْبَ الشَّبَابِ وَقَدْ طَوَيْتُهُ

فطربَ بَشَّارٌ وقال : هذا واللهِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَحْسَنُ مِنْ سُورَةِ الْحَشْرِ ! . وقد
روى هذه الكلمة عن بَشَّارٍ غيرُ مَنْ ذَكَرْتَهُ فَقَالَ عَنْهُ : إِنَّهُ قَالَ : هِيَ وَاللَّهُ أَحْسَنُ
من سورة الحشر . الغناء في هذه الأبيات . وتَمَّامُ الشعر :

وَأَنَا الْمِطْلُ عَلَى الْعِدَا وَإِذَا غَلَا الْحَمْدُ أَشْرَيْتُهُ
وَأَمِيلُ فِي أَنْسَرِ النَّدِيمِ مِنَ الْحَيَاءِ وَمَا أَشْهَيْتُهُ
وَيَشُوقُنِي بَيْتُ الْحَيِيبِ إِذَا غَدَوْتُ وَأَيْنَ بَيْتُهُ
حَالَ الْخَلِيفَةُ دُونَهُ فَصَبْرْتُ عَنْهُ وَمَا قَلَيْتُهُ

وَأَنشَدَنِي أَبُو دُلْفٍ هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُرَاعِيُّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ وَأَخْبَرَنِي أَنَّ الْجَاحِظَ
أَخْبَرَهُ أَنَّ لِلْمَهْدِيِّ نَهْيَ بَشَّارًا عَنِ الْغَزَلِ وَأَنْ يَقُولَ شَيْئًا مِنَ النَّسِيبِ، فَقَالَ هَذِهِ
الْأَبْيَاتُ . قَالَ : وَكَانَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ يُنْشِدُهَا وَيُسْتَحْسِنُهَا وَيُعْجَبُ بِهَا .

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا دِمَازُ أَبُو غَسَّانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحِجَّاجِ قَالَ :

(١) سِيرِدَ هَذَا الْبَيْتَ مَرَّةً أُخْرَى فِي تَرْجَمَةِ بَشَّارٍ مِصْرَعًا هَكَذَا :

يَا مَنْظَرًا حَسَنًا رَأَيْتُهُ مِنْ وَجْهِ جَارِيَةٍ فَدَيْتُهُ وَالتَّصْرِيعُ تَقْفِيَةُ الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ .

قالت بنتُ بشار لبشار : يا أبتِ ، مالكَ يَعْرِفُكَ الناسُ ولا تعرِفُهم ؟ قال :
كذلك الأميرُ يا بُنيَّةَ .

أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمدُ بن الحارث الخزاز عن
المدائني قال :

قال عبدُ الله بن مسور الباهلي يوماً لأبي النضير ، وقد تحاورا في شيء :
يأبن اللّخناء ، أتكلّمني ولو اشتريتُ عبداً بمائتي درهمٍ وأعتقته لكان خيراً منك !
فقال له أبو النضير : والله لو كنتُ ولدَ زنى لكنتُ خيراً من باهلةٍ كليها ؛ فغضب
الباهلي ؛ فقال له بشار : أنتَ منذ ساعةٍ تُرّني أُمّه ولا يغضبُ ، فلما كلّمك
كلمةً واحدةً لحقك هذا كله ! فقال له : وأُمّه مثلُ أُمّي يا أبا مُعاذٍ ! فضحك ،
ثم قال : والله لو كانت أُمك أُمّ الكتاب ما كان بينكما من المصارمة هذا كله !.

هجاؤه ابن مزيد :

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدثني عليّ بن مهدي قال
حدثني سعيد بن عُبيد الخداعي قال : ورد بشار بغداداً فقصده يزيد بن مزيد ،
وسأله أن يذكره للمهدي ، فسوّفه أشهراً ؛ ثم ورد روح بن حاتم فبلغه خبرُ
بشار ، فذكره للمهدي من غير أن يلقاه ، وأمر بإحضاره فدخل الى المهدي
وأنشده شعراً مدحه به ، فوصله بعشرة آلاف درهم ووهب له عبداً وقبينةً وكساه
كساءً كثيرةً ؛ وكان يحضرُ قليلاً مرةً ، فقال بشار يهجو يزيد بن مزيد :

ولمّا ألتقينا بالجنينة^١ غرّني بمعروفه حتى خرجتُ أفوق^٢

(١) زناه تزنية : نسبه الى الزنى.

(٢) كل من سمي بروح فهو بفتح الراء إلا روح بن القاسم فإنه بالضم (انظر شرح القاموس في
مادة روح في المستدرک) .

(٣) اسم موضع كما في ياقوت .

(٤) فاق الرجل فؤوقاً وفوقاً : الفواق - ويسمى عند العامة بالزغطة - : ما يأخذ الانسان
من تشنج الحجاب الحاجز تشنجاً فجائياً ويصدر من امتلاء المعدة بالطعام ؛ وهو هنا كناية عما أثقله به
من العطاء .

غرّني : أوجرني^١ كما يُغرّ الصبي^٢ أي يُوجر اللبن .

حَبَانِي بَعِيدٍ قَعَسْرِي^٣ وَقِينَةٌ وَوَشِيَّ وَآلَافٍ لَهْنٌ بَرِيقُ
قَتْلُ لِيَزِيدٍ يَلْعَصُ^٤ الشَّهْدَ خَالِيًا لَنَا دُونَهُ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ سُوقُ
رَقَدَتْ فَتَمُ يَابْنَ الْحَبِيثَةِ إِنَّمَا مَكَارِمُ لَا يَسْتَطِيعُهُنَّ لَصِيقُ
أَبَى لَكَ عِرْقٌ مِنْ فُلَانَةٍ أَنْ تُرَى جَوَادًا وَرَأْسٌ حِينَ سَبَتَ حَلِيقُ

التبديل في قصيدة :

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال : كان بشار كتب الى إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بقصيدة يمدحه بها ويُحرّضه ويُشير عليه ، فلم تصل اليه حتى قُتل ، وخاف بشار أن تشتهر ققلبها وجعل التحريضَ فيها على أبي مُسلم والمدحَ والمشورةَ لأبي جعفر المنصور ، فقال :

أَبَا مُسْلِمٍ مَا طِيبُ عَيْشٍ بِدَائِمٍ وَلَا سَالِمٌ عَمَّا قَلِيلٍ بِسَالِمٍ

وإنما كان قال : « أبا جعفر ما طيبُ عيشٍ » فغيّره وقال فيها :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ النَّصِيحَةَ فَاسْتَعِنْ بَعْرَمٍ نَصِيحٍ أَوْ بَتَائِدٍ حَازِمٍ
وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً مَكَانُ الْخَوَافِي نَافِعٌ لِلْقَوَادِمِ
وَاخْلُ الْهُوَيْنَى لِلضَّعِيفِ وَلَا تَكُنْ نَوْؤُمًا فَإِنَّ الْخَزَمَ لَيْسَ بِنَاسِمٍ
وَمَا خَيْرٌ كَفٍّ أَمْسَكَ الْعُلُ أُخْتَهَا وَمَا خَيْرٌ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمٍ
وَحَارِبٍ إِذَا لَمْ تُعْطَ إِلَّا ظُلَامَةٌ شَبَا الْحَرْبِ خَيْرٌ مِنْ قَبُولِ الْمَظَالِمِ
وَأَدْنَى عَلَى الْقُرْبَى الْمُقَرَّبَ نَفْسُهُ وَلَا تُشْهَدِ الشُّورَى أَمْرًا غَيْرَ كَاتِمٍ
فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِرِدُ الْهَمَّ بِالْمُنَى وَلَا تَبْلُغُ الْعُلْيَا بِغَيْرِ الْمَكَارِمِ

(١) أوجره اللبن ونحوه : جعله في فيه .

(٢) القعسري : الصلب الشديد .

(٣) يلعص : يلعق .

إذا كنت فرداً هرك القوم مُقيلاً وإن كنت أدنى لم تفر بالعرائم
وما قرع الأقوام مثل مُشيع أريب ولا جلى العمى مثل عالم

قال الأصمعي: فقلت لبشار: إني رأيت رجال الرأي يتعجبون من أبياتك
في المشورة؛ فقال: أما علمت أن المشاور بين إحدى الحسنيين: بين صواب
يفوز بشمرته أو خطأ يُشارك في مكروهه؛ فقلت: أنت والله أشعر في هذا
الكلام منك في الشعر.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثني عليّ بن الصباح
عن بعض الكوفيين قال:

مررت ببشار وهو مُتَبَطِّحٌ في دِهْلِيز كأنه جاموس، فقلت له: يا أبا مُعَاذٍ،
مَنْ القائل:

في حُلَّتِي جِسْمٌ فَتَى نَاحِلٍ لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ بِهِ طَاحَا

قال: أنا؛ قلت: فما حَمَلَكَ على هذا الكذب؟ والله إني لأرى أن لو بعث الله
الرياح التي أهلك بها الأمم الخالية ما حرّكتك من موضعك! فقال بشار: مِنْ
أَيْنَ أَنْتَ؟ قلت: من أهل الكوفة؛ فقال: يَأْهَلُ الكُوفَةِ لَا تَدْعُونَ ثِقَلَكُمْ
وَمَقْتَكُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ!

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ: قال حدثني عافية بن شبيب قال:

قديم كُرْدِيّ بن عامر المسمعيّ من مكة، فلم يُهدِ لبشار شيئاً وكان صديقه؛
فكتب إليه:

(١) يقال: فلان هرّ الناس إذا كرهوا ناحيته، قال الأعشى:

أرى الناس هرّوني وشهر مدخلي ففي كل ممشي أرصد الناس عقربا

(٢) المشيع: الشجاع، كأنه قد شيع قلبه بما يركب من الأهوال، أو بقوة قلبه.

(٣) متبطح: ممدّد على وجه الأرض بوجهه.

ما أنت يا كردي بأهش ولا أبريك من الغش
لم تُهدنا نعلًا ولا خاتمًا من أين أقبلت؟ من الحش^٢!

فأهدى إليه هدية حسنة وجاءه فقال: عجلت يا أبا معاذ علينا، فأشدك الله ألا
تريد شيئاً على ما مضى.

ونسخت من كتابه عن عافية بن شبيب أيضاً قال حدثني صديق لي قال:
قلت لبشار: كنا أمس في عرس فكان أول صوت غنى به المغني:
هوى صاحبي ريح الشمال إذا جرت وأشقى لنفسي أن تهب جنوب
وما ذاك إلا أنها حين تنتهي تنأى وفيها من عبدة طيب
فطرب وقال: هذا والله أحسن من فلج^٣ يوم القيامة.

مدحه المهدي:

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبي عن عافية بن شبيب عن أبي جعفر الأسدي
قال:

مدح بشار المهدي فلم يُعطه شيئاً؛ فقليل له: لم يستجد شعرك؛ فقال: والله
لقد قلت شعراً لو قيل في الدهر لم يُخش صرْفُه على أحد، ولكننا نكذب في
القول فنكذب في الأمل.

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني يحيى بن خليفة
الدرامي عن نصر بن عبد الرحمن العجلي قال:

(١) الوارد في كتب اللغة: أهدى له كذا وأهدى إليه، فهاهنا قد حذف منه الجار ووصل
الفعل بالمفعول.

(٢) الحش (بتثنية الحاء): البستان وموضع قضاء الحاجة لأنهم كانوا يقضون حاجاتهم في
البساتين.

(٣) الفلج (بالضم): الفوز والظفر.

هجا بشار رَوْحَ بن حاتم؛ فبلغه ذلك فقذفه وتهدده؛ فلما بلغ ذلك بشارا قال فيه :

تهددني أبو خلفٍ وعن أوتاره ناما
بسيفٍ لأيّ صُفْرَةٍ لا يَقْطَعُ إِيهاما
كأنّ الورسَ يَعْلُوهُ إذا ما صدره قاما

- قال ابن أبي سعد : ومن الناس من يروي هذين البيتين لعمرى الظالمى - قال : فبلغ ذلك رَوْحاً فقال : كلّ مالي صدقةٌ إن وقعت عيني عليه لأضربنه ضربةً بالسيف ولو أنه بين يدي الخليفة ! فبلغ ذلك بشارا فقام من فوره حتى دخل على المهدي؛ فقال له : ما جاء بك في هذا الوقت ؟ فأخبره بقصة رَوْح وعاذ به منه، فقال : يا نصير، وجهه الى رَوْح من يُحضره الساعة؛ فأرسل اليه في الهاجرة، وكان ينزل المخرم، فظنّ هو وأهله أنه دُعي لولاية . قال : يا رَوْح، إني بعثت اليك في حاجة؛ فقال له : أنا عبدك يا أمير المؤمنين فقل ما شئت سوى بشار فإني حلفت في أمره يمين غموس؛ قال : قد علمت وإياه أردت؛ قال له : فأحتل ليميني يا أمير المؤمنين؛ فأحضر القضاة والفقهاء فاتفقوا على أن يضربه ضربةً على جسمه بعرض السيف، وكان بشار وراء الخيش، فأخرج وأقعد وأستل رَوْح سيفه فضربه ضربةً بعرضه؛ فقال : أوّه باسم الله ! فضحك المهدي وقال له : ويلك ! هذا وإنما ضربك بعرضه وكيف لو ضربك بجده !.

(١) المخرم (بضم الميم وفتح الحاء وكسر الراء المشددة) : محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى وفيها كانت الدار التي يسكنها السلاطين البويهية والسلجوقية، خربها في سنة ٥٨٧ هـ الإمام الناصر لدين الله أبو العباس أحمد .

(٢) اليمين الغموس : التي لا آستثناء فيها .

(٣) الخيش : مراوح تعمل من نسج خشن من الكتان كشرع السفينة تعلق في سقف البيت ويعمل لها جبل تجرّ به وهي مبلولة بالماء فإذا اراد الرجل ان ينام جذب جبلها فيهب منها نسيم بارد يذهب أذى الحرّ، فلعل بشارا كان محتفياً وراء إحداها وهي مدلاة .

مدح سليمان بن هشام :

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو عبيدة قال :

مدح بشار سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مقيماً بخران^١ وخرج اليه

فأنشده قوله فيه :

نأتك على طول التجاور زينبُ وما شَعرْتُ أن التوى سوف تشعبُ
يرى الناس ما تلقى زينب اذ نأتُ عجباً وما تُخفي زينب أعجبُ
وقائلة لي حين جد رحيلنا وأجفان عينيها تجود وتسكبُ
أغاد إلى حران في غير شعبة وذلك شأؤ عن هواها مغربُ^١
فقلت لها كلفتني طلب الغنى وليس وراء ابن الخليفة مذهبُ
سيكني فتى من سعيه حد سيفه وكور^٢ علافي ووجناء ذعلبُ^٢
إذا استوغرت دار^٣ عليه رمى بها بنات الصوى منها ركوب^٤ ومصعبُ
فعدتي إلى يوم ارتحلت وسائي بزورك والرحال من جاء يضربُ
لعلك أن تستيقني أن زورتي سليمان من سير الهواجر تعقبُ
أغر^٥ هشامي القناة إذا أنتمى نمته بدور^٥ ليس فيهن كوكبُ
وما قصدت يوماً خيلين خيله فتصرف^٥ إلا عن دماء تصببُ

(١) مغرب (بكسر الراء وفتحها) : بعيد .

(٢) الكور : الرحل . والعلافي : نسبة إلى علاف (وزان كتاب) بن طوار لأنه أول من عملها . ووجناء : عظيمة الوجنتين أو صلبة قوية شبت بالوجين وهو الصعب من الأرض . وذعلب (وزان زبرج) : سريعة .

(٣) يقال : وغرت الهاجرة تغر وغراً من باب ضرب إذا رمضت واشتد حرها ، فعنى استوغرت حميت واتقدت غيظاً ، والمراد أنها ضاقت به . ولم ترد هذه الصيغة من هذه المادة في كتب اللغة التي بين أيدينا . وجاء في أقرب الموارد : « المستوغر : لقب عمرو بن ربيعة بن كعب ، قلت وهذا دليل على وجود (استوغر) وإن لم يذكره » .

(٤) الصوى : جمع صوة ، وهي حجارة مجموعة تجعل علماً يهتدى بها في المفازة ، وبناتها : صغارها .

(٥) الركوب : المذلل بالركوب ، والمصعب : ما لم يركب ولم يمس من الإبل .

استقل عطاء سليمان :

فوصله سليمان بخمسة آلاف درهم وكان يُبَخَّلُ فلم يرضها وأنصرف عنه مُغَضَّباً
فقال :

إن أُمس مُنْقِضَ اليدين عن الندى وعن العدو مُحْيِسَ الشيطانِ
فلقد أروحُ عن اللثام مُسلطاً تَلِجَ المَقِيلُ^٢ مُنْعَمَ النَّدْمَانِ
في ظِلِّ عَيْشِ عَشِيرَةٍ مُحَوْدَةٍ تَنْدَى يَدِي وَيُخَافُ فَرَطُ لِسَانِي
أزْمَانِ جَتِي الشَّابِ مُطَاوِعُ وإذ الأميرُ عليٌّ من حَرَّانِ
رِيمٌ بِأَحْوِيَةِ^٣ العراق إذا بدا بَرَقَتْ عليه أَكَلَّةُ^٤ المَرْجَانِ
فَاكْحَلْ بَعْدَهُ مُقَلَّتِيكَ من القَدَى وبِوَشْكِ رُؤَيْتِهَا من الهمَلانِ
فَلْقُرْبُ مَنْ تَهْوَى وانتَ مَتِّيمٌ أَشْنَى لَدَائِكَ من بني مروانِ

فلما رجع الى العراق برّه ابنُ هُبَيْرَةَ ووصله، وكان يعظم بشاراً ويُقدِّمه ،
لمدحه قيساً وأفتخاره بهم ، فلما جاءت دولة أهل خراسان عظم شأنه .

مدحه المهدي :

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شُبَّة قال حدثني محمد بن الحجاج
قال :

قدِمَ بشارُ الأعمى على المهديّ بالرُّصافة فدخل عليه في البستان فأنشده مديحاً
فيه تشبيب حسن^١ ، فنهاه عن التشبيب لغيره شديدة كانت فيه ، فأنشده مديحاً
فيه ، يقول فيه :

(١) مخيس : مذل .

(٢) تلج المقييل : بارده .

(٣) أحوية : جمع حواء ، والحواء (بالكسر) : جماعة البيوت المتدانية .

(٤) أكلة : جمع إكليل ، والإكليل : التاج وشبهه عصاة تزيّن بالجواهر .

كأنما جثته أبشره ولم أجيء راعباً ومحتلباً
يزين المنبر الأشم بعطفيه وأقواله إذا خطباً
تشم نعلاه في التدي كما يشم ماء الریحان منتهباً

فأعطاه خمسة آلاف درهم وكساه وحمله على بغل وجعل له وفادة في كل سنة
ونهاه عن التشبيب البتة ، فقدم عليه في السنة الثالثة فدخل عليه فأنشده :

تجالت^١ عن فهر وعن جارت^٢ فهر
وقالت سلمى فيك عناً جلادة^٣
أخي في الهوى مالي أراك جفوتنا
تناقلت^٤ إلا عن يد أستفيدها
وأخرجني من وزر خمسين حجة
دفنت^٥ الهوى حياً فلست بزائر
ومضرة بالزعفران جلودها
فرب تقال الردف هبت^٦ تلومني
تركت^٧ ليمهدي الأنام وصالها
ولولا أمير المؤمنين محمد
لعمري لقد أوفرت نفسي خطيئة

وودعت^٨ نعتي بالسلام والبشر
محل^٩ك دان والزيرة عن عفر^{١٠}
وقد كنت تقفونا على العسر واليسر
وزوزة أملاك أشد^{١١} بها أزي
فتي هاشمي^{١٢} يشعر من الوزر
سلمى ولا صفراء ما قرقر^{١٣} الثمري
إذا أجليت^{١٤} مثل المفرطة الصفر^{١٥}
ولو شهدت^{١٦} قبري لصلت^{١٧} على قبري
وراعيت^{١٨} عهداً بيننا ليس بالخر^{١٩}
لقبلت^{٢٠} فاها أو لكان بها فطري
فما أنا بالمزداد^{٢١} وقرأ على وقر^{٢٢}

(١) منتهب : مأخوذ ومباح لمن شاء .

(٢) تجالت : ترفعت .

(٣) الجلادة : الصلابة والصبر .

(٤) العفر : الحين وطول العهد أو الشهر أو البعد أو قلة الزيارة ، وبكل من هذه المعاني فسر قولهم فلان ما يأتيها إلا عن عفر (انظر القاموس وشرحه للمرتضي في مادة عفر) .

(٥) قرقر : صوت ورد صوت .

(٦) يريد بها الدنانير .

(٧) الخر : شبيه بالغدر والخديعة ، وقيل : هو أسوأ الغدر وأقبحه .

في قصيدة طويلة أمتدحه بها ، فأعطاه ما كان يُعطيه قبل ذلك ولم يزد شيئاً .

وفاة ابنه :

أخبرني هاشم بن محمد الحُرَاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكي عن محمد بن سلام عن بعض أصحابه قال :

حضرنا جنازة ابن لبشار تُوفي ، فجزع عليه جزعاً شديداً ، وجعلنا نغزّيه ونسليه فما يُغني ذلك شيئاً ، ثم التفت إلينا وقال : لله درُّ جريرٍ حيث يقول وقد غزّي بسودة ابنه :

قالوا نصيبك من أجرٍ فقلت لهم كيف الغراء وقد فارقتُ أشبالي
ودعّنتي حين كفّ الدهرُ من بصري وحين صرتُ كعظم الرمة البالي
أودى سودةٌ يجاو مُقلتي لحمٍ بازٍ يُصرّصُ فوق المرّيا العالي
إلا تكن لك بالديّرين نائحةٌ فربّ نائحةٍ بالرمل مغوالٍ

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني خلاد الأرقط قال : لما أنشد المهدي قول بشار :

لا يؤيسنك من محبّة قولٌ تُغلّظُه وإن جرحا
عسرُ النساءِ إلى مياسرةٍ والصعبُ يَكُنُ بعد ما جمحا

(١) لحم : صفة لباز مقدّمة عليه ، يقال : « باز لحم » أي يأكل اللحم أو يشتهيهِ ، وكذلك « لاحم » .

(٢) المرّبأ : مكان البازي الذي يقف فيه ، ويروى « المرّقب » وهو بمعناه .

(٣) لم نقف على الموضع الذي يعنيه جرير بالديرين هنا ، ولكن شراح قوله :

لما تذكرت بالديرين أرقني صوت الدجاج وضرب النواقيس

يقولون : أراد دير الوليد بالشام ، وقد ذكره ياقوت في معجمه وقال : لا أدري أين هو .

فنهاه^١ المهدي عن قوله مثل هذا ، ثم حضر مجلساً لصديق له يقال له عمرو بن سَمَّان ، فقال له : أُنشِدنا يا أبا مُعَاذٍ شيئاً من غَزَلِكَ ، فأنشأ يقول :

وقائل هاتِ شوقنا فقلتُ له أنا ثم أنت يا عمرو بن سَمَّانِ
أما سمعتَ بما قد شاع في مُضَر وفي الحليفتين من نَجْرٍ وَقَحْطَانِ
قال الخليفة لا تنسبُ بجارية إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَشْقَى بِعَصِيانِ

صدق ظنه في تقدير جوائز الشعر :

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا سليمان بن أيوب المدائني قال :

قال مروان بن أبي حَفْصَةَ : قدِمْتُ البصرة فأنشدتُ بشاراً قصيدةً لي وأستنصحتُه فيها ؛ فقال لي : ما أجودها تقدّمُ بغداد فتُعطى عليها عشرة آلاف درهم ؛ فجزعتُ من ذلك وقلتُ : قتلتني ! فقال : هو ما اقول لك ؛ وقدِمْتُ بغداد فأعطيتُ عليها عشرة آلاف درهم ، ثم قدِمْتُ عليه قَدَمَةً أُخْرَى فأنشده قصيدي :

طَرَقْتُكَ زائرةً فخيَّ خيالها

فقال : تُعطى عليها مائة ألف درهم ؛ فقدِمْتُ فأعطيتُ مائة ألف درهم ، فعدتُ الى البصرة فأخبرته بجالي في المرتين ، وقلتُ له : ما رأيتُ أعجبَ من حَدْسِكَ ! فقال : يا بُني ، أما علمتَ أنه لم يبقَ أحدٌ أعلمُ بالغيب من عمك ! . أخبرنا بهذا الخبر محمد بن يحيى الصولي قال : حدثنا يزيد بن محمد المهلبي عن محمد بن عبد الله بن أبي عُيَيْنَةَ عن مروان أنه قدِمَ على بشار فأنشده قوله :

طَرَقْتُكَ زائرةً فخيَّ خيالها

(١) كذا في الأصول، والمعروف أن الفاء لا تقع في جواب «لما» .

(٢) قال الجوهري : نجر ، علم أرضي مكة والمدينة وقد ورد في كتاب مذهب الأغاني ج ؛

ص ٢٧٣ «من بكر وقحطان» .

(٣) الحدس : الظن والتخمين .

فقال له : يُعْطُونَكَ عَلَيْهَا عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ :
أَنْتَ يَكُونُ وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَائِنْ لِبَنِي الْبَنَاتِ وَرِاثَةُ الْأَعْمَامِ
فقال : يُعْطُونَكَ عَلَيْهَا مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَذَكَرَ بَاقِيَ الْخَبَرِ مِثْلَ الَّذِي قَبْلَهُ .
أَخْبَرَنِي عَيْسَى قَالَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ قَالَ :

قال بعضُ أصحابِ بَشَّارٍ : كُنَّا نَكُونُ عِنْدَهُ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ قُنَّا إِلَيْهَا
وَنَجْعَلُ عَلَى ثِيَابِهِ تَرَاباً حَتَّى نَنْظُرَ هَلْ يَقُومُ يُصَلِّي ، فَنَعُودُ وَالتَّرَابُ بِجِوَالِهِ
وَمَا صَلَّي .

الحب يقضي :

أَخْبَرَنِي عَيْسَى قَالَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ قَالَ :

قال أبو عمرو : بعث المهديّ إلى بَشَّارٍ فَقَالَ لَهُ : قُلْ فِي الْحُبِّ شِعْراً وَلَا
تُطِلْ وَأَجْعَلِ الْحُبَّ قَاضِياً بَيْنَ الْحَبِيبَيْنِ وَلَا تُسَمِّ أَحَدًا ؛ فَقَالَ :

اجْعَلِ الْحُبَّ بَيْنَ حَبِيبِي وَبَيْنِي قَاضِياً إِنَّنِي بِهِ الْيَوْمَ رَاضِي
فَأَجْتَمَعْنَا فَقُلْتُ يَا حَبِّ نَفْسِي إِنَّ عَيْنِي قَلِيلَةٌ الْإِغْمَاضِ
أَنْتَ عَذَّبْتَنِي وَأَمْلَحْتَ جِسْمِي فَأَرْحَمِ الْيَوْمَ دَائِمَ الْأَمْرَاضِ
قَالَ لِي لَا يَحِلُّ حُكْمِي عَلَيْهَا أَنْتَ أَوْلَى بِالسُّقْمِ وَالْإِحْرَاضِ
قُلْتُ لَمَّا أَجَابَنِي بِهَوَاهَا شَمِلَ الْجَوْرُ فِي الْهَوَى كُلَّ قَاضِي

فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَهْدِيُّ : حَكَمْتَ عَلَيْنَا وَوَأَفَقْنَا ذَلِكَ ، فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ .

(١) كذا في ا، ي، م، والإحراض : إدناف الحب، ومنه قول العرجي :

إني امرؤ ليجّ لي حب فأحرضني حتى بليت وحتى شفني السقم

وفي سائر النسخ : « الأمراض » وهو تحريف .

أخبرني عيسى قال حدثني سليمان المدني قال حدثني الفضل بن إسحاق الهاشمي قال :

أنشد بشار قوله :

يُرَوِّعُهُ السَّرَارُ بِكُلِّ أَرْضٍ مخافة أن يكون به السَّرَارُ

فقال له رجل : أظنك أخذت هذا من قول أشعب : ما رأيت اثنين يتساران إلا ظننت أنهما يأمران لي بشيء؛ فقال : إن كنت أخذت هذا من قول أشعب فإنك أخذت ثقل الروح والمقت من الناس جميعاً فأنفردت به دونهم، ثم قام فدخل وتركنا . وأخذ أبو نواس هذا المعنى بعينه من بشار فقال فيه :

تركتني الوُشاةُ نُصَبَ الْمِسْرِيْنَ وأحدوثةً بكلِّ مكانٍ
ما أرى خالين في السرِّ إلا قلتُ ما يخلوان إلا لِشائني

أخبرني عمي قال حدثني سليمان قال قال لي أبو عدنان حدثني سعيد - جليس كان لأبي زيد - قال :

أتاني أعشى سليم وأبو حنشل فقالا لي : انطلق معنا الى بشار فنسأله أن يُنشدك شيئاً من هجائه في حماد عجرد أو في عمرو الظالمى فإنه إن عرفنا لم يُنشدنا، فضيتُ معهما حتى دخلتُ على بشار فاستنشدته فأنشد قصيدة له على الدال فجعل يخرج من وادٍ في الهجاء الى وادٍ آخر وهما يستمعان وبشار لا يعرفهما، فلما خرجا قال أحدهما للآخر : أما تعجب بما جاء به هذا الأعمى ؟ فقال أبو حنشل : أمّا أنا فلا أعرض - والله - والدي له أبداً؛ وكنا قد جاء يزوراناه، وأحسبهما أرادا ان يتعرضا لمهاجاته .

مدح واصل بن عطاء :

أخبرني هاشم بن محمد الخراعي عن الجاحظ قال :

(١) السرار : المسارة وهي الكلام في خفية .

كان بشار صديقاً لأبي حذيفة واصل بن عطاء قبل أن يدين بالرجعة ويكفر الأمة ، وكان قد مدح واصلاً وذكر خطبته التي خطبها فزع منها كلها الرأء وكانت على البديهة ، وهي أطول من خطبتي خالد بن صفوان وشبيب ابن شبة ، فقال :

تكلّفوا القول والأقوام قد حفلوا وحبروا خطباً ناهيك من خطب
فقام مرتجلاً تغلي بداهته كمرجل القين لما حفّ باللهب
وجانب الرأء لم يشعر به أحد قبل التصفح والإغراق في الطلب

قال : فلما دان بالرجعة زعم أن الناس كلهم كفروا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : ف قيل له : وعليّ بن أبي طالب ؟ فقال :

وما شرّ الثلاثة أمّ عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا

انكاره شاعرية الكميت :

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال قال لي محمد ابن الحجاج :

قال بشار : ما كان الكميت شاعراً ؛ ف قيل له : وكيف هو الذي يقول ! :

أنصف أمرئ من نصف حيّ يسبني لعمري لقد لا قيت خطباً من الخطب
هنيئاً لكلب أن كلباً يسبني وأني لم أردد جواباً على كلب

(١) شبيب بن شيبه هو أبو معمر البصري أحد الفصحاء البلغاء والإخباريين .

(٢) كذا في البيان والتبيين للجاحظ ، الذي يقتضيه المقام .

(٣) ويروى : « التفصح » بتقديم الفاء على الصاد .

(٤) تصبحينا : تسقيننا الصبوح ، وهو الشراب أول النهار . وهذا البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته المشهورة التي يقول في مطلعها :

ألا هبتي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

فقال بشار: لا بل^١ شأنك، أترى رجلاً لو ضُرطَ ثلاثين سنةً لم يُستَحْلَ من
ضُرطه ضُرطةً واحدةً!

نسختُ من كتاب هارون بن علي بن يحيى: حدثني علي بن مهدي قال
حدثني حجاج المعلم قال سمعتُ سفيان بن عُيينة يقول:

عهدي بأصحاب الحديث وهم أحسنُ الناس أدباً ثم صاروا الآن أسوأ الناس
أدباً، وصبرنا عليهم حتى أشبهناهم، فصرنا كما قال الشاعر:

وما أنا إلا كالزمان إذا صحا صحت وإن ماق الزمان أموق^٢

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن
الحجاج قال:

كنّا مع بشار فأتاه رجل فسأله عن منزل رجل ذكره له، فجعل يُفهمه ولا
يُفهم، فأخذ بيده وقام يقوده الى منزل الرجل وهو يقول:

أعمى يقودُ بصيراً لا أبا لكم قد ضلّ من كانت العُميان تهديه
حتى صار به الى منزل الرجل، ثم قال له: هذا هو منزله يا أعمى.

حكاياته شعراً:

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال:

زعم أبو دِعامَة أن عطاء الملط أخبره أنه أتى بشاراً فقال له: يا أبا مُعاذ،
أنشدك شعراً حسناً؟ فقال: ما أسرّني بذلك، فأنشده:

أعاذلتي اليومَ ويلكما مهلاً فما جزعاًمِ الآن أبكي ولا جهلاً

(١) لا بل: لا براً. ويجوز بُلّ بالبناء للمفعول أيضاً بمعنى لا سقي ولا مطر.

(٢) ماق يموق موقاً: حمق في غباوة.

فلما فرغ منها قال له بشار : أحسنت ، ثم أنشده على رويها ووزنها :
لقد كاد ما أخني من الوجد والهوى يكون جوى بين الجوانح أو خبلا

صوت

إذا قال مهلاً ذو القرابة زادني ولوعاً بذكرها ووجداً بها مهلاً
فلا يحسب البيض الأوانس أن في فؤادي سوى سغدى لغانية فضلاً
فأقسم إن كان الهوى غير بالغ بي القتل من سغدى لقد جاوز القتلاً
فيا صاح خبرني الذي أنت صانع بقا تلتى ظلاماً وما طلبت ذحلاً
سوى أنني في الحب بيني وبينها شددت على أكظامٍ سر لها فقللاً

- وذكر أحمد بن المكي أن لإسحاق في هذه الأبيات ثقيلاً أول
بالوسطى - فاستحسن القصيدة وقلت : يا أبا معاذ ، قد والله أجدت وبالغت ،
فلو تفضلت بأن تعيدها ! فأعادها على خلاف ما أنشدنيها في المرة الأولى ،
فتوهمت أنه قالها في تلك الساعة .

ميله الى الالحاد :

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مبروربه قال حدثني
أحمد بن خلاد قال حدثني أبي قال :

كنت أكلّم بشاراً وأردّ عليه سوء مذهبه بميله الى الالحاد ، فكان يقول :
لا أعرف إلا ما عاينته أو عاينت مثله ؛ وكان الكلام يطول بيننا ، فقال لي : ما
أظن الأمر يا أبا خالد إلا كما تقول ، وأن الذي نحن فيه خذلان ، ولذلك أقول :

(١) الذحل : الثأر .

(٢) أكظام بالطاء : جمع كظم (بالفتح) وهو مخرج النفس .

طُيِّعْتُ عَلَى مَا فِي غَيْرِ مُخَيَّرٍ هَوَايَ وَلَوْ خَيْرْتُ كُنْتُ الْمَهْذَبَا
أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى وَأُعْطَى وَلَمْ أُرَدِّ وَقَصَّرَ عَلَيَّ أَنْ أُنَالَ الْمَغْيَا
فَأَصْرَفُ عَنْ قَصْدِي وَعَلَيَّ مُقَصِّرٌ وَأُمْسِي وَمَا أُعْقِبْتُ إِلَّا التَّعْجِبَا

عتاب صديق :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني ابن مَهْرُويه قال حدثني أحمد بن خلاد
ابن المبارك قال حدثني أبي قال :

كان بالبصرة فتى من بني منقر أمه عَجَلِيَّةٌ ، وكان يبعثُ إلى بَشَّار في كل
أُضْحِيَّةٍ بأُضْحِيَّةٍ من الأضاحي التي كان أهل البصرة يُسَمِّنُونَهَا سَنَةً وَأَكْثَرَ
للأضاحي ثم تُباعُ الأضْحِيَّةُ بعشرةِ دنانير ، ويبعثُ معها بألف درهم ؛ قال :
فأمرَ وكيله في بعض السنين أن يُجْرِيَه على رسمه ، فأشترى له نعجةً كبيرةً غيرَ
سَمِينَةٍ وسرق باقي الثمن ، وكانت نعجةً عَبْدَلِيَّةً من نِعاَج عبد الله بن دارم وهو
نِتاَجٌ مَرْدُولٌ ، فلما أُدْخِلَتْ عليه قالت له جاريته رَبَابَةٌ : ليست هذه الشاةُ من
الغنم التي كان يبعثُ بها اليك ؛ فقال : أدنياها مِنِّي فَأَدْنَتْهَا ولمسها بيده ثم قال :
أكتب يا غلام :

وهبتَ لنا يا فتى مِنْقَرٌ وعَجَلٌ وأَكْرَمَهُمْ أَوْلَا
وأَبْطَظَهُمْ رَاحَةً فِي التَّنْدَى وأَرْفَعَهُمْ ذِرْوَةً فِي الْعُلَا
عَجُوزًا قَدْ أوردَهَا عَمْرُهَا وَأَسْكَنَهَا الدَّهْرُ دَارَ الْبِلَى
سَالُوحًا تَوَهَّمْتُ أَنْ الرِّعَاءَ سَقَوْهَا لِيُسَهِّلَهَا الْحَنْظَلَا
أَضْرَطَ مِنْ أُمَّ مُبْتَاعِهَا إِنْ أَقْتَحَمْتُ بُكَرَةً حَرَمَلًا

(١) سَلُوحٌ: وصفٌ من السِّلَح وهو للطير والبهائم كالنغوط من الإنسان، وقد يُستعمل
للإنسان على وجه التشبيه .

(٢) الحرمل : نبات كالسمسم يعني آكله .

فلو تأكلُ الزُّبدَ بالترسيان^١ وتدمج^٢ المسكَ والمندلا
لما طيبَ الله أرواحها ولا بلّ من عظمها الأخلا^٣
وضعتُ يميني على ظهرها خلتُ حراقفها^٤ جندلا
وأهوتُ شمالي لُعقوبها خلتُ عراقبها^٥ مغزلا
وقلّبتُ أليتها بعد ذا فشبهتُ عُصصها^٦ منجلا
فقلتُ أبيع فلا مشربا أرجي لديها ولا ما كالا
أم أشوي وأطبخُ من لحمها وأطيبُ من ذاك مضع السلي^٧
إذا ما أمرتُ على مجلسٍ من العجبِ سبَحَ أو هَلَلَا
رأوا آيةً خلفها سائقُ يَحْثُ وإن هرولتُ هرولا
وكنتُ أمرتُ بها ضُخمةً بلحمٍ وشحمٍ قد استُكمِلا
ولكن رَوْحاً عدا طوره وما كنتُ أحسبُ أن يفعلا
فعضَّ الذي خانَ في أمرها مِن أَسْتِ أمه بَظَرها الأغرلا^٨
ولولا مكانك قلّدتَه علاطا^٩ وأنشقتَه الخردلا
ولولا استِحايتُك خَضَبْتُها وعَلَقْتُ في جِدها جُلْجُلا
جفاءَ تَكْ حتى ترى حالها فتعلمَ أني بها مُبتلى
سألتُك لهما لصياننا فقد زِدْتَنِي فيهم عَيْلا

(١) الترسيان : نوع من أجود التمر، وفي المثل « أطيب من الزبد بالترسيان » يضرب مثلاً للأمر يستطاب ويُسْتَعَذِب . والمندل : العود الرطب .

(٢) كذا في الاصل، وأدمج في الشيء مثل أندمج : دخل فيه واستحكم . وليس في كتب اللغة التي بين أيدينا أدمج متعدياً بنفسه، فلعل ما هنا من قبيل ما جرى فيه النصب على نزع الخافض .

(٣) الأفلح : وصف من فحل الشيء إذا يبس .

(٤) الحراقف : جمع حرقفة، والحرقفة : رأس الورك .

(٥) العصص : عَجَبُ الذنب .

(٦) السلي : الجلدة التي يكون فيها الولد في بطن أمه .

(٧) الأغرل : ذو الغرلة أي لم يختن .

(٨) العلاط (بالكسر) : حبل يجعل في عنق البعير وسمة تكون في عرض عنقه .

فخذها وأنت بنا مُحسِنٌ وما زلتَ بي مُحسِنًا مُجْمِلًا

قال : وبعث بالرقعة الى الرجل ؛ فدعا بوكيله وقال له : ويلك ! تعلم أني
أفتدي من بشار بما أعطيه وتوقعني في لسانه ! اذهب فأشتر أضحية ، وإن
قدرت أن تكون مثل الفيل فأفعل ، وأبلغ بها ما بلغت وابعث بها اليه .

شعره في رثاء بنية له :

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي قال حدثني
عمي قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال :

رأيتُ بشارا المرعثَ يرثي بُنيةً له وهو يقول :

يا بنتَ من لم يكُ يهوى بنتا ما كنتِ إلا خمسةً أو ستاً
حتى حَلَلتِ في الحشى وحتي قَتَتِ قلبي من جوى فأنفَتاً
لأنْتِ خيرٌ من غلامٍ بتاً يُصبحُ سكراناً ويُسيي بهتاً

أخبرني وكيع قال حدثني أبو أيوب المديني قال :

كان نافع بن عُقبة بن سلم جواداً مُمدحاً ، وكان بشار منقطعاً الى أبيه ، فلما
مات أبوه وفد اليه وقد ولي مكان أبيه ، فدحه بقوله :

ولنافعٍ فضلٌ على أكفائه إن الكريمَ أحقُّ بالتفضيلِ
يا نافعَ الشِّبراتِ حين تناوحتْ هُوجُ الرياحِ وأعقيتْ بُوبُولِ
أشبهتْ عُقبةَ غيرَ ما مُتَشِّيه ونشأتْ في حلمٍ وحسنِ قبولِ

(١) بت : انقطع عن العمل ، ومنه قولهم : سكران بات أي منقطع عن العمل بالسكر ، ويقال
أيضاً : بت الرجل يبت بتوتاً أي هزل فلم يقدر أن يقوم .

(٢) البهت : الدهش والبحير أو التعب ، واستعمال المصدر هنا مكان أسم الفاعل للمبالغة في
الوصف .

(٣) الشبرات : جمع شبرة ، والشبرة (بالكسر) : العطية .

ووليتَ فينا أشهراً فكفيتنا عنتَ المريبِ وسلّةَ التّضليلِ^١
تُدعى هلالاً في الزمان ونافعاً والسّلمُ نعمَ أبوةُ المأمولِ

فأعطاه مثلَ ما كان أبوه يُعطيه في كلِّ سنة إذا وفّد عليه .

اجازته شعراً :

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا الحسن بن عُليل العَزيّ قال حدّثني إبراهيم
ابن عُقبة الرفاعي قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم التّمّار البصريّ قال :

دخل المهديُّ الى بعض حُجَر الحُرَم فنظر الى جاريةٍ منهن تغتسل ، فلما رآته
حَصِرَتْ^٢ ووضعت يدها على فرجها ، فأنشأ يقول :

نظرتُ عيني لحيني

ثم أرتجَ عليه ، فقال : مَنْ بالباب من الشعراء ؟ قالوا : بشار ، فأذن له فدخل ؛
فقال له : أجز :

نظرتُ عيني لحيني

فقال بشار :

نظرتُ عيني لحيني نظراً وافقَ شيني
سَرتُ لما رأيتني دونَه بالراحتينِ
فَضَلْتُ منه فُضُولُ^٣ تحت طَيِّ العُكْنَتَيْنِ

فقال له المهديّ : قَبَحَكَ اللهُ ويحك ! أكنت ثالثنا ! ثم ماذا ؟ فقال :

(١) كذا بالأصول ، وللسّلة معان كثيرة ، فعلل أقربها هنا : إخراج السيوف من أغمارها عند القتال ، ويكون المراد بسلة التّضليل : ظهور التّضليل وانتشاره ، ولعلها « سنة التّضليل » .

(٢) حصرت : استتحت ، وفي حديث زواج فاطمة « فلما رأت علياً جالساً الى جنب النبي حصرت وبكت » أي استتحت وانقطعت كأن الأمر ضاق بها .

فَتَمَنَيْتُ وَقَلْبِي لِلْهَوَى فِي زَفَرَتَيْنِ
أَنْنِي كُنْتُ عَلَيْهِ سَاعَةً أَوْ سَاعَتَيْنِ

فضحك المهدي وأمر له بجائزة ، فقال : يا أمير المؤمنين أقمعت من هذه الصفة
بساعة أو ساعتين ؟ فقال : أخرج عني قبحك الله ! فخرج بالجائزة .

الحمار الشاعر :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدثنا
أبو شبل عاصم بن وَهَب البرُّجَمي قال حدثني محمد بن الحجاج قال :

جاءنا بَشَّار يوماً فقلنا له : ما لك مغتماً ؟ فقال : مات حماري فرأيتُه في
النوم فقلتُ له : لم مُتَّ ؟ ألم أكن أحسن اليك ! فقال :

سَيِّدِي خُذْ بِي أَتَانَا عِنْدَ بَابِ الْأَصْبَهَانِي
تَيَّمَنِي بَيْنَانٍ وَبَدَلٍ قَدْ شَجَانِي
تَيَّمَنِي يَوْمَ رُحْنَا بَثْنَايَاهَا الْحَسَانِ
وَبُغْنَجٍ وَدَلَالٍ سَلَّ جَسْمِي وَبَرَانِي
وَلَهَا خَدٌّ أَسِيلٌ مِثْلُ خَدِّ الشَّيْفَرَانِ
فَلَذَا مَتٌ وَلَوْ عِشْتُ إِذَا طَالَ هَوَانِي

فقلتُ له : ما الشيفران ؟ قال : ما يدريني ! هذا من غريب الحمار ، فإذا
لَقِيْتَهُ فاسأله .

أخبرني الحسن قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثني علي بن إياس قال حدثني
السريّ بن الصباح قال :

شَهِدَ بَشَّارٌ مَجْلِسًا فَقَالَ : لَا تُصَيِّرُوا مَجْلِسَنَا هَذَا شِعْرًا كُلَّهُ وَلَا حَدِيثًا كُلَّهُ

ولا غناء كله ، فإن العيش فُرَصٌ ، ولكن غَنُوا وتحدّثوا وتناشدوا وتعالوا
نتناهب العيش تناهباً .

أخبرني عمي قال حدّثني الكُرانيّ عن ابن عائشة قال :

جاء بشار يوماً الى أبي وأنا على الباب ، فقال لي : من أنت يا غلام ؟ فقلتُ :
من ساكني الدار ؛ قال : فكلهني والله بلسانٍ ذَرِبٍ وشدقٍ هَرِيتٍ^١ .

أخبرني عمي قال حدّثني الكُرانيّ عن أبي حاتم قال :

كان سُهيل بن عُمر القرشيّ يبعث الى بشار في كل سنة بقواصر تمر ، ثم أبطأ
عليه سنة ؛ فكتب اليه بشار :

تَرْكُمُ يا سُهيلُ دُرٌّ وهل يُطْمَعُ في الدرّ من يَدَي مُتَعَيٍّ^٢
فأُحِبُّني يا سُهيلُ من ذلك التمرِ نواةً تكون قُرطاً لبنتي

فبعث اليه بالتمر وأضعفه له ، وكتب اليه يستغفیه من الزيادة في هذا الشعر .

معاينة :

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ : عن عافية بن شبيب عن الحسن بن
صفوان قال :

جلس الى بشارٍ أصدقاء من أهل الكوفة كانوا على مثل مذهبه ، فسألوه أن
يُنشدَهم شيئاً مما أحدثه ، فأنشدَهم قوله :

(١) شديق هريت : واسع .

(٢) القواصر : جمع قوصرة (بتخفيف الراء) وقوصرة (بتشديدها) وهي وعاء من قصب يرفع
فيه التمر من البواري .

(٣) متعت : مستكبر متجاوز الحد .

أَتَى دَعَاهُ الشَّوْقُ فَارْتَاخَا مِنْ بَعْدِ مَا أَصْبَحَ جَجَجَاخَا
حَتَّى أَتَى عَلَى قَوْلِهِ :

فِي حُلَّتِي جِسْمٌ فَقَى نَاحِلٍ لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ بِهِ طَاحَا^١

فَقَالُوا : يَا بَنَ الزَّانِيَةِ ، أَتَقُولُ هَذَا وَأَنْتِ كَأَنَّكَ فِيلٌ عَرَضُكَ أَكْثَرَ مِنْ طَوْلِكَ !
فَقَالَ : قَوْمُوا عَنِّي يَا بَنِي الرِّثَاءِ ؛ فَإِنِّي مَشْغُولُ الْقَلْبِ ، لَسْتُ أَنْشِطَ الْيَوْمَ
لِمَشَاقَّتِكُمْ .

أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَافِيَةَ بْنِ شَيْبٍ قَالَ :

كَانَ لِبَشَّارٍ مَجْلِسٌ يَجْلِسُ فِيهِ بِالْعَشِيِّ يُقَالُ لَهُ الْبَرْدَانُ ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ نِسْوَةٌ فِي
مَجْلِسِهِ هَذَا فَسَمِعْنَ شَعْرَهُ ، فَعَشِقُوا أَمْرًا مِنْهُنَّ ، وَقَالَ لَغْلَامُهُ : عَرَفْنَا مُحَبَّتِي لَهَا ،
وَأَتْبَعُهَا إِذَا أَنْصَرَفَتْ إِلَى مَنَزْلِهَا ؛ فَفَعَلَ الْغْلَامُ وَأَخْبَرَهَا بِمَا أَمَرَهُ فَلَمْ تُجِبْهُ إِلَى مَا
أَحَبَّ ، فَتَبِعَهَا إِلَى مَنَزْلِهَا حَتَّى عَرَفَهُ ، فَكَانَ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهَا حَتَّى بَرِمَتْ^٢ بِهِ ،
فَشَكَتْهُ إِلَى زَوْجِهَا ، فَقَالَ لَهَا : أَجِيبِيهِ وَعِدِيهِ إِلَى أَنْ يَجِيئَكَ إِلَى هَاهُنَا فَفَعَلَتْ ،
وَجَاءَ بِشَّارٌ مَعَ أَمْرَةٍ وَجَّهَتْ بِهَا إِلَيْهِ ، فَدَخَلَ وَزَوْجُهَا جَالِسٌ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، فَجَعَلَ
يُحَدِّثُهَا سَاعَةً ، وَقَالَ لَهَا : مَا أَسْمُكَ يَا بَنِي أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : أُمَامَةُ ؛ فَقَالَ :

أُمَامَةُ قَدْ وُصِفَتْ لَنَا بِحَسَنِ وَإِنَّا لَا نَزَالُ فَاِلْسِينَا

قَالَ : فَأَخَذَتْ يَدَهُ فَوَضَعَتْهَا عَلَى أَيْرِ زَوْجِهَا وَقَدْ أَنْعَضَ ، فَفَرَّغَ وَوَثَبَ قَائِمًا وَقَالَ :

عَلِيَّ أَلِيَّةٌ مَا دَمْتُ حَيًّا أَمْسُكَ طَائِعًا إِلَّا بَعُودِ
وَلَا أَهْدِي لِقَوْمٍ أَنْتِ فِيهِمْ سَلَامَ اللَّهِ إِلَّا مِنْ بَعِيدِ
طَلَبْتُ غَنِيمَةً فَوَضَعْتُ كَنِيَّ عَلَى أَيْرٍ أَشَدَّ مِنَ الْحَدِيدِ
خَيْرٌ مِنْكَ مِنْ لَا خَيْرَ فِيهِ وَخَيْرٌ مِنْ زِيَارَتِكُمْ قُعُودِي

(١) الججاجح : السيد المسارع في المكارم .

(٢) طاح : ذهب وهلك .

(٣) برمت به : سئمته وضافت به .

وقبض زوجها عليه وقال : هَمَمْتُ بِأَنْ أَفْضَحَكَ ؛ فقال له : كفاني ، فديتُكَ ، ما فعلتَ بي ، ولستُ والله عائدًا إليها أبداً ، فحسبُكَ ما مضى ، وتركه وأنصرف . وقد رُوي مثل هذه الحكاية عن الأصمعيّ في قصّة بشار هذه . وهذا الخبر بعينه يُحكى بإسناد أقوى من هذا الإسناد وأوضح عن أبي العباس الأعمى السائب بن فروخ ، وقد ذكرته في أخبار أبي العباس بإسناده .

رثاؤه أصدقاؤه :

نسخت من كتاب هارون بن عليّ : قال حدثني عليّ بن مهديّ قال حدثني حمدان الآبنوسيّ قال حدثنا أبو نواس قال :

كان لبشار خمسة ندماء ، فمات منهم أربعة وبقي واحد يقال له البراء ، فركب في زورق يريد عبور دجلة العوراء^(١) فغرق ، وكان المهديّ قد نهى بشاراً عن ذكر النساء والعشق ، فكان بشار يقول : ما خيرٌ في الدنيا بعد الأصدقاء ؛ ثم رثى أصدقاؤه بقوله :

يَا بْنَ مُوسَى مَاذَا يَقُولُ الْإِمَامُ فِي فَتَاةٍ بِالْقَلْبِ مِنْهَا أَوَامُ
بِتُ مِنْ جَبْهَةٍ أَوْ قَرُّ بِالْكَأْسِ وَيَهْفُو عَلَى فَوَادِي الْهِيَامِ^(٢)
وَيَجْهًا كَأَبَا تُدِلُّ بِجَهْمٍ كَعَثِيٍّ^(٣) كَأَنَّهُ حَمَامُ
لَمْ يَكُنْ بَيْنَهَا وَبَيْنِي إِلَّا كُتُبُ الْعَاشِقِينَ وَالْأَحْلَامُ
يَا بْنَ مُوسَى أَسْقِنِي وَدَعْ عَنْكَ سَلْمَى إِنَّ سَلْمَى حَمِيٌّ وَفِيَّ أَحْتِشَامُ
رُبَّ كَأْسٍ كَالسَّلْسَبِيلِ تَعَلَّلْتُ بِهَا وَالْعَيُونَ عَنِّي نِيَامُ
حُبَسْتُ لِلشُّرَاةِ فِي بَيْتِ رَأْسٍ^(٤) عُنُقْتُ عَانِسًا عَلَيْهَا الْخِتَامُ

(١) دجلة العوراء : دجلة البصرة .

(٢) الهيام : الجنون من العشق .

(٣) الكعشب : الرّكْبُ (الفرج) الضخم الناقع ، والجهم : الفليظ .

(٤) بيت رأس : اسم لقريتين ، في كل واحدة منهما كروم كثيرة تنسب إليهما الخمر ، إحداهما بيت المقدس ، والأخرى من نواحي حلب .

نَفَحْتُ نَفْحَةً فَهَزَّتْ نَدِيمِي بِنَسِيمٍ وَأَنْشَقَّ عَنْهَا الزَّكَامُ
وَكُنَّ الْمَعْلُولَ مِنْهَا إِذَا رَا حَ شَجَرٍ فِي لِسَانِهِ بَرَسَامُ^١
صَدَمَتْهُ الشَّمُولُ حَتَّى بَعَيْنِيهِ أَنْكَسَارُ^٢ وَفِي الْمَفَاصِلِ خَامُ^٣
وَهُوَ بَاقِي الْأَطْرَافِ حَيَّتْ بِهِ الْكَأْسُ وَمَاتَتْ أَوْصَالُهُ وَالْكَلامُ
وَفَتَّى يَشْرَبُ الْمَدَامَةَ بِالْمَالِ وَيَعِشِي يَرُومَ مَالًا يُرَامُ^٤
أَنْفَدْتُ كَأْسَهُ الدَّنَانِيرَ حَتَّى ذَهَبَ الْعَيْنُ وَأَسْتَمَرَ السَّوَامُ^٥
تَرَكَتُهُ الصَّهْبَاءُ يَرْنُو بَعَيْنَ نَامٍ إِنْسَانَهَا وَلَيْسَتْ تَنَامُ^٦
جُنَّ مِنْ شَرِبَةِ تَعْلٍ بِأُخْرَى وَبَكَى حِينَ سَارَ فِيهِ الْمَدَامُ
كَانَ لِي صَاحِبًا فَأَوْدَى بِهِ الدَّهْرُ وَفَارَقْتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
بَقِيَ النَّاسُ بَعْدَ هُتْلِكَ نَدَامَايَ وَقَوَعًا لَمْ يَشْعُرُوا مَا الْكَلامُ
كَجَزُورٍ الْأَيْسَارَ لَا كَيْدٍ فِيهَا لِبَاغٍ وَلَا عَلَيْهَا سَنَامُ^٧
يَا بَنَ مُوسَى فَقَدْ الْحَبِيبَ عَلَى الْعَيْنِ قَذَاةً^٨ وَفِي الْفَوَادِ سَقَامُ
كَيْفَ يَصْفُو لِي النَّعِيمَ وَحِيدًا وَالْأَخْلَاءَ فِي الْمَقَابِرِ هَامُ^٩
نَفْسَتَهُمْ عَلَيَّ أَمْ الْمَنَايَا فَأَنَا مَتَهُمْ بَعْنَفٍ فَنَامُوا
لَا يَغِيضُ أَنْسَجَامُ عَيْنِي عَلَيْهِمْ إِنَّمَا غَايَةُ الْحَزَنِ السَّجَامُ^{١٠}

(١) البرسام : علة يُهذى فيها، وهو ورم حاد يعرض للحجاب الحاجز ثم يتصل بالدماغ ، فارسيّ
معرّب مركّب من « بر » وهو الصدر و « سام » وهو الموت، ويقال لهذه العلة الموم ، ولعله يريد
بالبرسام هنا أثره وهو الهذيان .

(٢) كذا وردت هذه الكلمة في جميع الأصول ولها معان في كتب اللغة لا تتفق والسياق إلا أن
يكون قد أراد الكناية عن ارتقاء المفاصل فجعل ما بها من العظام لتثنيها وتكسرها كأنها خام أي
طاقات زرع غضة رطبة .

(٣) حيت بالادغام لغة في حيي كرضي .

(٤) العين : الذهب . واستمر : ذهب . والسوام : الإبل الراعية، والمراد بها هنا المال الراعي
كالسائمة .

(٥) جزور الأيسار : الناقة التي تنحر للمقامرة عليها .

(٦) هام : أموات، يقال : أصبح فلان هامة أي مات، وهذا هامة اليوم أو غد أي أنه مشف
على الموت .

(٧) نفستهم : حسدتهم عليّ .

(٨) السجام (بالكسر) : سيلان الدمع .

مدحه ابن هبيرة :

أخبرني هاشم بن محمد الخراعي قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي :

أن بشاراً وفد إلى عمر بن هبيرة وقد مدحه بقوله :

يخاف المنايا أن ترحلتُ صاحبي كأنّ المنايا في المقام تُناسِبُهُ
فقلتُ له إنّ العراق مُقامُهُ وخيمٌ اذا هبَّت عليك جنائبُهُ
لألقى بني عيلان إنّ فعالمهم^١ تريد على كلّ الفعّال مرّاتِهِ
أولئك الألى شقّوا العمى بسيوفهم^٢ عن العين حتى أبصر الحقّ طالِبُهُ
وجيشٌ بجَنح الليل يزحف بالحصا وبالشوك والخطي^٣ حمراً تُعالِبُهُ^٤
غدونا له والشمسُ في خدر أمها تُطالِعنا والطلُّ^٥ لم يجِر ذائبُهُ
بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه وتدرِك من نجى الفرارُ مثالبُهُ
كأنّ مُشار التّقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبُهُ
بعشنا لهم موتَ الفجاءة إنّنا بنو الموت خفاق علينا سبائبُهُ^٦
فراحوا فريق في الإِسار ومثله قتيلٌ ومثلٌ لاذ بالبحر هاربُهُ
إذا الملك الجبار صعر خده^٧ مشينا اليه بالسُّيوف نعاتِبُهُ

فوصله بعشرة آلاف درهم ، فكانت أوّل عطية سنيّة أُعطيها بشار ورفعت من ذكره ، وهذه القصيدة هي التي يقول فيها :

(١) الفعّال (بالفتح) : الجود والكرم .

(٢) كذا في معاهد التنصيص (ص ١٩١ طبع بولاق) . والتعالب : جمع ثعلب ، وهو طرف الرمح الداخل في السنان .

(٣) كذا في معاهد التنصيص (طبع بولاق ص ١٩١) .

(٤) كذا في معاهد التنصيص وأصله تهاوى أي يتساقط بعضها في أثر بعض .

(٥) السبائب : جمع سبيبة وهي شقة رقيقة من الكتان ، والمراد بها هنا الرايات .

(٦) صعر خده : أماله عن النظر الى الناس تهاونا بهم وكبرا .

صوت

إذا كنتَ في كلِّ الأمور مُعَاتِباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فِعِشْ واحداً أوِصِلْ أَخاك فإنه مُقَارِفٌ ذنبٍ مرةً ومجانبه
إذا أنتَ لم تشربْ مراراً على القَدَى ظمئتَ وأَيُّ النَّاسِ تصفو مَشارِبُهُ

الغناء في هذه الأبيات لأبي العَيسَى بن سَهمون خفيف ثَقِيل بالبنصر في مجراها .

شعره في العشق :

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال ذكر أبو أيوب المدينيّ عن الأصمعيّ قال :
كان لبشار مجلس مجلس فيه يقال له البردان ، وكان النساء يحضرنه فيه ، فبينما
هو ذات يوم في مجلسه إذ سمع كلام امرأة في المجلس فعشيقها ، فدعا غلامه فقال :
إذا تكلمتِ المرأة عرفتك فأعرفها ، فإذا أنصرفت من المجلس فأتبعها وكلمها
وأعلمها أي لها مُحَبٌّ ؛ وقال فيها :

يا قومُ أذني لبعض الحيّ عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً
قالوا: بمن لا ترى تهذي! فقلتُ لهم الأذن كالعين تُوفي القلب ما كانا
هل من دواء لمشغوف بجارية يلقي بقلبانها روحاً ورَيحاناً

وقال في مثل ذلك :

قالت عُقَيْل بن كعب إذ تعلّقها قلبي فأضحى به من حُبّها أثرُ
أَتَى ولم ترها تهذي! فقلتُ لهم إنَّ الفؤاد يرى ما لا يرى البصرُ

(١) مقارِف : مخالط .

(٢) توفي : تبلغ .

(٣) الرّوح (بالفتح) : نسيم الريح والراحة والسرور .

أصبحتُ كالحائم الخيران مُجتَبَاً لم يقضِ ورداً ولا يُرجى له صدرُ

قال يحيى بن عليّ وأنشدني أصحاب أحمد بن إبراهيم عنه لبشار في هذا المعنى
وكان يستحسنه :

يُزهدني في حبّ عبدةٍ معشرُ قلوبهم فيها مخالفةٌ قلبي
فقلت دعوا قلبي وما أختار وأرتضى فبالقلب لا بالعين يُبصر ذو الحب
فما تبصر العينان في موضع الهوى ولا تسمع الأذنان إلّا من القلب
وما الحسن إلّا كلُّ حسنٍ دعا الصبا وألف بين العشق والعاشق الصب

قال أبو أحمد : وقال في مثل ذلك :

يا قلبُ مالي أراك لا تقرُّ إياك أعني وعندك الخبرُ
أذعت بعد الألى مضواً حرقاً أم ضاع ما أستودعوك إذ بكروا

قال أبو أحمد : وقال في مثل ذلك :

إنّ سليماً واللهُ يكلوها كالسكر تردادهُ على السكر
بلغتُ عنها شكلاً فأعجبني والسّمعُ يكفيك غيبة البصر

مدحه المهدي :

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال :

زعم أبو العالية أنّ بشاراً قدِم على المهديّ، فلما استأذن عليه قال له الربيع :
قد أذن لك وأمرُك ألا تنشد شيئاً من الغزل والتشبيب فادخل على ذلك ،
فأنشده قوله :

يا منظرًا حسنًا رأيته من وجه جارية فديته

(١) لا تقر : لا تزن ولا تستقر، من الوقر أي الرزانة .

(٢) الشكل : غنج المرأة ودلاها .

بعثتُ إليّ تسومني بُردَ الشَّبَابِ وقد طويتهُ
والله ربِّ مُحَمَّدٍ ما إن غدرتُ ولا نويتهُ
أمسكتُ عنك وربما عَرَضَ البلاءُ وما أبتغيتهُ
إنَّ الخليفةَ قد ألبى وإذا ألبى شيئاً أبيتُهُ
ومُخَضَّبِ رَخَصَ البنا نَ بَكَى عليّ وما بكيتُهُ
ويشوقني بيتُ الحبيبِ إذا أَذْكَرتُ وأين بيتُهُ
قام الخليفةَ دونه فصبرتُ عنه وما قلبيتهُ
ونهايتي المَلِكِ الهما م عن التَّسَيِّبِ وما عصيتهُ
لا بل وفيتُ فلم أُضِعْ عهداً ولا رأياً رأيتهُ
وأنا المَطْلُ على العدا وإذا غلا علقُ شريتهُ
أُصْفِي الخليلَ إذا دنا وإذا نأى عني نأيتُهُ

ثم أنشده ما مدحه به بلا تشبيب، فخرمه ولم يُعْطِه شيئاً؛ فقليل له : إنه لم يستحسن شعرك؛ فقال : والله لقد مدحته بشعر لو مُدِحَ به الدهر لم يُجْشَ صرفه على أحد، ولكنه كذب أُملي لا نبي كذبت في قولي . ثم قال في ذلك :

خليليَّ إنَّ العسرَ سوف يُفِيقُ وإنَّ يساراً في غدٍ خَلِيقُ
وما كنتُ إلا كالزَّمانِ إذا صحا صَحوتُ وإن ماقَ الزَّمانِ أُمُوقُ
أَدْمَاءُ لا أَسْتَطِيعُ في قَلَّةِ الثَّرى خُروزاً ووَشياً والقليلُ حَقِيقُ^٦

(١) العلق : النفيس من كل شيء .

(٢) أصفى الخليل : أي أصفيه الود، يقال : أصفيت فلاناً الود أي أخلصته له .

(٣) ماق : حق .

(٤) الأدماء : - لغة - الظبية التي أشرب لونها بياضاً، ومن معانيها أيضاً السمراء مؤنث آدم، وهي هنا علم، ككليات وعفراء .

(٥) الخروز : جمع خز وهو نوعان : أحدهما ثياب تنسج من صوف وحرير، وثانيهما ثياب تنسج من الحرير وحده، والوشي : نوع من الثياب الموشية أي المنقوشة التي خلط فيه لون بلون .

(٦) حقيق : لا خبر فيه وهو فعيل من « محقه الله » أي أذهب خبره وبركته .

خُذِي مِنْ يَدِي مَا قَلَّ إِنَّ زَمَانَنَا شَمُوسٌ^(١) وَمَعْرُوفُ الرِّجَالِ رَقِيقٌ
لَقَدْ كُنْتُ لَا أَرْضَى بِأَدْنَى مَعِيشَةٍ وَلَا يَشْتَكِي بُجْلًا عَلِيٌّ رَفِيقٌ
خَلِيلِي إِنَّ الْمَالَ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا لَمْ يَنْلُ مِنْهُ أَخٌ وَصَدِيقٌ
وَكُنْتُ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيَّ حَلَّةٌ تَيَّمْتُ أُخْرَى مَا عَلَيَّ تَضِيقٌ
وَمَا خَابَ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ عَامِلٌ لَهُ فِي التَّقَى أَوْ فِي الْمَحَامِدِ سُوقٌ
وَلَا ضَاقَ فَضْلُ اللَّهِ عَنْ مُتَعَفِّفٍ وَلَكِنْ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقٌ

تهديد المهدي له :

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثني عمر بن شبة قال :

بلغ المهدي قول بشار :

قَاسِ الْهَمُومَ تَنْلُ بِهَا نُجُجَا وَاللَّيْلَ إِنَّ وِرَاءَهُ صُبْحَا
لَا يُؤَيِّسُنْكَ مِنْ مُجْبَاةٍ قَوْلٌ تُغْلِظُهُ وَإِنْ جَرَحَا
عَسَرَ النِّسَاءَ إِلَى مُيَاسِرَةٍ وَالصَّعْبُ يُمَكِّنُ بَعْدَ مَا جَمَحَا

فلما قدم عليه استنشده هذا الشعر فأنشده إياه ، وكان المهدي غيورا ، فغضب وقال : تلك أمك يا عاض كذا من أمه أتحض الناس على الفجور وتقذف المحصنات المخبات . والله لأن قلت بعد هذا بيتا واحدا في نسيب لآتين على روحك ؛ فقال بشار في ذلك :

وَاللَّهُ لَوْلَا رِضَا الْخَلِيفَةِ مَا أُعْطِيتُ ضِيَاءَ عَلِيٍّ فِي شَجَنِ
وَرَبَّمَا خَيْرَ لَابْنِ آدَمَ فِي الْكُرْهِ وَشَقَّ الْهَوَى عَلَى الْبَدَنِ

(١) شمس : متكرر ، ومنه فرس شمس : لا يمكن أحداً من ظهره ، ورجل شمس : عسر في عداوته شديد الخلاف على من عانده .

(٢) يريد « يا عاض بظر أمه » والبظر : هنة تقطعها الخافضة من فرج المرأة عند الحتان ، وفي حديث الحديبية « امصص بظر اللات » .

فَأَشْرَبُ عَلَى أُبْنَةِ الزَّمانِ فما تَلَقَى زمانًا صَفاً مِنَ الأَبْنِ^١
 اللَّهُ يُعْطِيكَ مِنْ فَواضِلِهِ والمرءُ يُغْضِي عَيْنًا عَلَى الكُمْنِ^٢
 قَدْ عَشْتُ بَيْنَ الرَّيْجَانِ وَالرَّاحِ وَالزَّهْرِ^٣ فِي ظِلِّ مَجْلَسِ حَسَنِ
 وَقَدْ مَلَأْتُ الْبِلادَ ما بَيْنَ فُفْغُورٍ^٤ إِلَى الْقَيروانِ فَالْيَمَنِ

قال عمر بن شَبَّة : فُفْغُور : ملك الصين .

شِعْرًا تُصَلِّي لَهُ الْعَوَاتِقُ^٥ وَالشَّيْبُ^٦ صَلَاةَ الْغَوَاةِ لِلوَتَنِ
 ثُمَّ نَهَانِي الْمَهْدِيَّ فَأَنْصَرَفْتُ^٧ نَفْسِي صَنِيعَ الْمُوقِقِ اللَّقْنِ^٧
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ لَيْسَ بَباقِ شَيْءٍ عَلَى الزَّمانِ

ثم أنشده قصيدته التي أولها :

تَجالَلْتُ عَنْ فِهْرٍ وَعَنْ جَارَتِي فِهْرٍ

ووصف بها تركه التشيب ، ومدحه فقال :

(١) الأَبْن : جمع أبنة وهي العداوة والحقد، والمراد هنا الكدر .

(٢) الكُمْن : جمع كمنة وهي جرب وحمرة تبقى في العين من رمد يساء علاجه، وقيل : ورم في الأَجْفَانِ، وقيل : قرح في المَآقِي .

(٣) في ح : « المزمَر » ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا « مزمَر » والوارد « مزمَار » ، وفي باقي الأصول : « والراح والزهر » وهو غير مستقيم الوزن، والظاهر أن كلتا الكلمتين « المزمَر » ، « والزهر » ، محرفة عن « المزهَر » وهو العود يضرب به أو الدف الكبير ينقر عليه .

(٤) « ففغور » (وزان عصفور) : لقب كل من ملك الصين، كالنجاشي للحبشة، وقصر للروم، وخاقان للترك، وكسرى للفرس؛ وجاء في أقرب الموارد « والفغفوري » : الخزف الجيد يؤتى به من الصين نسبة إلى ففغور وهي بلاد الصين ، ولعلها المرادة في هذا الشعر . وفي الأصول : « يغبور »

(٥) العواتق جمع عاتق وهي الجارية أول ما أدركت .

(٦) يريد بقوله « والشيب » الثياب جمع ثيب وهي نقيض البكر ؛ وهذا الجمع غير موجود في كتب اللغة ولا يكون كذلك إلا على توهم أن مفردة ثيباء، ولعله مما يقع في الشعر ضرورة، قال ابن الرومي :

الآن حين طلعت كل ثنية ووطئت أبكار الكلام وثيبة

(٧) اللقن : سريع الفهم .

تَسَلَّى عَنْ الْأَجَابِ صَرَّامُ خَلَّةٍ وَوَصَّالُ أُخْرَى مَا يُقِيمُ عَلَى أَمْرٍ
وَرِكَاضُ أَفْرَاسِ الصَّبَابَةِ وَالْهَوَى جَرَتْ حِجْبًا ثُمَّ اسْتَقَرَّتْ فَمَا تَجْرِي
فَأَصْبَحْنَ مَا يُرَكَّبْنَ إِلَّا إِلَى الْوَعَى وَأَصْبَحْتُ لَا يُزْرَى عَلَيَّ وَلَا أَزْرِي
فَهَذَا وَإِنِّي قَدْ شَرَعْتُ^١ مَعَ التَّقَى وَمَاتَتْ هُمُومِي الطَّارِقَاتُ فَمَا تَسْرِي

ثم قال يصف السفينة :

وعذراء لا تجري بلا لحم ولا دم قليلة شكوى الأَيْنِ^٢ مُلَجِّمة الدُّثْرِ^٣
إِذَا طَعَنْتُ^٤ فِيهَا الْفُلُولُ^٥ تَشَخَّصَتْ بَفُرسَانِهَا لَا فِي وَعُوثٍ^٥ وَلَا وَعِرٍ
وإن قصدت زَلَّتْ عَلَى مُتَنَصِّبٍ ذليل القوى لا شيء يَفْرِي كما تَفْرِي
تُلَاعِبُ^٦ تَيَّارَ الْبُحُورِ وَرَبِّمَا رَأَيْتُ نَفُوسَ الْقَوْمِ مِنْ جَرِيهَا تَجْرِي

قال : وكان قال : « نِينان البحور » فعابه بذلك سيبويه^٦ فجعله « تَيَّارَ البحور » .

إلى ملك من هاشم في نبوة ومن حمير في الملك في العدد الدثر^٧
منَ الْمُشْتَرَيْنِ الْحَمْدَ تَنْدَى مِنْ التَّنْدَى يداه ويندَى عارضاه من العطر
فَأَلْزَمْتُ حَبْلِي حَبْلَ مَنْ لَا تُعْبَهُ عُفَاةُ النَّدَى مِنْ حَيْثُ يُدْرِي وَلَا يُدْرِي
بَنَى لَكَ عَبْدُ اللَّهِ بَيْتَ خِلَافَةٍ نَزَلَتْ بِهَا بَيْنَ الْفَرَاقِدِ وَالنَّسْرِ

(١) شرعت مع التقى : أظهرت الحق وقعت الباطل باصطحابي للتقى .

(٢) الأَيْن : الإعياء .

(٣) كذا في مختارات البارودي (ج ٤ ص ١) وفي جميع الأصول : « طعنت » بالطاء المهملة .

(٤) الفلول : الجماعات .

(٥) وعوث : جمع وعث وهو المكان السهل اللين .

(٦) جمع نون على نينان أثبتته صاحب القاموس وصاحب اللسان وأستشهد له بمحدث علي رضي الله عنه : « يعلم اختلاف النينان في البحار الغامرات » ، وحكى السيد المرتضى في شرح القاموس تحفظة سيبويه لبشار ، ثم قال : واستعمله المتنبي وغلطوه أيضاً .

(٧) الدثر : الكثير من كل شيء .

وعندك عهدٌ من وصاة محمد فرعتَ به الأملأك من ولد النَّضر

هجاؤه المهدي :

فلم يحظَ منه أيضاً بشيء، فهجاه فقال في قصيدته :

خليفةٌ يزني بعماته يلعب بالدُّبوق والصَّولجانُ
أبدلنا الله به غيره ودسَّ موسى في حرِّ الخيزران^٤

وأُنشدها في خَلقة يونس النَّحويّ، فسُعي به الى يعقوب بن داود، وكان بشَّار قد هجاه فقال :

بني أُمِّيَّة هبُّوا طال نومكمُ إنَّ الخليفة يعقوب بن داودِ
ضاعتْ خلافتكم يا قوم فآلتمسوا خليفة الله بين الرِّقِّ والعودِ

فدخل يعقوب على المهديّ فقال له : يا أمير المؤمنين، إنَّ هذا الأعمى المُلحد الزنديق قد هجأك؛ فقال : بأيّ شيء ؟ فقال : بما لا ينطق به لساني ولا يتوهمه فكري؛ قال له : بجياقي إلّا أنشدتني ! فقال : والله لو خيرتني بين إنشادي إياه وبين ضرب عنتي لأخترت ضرب عنتي؛ فحلف عليه المهديّ بالآيمان التي لا فُسحة فيها أن يخبره؛ فقال : أمّا لفظا فلا، ولكني أكتبُ ذلك، فكتبه ودفعه إليه؛ فكَاد ينشقَّ غيظاً، وعمد على الانحدار الى البصرة للنَّظر في أمرها، وما وكَّده^٥

(١) الوصاة : الوصية .

(٢) فرعت : علوت بالشرف، يقال : فرع فلان القوم أي علام بالشرف أو الجمال .

(٣) الدبوق : لعبة يلعب بها الصبيان ذكرها صاحب القاموس وصاحب اللسان في مادة «دبق» وقالوا : هي لعبة معروفة، ولم يبينها . قال صاحب السعادة أحمد تيمور باشا فيما كتبه في المجلة السلفية المجلد الثاني ص ٩٤ عن لعب العرب في الكلام على هذه اللعبة بعد أن استشهد بهذا الشعر : «ولا ندري هل الصولجان من لوازمه ليكون شيئاً كالكرة ونحوها أم هما لعبتان قرن بينهما في شعره» .

(٤) الخيزران : جارية من جواري المهديّ وهي أم ولديه موسى وهارون .

(٥) وكَّده : قصده .

غير بشار، فانحدر، فلما بلغ الى البطيحة^(١) سمع أذاناً في وقت ضحى النهار، فقال: انظروا ما هذا الأذان! فإذا بشار يؤذن سكران؛ فقال له: يا زنديقُ يا عاضَ بظر أمه، عَجِبْتُ أَنْ يَكُونَ هَذَا غَيْرَكَ، أَتَلْهُو بِالْأَذَانِ فِي غَيْرِ وَقْتِ صَلَاةٍ وَأَنْتَ سَكْرَانٌ! ثم دعا بَابْنَ نَهْيِكَ فَأَمَرَهُ بِضَرْبِهِ بِالسُّوْطِ فَضْرَبَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى صَدْرِ الْحَرَّاقَةِ^(٢) سَبْعِينَ سَوْطاً أَتْلَفَهُ فِيهَا، فَكَانَ إِذَا أَوْجَعَهُ السُّوْطُ يَقُولُ: حَسَّ - وهي كلمة تقولها العرب للشيء إذا أوجع - فقال له بعضهم: انظر الى زندقته يا أمير المؤمنين، يقول: حَسَّ، ولا يقول: باسم الله؛ فقال: ويلك! أَطْعَامُ هُوَ فَأُسَمِّيَ اللَّهُ عَلَيْهِ! فقال له الآخر: أَفَلَا قُلْتَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ قَالَ: أَوْنَعْمَةُ هِيَ حَتَّى أَحْمَدَ اللَّهُ عَلَيْهَا! فلما ضربه سبعين سوطاً بان الموت فيه، فَأُلْقِيَ فِي سَفِينَةٍ حَتَّى مَاتَ ثُمَّ رُمِيَ بِهِ فِي الْبَطِيحَةِ، فَجَاءَ بَعْضُ أَهْلِهِ فَحَمَلُوهُ إِلَى الْبَصْرَةِ فَدُفِنَ بِهَا.

وفاة بشار :

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن أبيه قال :

لما ولي صالح بن داود أخو يعقوب بن داود وزير المهدي البصرة، قال بشار يهجوهُ :

هُمْ حَمَلُوا فَوْقَ الْمَنَابِرِ صَالِحاً أَخَاكَ فَضَجَّتْ مِنْ أَخِيكَ الْمَنَابِرُ

فبلغ ذلك يعقوب فدخل على المهدي فقال: يا أمير المؤمنين، أبلغ من قدر هذا الأعمى المشرك أن يهجو أمير المؤمنين! قال: ويحك! وما قال؟ قال: يُعَفِّينِي أمير المؤمنين من إنشاده، ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدمه. فقال خالد بن يزيد بن وهب في خبره: وخاف يعقوب بن داود أن يقدم على المهدي فيمدحه

(١) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة.

(٢) الحراقة: واحدة الحراقات وهي سفن بالبصرة فيها مرامي نيران يرمى بها العدو.

ويعفو عنه، فوجه اليه من أستقبله فضربه بالسياط حتى قتله ثم ألقاه في البطيحة في الحرارة^١.

هجاؤه يعقوب الوزير :

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثنا عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه وعن جماعة من رواة البصريين ، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أحمد بن أبي طاهر عن عليّ بن محمد ، وخبره أتم ، قالوا :

خرج بشار الى المهديّ ، ويعقوب بن داود وزيره ، فدحه ومدح يعقوب ، فلم يحفل به يعقوب ولم يُعطه شيئاً ، ومرّ يعقوب ببشار يريد منزله ، فصاح به بشار :

طال الثّواء على رؤسوم المنزل

فقال يعقوب :

فإذا تشاء أبا مُعاذٍ فأرحل

فغضب بشار وقال يهجوّه :

بني أُميّة هُبُوا طال نومكم إنّ الخليفة يعقوبُ بن داودِ
ضاعت خلافتكم يا قوم فآلتمسوا خليفة الله بين الرّقّ والعودِ

قال النوفليّ : فلما طالت أيام بشار على باب يعقوب دخل عليه ، وكان من عادة بشار اذا أراد أن يُنشد أو يتكلّم أن يتفلّ عن يمينه وشماله ويُصقّ بإحدى يديه على الأخرى ، ففعل ذلك وأنشد :

يعقوبُ قد ورد العفّاةُ عشيةً متعرّضين لسبيك المنتاب^٢

(١) الحرارة : موضع بالبطيحة .

(٢) المنتاب : الذي يأتي مرة بعد أخرى .

فَسَقَيْتَهُمْ وَحَسْبَتِي كَمُونَةً نَبَتَتْ لَزَارِعِهَا بَغِيرَ شَرَابِ
 مَهْلًا لَدَيْكَ فَإِنِّي رِيحَانَةٌ فَأَشْمُمُ بِأَنْفِكَ وَأَسْقِيهَا بِذَنَابِ
 طَالَ الثَّوَاءُ عَلَى تَنْظُرِ حَاجَةٍ شَمِطْتَ لَدَيْكَ فَن لَهَا بِخَضَابِ
 تُعْطِي الْغَزِيرَةَ^١ دَرَّهَا فَإِذَا أَبَتْ كَانَتْ مَلَامَتُهَا عَلَى الْحَلَّابِ

يقول يعقوب: أنت من المهدي بمنزلة الحالب من الناقة الغزيرة التي إذا لم يُوصَل إلى دَرِّها فليس ذلك من قبلها، إنما هو من منع الحالب منها، وكذلك الخليفة ليس من قبله لَسَعَةٌ معروف إنما هو من قبل السبب إليه. قال: فلم يعطف ذلك يعقوب عليه وحرمه، فانصرف إلى البصرة مُغَضِبًا. فلما قدم المهدي البصرة أعطى عطايا كثيرة ووصل الشعراء، وذلك كله على يدي يعقوب، فلم يُعطِ بَشَارًا شيئًا من ذلك، فجاء بَشَارٌ إلى حلقة يونس التَّحَوِيَّ فقال: هل ها هنا أحد يُحْتَشِمُ؟ قالوا له: لا؛ فأنشأ بيتًا يَهْجُو فيه المهدي، فسعى به أهل الحلقة إلى يعقوب؛ فقال يونس للمهدي: إن بَشَارًا زنديق وقامت عليه البتة عندي بذلك، وقد هجا أمير المؤمنين، فأمر ابن نَهِيكَ بأخذه، وأزف خروجهم فخرجوا وأخرج به بن نَهِيكَ معه في زورق. فلما كانوا بالبطيحة ذكره المهدي فأرسل إلى ابن نَهِيكَ يأمره أن يضرب بَشَارًا ضرب التلف ويُلقِيه بالبطيحة، فأمر به فأقيم على صدر السفينة وأمر الجلادين أن يضربوه ضربًا يُتْلِفُونَ فيه نفسه ففعلوا ذلك، فجعل يَسْتَرْجِع^٢؛ فقال بعض من حضر: أما تراه لا يحمد الله! فقال بَشَار: أنعمة

(١) ذناب: جمع ذنوب، والذنوب: الدلو الملاءى.

(٢) شَمِطْتَ: تأخر قضاؤها وطال عليها الأمد، وأصل الشمط أن يخالط سواد الرأس بياض الشيب.

(٣) الغزيرة: الكثيرة الدر.

(٤) مرجع ضمير «ليس» المنع.

(٥) يحتشم: يحذر ويهاب محضره، وقد أنكر صاحب اللسان محي «احتشم» متعدياً فقال: ولا يقال: احتشمته، ثم نقل عن الليث في قول القائل: «ولم يحتشم ذلك» أنه من قبيل حذف من وإيصال الفعل إلى المجرور. وجاء في أساس البلاغة: «أنا احتشمك واحتشم منك: أي أستحي».

(٦) يسترجع: يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

هي فأحمد الله عليها ! إنما هي بليّة أسترجع عليها ، فضرب سبعين سوطاً مات منها وألقي في البطيحة .

قال يحيى بن عليّ فحكى قَعْنَب بن محرز الباهليّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال :
لما ضرب بشار بالسيّاط وطرح في السفينة قال : ليت عين أبي الشّمقمق
رأتني حين يقول :

إِنَّ بَشَّارَ بْنَ بَرْدٍ تَيْسٌ أَعْمَى فِي سَفِينِهِ^١

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار وحبيب بن نصر المهلبّي قال حدّثنا عمر بن
شُبّة قال :

أمر المهديّ عبد الجبار صاحب الزنادقة فضرب بشاراً ، فما بقي بالبصرة شريف^٢
إلا بعث إليه بالفرش والكُسوة والهدايا ومات بالبطيحة . قال : وكانت وفاته
وقد ناهز ستين سنة .

قال عمر بن شُبّة حدّثني سالم بن عليّ ، قال : كنّا عند يونس فنعى بشاراً اليّنا
ناع ، فأنكر يونس ذلك وقال : لم يمت ؛ فقال الرجل : أنا رأيت قبره ، فقال : أنت
رأيتّه ؟ قال : نعم ، وإلا فعليّ وعليّ ، وحلف له حتى رضي ، فقال يونس :
« للّدين وللغم^٣ » .

قال أبو زيد وحدّثني جماعة من أهل البصرة منهم محمد بن عون بن بشير ،
وكان يُتهم بمذهب بشار ، فقال :

(١) كان العرب اذا هجوا إنساناً بالغباوة أو بالنتن قالوا : انما هو تيس ، فاذا أرادوا الغاية في
الغباوة قالوا : ما هو إلا تيس في سفينة . انظر الحيوان للجاحظ .

(٢) استعمل يونس هاتين الكلمتين في الشّارة بهلاك بشار ، وهما في الأصل مثل يقال عند الشّارة
بسقوط إنسان ، والمراد أسقطه الله على يديه ورجليه ، وفي الحديث أن عمر رضي الله عنه أتى
بسكران في رمضان فتعرّ بذيّه فقال عمر : للّدين وللغم ، أولداننا صيام وأنت مفطر ! ثم أمر به
فحدّ . انظر مجمع الأمثال للبيداني ج ٢ ص ١٣٤ .

لَمَّا مَاتَ بَشَّارُ أَلْقَيْتُ جُجَّتَهُ بِالْبَطِيحَةِ فِي مَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِالْخَرَّارَةِ ، فَحَمَلَهُ الْمَاءُ
فَأَخْرَجَهُ إِلَى دَجَلَةِ الْبَصْرَةِ فَأَخَذَ فَأُتِيَ بِهِ أَهْلُهُ فَدَفَنُوهُ ، قَالَ وَكَانَ كَثِيرًا مَا
يَنْشِدُنِي :

سَتَرَى حَوْلَ سَرِيرِي حُسْرًا يَلْطِمُن لَطْمًا
يَا قَتِيلًا قَتَلْتَهُ عِبْدَةُ الْخَوَرَاءِ ظَلَمًا

قَالَ وَأُخْرِجَتْ جَنَازَتُهُ فَمَا تَبِعَهَا أَحَدٌ إِلَّا أَمَةٌ لَهُ سَوْدَاءُ سِنْدِيَّةٌ عَجَبَاءُ مَا تُفْصَحُ ،
رَأَيْتُهَا خَلْفَ جَنَازَتِهِ تَصِيحُ : وَاسَيِّدَاهُ ! وَاسَيِّدَاهُ ! .

شِمَاتَةُ النَّاسِ بِمَوْتِهِ :

قَالَ أَبُو زَيْدٍ وَحَدَّثَنِي سَالِمُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ :

لَمَّا مَاتَ بَشَّارٌ وَنُعِيَ إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ تَبَاشَرُوا بِمَوْتِهِمْ وَهَنًا بَعْضُهُمْ بَعْضًا
وَحَمِدُوا اللَّهَ وَتَصَدَّقُوا ، لَمَّا كَانُوا مُنَوِّا بِهِ مِنْ لِسَانِهِ .

وَقَالَ أَبُو هِشَامُ الْبَاهِلِيُّ فِيمَا أَخْبَرَنَا بِهِ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ فِي قَتْلِ بَشَّارٍ :
يَا بُؤْسَ مَيِّتٍ لَمْ يَبْكِهِ أَحَدٌ أَجَلٌ وَلَمْ يَفْتَقِدْهُ مُقْتَدٌ
لَا أُمٌّ أَوْلَادَهُ بَكَتْهُ وَلَمْ يَبْكِ عَلَيْهِ لِفُرْقَةٍ وَلَكِنْ
وَلَا ابْنُ أُخْتٍ بَكَى وَلَا ابْنُ أَخٍ وَلَا حَمِيمٌ رَقَّتْ لَهُ كَبِدٌ
بَلْ زَعَمُوا أَنَّ أَهْلَهُ فَرَحًا لَمَّا أَتَاهُمْ نَعِيُّهُ سَجَدُوا

قَالَ : وَقَالَ أَيْضًا فِي ذَلِكَ :

قَدْ تَبِعَ الْأَعْمَى قَفَا عَجَرَدٍ فَأَصْبَحَا جَارَيْنِ فِي دَارٍ
قَالَتْ بِقَاعُ الْأَرْضِ لَا مَرْحَبًا بِرُوحِ حَمَادٍ وَبَشَّارٍ

(١) حَسْر : جَمْعُ حَاسِرٍ وَهِيَ الْمَكْشُوفَةُ الْوَجْهَ أَوْ الذَّرَاعَيْنِ .

(٢) مَنْوَا : أَبْتَلَوْا .

تَجَاوَرَا بَعْدَ تَنَائِيهِمَا مَا أَبْغَضَ الْجَارُ إِلَى الْجَارِ
صَارَا جَمِيعًا فِي يَدَي مَالِكٍ فِي النَّارِ وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ

قال أبو أحمد يحيى بن عليّ وأخبرنا بعض إخواني عن عمر بن محمد عن أحمد بن
خَلَّاد عن أبيه قال :

مَاتَ بَشَّارُ سَنَةِ ثَمَانَ وَسِتِينَ وَمِائَةٍ وَقَدْ بَلَغَ نَبِيًّا وَسَبْعِينَ سَنَةً .

ندم المهدي على قتله :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال :
لَمَّا ضَرَبَ الْمَهْدِيَّ بَشَّارًا بَعَثَ إِلَى مَنَزَلِهِ مِنْ يُقَيِّشِهِ ، وَكَانَ يُتَمِّمُ بِالزُّنْدَقَةِ فَوُجِدَ
فِي مَنَزَلِهِ طُومَارٌ فِيهِ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنِّي أَرَدْتُ هَجَاءَ آلِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ لِيُخْلَهُمْ فَذَكَرْتُ قَرَابَتَهُمْ مِنْ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمْسَكْتُ عَنْهُمْ إِجْلَالًا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى
أَنِّي قَدْ قُلْتُ فِيهِمْ :

دِينَارُ آلِ سُلَيْمَانَ وَدِرْهَمُهُمْ كَالْبَابِلِيِّينَ ؟ حُفَاً بِالْعَفَارِيثِ
لَا يُبْصِرَانِ وَلَا يُرْجَى لِقَاؤُهُمَا كَمَا سَمِعْتَ بِهَارُوتَ وَمَارُوتَ^١

(١) كذا في أكثر الأصول، وفي بعضها : « وتسعين » ومثل هذا ورد في معاهد التنصيص

ص ١٣٧ .

(٢) الطومار كالطامور : الصحيفة، قال ابن سيده : قيل هو دخيل، وأراه عربياً محضاً لأن
سبويه قد اعتدّ به في الأبنية فقال : هو ملحق بفسطاط (انظر لسان العرب مادة « طمر ») .

(٣) نسبة إلى بابل وهي ناحية منها الكوفة والحِلَّة ينسب إليها السحر والخمر .

(٤) هاروت وماروت : ملكان، وقد ورد ذكرهما في القرآن الكريم في قوله تعالى : (وما
أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) .

فلما قرأه المهدي بكى وندم على قتله ، وقال : لا جزى الله يعقوب بن داود خيراً ، فإنه لما هجاه لفق عندي شهوداً على أنه زنديق فقتلته ثم ندمت حين لا يُغني الندم .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك قال حدثني محمد بن هارون قال :

لما نزل المهدي البصرة كان معه حمدويه صاحب الزنادقة فدفع اليه بشاراً وقال : أضربه ضرب التلف ، فضربه ثلاثة عشر سوطاً ، فكان كلما ضربه سوطاً قال له : أوجعتني ويلك ! فقال : يا زنديق : أتضرب ولا تقول : باسم الله ! قال : ويلك ! أتريد أن هوأسمي الله عليه ! قال : ومات من ذلك الضرب .

ولبشار أخبار كثيرة قد ذكرت في عدة مواضع : منها أخباره مع عبدة فإنها أفردت في بعض شعره فيها الذي غنى فيه المغنون ، وأخباره مع حماد عجرد في تهاجيها فإنها أيضاً أفردت ، وكذلك أخباره مع أبي هاشم الباهلي فإننا لم نجمع جميعها في هذا الموضع ، إذ كان كل صنف منها مستغنياً بنفسه حسبما شرط في تصدير الكتاب .

أخبار يزيد هوراء

يزيد حوراء رجل من أهل المدينة ثم من موالي بني كيث بن بكر بن عبد مناة
ابن كنانة ، ويكنى أبا خالد ، مُغنٍ محسنٌ كثيرُ الصّناعة ، من طبقة ابن جامع
وإبراهيم الموصليّ ، وكان ممن قدّم على المهديّ في خلافته فغنّاه ، وكان حسن
الصوت حاوٍ الشّائل :

حسد الموصلي له :

وذكر ابنُ خُرّاذبَه أنه بلغه أن إبراهيم الموصليّ حسده على شمائله وإشارته
في الغناء ، فأشترى عدّة جوارٍ وشاركه فيهنّ ، وقال له : عَلِمْنِمْ فَا رَزَقَ اللهُ
فيهنّ من ربحٍ فهو بيننا ، وأمرهنّ أن يجلنّ وكَدَهنّ^١ أخذَ إشارته ففعلن ذلك ،
وكان إبراهيم يأخذها عنهنّ هو وأبنة ويأمرهن بتعليم كلّ من يعرفنه ذلك حتى
شهرها في الناس ، فأبطلَ عليه ما كان منفرداً به من ذلك .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن موسى قال حدّثني جماعةٌ من موالي
الرّشيد :

أن يزيد حوراء كان صديقاً لأبي العتاهية ، فقال أبو العتاهية أبيتاً في أمر
عُتْبَةَ يَتَنَجَّرُ فيها المهديّ ما وعده إياه من تزويجها ، فإذا وجد المهديّ طيّب
النفس غنّاه بها ، وهي :

ولقد تَنَسَّمتُ الرِّيحَ حاجتي فإذا لها من راحتِكَ نسيمُ

أَشْرَبْتُ نَفْسِي مِنْ رَجَائِكَ مَا لَهُ عَنَقٌ يُحِبُّ إِلَيْكَ بِي وَرَسِيمٌ^١
وَرَمَيْتُ نَحْوَ سَمَاءِ جَوْدِكَ نَظْرِي أَرْعَى مَخَائِلَ بَرْقِهِ وَأَشِيمُ
وَلَرَبَّمَا أَسْتِيَأْسْتُ ثُمَّ أَقُولُ لَا ، إِنَّ الَّذِي ضَمِنَ النِّجَاحَ كَرِيمُ

فَصَنَعَ فِيهَا لِحْنًا وَتَوَخَّى لَهَا وَقْتًا وَجَدَ الْمَهْدِيَّ فِيهِ طِيبَ النَّفْسِ فَعَنَاهُ بِهَا ، فَدَعَا
بِأَبِي الْعَتَاهِيَّةِ وَقَالَ لَهُ : أَمَّا عُتْبَةُ فَلَا سَبِيلَ إِلَيْهَا لِأَنَّ مَوْلَاتَهَا مَنَعَتْ مِنْ ذَلِكَ
وَلَكِنْ هَذِهِ خَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَأَشْتَرِ بَعْضَهَا خَيْرًا مِنْ عُتْبَةٍ ، فَحُمِلَتْ إِلَيْهِ وَأَنْصَرَفَ .

نظافته :

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ قَالَ حَدَّثَنَا شَيْبَةُ بْنُ هِشَامٍ عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ الرَّبِيعِيِّ^٢ قَالَ :

كَانَ يَزِيدُ حُورَاءَ نَظِيفًا ظَرِيفًا حَسَنَ الْوَجْهِ شَكْلًا ، لَمْ يَقْدَمْ عَلَيْنَا مِنَ الْحِجَازِ
أَنْظَفُ وَلَا أَشْكَلُ مِنْهُ ، وَمَا كُنْتُ تَشَاءُ أَنْ تَرَى خَصْلَةً جَمِيلَةً فِيهِ لَا تَرَاهَا فِي أَحَدٍ
مِنْهُمْ إِلَّا رَأَيْتَهَا فِيهِ ، وَكَانَ يَتَعَصَّبُ لِإِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ^٣ عَلَى ابْنِ جَامِعٍ ، فَكَانَ
إِبْرَاهِيمُ يَرْفَعُ مِنْهُ وَيُشِيعُ ذِكْرَهُ بِالْجَمِيلِ وَيُنَبِّئُهُ عَلَى مَوَاضِعَ تَقْدُّمِهِ وَإِحْسَانِهِ وَيَبْعَثُ
بِأَبْنِهِ إِسْحَاقَ إِلَيْهِ يَأْخُذُ عَنْهُ .

رثاء صديقه ابو مالك حين مات :

وَكَانَ صَدِيقًا لِأَبِي مَالِكٍ الْأَعْرَجِ التَّمِيمِيِّ لَا يَكَادُ أَنْ يُفَارِقَهُ ، فَرَضَ

(١) العنق والرسم : ضربان من ضروب السير .

(٢) الجود (بفتح الجيم) : المطر الغزير ، ومن الجائر أن تكون بضم الجيم بمعنى الكرم . وفي
زهر الآداب : « صوبك » .

(٣) في جميع الأصول : « الربيعي » بدون ياء بعد الباء وهو عبد الله بن العباس بن الفضل بن
الربيع والنسبة إليه ربيعي بإثبات الياء وله ترجمة في الجزء السابع عشر من الأغاني طبع بولاق .

(٤) شكلاً : ذا دل وغزل .

مرضاً شديداً وأحتضر، فأغتم عليه الرشيدُ وبعث بمسرور الخادم يسأل عنه، ثم مات؛ فقال أبو مالك يرثيه:

صوت

لم يُمتَّعْ من الشباب يزيدُ صار في التُّربِ وهو غَضُّ جديدُ
خانهُ دهرُهُ وقابله منه بنَحْسٍ ودابَرَتْهُ السُّعُودُ
حين زُفَّتْ دُنياه من كلِّ وجهٍ وتَدانى اليه منه البعيدُ
فكان لم يكنْ يزيدُ ولم يَشْجُ نديماً يَهْزُهُ التَّغْرِيدُ

وفي هذه الأبيات لحسين بن محرز لحنٌ من الثقيل الثاني بالبصرة، من نسخة عمرو بن بانة.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدثني أحمد ابن أبي يوسف قال حدثني الحسين بن جمهور بن زياد بن طرخان مولى المنصور قال حدثني أبو محمد عبد الرحمن بن عيينة بن شارية الدؤليّ قال حدثني محمد بن ميمون أبو زيد قال حدثني يزيد حوراء المغني قال:

كَلَّمَنِي أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ فِي أَنْ أَكَلِّمَ لَهُ الْمَهْدِيَّ فِي عُتْبَةٍ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ الْكَلَامَ لَا يَكُنُّنِي وَلَكِنْ قُلْ شِعْراً أَغْنِيَهُ، فَقَالَ:

صوت

نَفْسِي بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا مُعَلَّقَةٌ ۖ اللَّهُ وَالْقَائِمُ الْمَهْدِيُّ يَكْفِيهَا

(١) دابرتَه: ولته دبرها ولم تقبل عليه.

(٢) طرخان بفتح الطاء والمحدّثون يضمونها ويكسرونها، وقد نبه على ذلك صاحب القاموس فقال: وَلَا تَضُمُّ وَلَا تَكْسِرُ وَإِنْ فَعَلَهُ الْمُحَدِّثُونَ؛ وَهِيَ كَلِمَةٌ خَرَّاسَانِيَّةٌ مَعْنَاهَا «الرئيس الشريف» وَجَمْعُهَا «طراخنة».

إني لأياسُ منها ثم يُطِيعني فيها أحتقارُكَ للدنيا وما فيها

قال : فَعَمِلْتُ فيه لِحْنًا وَغَنَيْتَهُ به ، فقال : ما هذا ؟ فأخبرته خبرَ أبي العتاهية ، فقال : ننظر فيما سأل ، فأخبرتُ أبا العتاهية ، ثم مضى شهرٌ فجاءني وقال : هل حدث خبر ؟ فقلت : لا ، قال : فأذكرني للمهدي ، قلت : إن أحببتَ ذلك فقل شعراً تُحرِّكه وتذكِّره وعده حتى أغنيته به ، فقال :

صوت

ليت شعري ما عندكم ليت شعري فلقد أَرَّخَ الجوابُ لأمرِ
ما جوابُ أَوَّلِي بكلِّ جميلٍ من جوابٍ يُرَدُّ من بعد شهرٍ

قال يزيد : فغَنَيْتُ به المهديَّ فقال : عليَّ بَعْثَةٌ فَأُحْضِرَتْ ، فقال : إنَّ أبا العتاهية كَلَّمَنِي فيكَ ، فأتقوِين ، ولكِ وله عندي ما تُجَبِّآن مما لا تَبْلُغُهُ أُمَانِيكُما ؟ فقالت له قد عَلِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ما أوجبَ اللهُ عليَّ من حقِّ مولائي ، وأريدُ أن أذكُرَ لها هذا ، قال : فأفْعَلِي ؛ قال : وأَعْلَمْتُ أبا العتاهية ، ومضتْ أَيَّامٌ فَسَأَلَنِي معاوِدَةَ المهديِّ ، فقلت : قد عرفتُ الطريقَ فقل ما شئتَ حتى أَغْنِيَهُ به ، فقال :

صوت

أَشْرَبْتُ قَلْبِي من رجائك ما له عَنَقْتُ يُحِبُّ اليك بي ورسمِ
وَأَمَلْتُ نَحْوَ سماءِ جودِكَ ناظري أَرعى مُحَايِلَ بَرَقِهَا وَأَشِيمِ
ولربِّما أَسْتِيأَسْتُ ثم أقول لا إنَّ الذي وَعَدَ النِّجَاحَ كَرِيمِ

قال يزيد : فغَنَيْتَهُ المهديَّ ، فقال : عليَّ بَعْثَةٌ فَجَاءَتْ ، فقال : ما صنعتِ ؟ فقالت : ذَكَرْتُ ذلكَ لمولائي فَكَرِهْتَهُ وَأَبَتْهُ ، فليفْعَلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ما يُريدُ ، فقال : ما كُنْتُ لأفْعَلَ شَيْئًا تَكْرَهُهُ ، فأَعْلَمْتُ أبا العتاهية بذلك ، فقال :

قَطَعْتُ مِنْكَ جَائِلَ الْأَمَالِ وَأَرْحْتُ مِنْ حَلٍّ وَمِنْ تَرْحَالٍ
 مَا كَانَ أَشَامَ إِذْ رَجَاؤُكَ قَاتِلِي وَبَنَاتُ وَعْدِكَ يَعْتَلِجْنَ بِيَالِي
 وَلَئِنْ طَمِعْتُ لَرُبَّ بَرْقَةٍ خَلَبِ مَالَتْ بِذِي طَمَعٍ وَلَمْعَةٍ آلِ

مغازلته لجارية :

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال :

قال يزيد حوراء : كنت أجلس بالمدينة على أبواب قريش، فكانت تمر بي جارية^١ تختلف إلى الرقاء تتعلم منها الغناء، فقلت لها يوماً : أفهمي قولي وردي جوابي وكوني عند ظيبي، فقالت : هات ما عندك، فقلت : بالله ما أسمك ؟ فقالت : ممتعة؛ فأطرقت طيرة^٢ من أسهما مع طمعي فيها، فقلت : بل باذلة أو مبدولة إن شاء الله، فاسمعي مني، فقالت وهي تبسم : إن كان عندك شيء فقل، فقلت :

لِيَهْنِكُ مَنِّي أَنَّنِي لَسْتُ مُفْشِيًا هَوَاكَ إِلَى غَيْرِي وَلَوْ مُتُّ مِنْ كَرْبٍ
 وَلَا مَانَحًا خَلَقًا سَوَاكَ مُودَّتِي وَلَا قَائِلًا مَا عَشْتُ مِنْ حَبْكُمُ حَسْبِي

قال : فنظرت إليّ طويلاً، ثم قالت : أنشدك الله، أعن فرط محبة أم أحتاج غلمة تكلمت؟ فقلت : لا والله ولكن عن فرط محبة، فقالت :

فَوَاللَّهِ رَبِّ النَّاسِ لَا خُنْتُكَ أَلْهَوَى وَلَا زَلَّتْ مَخْصُوصَ الْحَبَّةِ مِنْ قَلْبِي
 فَثِقْ بِي فَإِنِّي قَدْ وَثِقْتُ وَلَا تَكُنْ عَلَى غَيْرِ مَا أَظْهَرْتَ لِي يَا أَخَا الْحُبِّ

(١) هكذا في جميع الأصول والديوان، وفي كتاب زهر الآداب : «قادي» .

(٢) يعتلجن ببالي : يقعن ويخطرُن، على المجاز من قولهم : اعتلج الموج إذا التطم .

(٣) طيرة : شؤما .

(٤) كذا في الأصول، وقد أنكر صاحب اللسان هذا الاستعمال فقال : والعرب تقول ليهنك الفارس بجزم الهمزة وليهنك الفارس بياء ساكنة ولا يجوز « ليهنك » كما تقول العامة ؛ ولكن أسيد المرتضي ذكر أنه ورد في صحيح البخاري (انظره في مادة هنا) .

قال : فوالله لكأنا أضرمت في قلبي ناراً، فكانت تلقاني في الطريق الذي كانت تسلكه فتحدثني وأتفرج بها، ثم أشتراها بعض أولاد الخلفاء، فكانت تكتبني وتلاطفني دهرًا طويلاً .

صوت

من المائة المختارة

يا ليلة جمعت لنا الأحبابا لو شئت دام لنا النعيم وطابا
بتنا نسقاها شحولا قرقفا تدع الصحيح بعقله مرتابا
حمراء مثل دم الغزال وتارة عند المزاج تحالها زريابا^٢
من كف جارية كأن بنانها من فضة قد قيمت عئابا
وكان يئناها اذا نقرت بها تلقي على الكف الشمال حسابا

عروضه من الكامل . الشعر لعكاشة العمي، والغناء لعبد الرحيم الدقاف،
ولحنه المختار هزج بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى .

(١) أتفرج بها : أصير بها ذا فرج نحو تأسف أي صار ذا أسف وتأهل أي صار ذا أهل،
ولكننا لم نجد في كتب اللغة التي بأيدينا لتفرج معنى سوى تفرج مطاوع فرج في نحو قولهم : فرج الله
الكرب فتفرج وانفرج .

(٢) الشمول من أسماء الحمر، سميت بذلك لأنها تشمل الناس بريحتها، والقرقف من أسمائها أيضاً
لأنها تقرقف شاربها أي ترعده .

(٣) الزرياب : الذهب وقيل ماؤه، معرب « زر » أي ذهب و « آب » أي ماء .

(٤) قعت عئابا : جعلت له أقاعاً من عئاب، والأقاع : جمع قع، وهو الغلاف الذي يكون
على رأس التمرة أو البسرة، والعناب : شجر له حب كحب الزيتون وأجوده الأحمر الحلو؛ ويقال :
قمت المرأة بنانها بالحناء أي خضبت به أطرافها فصار لها كالأقاع، وأنشد نعلب على هذا :

لطمت ورد خدها بينان من لجين قعن بالعقيان

أخبار عكاة العمى ونبه

هو عكاشة بن عبد الصمد العمي من أهل البصرة من بني العم . وأصل بني العم كالدفع، يقال : إنهم تولوا ببني تميم بالبصرة في أيام عمر بن الخطاب فأسلموا وغزوا مع المسلمين وحسن بلاؤهم، فقال الناس : أنتم، وإن لم تكونوا من العرب، إخواننا وأهلنا وأنتم الأنصار والإخوان، وبني العم، فلقبوا بذلك وصاروا في جملة العرب .

بنو العم :

وقال بعض الشعراء - وهو كعب بن معدان - يهجو بني ناجية ويشبههم ببني العم :

وجدنا آل سامة في قريش كمثل العم بين بني تميم

ويروى : « في سلفي تميم » .

اعانوا الفرزدق :

أخبرني عيسى بن الحسين عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني أبو عبيدة قال :

لما تواقف جرير والفرزدق بالمربد للهجاء أقتلت بنو يربوع وبني مجاشع،

(١) تواقف: وقف أحدهما للآخر، قال في اللسان (مادة وقف) : وواقفه موافقة ووقافا : وقف معه في حرب أو خصومة . وفي الأصول : « توافق » .

فَأَمَدَّتْ بَنُو الْعَمِّ بَنِي مُجَاشِعَ وَجَاءَ وَهُمْ فِي أَيْدِيهِمُ الْخَشْبُ فطردوا بني يَرْبُوعَ؛
فَقَالَ جَرِيرٌ : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالُوا : بَنُو الْعَمِّ ، فَقَالَ جَرِيرٌ يَهْجُوهُمْ :

مَا لِلْفَرَزْدَقِ مِنْ غَزٍّ يَلُودُ بِهِ إِلَّا بَنِي الْعَمِّ فِي أَيْدِيهِمُ الْخَشْبُ
سَيَرُوا بَنِي الْعَمِّ فَلَا هَوَازَ دَارِكُمْ وَنَهْرٌ تِيرَى وَلَمْ تَعْرِفْكُمُ الْعَرَبُ

وَعُكَّاشَةُ شَاعِرٌ مُقِلٌّ مِنْ شِعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، لَيْسَ مِنْ شُهْرٍ وَشَاعَ
شِعْرُهُ فِي أَيْدِي النَّاسِ وَلَا مِنْ خَدَمِ الْخُلَفَاءِ وَمَدَحَهُمْ .

حبه لنعيم :

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُويَةَ قَالَ حَدَّثَنِي
عَلِيٌّ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ الْكَاتِبُ الْبَصْرِيُّ
قَالَ قَالَ أَبِي :

كَانَ عُكَّاشَةُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الْعَمِيِّ صَدِيقًا لِي وَإِلْفًا ، وَكُنَّا نَتَعَاشَرُ وَلَا نَكَادُ
نَفْتَرِقُ وَلَا يَكُنُّ أَحَدُنَا صَاحِبَهُ شَيْئًا ، فَرَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ مُتَغَيِّرَ الْهَيْئَةِ عَمَّا عَهْدَتْهُ
مَقْسَمَ الْقَلْبِ وَالْفِكْرِ غَيْرَ آخِذٍ مَا كُنَّا فِيهِ مِنَ الْفُكَاكَةِ وَالْمُزَاحِ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ حَالِهِ
فَكَأْتَمَنِيهَا مَلِيًّا ، ثُمَّ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ يَهْوَى جَارِيَةً لِبَعْضِ الْهَاشِمِيِّينَ يُقَالُ لَهَا نُعَيْمٌ ، وَأَنَّ
مَرَامَهَا عَلَيْهِ مُسْتَصْعِبٌ لَا يَرَاهَا إِلَّا مِنْ جَنَاحٍ لِدَارِهِمْ ، تُشْرِفُ عَلَيْهِ فِي الْفَيْئَةِ
بَعْدَ الْفَيْئَةِ فَتُكَلِّمُهُ كَلَامًا يَسِيرًا ثُمَّ تَذْهَبُ ، فَعَاتَبْتُهُ عَلَى ذَلِكَ فَلَمْ يَزِدْ جُرْهُ وَقَادَى
فِي أَمْرِهِ ، ثُمَّ جَاءَنِي يَوْمًا ، فَقَالَ : قَدْ وَعَدْتَنِي الزِّيَارَةَ لِأَنَّ شِكْوَايَ إِلَيْهَا طَالَتْ ،
فَقُلْتُ لَهُ : فَهَلْ حَقَّقْتَ لَكَ الْوَعْدَ عَلَى يَوْمٍ بَعِينِهِ ؟ قَالَ : لَا ، إِنَّمَا سَأَلْتُهَا الزِّيَارَةَ

(١) الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس ، لكل كورة منها اسم ويجمعها الأهواز .

(٢) نهر تيرى (بكسر التاء وياء ساكنة وراء مفتوحة مقصور) : بلد من نواحي الأهواز
حفره أردشير الأصغر بن بابك ووهبه « لتيرى » من ولد جودرز الوزير فسمي به ، وله ذكر في
أخبار الفتوح والخوارج ، (انظر معجم ياقوت في الكلام على نهر تيرى .

(٣) الفئنة : الحين ، وفي بعض الأصول « العينة » ولعلها محرفة عن « الفينة » وهي بمعنى الفئنة .

فقلت : نعم أفعلُ، فقلت له : هذا والله أعجبُ من سائرِ ما مضى ، وأيُّ شيءٍ لك في هذا من الفائدة بلا تحصيلٍ وعدٍ ! فقال لي : يا أخي، إنَّ لي في قولها : « نعم » فرجاً كبيراً، فقلتُ : أنت أفنعُ الناسِ؛ ثم جاءني بعدَ يومين وهو كاسفُ البالِ مهومٌ، فقلتُ له : ما لك ؟ فقال : مضيتُ الى نُعيمٍ فتجنَّرتُ وعدَّها، فقلت لي : إنَّ لي صاحبةً أَسْتَنْصِحُها وأَعْلَمُ أنَّها تُشْفِقُ عليَّ شفقةَ الأختِ على أختها والأمِّ على ولدها وقد نَهَنِي عن ذلك، وقالت لي : إنَّ في الرجالِ غدرًا ومكرًا، ولا آمنُ أن تفتضحني ثم لا تحْصلي منه على شيءٍ ؛ وقد أنقطعتُ عني ثم أنشدني لنفسه :

علامَ جبلُ الصفاءِ منصرمُ	وفيمَ عني الصدودُ والصَّممُ
يا من كُنِينا عن أسمه زمنًا	نتبعُ مرضاتهُ ويحترمُ
قد عيلَ صبري وأنتِ لاهيةٌ	عني وقلبي عليكِ يضطرمُ
مَن جَدَّ جبلَ الوفاءِ سيّدي	منك ومن سامني له العدمُ
فكم أتاني واشٍ يعيبكمُ	فقلتُ إخسًا لأنفك الرِّغمُ
أنتَ الفِدا والحِمى لمن عبتَ فأر	جعُ صاغِرًا راغماً لك الندمُ

صوت

يا ربَّ خذْ لي من الوُشاةِ إذا	قاموا وقُنا اليك نُخْتَمُ
دَبُّوا اليها يُوسُوسون لها	كي يستزلُّوا حبيتي زعموا
هيئات من ذاك ضلَّ سعيهمُ	ما قلبها المستعارُ يُقَسِّمُ
يا حاسدينَا موتوا بغيظكمُ	حَبْلِي متينٌ بقولها نَعَمُ
بالله لا تُشِمِّي العُداةَ بنا	كوني كقلبي فلستُ أتهمُ

زيارة نعيم :

- الغناء في هذه الأبيات لعريبَ رَمَلٌ . وقيل : إنه لغيرها - قال : ثم طال

تَرَدَّادُهُ إِلَيْهَا وَأَسْتَصْلَاحُهَا، فَلَمْ أَلْبَثُ أَنْ جَاءَتْنِي رُقْعَتُهُ فِي يَوْمِ خَمِيسٍ يُعَلِّمُنِي أَنَّهَا قَدْ حَصَلَتْ عِنْدَهُ وَيَسْتَدْعِينِي فَحَضَرْتُ، وَتَوَارَتْ عَنِّي سَاعَةٌ وَهُوَ يُخَبِّرُهَا أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَلَا يَحْتَشِمُنِي فِي حَالِ أَلْبَتَّةِ إِلَى أَنْ خَرَجْتُ، فَاجْتَمَعْنَا وَشَرِبْنَا وَغَنَّتْ غِنَاءً حَسَنًا إِلَى وَقْتِ الْعَصْرِ ثُمَّ أَنْصَرَفْتُ، وَأَخَذَ دَوَاةً وَرُقْعَةً فَكَتَبَ فِيهَا :

سَقِيًّا لِمَجْلِسِنَا الَّذِي كُنَّا بِهِ	يَوْمَ الْخَمِيسِ جَمَاعَةٌ أَتَرَابًا
فِي غُرْفَةٍ مَطَرَتْ سَمَاوَةٌ سَقَفِهَا	بِحَيَاةِ النِّعَمِ مِنَ الْكُرُومِ شَرَابًا
إِذْ نَحْنُ نُسْقَاهَا شَمُولًا قَرَقَنًا	تَدَعُ الصَّحِيحَ بِعَقْلِهِ مُرْتَابًا
حَمَاءٌ مِثْلَ دَمِ الْغُرَالِ وَتَادَةٌ	بَعْدَ الْمِزَاجِ تَحَالُهَا زُرْيَابًا
مِنْ كَفِّ جَارِيَةٍ كَأَنَّ بَنَانَهَا	مِنْ فِضَّةٍ قَدْ قُتِّمَتْ عُنَابًا
تَرَدَّادُ حَسَنًا كَأُسْهَا مِنْ كَفِّهَا	وَيَطِيبُ مِنْهَا نَشْرُهَا أَحْقَابًا
وَإِذَا الْمِزَاجُ عَلَا فَشَجَّ جَبِينَهَا	نَفَقَتْ بِاللِّسَنَةِ الْمِزَاجَ حَبَابًا
وَتَحَالُ مَا جَمَعَتْ فَأَحْدَقَ سِمَطُهُ	بِالطُّوقِ رِيْقَ حَبَائِبٍ وَرُضَابًا
كَفَّتِ الْمُنَاصِفَ أَنْ تَذُبَّ أَكْفُهَا	عَنْهَا إِذَا جَعَلَتْ تَفُوحُ ذُبَابًا
وَالْعُودُ مُتَّبِعُ غِنَاءِ خَرِيدَةٍ	غَرْدًا يَقُولُ كَمَا تَقُولُ صَوَابًا
وَكَأَنَّ يُعْنَاهَا إِذَا نَطَقَتْ بِهِ	تُلْقِي عَلَى يَدِهَا الشِّمَالِ حِسَابًا
فَهِنَاكَ خَفَّ بَنَا النِّعَمِ وَصَارَ مِنْ	دُونَ الثَّقِيلِ لَنَا عَلَيْهِ حِجَابًا
آلَيْتُ لَا أَلْحِي عَلَى طَلَبِ الْهَوَى	مُتَلَذِّذًا حَتَّى أَكُونَ تُرَابًا

اغتراب نعيم :

قال : ثم قَدِمَ قَادِمٌ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادٍ فَاشْتَرَى نَعِيمَ هَذِهِ مِنْ مَوْلَاتِهَا وَرَحَلَ إِلَى بَغْدَادٍ، فَعَظُمَ أَسْفُ عَكَّاشَةٍ وَخَزْنُهُ عَلَيْهَا وَأَسْتَهْمَ بِهَا طَوْلَ عَمْرِهِ، فَاسْتَحَالَتْ

(١) السَّامَةُ : السَّاءُ وَهِيَ كُلُّ مَا عَلَكَ فَأُظْلِكَ .

(٢) الْمُنَاصِفُ : جَمْعُ مَنْصَفٍ (بِكَسْرِ الْمِيمِ وَقَدْ تَفْتَحُ ، وَالْأُنْثَى مَنْصَفَةٌ) وَهُوَ الْخَادِمُ .

صورته وطبعه وخلقُه الى أن فرَّق الدهر بيننا ، فكان أكثر وكَّده^١ وشغله
أن يقول فيها الشعر وينوح به عليها ويبكي ؛ قال حميد بن سعيد فأنشدني أي
له في ذلك :

ألا ليت شعري هل يعودنَّ ما مضى	وهل راجعٌ ما مات من صلة الحبل
وهل أجلسنَّ في مثل مجلسنا الذي	نعْمنا به يوم السعادة بالوصل
عشيَّة صَبَّتْ لذة الوصل طيبها	علينا وأفنانُ الجنانِ جنى البذل
وقد دار ساقينا بكأس رويَّة	تُرْحَلُ أحزان الكئيب مع العقل
وشجَّ شمْوْلاً بالمزاج فطيرت	كأسنة أحيات خافت من القتل
فبثنا وعين الكأس سحَّ دموعها	لكل فتى يهتز للمجد كالنَّصل
وقيَّتْنا كالظي تسبح بالهوى	وبثَّ تباريح الفؤاد على رسل ^٢
إذا ما حكت بالعود رجَّع لسانها	رأيت لسان العود من كفها يمي
فلم أر كاللذات أمطرت الهوى	ولا مثل يومي ذاك صادفه مثلي

ومما قاله فيها :

أُنْعِمْ جُبِكَ سَلَنِي وَبَلَانِي	والى الأمر من الأمور دعاني
أُنْعِمْ لو تجدينَ وجدي والذي	ألقي بكيت من الذي أبكاني
أُنْعِمْ سيدي عليك تقطعت	نفسى من الحسرات والأحزان
أُنْعِمْ قد رجم الهوى قلبي وقد	بكت الثياب أسى على جثماني
أُنْعِمْ وأخدرت مدامع مقلتي	حتى رحمت لرحمتي إخواني
أُنْعِمْ مثلك الهيام لمقلتي	فكأنني ألقاك كل مكان
أُنْعِمْ نظرة سحر عينك بالهوى	معروفة بالقتل في إنسان
أُنْعِمْ ^٣ أشني أو دعي من داؤه	ودواؤه بيديك مقتران

(١) الوكد : الهم والقصد .

(٢) الرسل (بالكسر) : التؤدة والرفق .

(٣) التنوين هنا لضرورة الشعر .

هذا وكم من مجلس لي مؤثّق
نازعته أردانه فلبستها
تتسي الحليم من الرجال معاده
حتى يعود كأن حبة قلبه
ظلت تغنيني وتعطف كفها
فسمعت ما أبكى وأضحك سامعا
ومشيت في لجج الهوى متبخترا
فعلمت أن قد عاد قلبي عائد
بين النعيم وبين عيش داني
مع ظبية في عيشنا القينان
بين الغناء وعودها الحنان
مشدودة بمثالي ومثاني
بالعود بين الراح والريحان
وسكرت من طرب ومن أشجاني
ومشى إليّ الهوى في الألوان
من بين عود مطرب وبنان

وبما قاله أيضاً فيها :

نعم هل بكيت كما بكيت
ألا يا ليت شعري كيف بعدي أصـ طبارك
فكم من عبرة ذرقت فلما
نَهَضْتُ بها مكاتمة فلما
وقلت لصحبي لما رَماني
أراني من هموم النفس ميتاً
فليت الموت عَجَلَ قبض رُوحِي
وهل بعدي وفيت كما وفيت
إذ نأيت واذ نأيت
خشيت عيون أهلي وأستحي
خلوت ذرقتها حتى أشتيت
هوالك بدائه حتى أنطويت
ولم أر في نعيم ما نويت
جهاراً فاسترحت وأين ليت

وقال أيضاً في فراقه إياها :

أنعم في قلبي عليك شرار
وعلى الجفون غشاوة وعلى الهوى
بمضلة لب الحليم اذا رمت
طالبها حولين لا ليلى بها
حتى اذا ظفرت يداي بكاعب
وعلى الفؤاد من الصبا نار
داع دعه لِحِينِي الأقدار
بالمقلتين كأنها سحار
ليل ولا هذا النهار نهار
كالشمس تقصر دونها الأبصار

(١) الثالث : جمع مثَلث وهو ما كان على ثلاث قوى من الأوتار، وقيل هو الثالث منها، والثاني : جمع مثني وهو ما بعد الاول من أوتار العود .

وَتَلَجْتُ صَدْرًا بِالْفَتَاةِ وَصَارَتَا كَالنَّفْسِ نَفْسَانَا وَقَرَّ قَرَارُ
بَلَغَ الشَّقَاءُ أَشَدَّ مَا يَسْطِيعُهُ فِينَا وَفَرَّقَ بَيْنَنَا الْمِقْدَارُ

ومما يُغْنَى فيه من شعر عكاشة الذي قاله في هذه الجارية :

صوت

لَهْفِي عَلَى الزَّمَنِ الَّذِي وَلى بِهِجْتَهُ الْقَصِيرَ
قَدْ كَانَ يُؤْتِقُنِي الْهَوَى وَيُقِرُّ عَيْنِي بِالسَّرُورِ
إِذْ نَحْنُ خُلَانُ الْهَوَى رِيحَانُنَا عَمِيقُ الْعَبِيرِ
وَعَنَاوُنَا وَصْفُ الْهَوَى نَلْتَذُّ بِالْحَبِّ الْيَسِيرِ

الغناء في هذه الأبيات لأَبْنِ صَغِيرِ الْعَيْنِ مِنْ كِتَابِ إِبْرَاهِيمَ وَلَمْ يَذْكُرْ طَرِيقَتَهُ .
وفيه لأَبِي الْعَيْسَى بْنِ أَحْمَدُونَ خَفِيفُ رَمْلٍ . وَتَمَامُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

وَجْهُ التَّوَاصُلِ بَيْنَنَا فِي الْحَسَنِ كَالْقَمَرِ الْمُنِيرِ
إِيمَاؤُنَا يَحْكِي الْكَلَامَ وَسِرُّنَا فَطَنُ الْمَشِيرِ
وَحَدِيثُنَا بِمُجَوَابِ نَطَقَتُ بِاللُّسَنَةِ الضَّمِيرِ
بَلْ رُسُلُنَا الْكُتُبُ الَّتِي تَجْرِي بِخَافِيَةِ الصُّدُورِ

مع المهدي :

حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيلٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُويَةَ قَالَ حَدَّثَنَا
أَبُو مُسْلِمٍ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ :

أَنشَدَ عَكَّاشَةُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الْمَهْدِيِّ قَوْلَهُ فِي الْحُرِّ :

حَمَاءٌ مِثْلُ دَمِ الْغُرَالِ وَتَارَةً عِنْدَ الْمِزَاجِ تَخَالُهَا زُرِّيَابَا

فَقَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ : لَقَدْ أَحْسَنْتَ فِي وَصْفِهَا إِحْسَانًا مَنْ قَدْ شَرِبَهَا ، وَلَقَدْ اسْتَحَقَّقْتَ

بذلك الحدّ، فقال : أَيُؤْمِنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى أَتَكَلَّمَ بِحُجَّتِي ؟ قال : قد أَمْنْتُكَ ، قال : وما يُدْرِيكَ يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنِّي أَحْسَنْتُ وَأَجَدْتُ صَفَتَهَا إِنْ كُنْتُ لَا تَعْرِفُهَا ؟ فقال له المهدي : أَغْرُبُ قَبْحَكَ اللَّهُ .

مع الهادي :

قال الحسن وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار أن عكاشة أنشد موسى الهادي هذا الشعر ثم أنشده قوله :

كَأَنَّ فُضُولَ الْكَأْسِ مِنْ زَبَدَاتِهَا^١ خَلَّجْتُ شِدَّتَ الْجَمَانِ إِلَى حَبْلِ^٢

فقال له موسى : وَاللَّهِ لَا جِلْدَ لَكَ حَدَّ الْحُرِّ ، قال : ولم يا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ! إِنَّمَا نَقُولُ وَلَا نَفْعُ ، فقال : كَذِبْتَ ، قد وصفتها صفة عالم بها ، قال : فاجعل لي الأمان حتى أَتَكَلَّمَ بِحُجَّتِي ، قال : تَكَلَّمَ وَأَنْتَ آمِنٌ ، قال : أَجَدْتُ وصفها أم لم أجِدْ ؟ قال : بلى قد أجَدْتُ ، قال : وما يُدْرِيكَ أَنِّي أَجَدْتُ إِنْ كُنْتُ لَا تَعْرِفُهَا ! إِنْ كُنْتُ وَصَفْتُهَا بِطَبْعِي دُونَ أَمْتِحَانِي فَقَدْ شَرَكْتَنِي فِي ذَلِكَ بِطَبْعِكَ ، وَإِنْ كَانَ وَصْفُهَا لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِالتَّجَرُّبَةِ فَقَدْ شَرَكْتَنِي أَيْضًا فِيهَا ؛ فَضَحَكَ مُوسَى وَقَالَ لَهُ : قَدْ نَجَوْتَ بِجِيلَتِكَ مِنِّي ، قَاتَلَكُ اللَّهُ فَمَا أَدهَاكَ !

ما غنى فيه من شعره :

وَمَا وَجَدْتُ فِيهِ غَنَاءً مِنْ شَعْرِ عَكَّاشَةِ قَوْلِهِ :

وَجَاؤُوا إِلَيْهِ بِالتَّعَاوِيدِ^٣ وَالرُّقَى وَصَبُّوا عَلَيْهِ الْمَاءَ مِنْ شِدَّةِ النُّكْسِ^٤

(١) الزبدات : جمع زبدة وهي الطائفة من الزبد الذي هو طفاوة الماء والجرة واللعاب ونحوها .
(٢) الجمَان : اللؤلؤ أو حب من فضة يعمل على شكل اللؤلؤ ، والحجل (بالفتح والكسر) : الخلل .

(٣) التعاويد : جمع تعويذة وهو ما يرقى به من فزع أو جنون ونحوه ، ويقال على ما يكتب ويعلق على الإنسان للحفاظ من العين ونحوها من الآفات فيما يزعمون ، وتسمى المعاذات ، وقد ورد في الحديث النهي عن تعليقها .

(٤) النكس : العود في المرض ، يقال : نكس المريض إذا عاودته العلة بعد النقه ، ويقال : تعسا له ونكسا بضم النون ، وقد تفتح ازدواجا .

وقالوا به من أعين الجن نظرة ولو صدقوا قالوا به أعين الانس

الغناء لعريب . ومنها :

طرفي يذوب وماء طرفك جامد
هذا هوالك قسمته بين الوري
ومنحتني أرقاً وطرفك راقد
وعلى جميع الناس سهم واحد
فعلي منه اليوم تسعة أسهم

الغناء لجحظة . ومنها :

غاد الهوى بالكأس بردا وأطع إمارة من تبدى

ومنها :

كما أشتهت خلقت حتى اذا اعتدلت
تمت قواماً فلا طول ولا قصر

ومنها :

وزعفرانية في اللون تحسبها اذا تأملتها في جسم كافور
تحال أن سقيط الطل بينهما دمع تحير في أجفان مهجور

(١) هو فعل أمر من «غادى» بمعنى باكر .

(٢) كذا بالأصول، ولعلها «تندى» بمعنى تفضل وتسعى، يقال : «هو يتندى على إخوانه»
أي يتفضل ويحود عليهم .

اخبار عبد الرحيم الدقاف ونسبه

عبد الرحيم بن الفضل الكوفي، ويكنى أبا القاسم، وقيل: هو عبد الرحيم ابن سعد، وقيل: عبد الرحيم بن الهيثم بن سعد، مولى لآل الأشعث بن قيس، وقيل: بل هو مولى خزاعة.

ذكر أبو أيوب المديني أن حماداً الراوية حدثه قال: رأيت عبد الرحيم الدقاف أيام هارون الرشيد بالرقّة وقد ظهرت^٢، فحضرتي وسمعتُه يغني يومئذ صوتاً سئل عنه فذكر أنه من صنّعه، وهو:

فديتُك لو تدرين كيف أجبكم وكيف اذا ما غبتُ عنك أقولُ

وكان عبد الرحيم منقطعاً الى علي بن المهدي المعروف بأمه ريطة بنت أبي العباس.

تعريضه بالرشيد:

فأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حدثني عبد الصمد بن المعدّل قال:

(١) كذا في جميع الأصول، والمعروف أن حماداً الراوية لم يبق الى أيام هارون الرشيد، فان حماداً توفي في خلافة المنصور سنة ١٥٥ هـ. وقيل توفي في خلافة المهدي التي تنتهي بسنة ١٦٩ هـ، وعلى كلتا الروايتين تكون وفاة حماد قبل خلافة الرشيد التي تبتدىء بسنة ١٧٠ هـ.

(٢) يشير حماد بقوله: «وقد ظهرت» الى أنه كان مطرّحاً مجفوّاً حتى اختفى في أيام العباسيين بسبب تقدمه وإيثاره عند ملوك بني أمية ومناذمتهم لهم كما جاء في ترجمته في الجزء الخامس من الأغاني طبعة بولاق.

غَنَّتْ جَارِيَةً يَوْمًا بِحَضْرَةِ الرَّشِيدِ :

قُلْ لِعَلِيٍّ أَيَا فَتَى الْعَرَبِ وَخَيْرَ نَامٍ وَخَيْرَ مُكْتَسَبِ
أَعْلَاكَ جَدَّاكَ يَا عَلِيٍّ إِذَا قَصَّرَ جَدُّهُ عَنْ ذُرْوَةِ الْحَسَبِ

فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهَا ، فَقَالَتْ : يَا سَيِّدِي مَا ذَنْبِي ! هَذَا صَوْتُ 'عَلِمْتُهُ' ، وَاللَّهِ مَا
أَدْرِي مَنْ قَالَهُ وَلَا فِيمَنْ قِيلَ ؛ فَعَلِمَ أَنَّهَا صَدَقَتْ ، فَقَالَ لَهَا : عَمَّنْ أَخَذْتَهُ ؟ فَقَالَتْ :
عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ الدَّقَّافِ ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ فَأُحْضِرَ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَاضٌ بَطْرٍ أُمِّهِ ،
أَتَغْنِي فِي شَعْرِ تَفَاخُرٍ فِيهِ بَيْنِي وَبَيْنَ أَخِي ! جَرِّدُوهُ ، جَرِّدُوهُ ، وَدَعَا لَهُ بِالسَّيَاطِ ،
فَضْرَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ خَمْسَمِائَةَ سَوْطٍ .

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مَهْرُويَةَ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي
سَعْدٍ عَنِ الْقَطِرَانِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَبْرِ قَالَ :

قَالَ لِي عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ الْقَاسِمِ الدَّقَّافُ : دَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ رَيْطَةَ يَوْمًا وَاسْتَارَتْهُ
مَنْصُوبَةٌ ، فَغَنَّتْ جَارِيَتُهُ :

أُنَاسٌ أَمْنَاهُمْ فَتَمَوْا حَدِيثَنَا فَلَمَّا كَتَمْنَا السَّرَّ عَنْهُمْ تَقَوَّلُوا

فَقُلْتُ : أَرَأَيْتَ إِنْ غَنَيْتُكَ هَذَا الصَّوْتَ وَفِي تَمَامِهِ زِيَادَةُ بَيْتٍ وَاحِدٍ ، أَيُّ شَيْءٍ لِي
عَلَيْكَ ؟ قَالَ : خَلَعْتِي الَّتِي عَلَيَّ ، فَغَنَيْتُهُ :

فَلَمْ يَحْفَظُوا الْوُدَّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا وَلَا حِينَ هَمُّوا بِالْقَطِيعَةِ أَجَلُوا

قَالَ : فَتَزَعِ خَلْعَتَهُ خُفْعَلَهَا عَلَيَّ ، وَأَقْتُ عَنْدَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِي عَلَى عَرَبْدَةٍ كَانَتْ فِيهِ .

الشَّعْرُ لِعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ ، وَالْغَنَاءُ لِعَبْدِ الرَّحِيمِ الدَّقَّافِ هَزَجٌ بِالْبَنْصَرِ . وَهَذَا
أَخَذَهُ الْعَبَّاسُ مِنْ قَوْلِ أَبِي دَهَبَلٍ :

صوت

أَمِنَّا أَنْسَاءً كُنْتَ تَأْتِنِيهِمْ فزادوا علينا في الحديث وأوهموا
وقالوا لها ما لم نقل ثم أكثروا عليّ وباحوا بالذي كنت أكرم

وفي هذين البيتين أغاني قديمة : منها لحن لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى
الوسطى عن إسحاق . ولابن زرزور الطائي خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو .
وفيه خفيف رمل بالنصر والوسطى لمتيم وعريب .

صوت

من المائة المختارة

بَكَرَتْ سُمَيَّةُ غَدُوَةً فَتَمَتَّعِي وَغَدَتْ غَدُوً مَفَارِقٍ لَمْ يَرَبَعِ
وَتَعَرَّضَتْ لَكَ فَاسْتَبْتِكَ بَوَاضِحٍ صَلَّتْ كَمُنْتَصَّ الْغُرَالِ الْأَتْلَعِ

عروضه من الكامل . والشعر للحاضرة التعلبي ، والغناء في اللحن المختار
لسعيد بن مسبح ، وإيقاعه من خفيف الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى
النصر عن إسحاق ، وذكر عمرو بن بانه أنه لابن مخرز . وفيهما للغريض ثقيل
أول بالنصر عن عمرو . وفيهما خفيف رمل بالوسطى لابن سريج عن حبش .

ومما يُعْنَى فيه من هذه القصيدة :

أُسْمِيَّ مَا يُدْرِيكَ كَمْ عَنْ فِتْيَةٍ بَادَرْتُ لَدَّتْهُمْ بِأَدَكْنَ مُتَرَعِ
بَكَرُوا عَلَيَّ بِسُخْرَةٍ فَصَبَحَتْهُمْ مِنْ عَاتِقٍ كَدَمَ الذَّبِيحِ مُشَعَّعِ

غناه مالك ، ولحنه من الثقيل الأول بالنصر عن عمرو . وفيه للمالك خفيف
ثقيل آخر أيضاً . وفيهما لعلويه ثقيل أول صحيح من جيد صنعه . قوله :

فتمتعي يخاطب نفسه ، أي تمتعي منها قبل فراقها : ولم يربع : لم يُقيم . والواضح
الصلت : يعني عُتَقَهَا ، وأصل الصلت : الماضي ، ومنه الناقة المصلات : الماضية ،
وَشَدَّ عليه بالسيف صلتاً أي خارجاً من غمده . والصلت في هذا الشعر : الطويل الذي
لا قصر فيه . والمنتص : المنتصب ، يقال : أنتص فلان أي أنتصب ، ومنصة
العروس مأخوذة من هذا ، ومنه نص الحديث : رَفَعَهُ إلى صاحبه . وأستبتك :
غلبتك على عقلك . والواضح : الخالص الأبيض . وأدكن مترع يعني الزرق .
والمشعشع : المُرَقَرَق بالماء .

أخبار الحادرة ونسب

الحادرة لَقَبٌ غَلَبَ عليه ، والحَوَيْدِرَةُ أيضاً ؛ وأسمه قُطْبَةُ بن أَوْس بن مَحْصَن
ابن جَرْوَل بن حَبِيب بن عبد العُرَى بن خُرَيْمَة بن رِزَام بن مَازِن بن ثَعْلَبَة بن
سعد بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفَان بن سعد بن قَيْس بن عَيْلَان بن مُضَر بن
نِزَار ، شاعرٌ جاهليٌّ مُقِلٌّ . أخبرني بنسبه هذا محمد بن العباس اليزيدي عن عبد
الرحمن بن عبد الله بن قُرَيْب بن أخي الأصمعي عن عمه . قال : وإنما سُمِّيَ
الحادرة بقول زَبَّان بن سَيَّار الفَرَارِيّ له :

كَأَنَّكَ حَادِرَةٌ الْمُنْكَيْنِ رُصْعَاءُ تُنْقِضُ فِي حَائِرٍ
عَجُوزُ ضَفَادِعَ مَحْجُوبَةٍ يَطِيفُ بِهَا وَلَدَةٌ الْحَاضِرِ .

قال : والحادرة : الضخم

وذكر أبو عمرو الشَّيبَانِيّ أَنَّ الحَادِرَةَ خرج هو وزَبَّان الفَرَارِيّ يَصْطَادَانِ
فَأَصْطَادَا جَمِيعاً ، فخرج زَبَّان يشتهي ويأكل في الليل وحده ؛ فقال الحادرة :

(١) يتصل في سعد هذا نسب الحادرة بنسب ابن ميادة .

(٢) ذكر صاحب شرح القاموس في مادة « زب » أنه قد يكون مشتقاً من « زين » فيصرف
أو من « زب » فيمنع من الصرف . وكذلك ذكر ابن دريد في كتاب الاشتقاق (ص ١٢٦ طبع
أوروبا) .

(٣) حادرة المنكين : ممتلئها . والرصعاء : الرسحاء وهي خفيفة لحم العجيزة والفخذين .
وتنقض : تنق ، يقال : أنقضت الضفدع تنقض لإنقاضاً إذا صوتت ، (انظر شرح ابن الأباري
للمفضليات ص ٥٠) . والحائر : مجتمع الماء .

(٤) كذا في الأصول ، وفي المفضليات ص ٤٩ طبع بيروت « قد حدرت » .

(٥) الحاضر : المقيم على الماء ، ويقال : حي حاضر إذا كانوا نازلين على ماءٍ عِدَّةٍ .

تركت رفيقَ رَحْلِكَ قد تراه وأنت لِفَيْكِ في الظَّلْماءِ هادي
 كَفَقْدِهَا عليه زَبَّانٌ ، ثم أَتَيَا غديراً فتجردَ الحادرة ، وكان ضخم المنكبين أرسح ،
 فقال زَبَّانٌ :

كَأَنَّكَ حَادِرَةٌ المنكبيِّينِ رصعاءُ تُنْقِضُ في حائرِ

فقال له الحادرة :

لَا اللهُ زَبَّانٌ من شاعِرٍ أَخِي خَنْعَةً^١ فاجرٍ غادرِ
 كَأَنَّكَ فُقَّاحَةٌ^٢ نَوَّرَتْ مع الصبح في طَرْفِ الحائرِ

فَعَلَبَ هذا اللقبُ على الحادرة .

حدَّثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدَّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي قال
 حدَّثني عمي قال سمعت شيخاً من بني كِنانة من أهل المدينة يقول :

كان حَسَّانٌ بن ثابت إذا قيل له : تُنَوِّشِدَتِ الأشعارُ في موضع كذا وكذا
 يقول : فهل أُنشِدَتْ كلمةُ الحُوَيْدِرة :

بَكَرَتْ سُمَيَّةُ غُدُوَةً فَتَمَتَّتِي

قال أبو عُبَيْدَةَ : وهي من مختار الشعر ، أَصَمَعِيَّةُ مُفَضَّلِيَّةُ .

سبب الهجاء بينه وبين زبَّان :

نسخت من كتاب ابن الأعرابي قال حدَّثني المفضل قال :

كان الحادرة جاراً لرجل من بني سُليم ، فأغار زَبَّانٌ بن سيَّار على إبله فأخذها

(١) الخنعة : الرابية والفَجْرَة .

(٢) الفقاحة : واحدة الفقاح ، وفقاح كل نبت زهره حين يفتح على أي لون كان .

فدفعها الى رجل من أهل وادي القرى يهودي^١، وكان له عليه دَيْنٌ فأعطاه إياها بدينه، وكان أهل وادي القرى حلفاء لبني ثعلبة؛ فلما سمع اليهودي بذلك قال: سيجعل الحادرة هذا سبباً لنقض العهد الذي بيننا وبينه، ونحن نقرأ الكتاب ولا ينبغي لنا أن نغدر، فردّ الإبل على الحادرة فردّها على جاره، ورجع الى زبّان فقال له: أعطني مالي الذي عليك، فأعطاه إياه زبّان، ووقع الهجاء بينه وبين الحادرة؛ فقال الحادرة فيه:

لعمرة بين الأخرمين^٢ طولٌ تقادم منها مشهر^٣ ومحيل^٤
وقفت بها حتى تعالى لي الضحى لأخبر عنها إنني لسؤول^٥

يقول فيها:

فإن تحسبوها بالحجاب ذليلة^٦ فما أنا يوماً إن ركبت ذليل^٧
سأمنعها في عصبية ثعلبية^٨ لهم عدد وافي وغز أصيل^٩
فإن شتم عدنا صديقاً وعدتم^{١٠} وإما أيتّم فالمقام زحول^{١١}

قال: ولجّ الهجاء بينهما بعد ذلك فكان هذا سببه.

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني يذكر عن أبيه:

أن جيشاً لبني عامر بن صعصعة أقبل وعليهم ثلاثة رؤساء: ذوأب بن غالب من عُقيل ثم من بني كعب بن ربيعة، وعبد الله بن عمرو من بني الصموت، وعُقيل بن مالك من بني نعيم، وهم يريدون غزو بني ثعلبة بن

(١) الأخرمان: مثنى آخرم وهو اسم لعدة مواضع: منها جبل في ديار بني سليم وجبل قبل ثوز بأربعة أميال من أرض نجد وجبل في طرف الدهناء، وهو يأتي في الشعر بالإفراد وبالتثنية، قال المسيّب بن علس:

ترعى بأرض الأخرمين له فيها موارد ماؤها غدق

(٢) أي مرت عليه شهور وأحوال فغيرته.

(٣) وقع في هذا البيت الاعتماد وهو علم حذف الخامس من فعولن التي قبل القافية.

(٤) زحول: بعيد.

سعد رهط الحادرة ومن معهم من محارب ، وكانوا يومئذٍ معهم ، فنذرت بهم
 بنو ثعلبة ، فركب قيس بن مالك المحاربي الحصني وجويّة بن نصر الجرهمي
 أحد بني ثعلبة للنظر إلى القوم ، فلما دنا منهم عرف عقيل بن مالك النميري
 جويّة بن نصر الجرهمي ، فناداه : إيلي يا جويّة بن نصر فإن لي خبراً أسره
 إليك ؛ فقال : إليك أقبلت ولكن لغير ما ظننت ، فقال له : ما فعلت قلوص ؟
 - يعني امرأته - ؛ فقال : هي في الظن أسراً ما كانت قط وأجله ؛ ثم حمل
 كل واحد منهما على صاحبه وأختلفا طعنتين فطعنه جويّة طعنة دقت صلبه ،
 وأنطلق قيس بن مالك المحاربي إلى بني ثعلبة فأنذرهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ،
 فهزمت بنو نمير وسائر بني عامر ومات عقيل النميري وقيل ذؤاب بن غالب
 وعبد الله بن عمرو أحد بني الصموت ؛ فقال الحادرة في ذلك :

كَانَ عُقَيْلًا فِي الضُّحَى حَلَقَتْ بِهِ وَطَارَتْ بِهِ فِي الْجَوِّ عُنْقَاءُ مُغْرَبٌ^١

ويروى : « وطارت به في اللّوح » وهو الهواء .

وذي كرم يدعوكم آل عامر لدى معركٍ سرّباله يتصبّب
 رأيت عامرٌ وقع السيوف فأسلموا أخاهم ولم يعطف من الخيل مرهب
 وسلّم لما أن رأى الموت عامرٌ له مركبٌ فوق الأسنّة أحذب
 إذا ما أظلتّه عوالي رماحنا تدلّ به نهْدُ الجزارة منهب^٢

(١) نذر بالشيء (كفرح) : علمه .

(٢) أي اختلفت طعنتاهما فكانت إحدى الطعنتين في إثر الأخرى .

(٣) يقال : عنقاء مغرب على النعت وعنقاء مغرب على الإضافة . والعنقاء : طائر معروف الاسم
 مجهول الجسم ؛ والعرب إذا أخبرت عن هلاك شيء قالت : حلقت به في الجوّ عنقاء مغرب .

(٤) نهْدُ الجزارة : ضخمها ، والجزارة في الأصل : أطراف الجزور وهي اليدان والرجلان
 والرأس ؛ والمراد هنا أطراف فرس ، وإذا قالوا : « فرس ضخم الجزارة » فإنما يراد غلظ اليدين
 والرجلين وكثرة عصبها ، ولا يدخل الرأس في هذا لأن عظم الرأس هجنة في الخيل .

(٥) المنهب : الفرس الفائت في العدو .

على صَلَوَيْهِ ' مُرَهَفَاتُ كَأَنَّمَا قَوَادِمُ نَسْرِ بُزٍّ عَنْهُمْ مَنَكِبُ

قال : وفي هذه الوقعة يقول خدّاشُ بن زُهَيْر :

أَيَا أَخَوَيْنَا مِنْ أَيْبِنَا وَأَمِنَا إِلَيْكُمْ إِلَيْكُمْ لَا سَبِيلَ إِلَى جَنْسِرِ

جَنْسِرُ : قبيلة من مُحَارِبٍ . قال : وهذا اليوم يُعرَفُ بيوم شَوَاحِطٍ ، قبيلة من مُحَارِبٍ ٢ .

وقال أبو عمرو : خرج خارجةُ بن حصن في جمع من بني فزارة ومن بني ثعلبة بن سعد وهو يريد غزو بني عبس بن بغيض ، فلقوا جيشاً لبني تميم على ماءٍ يقال له « الكُفَافَة » وقيم في جمع سعد والرباب وبني عمرو ، فقاتلهم قتالاً شديداً وهزمت تميم وأجفلت ، وهذا اليوم يُقال له : « يومُ كُفَافَة » ، فقال الحادرة في ذلك :

وَنَحْنُ مَنَعْنَا مِنْ تَمِيمٍ وَقَدْ طَعَتْ مَرَامِي الْمَلَا حَتَّى تَضَمَّنَهَا نَجْدُ
كَمُعْطَفِنَا يَوْمَ الْكُفَافَةِ خَيْلُنَا لَتَتَّبِعَ أُخْرَى الْجَيْشِ إِذْ بَلَغَ الْجَدُّ
عَلَى حِينٍ شَالَتْ وَأَسْتَحَقَّتْ رِجَالَهُمْ جَلَائِبُ أَحْيَاءٍ يَسِيلُ بِهَا الشَّدُّ

(١) الصلا : وسط الظهر من الناس ومن كل ذي أربع وما انحدر من الوركين ، وقيل : الفرجة بين الجاعرة والذنب ، وقيل : ما عن يمين الذنب وشماله ، وهما « صنوان » والجمع : صلوات وأصلاء .

(٢) هذه الكلمة (قبيلة من محارب) وردت هكذا في جميع الأصول ، والظاهر أنها من زيادات النساخ لأن شواحطاً جبل مشهور بين مكة والمدينة وهو الجبل الذي أغارت به سرية من بني عامر على لبل لبني محارب (انظر معجم ياقوت ومعجم ما استعجم للبكري في اسم « شواحط ») .

(٣) كفافة (بضم الكاف) : اسم ماء صارت به وقعة بين فزارة وبني عمرو بن تميم وقد استشهد عليه ياقوت بهذا البيت هكذا :

كحسبنا يوم الكفافة خيلنا لتورد أخرى الخيل إذ كثره الوردُ

(٤) شالت : رفعت ذنبها .

إِذَا هِيَ شَكَّ السَّمْهَرِيُّ نَحْوَهَا وَخَامَتْ^١ عَنِ الْأَبْطَالِ أَتْعَبَهَا الْقَدُّ^٢
 تَكَرَّرُ سِرَاعًا فِي الْمَضِيقِ عَلَيْهِمْ وَتُتَشَّى بِطَاءٍ مَا تَحْبُّ وَلَا تَعْدُو
 فَأَثْنُوا عَلَيْنَا لَا أَبَا لَا يُيَكِّمُ بِإِحْسَانِنَا إِنْ الشَّاءَ هُوَ الْخُلْدُ

(١) خامت : نكصت وجبت .

(٢) القد : سير يقد من جلد يقيّد به .

اخبار ابن مسجح ونسبه

سعيد بن مسجح أبو عثمان مولى بني جُمَح ، وقيل : إنه مولى بني نَوَفل بن الحارث بن عبد المطلب . مكِّي أسود ، مُغنٍ متقدِّمٌ من خَول المغنِّين وأكابرهم ، وأوَّل من صنع الغناء منهم ، ونقل غناء الفُرس الى غناء العرب ، ثم رحل الى الشام وأخذ ألحانَ الروم والبربطية والاسطوخوسية ، وأنقلب الى فارس فأخذ بها غناء كثيراً وتعلَّم الضرب ، ثم قدِمَ الى الحجاز وقد أخذ محاسنَ تلك النغم ، وألقى منها ما استقبَّحه من التَّبرات والنغم التي هي موجودةٌ في نغم غناء الفُرس والروم خارجةً عن غناء العرب ، وغنَّى على هذا المذهب ، فكان أوَّل من أثبت ذلك ولخَّنه وتبعه الناس بعد .

تلاميذه :

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، والحسين بن يحيى قالوا : حدثنا حمادُ ابنُ إسحاق عن أبيه عن هشام بن المُريَّة : أنَّ أوَّل من غنَّى هذا الغناء العربيَّ

(١) كذا في الأصول . وقد رأى الأب أنستاس ماري الكرملّي أن تكون هذه الكلمة محرفة عن « البرنطية » (بضم الباء الموحدة وفتح الزاي يليها نون ساكنة بعدها طاء مكسورة ثم ياء مثناة مشددة وفي الآخر هاء) : نسبة الى برنطية وهي مدينة القسطنطينية قبل أن تبني ، ويراد بالبرنطية قوم من الروم الشرقيين عرفوا بهذا الاسم منذ عهد قسطنطين الكبير الى سقوط القسطنطينية بيد الترك .

ثم قال : وأما الأسطوخوسية فيراد بهم قوم آخرون من أسطوخوس أو أسطوخادس ، وهي جزيرة في جنوبي فرنسا كان أهلها معروفين بالقصف والغناء والأنس ، كما هم عليه الى هذا العهد ، وكان سكانها خليطاً من الروم واليونانيين والقلطيين وبقايا الفلسطينيين . (انظر المجلد الثاني من مجلة الزهراء ص ٣٥٨ - ٣٦١) .

بمكة ابن مسبح مولى بني مخزوم ، وذلك أنه مرّ بالفرس وهم يبنون المسجد الحرام ، فسمع غناءهم بالفارسية فقلبه في شعر عربيّ ؛ وهو الذي علم ابن سريج والغريص ، وكان ابن مسبح مولداً أسوداً يُكنى بأبي عيسى .

احتراق الكعبة في عهد ابن الزبير وبنائها لها :

أخبرني محمد بن عبيد الله بن محمد الرازيّ قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزّاز^١ عن المدائنيّ ، وذكر إسحاق عن أبي بكر الهذليّ قال :

كان سببُ بناء ابن الزبير الكعبة لما أحتوت ، أنّ أهل الشام لما حاصروه سمع أصواتاً بالليل فوق الجبل يخاف أن يكون أهل الشام قد وصلوا اليه ، وكانت ليلة ظلماء ذات ريحٍ شديدة صعبة ورعد وبرق ، فرفع ناراً على رأس رمح لينظر الى الناس فأطارتها الريح فوقعت على أستار الكعبة فأحرقتها وأستطالت فيها ، وجهد الناس في إطفائها فلم يقدرُوا ، وأصبحت الكعبة تتهاфт وماتت امرأة من قريش ، فخرج الناس كلهم في جنازتها خوفاً من أن ينزل العذاب عليهم ، وأصبح ابن الزبير ساجداً يدعو ويقول : اللهم إني لم أتعمد ما جرى فلا تُهلك عبادك بذنبي وهذه ناصيتي بين يديك ؛ فلما تعالى النهار أُمِنَ وتراجع الناس ، فقال لهم : الله الله أن ينهدم في بيت أحدكم حجرٌ فيزولَ عن موضعه فيبنيه ويُصلحه وأترك الكعبة خراباً ؛ ثم هدمها مبتدئاً بيده وتبعه الفعلة حتى بلغوا الى قواعدها ، ودعا بينائين من الفرس والروم فبناها .

(١) تقدم فيما كتبناه عن هذا الاسم في (ص ١٧١ ج ٢ حاشية رقم ٢) أنه الخزّاز بزيّين معجمتين ، اعتماداً على وروده كذلك في فهرست ابن النديم . وقد ذكره الذهبي في المشته في أسماء الرجال (ص ٩٨) الخزّاز بالراء المهملة وآخره زاي نسبة الى خرز الجلود ، وكذلك ذكره السمعاني في الأنساب (ورقة ١٩١ في الوجه الثاني) وذكر كلاهما أنه راوية المدائني ، وذكره شارح القاموس في مادة خرز وسماه خطأ أحمد بن خلف .

(٢) أي تتساقط حجراً حجراً .

نقل غناء الفرس من بناي الكعبة :

قال إسحاق : وأخبرني ابن الكلبي عن أبي مسكين قال :

كان سعيد بن مسجح أسود مولداً يُكنى أبا عيسى مولى لبني جُحج ، فرأى
الفرس وهم يعملون الكعبة لابن الزبير ويتغنّون بالفارسيّة فأشتقّ غناءه
على ذلك .

قال إسحاق : وحدثني محمد بن سلام عن شعيب بن صخر وجرير قال :

كان سعيد بن مسجح أسود وهو مولى بني جُحج يُكنى أبا عيسى .

قال إسحاق : وحدثني المدائني عن صخر بن جعفر عن أبي قبيل بمثل ذلك ،
وذكر أنه كان يُكنى أبا عثمان . قال : وهو مولى لبني نوفل بن الحارث كان هو
وابن سُريج لرجل واحد ، ولذلك قيل عنه ابن سُريج .

ابن مسجح في حديثه :

قال إسحاق : وحدثني الهيثم بن عدي عن صالح بن حسن فذكر مثل
ما ذكر أبو قبيل من كنيته وولائه ، وقال : كان ابن مسجح فطناً كيساً ذكياً ، وكان
أصفر حسن اللون ، وكان مولاه مُعجّباً به ، وكان يقول في صغره : ليكوننّ
لهذا الغلام شأن ، وما منعي من عتقه إلا حسنُ فراستي فيه ، ولئن عشتُ
لأتعرفنّ ذلك ، وإن مُتُ فهو حرٌّ ؛ فسمعه مولاه يوماً وهو يتغنّى بشعر ابن
الرقاع العاملي ، وهو من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى :

صوت

ألم على طلل عفا متقادماً بين اللكك^١ وبين غيب الناعم^٢
لولا الحياء وأن رأسي قد عثا^٣ فيه المشيب لزرت أم القاسم

فدعا به مولاه فقال له : يا بُنيَّ أَعِدْ ما سمعته منك عليّ ، فأعاده فإذا هو أحسن
مما أبتدأ به ، فقال : إن هذا لمن بعض ما كنت أقول ، ثم قال : أنى لك هذا ؟
قال : سمعت هذه الأعاجم تتغنى بالفارسية فتَقْتِها وقلبتُها في هذا الشعر ، قال له :
فأنت حرٌّ لوجه الله ، فلزم مولاه وكثر أدبه واتسع في غنائه ومهر بمكة وأعجبوا
به لظرفه وحسن ما سمعوه منه ، فدفع اليه مولاه عبيد بن سريج ، وقال له :
يا بُنيَّ علِّمه واجتهد فيه ؛ وكان ابن سريج أحسن الناس صوتاً ، فتعلَّم منه ثم
برَّرَ عليه حتى لم يُعرف له نظير^٤ .

أخبرني الحرَميُّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبَيْرُ بن بَكَّار قال حدثنا أخي
هارون عن ابن الماجشون عن شيخ من أهل المدينة ، وأخبرني محمد بن خلف بن
المرزبان والحسين بن يحيى قالا أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال ذكر ابن
الكلبي عن أبي مسكين عن شيخ من أهل المدينة قال :

- (١) اللكك كأمير ويقال له اللكك ، رواه ابن جبلة « اللكك » كغراب ، وضبطه الصاغاني
بالكسر ككتاب وقال : هو موضع في ديار بني عامر ، وقال غيره : بحزن بني يربوع ؛ انظر شرح
القاموس ، وقد ضبطه ياقوت في معجم البلدان بالكسر ككتاب ولم يذكر اللكك .
(٢) غيب الناعم : موضع قال عنه ياقوت : إنه ورد في قول عدي بن الرقاع وذكر البيت
هكذا :

ألم على طلل عفا متقادماً بين الذؤيب وبين غيب الناعم

- (٣) كذا في لسان العرب في مادة « عثا » وعثا : أفسد ، يقال : عثا فيه المشيب أي أفسد ، وفي
جميع الأصول « عسا » بالسین المهملة ، ولم يظهر له معنى إلا أن يكون بمعنى اشتد ؛ من قولهم : عسا
النبات عسواً أي غلظ واشتد .

- (٤) ثقف الشيء : فهمه وأخذه .

دخلتُ على رجل من قريش بالمدينة وعنده رجل ساكنُ الطرفِ نبيلٌ تأخذه العينُ ، لا أعرفه ، فقال له القرشي : أقسمتُ عليك إلا ما غنيتَ صوتاً ، فحوّل خاتمه من خنصره اليسرى الى بنصره اليمنى ، ثم تناول قدحاً ، فغنّاه لحنَ ابنِ سريج في شعر كعب بن جعيل :

إذا امتشطتُ عالوا لها بوسادةٍ ومدتُ عسيبَ المتن أن يتعقروا
ثوتُ نصفَ شهرٍ تحسبُ الشهرَ ليلةً تُناغي غزاً لا ساجيَ الطرفِ أحورا
ترينُ حتى تسلبَ المرءَ عقله وحتى يجارَ الطرفُ فيها ويسكرا^٢

ثم غنى في شعر توبة بن الحمير :

وغيرني إن كنتَ لما تغيّري هواجرُ تكتئينها وأسيرها
وأدماً من سرِّ المهاري^٥ كأنها مهاة^٦ صوارٍ غيرَ ما مسَّ كورها
قطعتُ بها أجواز^٨ كلِّ تنوفاً مخوفٍ رداها كلما استن^٩ مورها
ترى ضعفاءَ القوم فيها كأنهم دعاميص^{١٠} ماء^{١١} نش عنها غدیرها

(١) المناغة : المغازلة .

(٢) ساجي الطرف : فاتره ساكنه ، والأحور : الأبيض الناعم .

(٣) يقال : سكرت عينه تسكر (من باب نصر) إذا تحيرت وسكنت عن النظر .

(٤) الأدماء : من الإبل التي أشرب لونها بياضاً مع سواد المقلتين .

(٥) السر : المحض ، يقال : «هو في سر النسب» أي محضه وأفضله ؛ والمهاري : جمع مهيّة وهي إبل منسوبة الى مهرة ابن حيدان ، وقيل : هي منسوبة الى بلد ، وقال الأزهري : هي نجائب تسبق الخيل .

(٦) المهاة : البقرة الوحشية .

(٧) الصوار : قطيع البقر .

(٨) الأجواز : جمع جوز وهو وسط الشيء ومعظمه ، يقال : قطعوا جوز الفلاة وأجواز الفلاة ، والتنوفاً : الفلاة التي لا ماء بها .

(٩) استن : هاج وثار من استن الفرس في المضار إذا جرى في نشاطه على سنن ؛ والمور : الغبار تثيره الرياح .

(١٠) الدعاميص : دود أسود يكون في الفدران إذا نشّت ، او هو دود له رأسان يرى في الماء إذا قل .

(١١) نش الغدير : ييس ماؤه ونضب .

قال : فقلت له إني لأروى هذا الشعرَ وما أعرف هذه الأبيات فيه ، فقال :
هكذا رويتها عن عبد الله بن جعفر ، قال : وإذا هو نافعُ الخيرِ مولى عبد الله
أبن جعفر .

الغناء في هذين اللحنين لأبنِ مسجح ولم أجدهما طريقةً في شيء من الكتب
التي مرّت . وذكر حبشٌ أن في أبيات كعب بن جُعيلٍ لإبراهيمَ خفيفَ رملٍ
بالوسطى .

دور معاوية بمكة :

حدثني جعفرُ بنُ قدامةَ بن زياد الكاتبُ وعمي وحيبُ بن نصر المهلبيّ
قالوا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الله بن محمد بن موسى الهاشميّ قال
حدثني أحمد بن موسى بن حمزة بن عمار بن صفوان الجُمحيّ عن أبيه قال :

أولُ مَنْ نقل الغناء الفارسيّ من الفارسيّ إلى الغناء العربيّ سعيدُ بن مسجح
مولى بني مخزوم . قال : وقد يُختلفُ في ولّائه إلا أن الأغلب عليه ولّاء بني
مخزوم ، وذلك أن معاوية بن أبي سفيان لما بنى دورَه التي يقال لها : « الرُقْطُ »
- وهي ما بين الدارين إلى الرّدم : أوّلها الدارُ البيضاء وآخرها دارُ الحُمّام ،
وهي على يسار المصعدِ من المسجد إلى « رَدْمِ عُمَرَ » - حمل لها بُنائينَ فُرساً
من العراق فكانوا يبنونها بالحصّ والأجر ، وكان سعيدُ بن مسجح يأتيهم
فيسمع من غنائهم على بُنائينهم ، فما استحسنَ من ألحانهم أخذهُ ونقلهُ إلى الشعر

(١) كذا في جميع الأصول، وقد تعرّض الأزرقيّ في تاريخ مكة لدور معاوية وذكر أن من
بينها داراً تسمّى « الرُقْطاء » وسميت بذلك لأنها بُنيت بالأجر والحصّ الأبيض، ومنها « الدار
البيضاء » وسميت بذلك لأنها بُنيت بالحصّ ثم طليت به وكانت كلّها بيضاء، ثم ذكر بقية الدور
بأسائها ولم يذكر أن هناك دوراً تسمّى الرُقْط (انظره في صفحتي ٤٤٩ و ٤٥٠) طبع ليسك .

(٢) يريد به ردم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد ذكر في تاريخ مكة (ص ٤٥٠) ولم
يذكر ياقوت في معجمه إلا ردم بني جمح بن عمرو .

العربيّ، ثم صاغ على نحو ذلك ؛ وهو الذي علّم الغريض، فكان من قديم غنائه الذي صنعه على تلك الأغاني :

صوت

أَسْلَامُ إِنَّكَ قَدْ مَلَكَتِ فَأَسْجِحِي^١ قَدْ يَمْلِكُ الْحَرُّ الْكَرِيمُ فَيُسْجِحُ
مُنِي عَلَى عَانٍ أَطْلَتِ عَنَاءَهُ فِي الْغُلِّ عِنْدَكَ وَالْعَنَاءُ تُسْرَحُ
إِنِّي لَا نَصَحَكُمْ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَّانٍ عِنْدَكَ مَنْ يَغْشُ وَيَنْصَحُ
وَإِذَا شَكُوتُ إِلَى سَلَامَةٍ حُبَّهَا قَالَتْ أَجِدُ مِنْكَ ذَا أَمٍّ تَمْرَحُ

- الشعر للاخوص . والغناء لابن مسجح ثقيلٌ أوّلٌ بالبنصر . ولدُ حمان فيه ثقيلٌ أوّلٌ بالبنصر . ولما لك فيه خفيفٌ ثقيلٌ عن الهشاميّ - قال : وهو أوّلٌ من غنّى الغناء العربيّ المنقولَ عن الفارسيّ . وعاش سعيدُ بنُ مسجح حتى لقيّه معبدٌ وأخذ عنه في أيّام الوليد بن عبد الملك .

عند عبد الملك :

حدثني عمي والحسينُ بن القاسم الكوفيّ قالا جميعاً حدثنا محمدُ بن سعيد الكُرانيّ قال حدثني النضرُ بن عمرو قال حدثني أبو أميّة القرشيّ قال حدثنا دَحْمان الأشقرُ قال :

كنت عاملاً لعبد الملك بن مروان بمكة فُنِمِيَ إليه أَنَّ رجلاً أسودَ يقال له : سعيدُ بنُ مسجح أَفْسَدَ فِتْيَانِ قَرِيشٍ وَأَنْفَقَ عَلَيْهِ أَمْوَالَهُمْ ، فَكُتِبَ إِلَيَّ : أَنَّ أَقْبَضَ مَالَهُ وَسَيَّرَهُ ، فَفَعَلْتُ . فَتَوَجَّهَ ابْنُ مَسْجَحٍ إِلَى الشَّامِ فَصَحَّبَهُ رَجُلٌ لَهُ

(١) الإِسْجَاحُ : حسن العفو، ومنه المثل السائر في العفو عند المقدرة « ملكت فأسجح » وهو مروّي عن عائشة قالت لعلي رضي الله عنهما يوم الجمل حين ظهر على الناس فدنا من هودجها ثم كلمها بكلام، فأجابته : « ملكت فأسجح » أي ظفرت فأحسن وقدّرت فسهل .

جَوَارٍ مُغَنِّيَاتُ فِي طَرِيقِهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ فَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُ ، وَقَالَ لَهُ :
أُرِيدُ الشَّامَ ، قَالَ لَهُ : فَتَكُونُ مَعِيَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَصَحَبَهُ حَتَّى بَلَغَا دِمَشْقَ
فَدَخَلَا مَسْجِدَهَا فَسَأَلَا : مَنْ أَحْضَرُ النَّاسَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالُوا : هَؤُلَاءِ النَّفَرُ
مِنْ قَرَيْشٍ وَبَنُو عَمِّهِ ، فَوَقَفَ ابْنُ مَسْجَحٍ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمْ ثُمَّ قَالَ : يَا فِتْيَانُ ، هَلْ
فِيكُمْ مَنْ يُضِيفُ رَجُلًا غَرِيبًا مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ ؟ فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَكَانَ
عَلَيْهِمْ مَوْعِدٌ أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى قَيْنَةٍ يُقَالُ لَهَا : « بَرَقُ الْإِفْقِ » فَتَنَاقَلُوا بِهِ إِلَّا
فَتًى مِنْهُمْ تَذَمَّمُ فَقَالَ : أَنَا أُضِيفُكَ ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : انْطَلِقُوا أَنْتُمْ وَأَنَا أَذْهَبُ
مَعَ ضَيْفِي ، قَالُوا : لَا ، بَلْ تَجِيءُ أَنْتَ وَضَيْفُكَ ، فَذْهَبُوا جَمِيعًا إِلَى بَيْتِ الْقَيْنَةِ ،
فَلَمَّا أُتُوا بِالْغَدَاءِ قَالَ لَهُمْ سَعِيدٌ : إِنِّي رَجُلٌ أَسْوَدُ وَلَعَلَّ فِيكُمْ مَنْ يَقْدَرُنِي فَأَنَا
أَجْلِسُ وَأَكُلُ نَاحِيَةً وَقَامَ ، فَاسْتَحْيَوْا مِنْهُ وَبَعَثُوا إِلَيْهِ بِمَا أَكَلَ ، فَلَمَّا صَارُوا
إِلَى الشَّرَابِ قَالَ لَهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَفَعَلُوا بِهِ ، وَأَخْرَجُوا جَارِيَتَيْنِ جَلَسَتَا عَلَى سَرِيرٍ
قَدْ وُضِعَ لَهُمَا ، فَغَنَّتَا إِلَى الْعِشَاءِ ثُمَّ دَخَلَتَا ، وَخَرَجَتْ جَارِيَةٌ حَسَنَةُ الْوَجْهِ وَالْهَيْئَةِ
وَهُمَا مَعَهَا جَلَسَتْ عَلَى السَّرِيرِ وَجَلَسَتَا أَسْفَلَ مِنْهَا عَنْ يَمِينِ السَّرِيرِ وَشِمَالِهِ
قَالَ ابْنُ مَسْجَحٍ : فَتَمَثَّلْتُ هَذَا الْبَيْتَ .

فَقُلْتُ أَشْمَسُ أَمْ مَصَائِحُ بَيْعَةٍ بَدَتْ لَكَ خَلْفَ السَّجْفِ أَمْ أَنْتَ حَالُمٌ

فَغَضِبَتِ الْجَارِيَةُ وَقَالَتْ : أَيْضْرِبُ هَذَا الْأَسْوَدُ فِي الْأَمْثَالِ ! فَنَظَرُوا إِلَيَّ نَظْرًا
مُنْكَرًا وَلَمْ يَزَالُوا يُسَكِّنُونَهَا ، ثُمَّ غَنَّتْ صَوْتًا ، فَقَالَ ابْنُ مَسْجَحٍ : أَحْسَنْتِ وَاللَّهِ ،
فَغَضِبَ مَوْلَاهَا وَقَالَ : أَمْثَلُ هَذَا الْأَسْوَدُ يُقَدِّمُ عَلَى جَارِيَتِي ! فَقَالَ لِي الرَّجُلُ الَّذِي
أَنْزَلَنِي عِنْدَهُ : قُمْ فَأَنْصَرِفْ إِلَى مَنَازِلِي فَقَدْ ثَقُلْتُ عَلَى الْقَوْمِ ، فَذَهَبْتُ أَقُومُ فَتَذَمَّمُ
الْقَوْمُ وَقَالُوا لِي : بَلْ أَقِمِّي وَأَحْسِنِي أَدَبُكَ فَأَقَمْتُ ، وَغَنَّتْ فَقُلْتُ : أَخْطَأْتُ وَاللَّهِ
يَا زَانِيَةً وَأَسَأْتُ ، ثُمَّ انْدَفَعْتُ فَغَنَّيْتُ الصَّوْتَ فَوَثَبَتِ الْجَارِيَةُ فَقَالَتْ لِمَوْلَاهَا :
هَذَا وَاللَّهِ أَبُو عَثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ مَسْجَحٍ ، فَقُلْتُ : إِنِّي وَاللَّهِ أَنَا هُوَ ، وَاللَّهِ لَا أَقِيمُ

(١) تَذَمَّمُ أَيُّ خَشِيَ النِّمَّ وَاللَّوْمَ .

(٢) يُقَالُ : تَمَثَّلْتُ هَذَا الْبَيْتَ وَتَمَثَّلْتُ بِهِ إِذَا ضَرَبْتَهُ مِثْلًا .

عندكم ، فوثب القرشيون فقال هذا : يكون عندي ، وقال هذا : يكون عندي ، وقال هذا : بل عندي ، فقلت : والله لا أقيم إلا عند سيّدكم - يعني الرجل الذي أنزله منهم - ثم سأله عما أقدمه فأخبرهم الخبر ، فقال له صاحبُه : إني أَسِرُّ الليلةَ مع أمير المؤمنين فهل تُحَسِّنُ أن تُحدِّثَ؟ قال : لا ، ولكنني أستعمل حداً قال : فإن منزلي بجذاء منزل أمير المؤمنين فإن وافقتُ منه طيب نفسٍ أرسلتُ اليك ، ومضى الى عبد الملك فلما رآه طيّب النفس أرسل الى ابن مسجح وأخرج رأسه من وراء شرف القصر ثم حدا :

إِنَّكَ يَا مُعَاذُ يَا بَنَ الْفُضْلِ إِنْ زُلْزِلَ الْأَقْدَامُ لَمْ تُزَلْزَلِ
عن دين موسى والكتاب المنزل تُقِيمُ أَصْدَاغَ الْقُرُونِ الْمِيلِ
للحق حتى ينتخوا للأعدل

فقال عبد الملك للقرشي : مَنْ هذا ؟ قال : رجلٌ حجازيٌّ قَدِمَ عَلَيَّ ، قال : أَحْضِرْهُ فاحضره له ، وقال له : أَحَدُ مُجْدَاءٍ ، ثم قال له : هل تُغْنِي غِنَاءَ الرِّكْبَانِ ؟ قال : نعم ، قال : غَنِّهِ ، فتغنّى ، فقال له : فهل تغني الغناء المُتَقَنَّ ؟ قال : نعم ، قال : غَنِّهِ ، فتغنّى فأهتزّ عبد الملك طرباً ، ثم قال له : أَقْسَمُ إِنَّ لَكَ فِي الْقَوْمِ لَأَسْمَاءَ كَثِيرَةً ، مَنْ أَنْتَ ؟ ويلك ! قال له : أَنَا الْمَظْلُومُ الْمَقْبُوضُ مَالُهُ الْمُسِيرُ عَنْ وَطَنِهِ سَعِيدُ ابْنِ مَسْجَحٍ ، قبض مالي عاملُ الحجاز ونفاني ، فتبسّم عبدُ الملك ثم قال له : قد وَضَحَ عَذْرُ فُتَيَانَ قَرِيشٍ فِي أَنْ يُنْفِقُوا عَلَيْكَ أَمْوَالَهُمْ ، وَأَمَّنْهُ وَوَصَلَهُ وَكَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ بَرْدٌ مَالَهُ عَلَيْهِ وَأَلَّا يَعْرِضَ لَهُ بِسُوءٍ .

صوت

من المائة المختارة

سَلَا دَارَ لَيْلَى هَلْ تُبَيِّنُ فَتَنْطِقُ وَأَنَّى تَرُدُّ الْقَوْلَ بِيَدَاءِ سَمْلَقُ^٢

(١) من صدغ يصدغ صدوغاً وصدغاً بمعنى مال ومنه «لأقيم صدغك» أي ميلك .

(٢) السملق : القاع المستوي الأملس الذي لا شجر فيه .

وَأَتَى تَرْدَ الْقَوْلِ دَارُ كَأَنَّهَا لَطُولُ بِلَاهَا وَالتَّقَادُمُ مُهْرَقُ^١

عروضه من الطويل ، الشعر لأَبْنِ المولى . وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن إسحاق أن الشعرَ للأعشى ؛ وذلك غلط ، وقد أتمسناه في شعر كل أعشى ذكر في شعراء العرب فلم نجده ، ولا رواه أحدٌ من الرواة لأحد منهم ، ووجدناه في شعر أبْنِ المولى من قصيدة له طويلة جيدة ، وقد أثبتناها بعقب أخباره ليُوقَفَ على صحة ما ذكرناه ، إذ كان الغلط إذا وقع من مثل هذه الجهة أحتيج إلى إيضاح الحجة على ما خالفه والدلالة على الصواب فيه . والغناء في اللحن المختار لعطرد ثقيلٌ أولٌ بالسَّبابَةِ في مجرى البنصر عن إسحاق ويونس وعمرو ، وفيه لا يُؤبِرُ زهرة خفيفٌ ثقيلٌ بالوسطى عن الهشامي وأحمد بن المكي . وفي غناء أيوب زهرة زيادة بيتين وهما :

وقال خليي والبكالي غالبٌ أقاضٍ عليك ذا الأسي والتشوقُ
وقد طال توقاني أكَفِكَ عَبرةً تكاد إذا ردت لها النفس تُرْهَقُ

(١) المهرق : الصحيفة ، ومن عادة العرب تشبيه الديار والمنازل إذا عفت وأقوت بالصحف والكتابة ، قال امرؤ القيس :

أت حجاج بعدي عليها فاصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان

وقال العجاج :

يا صاح ما هاج الدموع الذرفا من طلل أمسى تخال المصحفا

والمصحف : الصحيفة .

(٢) توقاني : اشتياقي وقد سكن لضرورة الشعر .

اخبار ابن المولى ونسبه

هو محمد بن عبد الله بن مُسْلِم بن المولى مولى الأنصار ثم من بني عمرو بن عوف ، شاعرٌ متقدّم مجيد من مُحَضَّرِمي الدولتين ومَدَّاحِي أهلها ، وقدم على المهدي وأمدحه بعدة قصائد فوصله بِصَلَاتِ سِنِيَّةٍ ، وكان ظريفاً عفيفاً نظيف الثياب حسن الهيئة .

قدمه على المهدي :

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن عبد الله الخزنبلي قال قال لي محمد بن صالح ابن النطّاح :

كان ابن المولى يسمّى محمداً مولى بني عمرو بن عوف من الأنصار ، وكان مسكنه بقاء ، وكان يُقدِّم على المهدي فيمدحه ، فقدم عليه فأنشده قوله :

سَلا دارَ ليلي هل تُبينُ فَتَنُطِقُ وأني تردّ القولَ بيضاءَ سَمَلَقُ
وأني تردّ القولَ دارُ كأنها لطولِ بلاها والتّقادِمِ مُهَرَّقُ
وقال خيلي والبكا لي غالبٌ أقاضِ عليك ذا الأسي والتشوقُ
وإنسانُ عيني في دوائرِ لُجّةٍ من الدمع يبدو تارةً ثم يَغْرَقُ

يقول فيها :

إلى القائم المهديّ أعلمتُ ناقتي بكل فلاةٍ آهلاً يترقُّ

إذا غال^١ منها الركب صحراء برّحت بهم بعدها في السير صحراء دردق^٢
 رميت قراها^٣ بين يوم وليلة بقتلاء^٤ لم ينكب لها الزور مرفق^٥
 مزمرة^٦ سقبا^٧ كأن زمامها مجرداء من عم^٨ الصنوبر معلق^٩
 موكلة^{١٠} بالفاحات كأنها وقد جعلت منها الثميلة^{١١} تخلق^{١٢}
 بقي^{١٣} الملا هيقي^{١٤} أمام رثاله^{١٥} أصم^{١٦} هجف^{١٧} أقرع^{١٨} الرأس نفق^{١٩}
 تراها إذا استعجلتها وكأنها على الآين يعروها من الروع أولق^{٢٠}
 موركة^{٢١} أرض العذيب^{٢٢} وقد بدا فسر^{٢٣} به للآئين الخورنق^{٢٤}

(١) يقال : غالت الأرض السابلة أي قذفت بهم وأبعدتهم .

(٢) كذا في الأصول . والدردق : الطريق ، والصف من النخل ، والصغير من كل شيء ، وكل هذه المعاني لا تتفق والمعنى المراد ، ولعلها مما لم يرد تفسيره في المعاجم ، أو لعل المراد بها « فيهق »
 يقال : أرض فيهق ، ومفاضة فيهق أي واسعة .

(٣) القراء : الظهر .

(٤) يقال : ناقة قتلاء إذا كان في ذراعيها قتل وهو تباعدها عن الجنين كأنها قتلتا عنها .

(٥) كذا في جميع النسخ بالزاي المعجمة ولعله مضعف من زمر الظليم بمعنى صوت ، وقد أصلحه الأستاذ الشنقيطي بهامش نسخته بالذال المعجمة ، وربما أراد أن تكون من دمر بمعنى حث فهو يصفه بأنها سريعة السير لأنها محثوثة عليه . والسقب : الطويل من كل شيء .

(٦) العم : النخل الطوال ، واستعير هنا لطول شجر الصنوبر .

(٧) الثميلة : ما يبقى في بطن الدابة من العلف والماء وما يدخره الانسان من طعام وغيره ، وكل بقية ثميلة .

(٨) القي : الفقر .

(٩) الهيق : الظليم .

(١٠) الرثال : أفراخ النعام واحدها رأل .

(١١) الهجف : الظليم المسن ، وقيل : الجافي الثقيل من النعام .

(١٢) الننق : الظليم .

(١٣) الأولق : الجنون .

(١٤) موركة : مجاوزة .

(١٥) العذيب : ماء بين القادسية والمعيثة بينه وبين القادسية أربعة أميال .

(١٦) الخورنق : قصر بالحيرة .

فأستحسنها المهدي وأجزل صلته، وأمر فُعَيْيَ في نسيب القصيدة . فأما ما شرطت ذكره من تمام القصيدة فهو بعقب البيت الثاني منها :

عفتها الرياحُ الرامساتُ^١ مع البلى بأذيالها والرائحُ المتبعقُ^٢
بكل شأيبٍ من الماء خلفها شأيبُ ماءٍ مزنها متألِقُ^٣
إذا ريقُ^٤ منها هُرَيْقَتُ سِجَالِه أعيد لها كِرْفِي^٥ ماءٍ وريقُ^٦
فأصبح يرمي بالربابِ^٥ كأفنا بأرجله منه نعامٌ مُعلِقُ^٦
فلا تبكِ أطلالَ الديار فإنها خبالُ لمن لا يدفع الشوقَ عولِقُ^٦
وإنَّ سفاهاً أن تُرى متفجعاً بأطلال دارٍ أو يقودك معلقُ^٦
فلا تجزعنِ للبين كلُّ جماعةٍ وجدك مكتوبٌ عليها التفرقُ^٦
وخذ بالتعزي كلُّ ما أنت لابسُ^٦ جديداً على الأيام بالٍ ومُخلِقُ^٦
فصبرُ الفتى عما تولى فإنه من الأمر أولى بالسداد وأوفقُ^٦

ويروى : « أدنى للذي هو أوفق » .

وإنك بالإشفاق لا تدفع الردى ولا الحينُ محبوب فما لك تُشقيقُ^٦
كأن لم يرُعك الدهرُ أو أنت آمن لأحداثه فيما يُغادي ويُطرُقُ^٦
فقال خليلي والبكا لي غالبُ^٦ أقاضٍ عليك ذا الأسى والتشوقُ^٦
وقد طال توقائي أكفك عبرةً على دمنةٍ كادت لها النفسُ تَرَهَقُ^٦
وإنسانُ عيني في دوائرٍ لجةٍ من الماء يبدو تارة ثم يغرقُ^٦

(١) عفتها : تحتها ودرستها، والرامسات : الدوافن للآثار .

(٢) الرائح المتبعق : المطر المندفع، قال رؤبة : جود كجود الغيث إذ تبعقاً

(٣) الريق : المطر اليسير يصيبك منه شيء .

(٤) الكرفي : السحاب المرتفع وقد دخل على هذا الشطر « الكف » وهو حذف السابع الساكن من « مفاعيلن » الاولى وهو قبيح .

(٥) الرباب : السحاب الابيض .

(٦) العولق : الغول، وهو صفة لخبال .

وللدمع من عيني شريحا صباية مرش الرجاء والجائل المتفرق
 وكنت أبا عشق ولم يك صاحبي فيعذرني مما يصب ويعشق
 وقد يعذر الصب السقيم ذوي الهوى ويلحى المحبين الصديق فيخرق
 وعاب رجال أن علقته وقد بدا لهم بعض ما أهوى وذو الحلم يعلق

والقصيدة طويلة . وفي بعض ما ذكرته منها دلالة على صحة ما قلته .

ليلاه :

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد
 الملك بن عبد العزيز قال :

خرجت أنا وأبو السائب المخزومي وعبيد الله بن مسلم بن جندب وأبن
 المولى وأصبغ بن عبد العزيز بن مروان إلى قباء ، وأبن المولى متنكب قوساً
 عربية ، فأنشد أبن المولى لنفسه :

وأبكي فلا ليلى بكت من صباية إلي ولا ليلى لذي الود تبذل
 وأخنع بالعنبي إذا كنت مذنباً وإن أذنبت كنت الذي أتصل

فقال له أبو السائب وعبيد الله بن مسلم بن جندب : من ليلى هذه حتى تقودها
 إليك ؟ فقال لهما أبن المولى : ما هي والله إلا قوسي هذه سميتها ليلى .

في هذين البيتين ثقیل أول مطلق في مجرى الوسطى لخروج ، ويقال : إنه
 لهاشم أبن سليمان .

(١) الشريهان : لوان مختلفان .

(٢) المرش : الذي يقطر ماؤه .

(٣) الرجا : ناحية البئر .

(٤) يقال : تنكب القوس إذا ألغها على منكبه .

خـع : خضع .

مدحه ابن حاتم :

أخبرني عمي قال حدثنا أبو هفان قال أخبرني أبو محلم عن المفضل الضبي قال :
وقد أبى المولى على يزيد بن حاتم وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها :

يا واحد العرب الذي أضحى وليس له نظير
لو كان مثلك آخر ما كان في الدنيا فقير

قال : فدعا بجازنه وقال : كم في بيت مالي ؟ فقال له : من الورق والعين بقيّة
عشرون ألف دينار، فقال : أدفعها إليه، ثم قال : يا أخي، المَعْدِرَة الى الله واليك،
والله لو ان في ملكي أكثر لما احتجبتها عنك .

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن خلف بن المرزبان قالا حدثنا أحمد بن زهير بن
حرب قال حدثنا مُصعب الزُّبيري عن عبد الملك بن الما جشون قال :

كان أبى المولى مداحاً لجعفر بن سليمان وقثم بن العباس الهاشميين ويزيد بن
حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وأستفرغ مدحه في يزيد وقال فيه قصيدته التي
يقول فيها :

يا واحد العرب الذي دانت له قحطان قاطبةً وساد زارا
إني لأرجو إن لقيتُك سالماً ألا أعاليج بعدك الأسفارا
رشت الندى ولقد تكسّر ريشه فعلا الندى فوق البلاد وطارا

ثم قصده بها الى مصر وأنشده إياها : فأعطاه حتى رضي . ومرض أبى المولى عنده
مرضا طويلاً وثقل حتى أشفى ، فلما أفاق من علته ونهض ، دخل عليه يزيد بن

(١) الورق : الفضة، والعين : الذهب .

(٢) كذا في الاصول، وليس في كتب اللغة التي بين الايدي « احتجب » متعدياً بنفسه ولعلها
« حجبها » .

(٣) رشت الندى : جعلت له ريشاً .

(٤) أشفى : أشرف على الموت .

حاتم متعرياً خبره ، فقال : لوددتُ والله يا أبا عبد الله ألا تُعالج بعدي الأسفار حقاً ، ثم أضعفَ صلته .

أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني الزبير بن بكار عن عبد الملك بن عبد العزيز قال أخبرني ابن المولى قال :

كنت أمدح يزيد بن حاتم من غير أن أعرفه ولا ألقاه ، فلما وَّلاه المنصور مصرَ أخذ على طريق المدينة فلقيته فأنشدته ، وقد خرج من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن صار الى مسجد الشجرة ، فأعطاني رزمي ثياب عشرة آلاف دينار فأشتريتُ بها ضياعاً تُغلَّ ألف دينار ، أقومُ في أدناها وأصبح بقيمي ولا يسمعي وهو في أقصاها .

أخبرني عمي قال حدثنا الخزنبل عن عمرو بن أبي عمرو قال : بلغني أن الحسن ابن زيد دعا بابن المولى فأغلظ له وقال : أتشتب مجرم المسلمين وتُنشدُ ذلك في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الأسواق والمحافل ظاهراً ! خلَّف له بالطلاق أنه ما تعرض لمحرم قط ولا شَبَّ بامرأة مسلم ولا مُعاهدٍ قط ، قال : فمن ليلى هذه التي تذكر في شعرك ؟ فقال له : امرأتي طالق إن كانت إلا قومي هذه ، سميتها ليلى لأذكرها في شعري ، فإن الشعر لا يحسن إلا بالتشبيب ، فضحك الحسن ثم قال : إذا كانت القصة هذه فقل ما شئت .

تشوقه الى المدينة :

فقال الخزنبل : وحدثت عن ابن عائشة محمد بن يحيى قال : قدم ابن المولى

(١) الرزمة من الثياب : ما شدَّ في ثوب واحد .

(٢) تغلَّ : تعطي من الغلة .

(٣) كذا في جميع النسخ ، والمقام هنا للفاء .

(٤) كذا في جميع النسخ والظاهر أن الفاء هنا من زيادات النساخ .

الى العراق في بعض سنينه^١ فأخفق وطال مقامه وغرض^٢ به وتشوق الى المدينة فقال في ذلك :

صوت

ذهب الرجالُ فلا أحسَّ رجالاً وأرى الإقامة بالعراق ضللاً^٣
وطربتُ إذ ذكر المدينة ذاكرُ يومَ المجلسِ فهاج لي بنبلاً^٤
فظلتُ أنظر في السماء كأنني أبغي بناحية السماء هلالاً^٥
طرباً الى أهل الحجاز وتارة أبكي بدمع مُسيلٍ إسبالاً^٦

غنى في هذه الأربعة الأبيات ابن عائشة . ولحنه ثاني ثقيل عن الهشامي .
وذكره حماد عن أبيه في أخباره ولم يذكر طريقته .

فيقال قد أضحي يُحدثُ نفسه والعينُ تذرِف في الرداء سجلاً^٧
إنَّ الغريب إذا تذكرَ أوشكت منه المدامع أن تفيضِ علالاً^٨
ولقد أقول لصاحبي وكأنه ممَّا يعالجُ ضَمَنُ^٩ الاغلالا
خَفِضَ عليك فما يُردُّ بك تلقَّه لا تُكثِرَنَّ وإن جرعتَ مقالا
قد كنتَ إذ تدع المدينة كالذي ترك البحارَ ويَمَّمُ الاوشالا^{١٠}
فأجابني خاطرٌ بنفسك لا تكن أبداً تُعدُّ مع العيال عيالا

(١) ويروى «سنينه» وكلتا الروايتين صحيحة .

(٢) غرض : ضجر وقلق .

(٣) البلبال : شدة الهم .

(٤) أسبل يستعمل متعدياً ولازماً .

(٥) السجال : جمع سجل وهو الدلو العظيمة اذا كان فيها ماء .

(٦) علالا : مرة بعد أخرى .

(٧) ضمن الاغلالا أي قيد بها .

(٨) الاوشال : جمع وشل وهو الماء القليل .

وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ لَنْ تَنَالَ جَسِيمَةً حَتَّى تُجِشِّمَ نَفْسَكَ الْأَهْوَالَ
إِنِّي وَجَدَكَ يَوْمَ أَتْرَكَ زَاخِرًا بِجَرًّا يُنْقَلُ سَيْبُهُ الْأَنْفَالَا
لَأُضِلُّ مَنْ جَلَبَ الْقَوَائِي صَعْبَةً حَتَّى أَذِلَّ مُتَوَنِّهَا إِذْ لَا لَا

مدح المهدي :

قال الخَزَنَبَلُ : وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ أَبِي عَمْرٍو عَنْ أَبِيهِ قَالَ حَدَّثَنِي مَوْلَى لِلْحَسَنِ
أَبْنُ زَيْدٍ قَالَ :

قَدِمَ ابْنُ الْمَوْلَى عَلَى الْمَهْدِيِّ وَقَدْ مَدَحَهُ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

وَمَا قَارَعَ الْأَعْدَاءُ مِثْلُ مُحَمَّدٍ إِذَا الْحَرْبُ أَبَدَتْ عَنْ حُجُولِ الْكَوَاعِبِ
فَتَى مَا جَدُّ الْأَعْرَاقِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَبَحَّجُ مِنْهَا فِي الذُّرَى وَالذَّوَائِبِ
أَشْمُ مِنَ الرَّهْطِ الَّذِينَ كَانَتْهُمْ لَدَى حَنْدَسٍ الظُّلَمَاءُ زُهْرُ الْكَوَاكِبِ
إِذَا ذُكِرَتْ يَوْمًا مَنَاقِبُ هَاشِمٍ فَإِنَّكُمْ مِنْهَا بِخَيْرِ الْمَنَاصِبِ
وَمَنْ عَيْبَ فِي أَخْلَاقِهِ وَنِصَابِهِ فَمَا فِي بَنِي الْعَبَّاسِ عَيْبٌ لِعَائِبِ
وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَهْطَهُ لِأَهْلِ الْمَعَالِي مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ
أُولَئِكَ أَوْتَادُ الْبِلَادِ وَوَارِثُو النَّبِيِّ بِأَمْرِ الْحَقِّ غَيْرِ التَّكَاذُبِ

ثُمَّ ذَكَرَ فِيهَا آلَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ :

وَمَا نَقَمُوا إِلَّا الْمَوَدَّةَ مِنْهُمْ وَإِنْ غَادَرُوا فِيهِمْ جَزِيلَ الْمَوَاهِبِ
وَأَنَّهُمْ نَالُوا لَهُمْ بِدَمَائِهِمْ شِفَاءَ نَفُوسٍ مِنْ قَتِيلٍ وَهَارِبِ

(١) السبب : الجود والعطاء، والانفال : جمع نفل وهو الهبة والعطية. ونفل النفل : أعطاه .

(٢) حجول : جمع حجل وهو الخلل .

(٣) تبجح : تمكن .

(٤) الحندس : الليل الشديد الظلمة، ويقال أيضاً : ليلة ظلماء حندس على الصفة .

(٥) النصاب : الاصل .

وقاموا لهم دون العدا وكفّوهم^١ بسمر القنا والمرهفات القواضب^٢
وحاموا على^٣ أحسابهم وكراهم حسان الوجوه واضحات الترائب^٤
وإن أمير المؤمنين لعائد بنعامة فيهم على كل تائب^٥
إذا ما دنوا أدناهم وإذا هفوا تجاوز عنهم ناظراً في العواقب^٦
شفيقاً على الأقصين أن يركبوا الردى فكيف به في وإشجات^٧ الأقارب

قال : فوصله المهدي بصلة سنيّة ، وقدم المدينة فأنفق وبني داره ولبس ثياباً
فاخرة ، ولم يزل كذلك مدى حياته بعد ما حباه . ثم قدم على الحسن بن زيد
وكانت له عليه وظيفة في كل سنة فدخل عليه فأنشده قوله يدحه :

هاج شوقي تفرق الجيران وأعترتني طوارق الأخران
وتذكرت ما مضى من زمني حين صار الزمان شرّ زمان

يقول فيها يدح الحسن بن زيد :

ولو أن أمراً ينال خلوداً بمحلّ ومنصب ومكان^١
أو بيت ذراه تلتصق بالنجم قرانا في غير بُرج قران^٢
أو بمجد الحياة أو بسماح أو بجلم أو في على شهان^٣
أو بفضل لناله حسن الخير بفضل الرسول ذي البرهان^٤
فضله واضح برهط أبي القا سم رهط اليقين والإيمان^٥
هم ذوو النور والهدى ومدى الأمر وأهل البرهان والعرفان^٦
معدن الحق والنبوة والعد ل إذا ما تنازع الحصان^٧
وإبن زيد إذا الرجال تجاروا يوم حفل وغاية ورهان

(١) القواضب : القواطع .

(٢) ضمن هنا « على » معنى « عن » .

(٣) الواشجات : جمع واشجة وهي الرحم المشتبكة المتصلة .

(٤) نهلان : جبل ضخيم بالعالية .

سابقٌ مُغْلِقٌ مُجِيزٌ رِهَانٍ وَرِثَ السَّبْقَ مِنْ أَبِيهِ الْهَجَانِ^(١)

قال : فلما أنشدته إياها دعا به خالياً ثم قال له : يا عاضَّ كذا من أمه ، أما إذا
جئت إلى الحجاز فتقول لي هذا ، وأما إذا مضيت إلى العراق فتقول :

وإن أمير المؤمنين ورهطه لرهطُ المعالي من لؤيِّ بن غالب
أولئك أوتاد البلاد ووارثو النَّبِيِّ بِأمر الحقِّ غير التَّكْذُوبِ

فقال له : أتُصِفُني يَا بن الرسول أم لا ؟ فقال : نعم ، فقال : ألم أقل :

وإن أمير المؤمنين ورهطه

ألستم رهطه ؟ فقال : دَعُ هذا ، ألم تقدر أن ينفق شعرك ومديحك إلا بتهجين
أهلي والطعن عليهم والاعراء بهم حيث تقول :

وما نَقَمُوا إِلَّا المودَّةَ مِنْهُمْ وَأَنْ غَادَرُوا فِيهِمْ جَزِيلَ المَوَاهِبِ
وَأَنَّهُمْ نَالُوا لَهُمْ بدمائهم شفاءَ نُفُوسٍ مِنْ قَتِيلٍ وَهَارِبٍ

فوجم ابنُ المولى وأطرق ثم قال : يَا بن الرسول إن الشاعر يقول ويتقرب بجهدِهِ ،
ثم قام فخرج من عنده منكسراً ، فأمر الحسنُ وكيله أن يحملَ إليه وظيفته
ويزيده فيها ففعل ، فقال ابنُ المولى : والله لا أقبلها وهو عليّ ساخطٌ ، فأما إن
قرنَها بالرضا فقبلتها ، وأما إن أقام وهو عليّ ساخط البتة فلا ؛ فعاد الرسول إلى
الحسن فأخبره : فقال له : قل له : قد رضيتُ فأقبلها . ودخل إلى الحسن فأنشده
قوله فيه :

سَأَلْتُ فَأَعْطَانِي وَأَعْطَى وَلَمْ أَسْأَلْ وَجَادَ كَمَا جَادَتْ غَوَادٍ رَوَاعِدُ
فَأُقِيمُ لَا أَنْفَكَ أَنْشِدْ مَدَحَهُ إِذَا جَمَعْتَنِي فِي الْحَجِيجِ الْمَشَاهِدُ
إِذَا قُلْتُ يَوْمًا فِي ثَنَائِي قَصِيدَةً ثَنَيْتُ بِأُخْرَى حَيْثُ تُجْزَى الْقَصَائِدُ

(١) الهجان : الكريم الحبيب .

(٢) الغواصي : جمع غادية وهي السحابة تنشأ غدوة .

مدح يزيد بن حاتم :

قال الحرّنبَل : وحدثني مالك بن وهب مولى يزيد بن حاتم المهلبّي قال :
لما أنصرف يزيد بن حاتم من حرب الأزارقة^١ وقد ظفّر ، خلع عليه وعقد له
لوائه على كور الأهواز وسائر ما أفتتحه ، فدخل عليه ابن المولى وقد مدحه
فاستأذن في الإنشاد فأذن له فأنشده :

صوت

ألا يا لقومي هل لي فات مطلبٌ وهل يُعذرَن ذو صَبوة وهو أشيبُ
يُجنّ إلى ليلى وقد شطّت النوى بليلى كما حنّ اليراعُ المثقبُ^٢
غنّى في هذين البيتين عطرَد ، ولحنه رملٌ بالوسطى عن عمرو بن بانة ؛ وفيه ليونس
لحن ذكره لنفسه في كتابه ولم يذكر طريقته .

تقرّبتُ ليلى كي تثيب فزادني بعداً على بعدٍ إليها التقربُ
فداويتُ وجدي باجتناّب فلم يكن دواءً لي ألقاه منها التجنّبُ
فلا أنا عند النَّأي سألٍ لجها ولا أنا منها مُشَفٍّ حين تصقّبُ^٣
وما كنت بالراضي بما غيرهُ الرضا ولكنني أنوي الغزاء فأغلبُ

(١) الأزارقة : فرقة من الخوارج وهم أصحاب نافع بن الأزرق .

(٢) اليراع المثقب : المزمар .

(٣) كذا في الأصول ولم نجد في كتب اللغة التي بأيدينا تقرّب متعدياً بنفسه وإنما يقال : تقرّبت
إليه ، فلعله نصب على حذف الجار .

(٤) تصقّب : تقرب .

وليل^١ خداري^٢ الرواق جشمته إذا هابه السارون لا أتهيب^٣
 لأظفر^٤ يوماً من يزيد بن حاتم بجبل جوار^٥ ذلك ما كنت أطلب^٦
 بلوت^٧ وقلبت^٨ الرجال كما بلا بكفيه^٩ أوساط^{١٠} القِداح^{١١} مُقَلِّب^{١٢}
 وصعدني^{١٣} همي^{١٤} وصوب^{١٥} مرة^{١٦} وذو^{١٧} الهم^{١٨} يوماً مُصْعَد^{١٩} ومُصَوَّب^{٢٠}
 لأعرف^{٢١} ما آتى فلم أر^{٢٢} مثله من الناس فيما حاز شرق^{٢٣} ومغرب^{٢٤}
 أكر^{٢٥} على جيش وأعظم^{٢٦} هيبة^{٢٧} وأوهب^{٢٨} في جود^{٢٩} لما ليس^{٣٠} يُوهب^{٣١}
 تصد^{٣٢}ى رجال^{٣٣} في المعالي لينحقوا^{٣٤} مذاك وما أدركته فتد^{٣٥} بذبوا^{٣٦}
 ورمت^{٣٧} الذي راموا فأذلت^{٣٨} صعبه^{٣٩} وراموا الذي أذلت^{٤٠} منه فأصعب^{٤١}
 ومهما تناول^{٤٢} من منال^{٤٣} سنية^{٤٤} يساعدك^{٤٥} فيها المنتمى^{٤٦} والمركب^{٤٧}
 ومنصب^{٤٨} آباء^{٤٩} كرام^{٥٠} فمأهم^{٥١} الى^{٥٢} المجد^{٥٣} آباء^{٥٤} كرام^{٥٥} ومنصب^{٥٦}

صوت

كواكب^١ دجن^٢ كلما^٣ أنقض^٤ كوكب^٥ بدا^٦ منهم^٧ بدر^٨ منير^٩ وكوكب^{١٠}
 أثار^{١١} به^{١٢} آل^{١٣} المهلب^{١٤} بعدما^{١٥} هوى^{١٦} منكب^{١٧} منهم^{١٨} بليل^{١٩} ومنكب^{٢٠}

(١) الخداري : المظلم .

(٢) الهم : ما يهيم به الرجل في نفسه وهو هنا كناية عن العزم .

(٣) كذا في جميع النسخ والذي في كتب اللغة أن « تصد^{٣٢}ى » يتعد^{٣٥}ى باللام .

(٤) يقال : أصعب الرجل الشيء إذا وجده صعباً .

(٥) في جميع الأصول : « المنتهى » وهو محرف عن المنتمى أي المنتمى اليه، يقال : انتمى فلان الى حسب أي ارتفع اليه، وانتمى الى فلان أي ارتفع في نسبه اليه، قال الفرزدق :

فصارت لذهل دون شيان^{١١} منهم^{١٢} ذوو العز عند المنتمى والتكرم

(٦) المركب : المنبت، يقال فلان كريم المركب أي كريم الأصل .

(٧) المنصب : الأصل والمنبت .

وما زال إلحاحُ الزمان عليهمُ بنائبةٍ كادت لها الأرضُ تحربُ^(١)
فلو أبقتِ الأيامُ حيًّا نفاسةً لأبقاهمُ للجود نابُ^(٢) ومُخلَبُ^(٣)
وكنْتَ ليومِي نعمةً ونكايةً كما فيها للناس كان المهلبُ^(٤)
ألا حبذا الأحياءُ منكم وحبذا قبورُها موتاكم حين غُيِّبوا

فأمر له يزيد بن حاتم بعشرة آلاف درهم وفرسٍ بسرجه ولجامه وخلعةٍ ، وأقسم على من كان بحضرته أن يُجيزوه كلُّ واحدٍ منهم بما يمكنه ، فأنصرف بملء يده .

استحسان شعره :

قال الخرنبل : أنشدني عمرو بن أبي عمرو لابن المولى وكان يستحسنها :

صوت

حيّ المنازل قد يلينا أقوين^(١) عن مرّ النسيينا
وسلّ الديار لعلها تُخبرك^(٢) عن أمّ البنينا
بانت وكلّ قرينةٍ يوماً مفارقةً قرينا
وأخو الحياة من الحيا قرّ^(٣) معالج غلظا ولينا

غنى في هذه الأبيات نبيه^(٤) خفيف ثقيل بالبصر :

وترى الموكّل بالقوا ني راكباً أبداً فنونا

(١) في بعض الاصول : « تجرب » بالجيم المعجمة ، والأرض الجرباء : المحلة المقحوظة ، ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا ورود فعل من هذه المادة بهذا المعنى ، ومن المحتمل أن تكون « تجذب » وهي بمعناها .

(٢) أقوين : أقفرن .

(٣) سكتن « تخبرك » لضرورة الوزن .

(٤) العرب يسمون بنبيه كزبير وبنبيه كأمير ، ولم نستطع ترجيح أحد الضبطين في هذا الاسم .

ومن البليّة أن تُدَا نَ بما كَرِهْتَ ولنَ تَدِينَا
والمرءُ تُحَرِّمُ نَفْسُهُ مَا لَا يَزَالُ بِهِ حَزِينَا
وَتَرَاهُ يَجْمَعُ مَالَهُ جَمَعَ الْحَرِيصُ لَوَارِثِينَا
يَسْعَى بِأَفْضَلِ سَعْيِهِ فَيَصِيرُ ذَاكَ لِقَاعِدِينَا
لَمْ يُعْطِ ذَا النَّسَبِ الْقَرِيبَ وَلَمْ يَجِدْ لِلْأَبْعَدِينَا
قَدْ حُلَّ مَنَزَلَهُ الذَّمُّ وَفَارَقَ الْمُتَنَصِّحِينَا

مدح المهدي :

قال الخزنبيل : وذكر أحمد بن صالح بن التّطّاح عن المدائني : أن المهديّ لما وليّ الخلافة وحجّ فرق في قریش والأَنْصارِ وسائرِ الناسِ أموالاً عظيمةً ووَصَلَهُمْ صَلَاتِ سَنِيَّةٍ ، فَحَسُنَتْ أَحْوَالُهُمْ بَعْدَ جُحْدِ أَصَابِ النَّاسِ فِي أَيَّامِ أَبِيهِ ، لِتَسَرُّعِهِمْ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ ، وَكَانَتْ سَنَةٌ وَلَايَتُهُ سَنَةُ خِصْبٍ وَرُخْصٍ ، فَأُجِبَهُ النَّاسُ وَتَبَرَّكُوا بِهِ ، وَقَالُوا : هَذَا هُوَ الْمَهْدِيُّ ، وَهَذَا ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَمِيَّهُ ، فَلَقَوْهُ فَدَعَوْا لَهُ وَأَثْنُوا عَلَيْهِ ، وَمَدَحْتَهُ الشُّعْرَاءُ ، فَدَنِّيَ عَيْنُهُ فِي النَّاسِ فَرَأَى ابْنَ الْمَوْلَى فَأَمَرَ بِتَقْرِيبِهِ فَقُربَ مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : هَاتِ يَا مَوْلَى الْأَنْصَارِ مَا عِنْدَكَ ، فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ فِيهِ :

يَا لَيْلَ لَا تَبْخَلِي يَا لَيْلَ بِالزَّادِ وَأَشْفِي بِذَلِكَ دَاءَ الْحَاثِمِ الصَّادِي
وَأُنْجِزِي عِدَّةً كَانَتْ لَنَا أَمَلًا قَدْ جَاءَ مِيعَادُهَا مِنْ بَعْدِ مِيعَادِ
مَا ضَرَّهْ غَيْرَ أَنْ أَبْدِي مَوَدَّتَهُ إِنَّ الْمَحَبَّ هَوَاهُ ظَاهِرٌ بَادِي

ثم قال فيها يصف ناقته :

تَطْوِي الْبِلَادَ إِلَى جَمٍّ مَنَافِعُهُ فَعَالٍ خَيْرٍ لِفَعْلِ الْخَيْرِ عَوَادٍ

(١) التنصح : كثرة النصح ومنه قول أكرم بن صيفي : « إياكم والتنصح فإنه يورث التهمة » .

(٢) كذا في ح ، وفي باقي الأصول : « لتسرّحهم » بالحاء ، والتسرّح الذهاب .

للمهتدين اليه من منافعه خير يروح وخير باكر غادي
أغنى قريشاً وأنصار النبي ومن بالمسجدين بإسعاد وإحقاد
كانت منافعه في الأرض شائعة تترى وسيرته كالماء للصّاد
خليفة الله عبد الله والدّه وأمه حرة تُنمى لأجّاد
من خير ذي يمن في خير رابية من القبول اليها معقل النادي

حتى أتى على آخرها ؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وكسوة ، وأمر صاحب الجاري^٢
بأن يُجري له ولعياله في كل سنة ما يكفيهم ، وألحقهم في شرف العطاء .

قال : وذكر ابن النطّاح عن عبد الله بن مصعب الزبيري قال :

وفدنا الى المهدي ونحن جماعة من قريش والأنصار ، فلما دخلنا عليه سلّمنا
ودعونا وأثنينا ، فلما فرغنا من كلامنا أقبل على ابن المولى فقال : هات يا محمد ما
قلت ، فأنشده :

صوت

نادى الأجابة بأحتمال إنّ المقيم الى زوال
ردّ القيان^٥ عليهم ذلّل المطي من الجمال

(١) إحقاد : إسراع في مرضاتهم وقضاء حاجاتهم .

(٢) تترى : متواترة .

(٣) معقل : ملجأ ، يقال : عقل اليه عقلاً وعقولاً أي لجأ ، والنادي : مجتمع القوم ، ويراد به القوم المجتمعون .

(٤) الجاري : الجارية وهي ما يقدر من الرزق فيجري على صاحبه باتصال ، قال صاحب اللسان في مادة جرى : « والجارية الجاري من الوظائف » .

(٥) القيان : جمع قين وهو العبد أو القينة وهي الجارية . وقد قيل في قول زهير :

رد القيان جمال الحي فاحتملوا

إنه أراد بالقيان الإماء أي أنهنّ رددن الجمال الى الحيّ لشد أقنابها عليها ، وقيل : أراد العبيد الإماء (انظر اللسان مادة قين) .

فتحمّلوا بعقيلة زهراء آنسة الدلال
 كالشمس راق جالها بين النساء على الجلال
 لما رأيت جمالهم في الآل تغرق بالآلي
 يا ليت ذلك بعد أن أظهرت أنك لا تبالي
 ومثل ما جربت من إخلافهنّ لذي الوصال
 أسلاك عن طلب الصبا وأخو الصبا لا بدّ سالي
 يابن الأطايب للأطا وأبن الهداة بني الهدا
 أصبحت أكرم غالب عند التفخر والتضال
 وإذا تحصل هاشم يعلو بمجدك كلّ عالي
 ويكون بيتك منهم في الشاهقات من القلال
 هذا وأنت ثمالها وأبن الثمال أخو الثمال
 وما لها بأمورها إن الأمور إلى مآلي

قال : فأمر له خاصة بعشرة آلاف درهم معجلة ، ثم ساواه بسائر الوفد بعد ذلك في الجائزة وأعطاه مثل ما أعطاهم ، وقال : ذلك بحق المديح ، وهذا بحق الوفادة .

سؤال عبد الملك عنه :

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي أبو أحمد وعمي قالوا حدثنا الحسن بن عليل

(١) الآل : السراب ، وقيل الآل من الضحى إلى زوال الشمس ، والسراب بعد الزوال إلى صلاة العصر .

(٢) تحصل : تخلص ويماز بين بيوتها ، وفي الحديث : « بذهب لم تحصل من ترابها » أي لم تخلص (والذهب يذكر ويؤنث) . ويقال للمرأة التي تميز الذهب من الفضة : محصلة .

(٣) القلال : جمع قلة وهي أعلى الجبل ، وقلة كل شيء رأسه وأعلاه .

(٤) الثمال : الغياث .

(٥) كذا في ي ، وفي باقي الأصول « أخي » .

العززيّ قال حدثنا إبراهيم بن إسحاق بن عبد الرحمن بن طلحة بن عمر بن عبید الله قال حدثني عبد الله بن إبراهيم الجُمحيّ قال :

قديم عبد الملك بن مروان المدينة ، وكان ابن المولى يُكثر مدحه ، وكان يسأل عنه من غير أن يكونا ألتقيا - قال : وابن المولى مولى الأنصار - فلما قدم عبد الملك المدينة قدم ابن المولى ، لما بلغه من مسألة عبد الملك عنه ، فوردها وقد رحل عبد الملك عنها ، فأُتبعه^(١) فأدركه بإضم بذي خُشب بين عين مروان وعين الحديد ، وهما جميعاً لمروان ، فالتفت عبد الملك اليه وابن المولى على نجيب مُتَنَكِّباً قوساً عربيّة ، فقال له عبد الملك : ابن المولى ؟ قال : لبيك يا أمير المؤمنين ؛ قال : مرحباً بمن نالنا شكره ولم ينله منا فعل^(٢) ، ثم قال له : أخبرني عن ليلى التي تقول فيها :

وأبي فلا ليلى بكت من صباية إليّ ولا ليلى لذي الودّ تبذل

والله لئن كانت ليلى حرة لأزوّجنّكها ، ولئن كانت أمة لأبتاعنّها لك بما بلغت ، فقال : كلا يا أمير المؤمنين ، والله ما كنت لأذكر حرمة حرّ أبداً ولا أمتّه ، والله ما ليلى إلّا قوسي هذه ، سميتها ليلى لأشّيب بها ، وإن الشاعر لا يُستطاب إذا لم يتشّيب^(٣) ؛ فقال له عبد الملك : ذلك والله أظرف لك ، فأقام عنده يومه وليلته يُنشده ويُسامره ، ثم أمر له بال وكسوة ، وأنصرف الى المدينة .

وقف جعفر بن سليمان على طريقه وأنشده شعرا :

أخبرني حبيب المهليّ عن الزبير وغيره عن محمد بن فضالة النحويّ قال :

(١) فأُتبعه : تبعه وذلك اذا كان سبقه فلحقه ، وفي القرآن الكريم « فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ » .

(٢) في بعض النسخ : « لم ينسب » بالسين وهي بمعناها .

قديم ابن المولى البصرة ، فأتى جعفر بن سليمان فوقف على طريقه وقد ركب

فناداه :

كم صارخ يدعو وذي فاقة يا جعفر الخيرات يا جعفر
أنت الذي أحييت بذل الندى وكان قد مات فلا يُذكر
سليل عباس ولي الهدى ومن به في المجل يستمطر
هذا امتداحيك عقيد الندى أشهد بالمجد لك الأشقر

أخبار عطرَد ونسبه

عَطَرَد مولى الأنصار، ثم مولى بني عمرو بن عوف، وقيل: إنه مولى مُزَيْنَةَ، مدنيٌّ، يكنى أبا هارون، وكان ينزل قُباء. وزعم إسحاق أنه كان جميلَ الوجه، حسنَ الغناء، طيبَ الصوت، جيدَ الصَّنعة، حسنَ الرأي والمروءة، فقيهاً، قارئاً للقرآن، وكان يغني مرتجلاً، وأدرك دولة بني أمية، وبقي إلى أيام الرشيد، وذكر ابن خُرْداذبَه فيما حدثني به عليّ بن عبد العزيز عنه: أنه كان مُعدِّلَ الشهادة بالمدينة؛ أخبره بذلك يحيى بن عليّ المنجم عن أبي أيوب المديني عن إسحاق.

وأخبرنا محمد بن خَلَف وَكِيع عن حمَّاد بن إسحاق عن أبيه:

أن سَلَمَةَ بن عَبَّاد وَليَّ القضاء بالبصرة، فقصد أبْنُه عَبَّادُ بن سَلَمَةَ عَطَرَدَا وهو بها مقيم قد قصد آلَ سليمان بن عليٍّ وأقام معهم؛ فأقْبَى بآبِه لَيْلاً فَدَقَّ عليه ومعه جماعةٌ من أصحابه أصحاب القلانس، فخرج عطرَد إليه، فلما رآه ومن معه فرَّع؛ فقال: لا تُرْعَ.

إني قصدتُ إليك من أهلي في حاجة يأتي لها مثلي

فقال: وما هي أصلحك الله؟ قال:

لا طالباً شيئاً إليك سوى «حي الحُمُولَ بجانب العَزَلِ»^(١)

فقال: انزلوا على بركة الله، فلم يزل يغنيهم هذا وغيره حتى أصبحوا.

(١) العزل: موضع في ديار قيس، ذكره البكري في معجم ما استعجم (ج ٢ ص ٦٥٩) واستشهد له بهذا الشطر من شعر امرئ القيس.

نسبة هذا الصوت

صوت

حيّ الحُمُولَ بجانب الغَزَلِ إذ لا يوافق شكلها شكلي
 اللَّهُ أنْجَحُ ما طَلَبْتَ به والبرُّ خيرُ حَقِيقَةِ الرَّحْلِ
 إني مجبَلِكُ واصلُ حَبْلِي وبريش نَبْلِكُ رائِشُ نَبْلِي
 وشَمَائِلِي ما قد علِمْتَ وما نبحتُ كَلابُكُ طارِقاً مثلي

الشعر لأمري القيس بن عابس الكندي، هكذا روى أبو عمرو الشيباني،
 وقال: إن من يرويه لأمري القيس بن حُجر يغلط. والغناء لعطرد ثَقِيلٌ أوّلُ
 بالبصرة عن عمرو بن بانة، وفيه لعمر بن بانة ثَقِيلٌ بالوسطى من روايته أيضاً،
 وفيه لابن عائشة خَفِيفٌ رملٍ بالبصرة، وفيه عنه وعن دنانيرٍ لِمَالِكٍ خَفِيفٌ
 ثَقِيلٌ أوّلُ بالوسطى، وفيه عنه أيضاً لإبراهيم ثاني ثَقِيلٌ بالبصرة.

غناء إبراهيم بن خالد المعيطي:

وأخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ وأخبرني به الحسن بن عليّ
 قال:

كتب إليّ أبو أيّوب المدينيّ، وخبره أتمّ، قال: حدّثني عليّ بن محمد النوفليّ
 عن أبيه عن إبراهيم بن خالد المعيطيّ قال:

دخلت على المهديّ، وقد كان وُصِفَ له غِنائيّ، فسألني عن الغناء وعن علمي
 به، فجاذبته من ذلك طَرَفًا؛ فقال لي: أَتُغَنِّي النَوَاقِيسَ؟ قلت: نعم، وأُغَنِّي
 الصُّلْبَانَ يا أمير المؤمنين، فتبسّم. والنَوَاقِيسُ لحنٌ مَعْبُدٌ، كان مَعْبُدٌ وأهلُ الحِجَازِ
 يسمونه النَوَاقِيسَ، وهو:

سَلَا دارَ ليلي هل تُبين فتَنطِقُ وَأَتَى تَرُدُّ القولَ بيداءَ سَمَلَقُ

قال : ثم قال لي المهديّ وهو يضحك : غَيَّهْ ، فغَيَّيْتَهُ فَأَمَرَ لي بِمالٍ جَزِيلٍ وَخَلَعَ عَلَيَّ وَصَرَفَنِي ، ثُمَّ بَلَغَنِي أَنَّهُ قَالَ : هَذَا مُعِيطِي^١ وَأَنَا لَا آنَسُ بِهِ ، وَلَا حَاجَةَ لِي إِلَى أَنْ أُدْنِيَهُ مِنْ خَلُوقِي وَأَنَا لَا آنَسُ بِهِ . هَكَذَا ذَكَرَ فِي هَذَا الْخَبَرِ أَنَّ اللَّحْنَ لِمُعِدٍّ ، وَمَا ذَكَرَهُ أَحَدٌ مِنْ رِوَاةِ الْغِنَاءِ لَهُ ، وَلَا وَجَدَ فِي دِيوَانٍ مِنْ دَوَاوِينِهِمْ مَنْسُوباً إِلَيْهِ عَلَى أَنْفَرَادٍ بِهِ وَلَا شِرْكَةَ فِيهِ ، وَلَعَلَّهُ غَلَطَ .

وقد أخبرني هذا الخبر الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال :

كان إبراهيم بن خالد المعيطيّ يغني ، فدخل يوماً الحَمَّامَ وَأَبْنُ جَامِعٍ فِيهِ ، وَكَانَ لَهُ شَيْءٌ يَجَاوِزُ رَكْبَتَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ أَبْنُ جَامِعٍ : يَا إِبْرَاهِيمُ أَتَتَبِعُ هَذَا الْبَغْلَ ؟ قَالَ : لَا بَلْ أَحْمَلُكَ عَلَيْهِ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ؛ فَلَمَّا خَرَجَ أَبْنُ جَامِعٍ مِنَ الْحَمَّامِ رَأَى ثِيَابَ الْمُعِيطِيّ رَتَّةً فَأَمَرَ لَهُ بِجِلْعَةٍ مِنْ ثِيَابِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْمُعِيطِيّ : لَوْ قَبِلْتَ حُمَلَانِي قَبِلْتَ خِلْعَتَكَ ، فَضَحِكَ أَبْنُ جَامِعٍ وَقَالَ لَهُ : مَا لَكَ أَخْرَاكَ اللَّهُ ! وَيْلَكَ ! أَمَا تَدَعِ وَلَعَكَ وَبِطَالَتَكَ وَشِرَاكَ ! وَدَخَلَ إِلَى الرَّشِيدِ فَحَدَّثَهُ حَدِيثَهُ ؛ فَضَحَكَ وَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ ، فَأُحْضِرَ ، فَقَالَ لَهُ : أَتَغْنِي النِّوَاقِيسَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَأُغْنِي الصُّلْبَانَ أَيْضاً . ثُمَّ ذَكَرَ بَاقِيَ الْخَبَرِ مِثْلَ الَّذِي تَقَدَّمَ .

كان عطرّد منقطعا الى آل سليمان بن علي :

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدثني أبو أيوب المدينيّ عن إسحاق قال :

(١) ذكر صاحب القاموس أبا معيط والد عقبة بن أبي معيط وذكر أن معيطاً أبو حيّ من قریش ولم يذكر السمعاني في الأنساب عند اسم « المعيطي » إلا المنسوبين إلى أبي معيط إما بالولادة وإما بالولاء ، ولعل إبراهيم هذا منسوب إلى أبي معيط ، ويكون المهديّ قد أنكره لما كان من عقبة بن أبي معيط من شدّة إيدائه للنبيّ صلى الله عليه وسلم حتى إنه قذف على ظهره سلى جزور وهو ساجد عند الكعبة ، وبنو أبي معيط يسمّون صبية النار ، لأن عقبة حين أخذ يوم بدر وأراد النبيّ صلى الله عليه وسلم قتله ، قال : من للصبية بعدي ؟ قال : النار .

(٢) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة .

كان عطرّد منقطعاً في دولة بني هاشم الى آل سليمان بن عليّ لم يخدم غيرهم،
وتوفي في خلافة المهديّ . قال : وكان يوماً يغني بين يديّ سليمان بن عليّ، فغنّاه :

صوت

أله فكم من ماجدٍ قد لها ومن كريمٍ عرضُه وإفرُ

— الغناء لعطرّد ثاني ثقيل عن الهشاميّ — فليل له : سرقت هذا من لحن

الغريض :

يا ربعَ سلامةٍ بالْمُنْحَنَى فَخَيْفٍ سَلْعٍ جَادِكُ الْوَبْلِ

فقال : لم أسرقه ولكنّ الع قولَ تتوافق ، وحلف أنه لم يسمعه قطّ .

نسبة هذا الصوت

صوت

يا ربعَ سلامةٍ بالْمُنْحَنَى فَخَيْفٍ سَلْعٍ جَادِكُ الْوَابِلُ
إِنْ تُمَسِّ وَحْشاً طَالَمَا قَدْ تُرَى وَأَنْتَ مَعْمُورٌ بِهِمْ أَهْلُ
أَيَّامِ سَلَامَةٍ رُعْبُوبَةٍ^٢ خَوْذُ لَعُوبٍ حُبُّهَا قَاتِلُ
مَحْطُوطَةٍ^٣ الْمَتْنِ هَضِيمُ الْحَشَى لَا يَطْبِيهَا^٤ الْوَرَعُ^٥ الْوَاعِلُ^٦

(١) الخيف : الناحية أو ما آنحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء . وسلع : أسم لمواضع كثيرة : منها جبال ومنها أودية .

(٢) الرعبوبة : الناعمة .

(٣) محطوطة المتن : ممدودته في حسن وأستواء .

(٤) لا يطبها : لا يستميلها .

(٥) الورع : الجبان الضعيف .

(٦) الواغل : الداخل على القوم في طعامهم وشرابهم من غير دعوة .

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن يحيى المكي ، قال : ومن الناس من ينسبه إلى ابن سريج .

حبسه مع المغنين :

أخبرني أحمد بن علي بن يحيى قال سمعت جدّي علي بن يحيى قال حدثني أحمد ابن إبراهيم الكاتب قال حدثني خالد بن كلثوم قال :

كنت مع زبراء بالمدينة وهو والٍ عليها ، وهو من بني هاشم أحد بني ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب ، فأمر بأصحاب الملاهي فحبسوا وحبس عطرّد فيهم ، فجلس ليعرضهم ، وحضر رجال من أهل المدينة شفّعوا لعطرّد ، وأخبروه أنه من أهل الهيئة والمروءة والتّعة والدين ، فدعا به فخلّى سبيله ، وأمره برفع حوائجه إليه فدعا له ، وخرج فإذا هو بالمغنين أحضروا ليُعرضوا ، فعاد إليه عطرّد ، فقال : أصلح الله الأمير ، أعلّى الغناء حبست هؤلاء ؟ قال : نعم ؛ قال : فلا تظلمهم ، فوالله ما أحسنوا منه شيئاً قط ! فضحك وخلّى سبيلهم .

فناؤه الوليد :

أخبرني محمد بن مزّيد وجعظّة قالّا حدثنا حمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبي عن محمد بن عبد الحميد بن إسماعيل بن عبد الحميد بن يحيى عن عمه أيوب بن إسماعيل قال :

لما استخلف الوليد بن يزيد كتب الى عامله بالمدينة يأمره بالشخص اليه بعطرّد المغني ؛ قال عطرّد : فأقرأني العامل الكتاب وزودني نفقةً وأشخصني اليه ، فأدخلت عليه وهو جالس في قصره على شفير بركة مرصّة مملوءة خمرأ ليست بالكبيرة ولكنها يدور الرجل فيها سباحة ، فوالله ما تركني أسلم عليه حتى قال : أعطرّد ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ قال : لقد كنت اليك مشتاقاً يا أبا هارون ، غثني :

حيّ الحُمُولَ بِجَانِبِ الغَزَلِ إِذْ لَا يُلَاثِمُ شَكْلُهَا شَكْلِي
إِنِّي بِمَجْلِكَ وَاصِلٌ حَبْلِي وَبَرِيشٌ نَبْلُكَ رَائِشٌ نَبْلِي
وَشَمَائِلِي مَا قَدْ عَلِمْتُ وَمَا نَبَحْتُ كَلَابُكَ طَارِقًا مِثْلِي

قال : فَعَنَيْتُهُ إِيَّاهُ ، فَوَاللَّهِ مَا أَتَمَّمْتُهُ حَتَّى شَقَّ حُلَّةً وَشَيْ كَانَتْ عَلَيْهِ لَا أَدْرِي كَمْ قِيمَتِهَا ، فَتَجَرَّدَ مِنْهَا كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ وَأَلْقَاهَا نِصْفَيْنِ ، وَرَمَى بِنَفْسِهِ فِي الْبَرَكَةِ فَفَهَلَ مِنْهَا حَتَّى تَبَيَّنَتْ - عِلْمُ اللَّهِ - فِيهَا أَنَّهَا قَدْ نَقَصَتْ نُقْصَانًا بَيِّنًا ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا وَهُوَ كَالْمَيِّتِ سُكْرًا ، فَأَضْجَعَ وَغَطِّيَ ، فَأَخَذْتُ الْحُلَّةَ وَقَتُّ ، فَوَاللَّهِ مَا قَالَ لِي أَحَدٌ : دَعَهَا وَلَا تُخْذَهَا ، فَأَنْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي مُتَعَجِّبًا مِمَّا رَأَيْتُ مِنْ ظَرْفِهِ وَفَعَلِهِ وَطَرْبِهِ ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ غَدٍ جَاءَنِي رَسُولُهُ فِي مِثْلِ الْوَقْتِ فَأَحْضَرَنِي ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ قَالَ لِي : يَا عَطْرَدُ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَالَ غَنَيْتِي :

أَيَذْهَبُ عَمْرِي هَكَذَا لَمْ أُنَلْ بِهَا مَجَالِسَ تَشْنِي قَرْحَ قَلْبِي مِنَ الْوَجْدِ
وَقَالُوا تَدَاوَا إِنِّي فِي الطَّبِّ رَاحَةً فَعَلَلْتُ نَفْسِي بِالْدَوَاءِ فَلَمْ يُجِدْ

فَعَنَيْتُهُ إِيَّاهُ ، فَشَقَّ حُلَّةً وَشَيْ كَانَتْ تَلْتَمِعُ عَلَيْهِ بِالذَّهَبِ أَلْتِمَاعًا أَحْتَقِرْتُ وَاللَّهِ الْأُولَى عِنْدَهَا ، ثُمَّ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَرَكَةِ فَفَهَلَ فِيهَا حَتَّى تَبَيَّنَتْ - عِلْمُ اللَّهِ - نُقْصَانُهَا ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا كَالْمَيِّتِ سُكْرًا ، وَأَلْقَى وَغَطِّيَ فَنَامَ ، وَأَخَذْتُ الْحُلَّةَ فَوَاللَّهِ مَا قَالَ لِي أَحَدٌ : دَعَهَا وَلَا تُخْذَهَا ، وَأَنْصَرَفْتُ ؛ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثَ جَاءَنِي رَسُولُهُ فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي بَهْوٍ قَدْ أُلْقِيَتْ سُتُورُهُ ، فَكَلَّمَنِي مِنْ وَرَاءِ السُّتُورِ وَقَالَ : يَا عَطْرَدُ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَالَ : كَأَنِّي بِكَ الْآنَ قَدْ أَتَيْتَ الْمَدِينَةَ فَقَمْتُ لِي فِي مَجْلِسِهَا وَمَحْفِلِهَا وَقَعَدْتُ وَقُلْتُ : دَعَانِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ فَاقْتَرَحَ عَلَيَّ فَعَنَيْتُهُ وَأَطْرَبْتُهُ فَشَقَّ ثِيَابَهُ وَأَخَذْتُ سَلْبَهُ وَفَعَلَ وَفَعَلَ ، وَاللَّهِ يَا بَنَ الزَّانِيَةِ ، لَأَنْ تَحْرُكَتْ شَقَّتَاكَ بِشَيْءٍ مِمَّا جَرَى فَبَلَّغْنِي لِأَضْرَبَنَّ عُنُقَكَ ، يَا غَلَامَ أَعْطِهِ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَخُذَهَا وَأَنْصَرَفْ إِلَى الْمَدِينَةِ ؛ فَقُلْتُ : إِنْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْذَنَ لِي فِي تَقْبِيلِ يَدِهِ ، وَيَزِيدَنِي نَظْرَةً مِنْهُ وَأَغْنِيَهُ صَوْتًا ! فَقَالَ : لَا حَاجَةَ لِي وَلَا بِكَ إِلَى ذَلِكَ ،

فأنصرف . قال عطرّد : فخرجتُ من عنده وما علم الله أني ذكرتُ شيئاً مما جرى
حتى مضت من دولة بني هاشم مدّة .

نسبة هذين الصوتين

الصوت الاول مما غناه عطرّد الوليد قد نُسب في أوّل أخباره ، والثاني
الذي أوّله :

أيذهبُ عمري هكذا لم أنلُ بها

الغناء فيه لعطرّد ثاني ثقیل بالسبابة في مجرى البصر عن إسحاق ، وفيه ليونس
من كتابه لحنٌ لم يذكر طريقته ؛ وذكر عمرو بن بانه أن فيه لإبراهيم ثاني ثقیل
بالوسطى .

صوت

من المائة المختارة

إن أمراً تعتاده ذكرٌ	منها ثلاثٌ مني لَدو صبرٍ
ومواقفٌ بالمشعرين لها	ومناظرُ الجمرات والنحر
وإفاضة الرُكبان خلفهم	مثل الغمام أرذٌ بالقطر
حتى أستلن الركن في أنفٍ	من ليلهن يطان في الأزر
يقعدن في التطواف آونة	ويطفن أحياناً على فتر

-
- (١) الشعر : موضع مناسك الحج .
 - (٢) الجمرات : الحصى الذي يرمي به الحاج .
 - (٣) أرذ : أمطر الرذاذ وهو المطر الضعيف .
 - (٤) الأنف : أوّل زمان مستقبل .
 - (٥) الأزر : جمع إزار .
 - (٦) الفتر : الضعف .

ففرغن من سُبُعٍ وقد جُهِدَتْ^١ أحشاؤهنَّ موائِلَ^٢ الخمرِ

الشعر للحارث بن خالد المخزومي ، والغناء في اللحن المختار للابجر ، وإيقاعه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر في الأوّل والثاني والسادس من الأبيات عن إسحاق . وفيه للغريض خفيفٌ ثَقِيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو . ولا بن سريج في الثالث والرابع رَمَلٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

(١) جهد (بضم الجيم على البناء للمفعول) : صار مجهوداً .

(٢) الخمر : جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها .

أخبار الحارث بن خالد المخزومي ونسبه

الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم
ابن يَقْظَةَ بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيٍّ بن غالب . وأمّه فاطمة بنت أبي سعيد بن
الحارث بن هشام ، وأُمّها بنت أبي جهل بن هشام . وكان العاص بن هشام جدّ
الحارث بن خالد خرج مع المشركين يوم بدر فقتله أمير المؤمنين عليّ بن أبي
طالب رضي الله عنه .

استرقاق في مقامرة :

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدّثني
مُصْعَب بن عبد الله قال :

قامر أبو كعب العاص بن هشام في عشر من الإبل فقمره أبو لهب ، ثم في
عشر فقمره ، ثم في عشر فقمره ، ثم في عشر فقمره ، ثم في عشر فقمره ،
إلى أن خله من ماله فلم يَبْقَ له شيء ، فقال له : إني أرى القِداح قد حالفتك
يا بن عبد المطلب فهلم أقامرك ، فأئنا قمرَ كان عبداً لصاحبه ، قال : أفعل ،
ففعل ، فقمره أبو لهب فكره أن يسترقّه فتغضبَ بنو مخزوم ، فشى اليهم وقال :
أفتدّوه مني بعشر من الإبل ؛ فقالوا : لا والله ولا بوبرة ، فاسترقّه فكان يرعى
له إبلاً إلى أن خرج المشركون إلى بدر . وقال غير مُصْعَب : فاسترقّه وأجلسه
قينا يعمل الحديد . فلما خرج المشركون إلى بدر كان من لم يخرج أخرج

(١) قره : غلبه في المقامرة .

(٢) القين : الحدّاد .

بديلاً ، وكان أبو هب عليلاً فأخرجه وقعد ، على أنه إن عاد إليه أعتقه ، فقتله
علي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ .

والحارث بن خالد أحد شعراء قريش المعدودين الغرّاء ، وكان يذهب مذهب
عمر بن أبي ربيعة لا يتجاوز الغزل الى المديح ولا الهجاء ، وكان يهوى عائشة بنت
طلحة بن عبيد الله ويشبب بها ؛ وولاه عبد الملك بن مروان مكّة ، وكان ذا قدر
وخطرٍ ومنظرٍ في قريش ؛ وأخوه عكرمة بن خالد المخزومي محدثٌ جليلٌ من
وجوه التابعين ، قد روى عن جماعة من الصحابة ؛ وله أيضاً أخٌ يقال له عبد
الرحمن بن خالد ، شاعرٌ ، وهو الذي يقول :

رَحَلَ الشَّبَابُ وَلَيْتَهُ لَمْ يَرَحَلْ وَغَدًا لَطِيفَةٌ ذَاهِبٌ مُتَحَمِّلٌ^٢
وَلَى بَلَا ذَمٍّ وَغَادِرٌ بَعْدَهُ شَيْئًا أَقَامَ مَكَانَهُ فِي الْمَنْزِلِ
لَيْتَ الشَّبَابَ ثَوًى لَدَيْنَا حَقْبَةً قَبْلَ الْمَشِيبِ وَلَيْتَهُ لَمْ يَعْجَلْ
فَنُصِيبَ مِنْ لَذَاتِهِ وَنَعِيمِهِ كَالْعَهْدِ إِذْ هُوَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

وفيه غناء .

بضائع ابي عمرو :

حدثني هاشم بن محمد الخراعي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال :

قال مُعَاذُ بْنُ الْعَلَاءِ أَخُو أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ : كَانَ أَبُو عَمْرِو إِذَا لَمْ يَكُنْ يَحْجُجُ اسْتَبْضَعَنِي^٣
الْحُرُوفُ^٤ أَسْأَلُ عَنْهَا الْحَارِثَ بْنَ خَالِدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمَغِيرَةِ الشَّاعِرِ وَآتِيهِ

(١) الطية : المتأى ، والقصد ، والنية التي تنتوى .

(٢) المتحمل : الراحل .

(٣) كذا في الأصول ، ولم نجد في كتب اللغة التي بأيدينا كاللسان والقاموس « استبضع » متعدياً
لمفعولين ، والموجود « استبضع الشيء » أي جمعه بضاعته . والموجود متعدياً من هذه المادة « أبضعني »
فإنه يقال : أبضعني البضاعة أي أعطاني إياها .

(٤) الحروف : الكلمات واحدها حرف .

بجوابها ؛ قال : فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ سَنَةً مِنْ السَّنِينَ وَقَدْ وُلَّاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ مَكَّةَ ، فَلَمَّا رَأَى قَالَ : يَا مُعَاذُ ، هَاتِ مَا مَعَكَ مِنْ بَضَائِعِ أَيْ عَمْرُو ، فَجَعَلْتُ أُعْجِبُ مِنْ أَهْتَامِهِ بِذَلِكَ وَهُوَ أَمِيرٌ .

من شعراء قريش الخمسة :

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ ، وَأَخْبَرَنِي بِهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ الزُّبَيْرِ ، وَلَفْظُهُ أَتَمَّ ، قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الضَّحَّاكِ الْحَرَامِيُّ قَالَ :

كَانَتْ الْعَرَبُ تُفَضِّلُ قُرَيْشًا فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا الشَّعْرَ ، فَلَمَّا نَجَّهَ فِي قُرَيْشٍ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَالْحَارِثُ بْنُ خَالِدٍ الْمَخْزُومِيُّ وَالْعَرَجِيُّ وَأَبُو دَهَبَلٍ وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ^٢ ، أَقَرَّتْ لَهَا الْعَرَبُ بِالشَّعْرِ أَيْضًا .

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ بْنُ الْهَيْثَمِ وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ وَحَبِيبُ بْنُ نَصْرٍ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْغَزِيزِ قَالُوا حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى أَبُو غَسَّانٍ قَالَ :

تَقَاخَرَ مَوْلَى لِعَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَمَوْلَى لِلْحَارِثِ بْنِ خَالِدٍ بِشِعْرِيهِمَا ، فَقَالَ

(١) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ فِي الْأَغَانِي فِي تَرْجُمَتِهِ ج ٤ ص ١٥٥ طَبْعُ بُولَاق وَشَرْحُ الْقَامُوسِ مَادَّةُ «رَقِي» وَوَلَاةُ مِصْرَ لِلْكَنْدِيِّ ص ٥٢ وَالْمَوْشِحُ لِلْمَرْزُبَانِيِّ ص ١٥٠ ، ١٨٦ ، ٢٢١ وَقَدْ وَرَدَ فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ : «عَبْدُ اللَّهِ» وَوَرَدَ كَذَلِكَ فِي نَقَائِضِ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ ص ٥٩٨ وَقَدْ وَرَدَ فِي الطَّبْرِيِّ قِسْمُ ٢ ص ٧٩٠ ، ٨١٢ ، ٨٢٨ ، ١١٧٣ بِاسْمِ ابْنِ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ فَقَطْ ، وَذَكَرَ الْبَغْدَادِيُّ فِي الْخَزَانَةِ : أَنَّ لِقَيْسَ ابْنَيْنِ عَبِيدَ اللَّهِ وَعَبْدَ اللَّهِ وَاخْتَلَفُوا فِي الشَّاعِرِ مِنْهُمَا ، فَقَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ وَالْمُبَرِّدُ فِي الْكَامِلِ : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ الْكَبِيرُ ، وَقَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ فِي مَعْجَمِهِ : هُوَ عَبِيدُ اللَّهِ بِالتَّصْغِيرِ ، قَالَ : وَمِنْ الرِّوَاةِ مَنْ يَقُولُ الشَّاعِرُ عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ خَطَأٌ .

(٢) ذَكَرَ الْبَغْدَادِيُّ فِي الْخَزَانَةِ فِي تَرْجُمَتِهِ ج ٣ ص ٢٦٧ أَنَّهُ يُقَالُ : الرُّقَيَّاتُ بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِعَبْدِ اللَّهِ وَبِالْجَرِّ عَلَى الْإِضَافَةِ لِأَنَّهُ قِيلَ : إِنَّ فِي جَدَّاتِهِ ثَلَاثَ نِسْوَةٍ يُسَمِّنَ بِهَذَا الْاسْمِ أَوْ أَنَّهُنَّ زَوْجَاتُهُ أَوْ مَحْبُوبَاتُهُ .

مولى الحارث لمولى عمر : دعني منك فإن مولاك والله لا يعرف المنازل إذا قلبت ،
يعني قول الحارث :

إني وما نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي عند الجمار تَوُدُّهَا الْعَقْلُ
لو بُدِّلَتْ أَعْلَى مَسَاكِينِهَا سُفْلًا وَأَصْبَحَ سُفْلُهَا يَعْلُو
فَيَكَادُ يَعْرِفُهَا الْحَبِيرُ بِهَا فَيُرُدُّهُ الْإِقْوَاءُ وَالْمَحَلُ
لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا بِمَا أَحْتَمَلْتُ مِنِّي الضَّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

— قال عمرو بن شبة : وحدّثني محمد بن سلام بهذا الخبر على نحو مما ذكره
أبو غسان ، وزاد فيه : — فقال مولى ابن أبي ربيعة لمولى الحارث : والله ما يُحْسِنُ
مولاك في شعري إلا نُسب إلى مولاي .

قال ابن سلام : وأنشد الحارث بن خالد عبد الله بن عمر هذه الأبيات
كلّها حتى انتهى إلى قوله :

لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا بِمَا أَحْتَمَلْتُ مِنِّي الضَّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

فقال له ابن عمر : قل : إن شاء الله ؛ قال : إِذَا يَفْسُدُ بِهَا الشَّعْرُ يَا عَمَّ ، فقال
له : يا ابن أخي ، إنه لا خير في شيء يُفْسِدُهُ « إن شاء الله » . قال عمر : وحدّثني
هذه الحكاية إسحاق بن إبراهيم في مخاطبته لابن عمر ولم يُسِنْدْهَا إلى أحدٍ ،
وأظنه لم يروها إلا عن محمد بن سلام . وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان عن
أبي الفضل المروزي عن إسحاق عن أبي عبيدة ، فذكر قصة الحارث مع ابن
عمر مثل الذي تقدّمه .

اعتراف له بالتقدم :

أخبرني عمي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا الرياشيّ قال حدّثني أبو سلمة
الغفاريّ عن يحيى بن عروة بن أذينة عن أبيه قال :

- (١) معناه تتقلها . وفي سائر الأصول «تؤدّها» من أدّه الأمر يؤدّه ويؤدّه إذا دهاه . والعقل :
جمع عقل ويجوز في عين هذا الجمع التسكين كما هنا .
(٢) أفوت الدار إفواءً : أفقرت ، والمحل : الجذب .

كان كثيرٌ جالساً في فتيةٍ من قريش إذ مرَّ بهم سعيدُ الراس ، وكان مُغْتَيّاً ، فقالوا لكثيرٌ : يا أبا صخر ، هل لك أن نُسمِعَكَ غناءً هذا ، فإنه مُجيدٌ ؟ قال : أفعَلُوا ؛ فدَعَوْا به فسألوه أن يغنيَهم :

صوت

هَلَّا سَأَلْتَ مَعَالِمَ الْأَطْلَالِ بِالْجُرْعِ مِنْ حُرْضٍ وَهَنْ بَوَالِي
سَقِيّاً لَعْرَةً خُلِقَتْ سَقِيّاً لَهَا إِذْ نَحْنُ بِالْهَضْبَاتِ مِنْ أَمَلَالٍ^٢
إِذْ لَا تَكَلِمُنَا وَكَانَ كَلَامُهَا نَقْلًا نَوْمَلَهُ مِنَ الْأَنْفَالِ

فغَنَاهُ ، فطَرِبَ كثيرٌ وأرتاح ، وطَرِبَ القومُ جميعاً ، وأستحسنوا قولَ كثيرٍ ، وقالوا له : يا أبا صخر ما يستطيعُ أحدٌ أن يقولَ مثلَ هذا ؛ فقال : بلى ، الحارثُ ابنُ خالدٍ حيثُ يقولُ :

صوت

إِنِّي وَمَا نَحْرُوا غِدَاةً مِنِّي عِنْدَ الْجَارِ تَوَدُّهَا الْعُقْلُ
لَوْ بُدِّلَتْ أَعْلَى مَسَاكِنِهَا سُفْلًا وَأَصْبَحَ سُفْلُهَا يَعْلُو
لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا بِمَا أَحْتَمَلْتُ مِنِّي الضَّلُوعَ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

(١) لعله «الرأس» وزان شداد وهو بائع الرؤوس .

(٢) حرَضَ : وادَّ عند أحد .

(٣) أَمَلَالٌ ويقال له ملل : موضع على طريق المدينة الى مكة على ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة ، هكذا ذكره ياقوت في معجمه واستشهد بهذا البيت من شعر كثير .

(٤) النفل : الغنيمة والعطية .

(٥) كذا في جميع الأصول «ما يستطيع» بدون همزة الاستفهام ، ولكن الجواب بكلمة «بلى» يدل على أن القصد من الجملة الاستفهام ، وهمزة الاستفهام مما يجوز حذفه (انظر المغني لابن هشام في بحث الألف من الباب الاول) . ويحتمل أن يكون «ما يستطيع» نفياً محضاً وأن التحريف في «بلى» وأن أصلها «بل» الإضرابية .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني في أبيات كثير الأول

التي أولها هلاً سألت معالم الأطلال

لأبن سريج منها في الثاني والثالث رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق .
وللغريض في الأول والثاني ثقیل أول مطلق في مجرى البنصر عنه . وفيها لعلويه
رمل بالوسطى عن عمرو . وفي أبيات الحارث بن خالد لإبراهيم الموصلي رمل
بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً .

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثنا الخليل بن أسد عن العمري
عن الهيثم بن عدي قال :

دخل أشعبُ مسجدَ النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يطوف الحلق ، فقل له :
ما تريد ؟ فقال : أَسْتَفْتِي في مسألة ؛ فبينما هو كذلك إذ مرَّ برجل من ولد الزبير
وهو مُسْنَدٌ الى ساريةٍ وبين يديه رجلٌ عَلَوِيٌّ ، فخرج أشعبُ مبادراً ؛ فقال له
الذي سأله عن دخوله وتطوافه : أَوَجَدْتَ من أفتاك في مسألتك ؟ قال : لا ،
ولكني علمتُ ما هو خير لي منها ؛ قال : وما ذاك ؟ قال : وجدتُ المدينةَ قد
صارت كما قال الحارث بن خالد :

قد بُدِّلَتْ أعلى مساكنها سُفْلاً وأصبح سُفْلهَا يعلو

رأيتُ رجلاً من ولد الزبير جالساً في الصدر ، ورجلاً من ولد علي بن أبي طالب
رضي الله عنه جالساً بين يديه ، فكفى هذا عجباً ، فأنصرفتُ .

كان مروانيا :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر شبة ، وأخبرني هذا

(١) الحلق : جمع حلقة وهي دائرة القوم وحلقتهم ؛ وهذا الجمع على النادر كهضبة وهضب .

(٢) السارية : العمود .

الخبر إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا محمد بن عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو عبد الله بن محمد بن حفص عن أبيه قال قال محمد بن خلف أخبرني به أبو أيوب سليمان بن أيوب المدني قال حدثنا مضعب الزبيري، وأخبرني به أيضاً الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي، وقد جمعت رواياتهم في هذا الخبر.

أن بني مخزوم كلهم كانوا زُبَيْرِيَّة سوي الحارث بن خالد فإنه كان مروانياً.

توليه مكة :

فلما ولي عبد الملك الخلافة عام الجماعة وفد عليه في دين كان عليه وذلك في سنة خمس وسبعين؛ وقال مضعب في خبره: بل حجَّ عبدُ الملك في تلك السنة فلما أنصرف رَحَلَ معه الحارثُ إلى دمشق، فظهرت له منه جفوة، وأقام ببابه شهراً لا يصل إليه، فانصرف عنه وقال فيه:

صَحْبُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ فلما أُنْجِلَتْ قَطَعْتُ نَفْسِي أَلُومَهَا
وما لي وإنْ أَقْصَيْتَنِي مِنْ ضَرَاعَةٍ ولا أَفْتَقَرْتُ نَفْسِي إِلَى مَنْ يَضِيْمُهَا

هذا البيت في رواية ابن المرزبان وحده:

عَطَفْتُ عَلَيْكَ النَّفْسَ حَتَّى كَأَنَّمَا بِكَفِّكَ بُوْسِي أَوْ عَلَيْكَ نَعِيمُهَا

وبلغ عبد الملك خبره وأنشد الشعر، فأرسل إليه مَنْ رَدَّه من طريقه؛ فلما دخل عليه قال له: حارث، أخبرني عنك: هل رأيتَ عليك في المُقام ببائي غَضَاضَةً أَوْ في قصدي دَنَاءَةً؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين؛ قال: فما حملك على ما قلتَ

(١) كلمة «أبو» ساقطة في ح.

(٢) حار: ترخيم حارث.

وفعلت؟ قال: جفوةً ظهرت لي، كنتُ حقيقاً بغير هذا، قال: فأختر، فإن شئت أعطيتك مائة ألف درهم، أو قضيتُ دينك، أو وليتُك مكة سنة، فولاه إياها، فحجَّ بالناس وحجَّت عائشة بنت طلحة عامئذٍ، وكان يهواها، فأرسلتُ إليه: آخر الصلاة حتى أفرغ من طوافي، فأمر المؤذنين فأخروا الصلاة حتى فرغت من طوافها، ثم أقيمت الصلاة فصلَّى بالناس، وأنكر أهل الموسم ذلك من فعله وأعظموه، فغزله وكتب اليه يؤنبه فيما فعل: فقال: ما أهون والله غضبه إذا رضىت! والله لو لم تفرغ من طوافها إلى الليل لأخرت الصلاة إلى الليل. فلما قضت حجَّها أرسل إليها: يا ابنة عمي أَلَمِ بنا أو عدينا مجلساً نتحدث فيه؟ فقالت: في غدٍ أفعل ذلك، ثم رحلت من ليلتها؛ فقال الحارث فيها:

صوت

ما ضرَّكم لو قلتمُ سَدَدًا إنَّ المطايا عاجِلٌ غَدُها
ولها علينا نِعْمَةٌ سَلَفَتْ لَسنا على الأيام نَجِدُها
لو تَمَّتْ أسبابُ نِعْمَتِها تَمَّتْ بِذلك عندنا يَدُها

لِعَبْدٍ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ وَيُونُسَ وَدَنَانِيرَ،
وَقَدْ ذَكَرَهُ إِسْحَاقُ فَنَسَبَهُ إِلَى ابْنِ مُحَرَّزٍ ثَقِيلًا أَوَّلٌ فِي أَصْوَاتٍ قَلِيلَةِ الْأَشْبَاهِ؛ وَقَالَ
عَمْرِو بْنُ بَانَةَ: مِنَ النَّاسِ مَنْ نَسَبَهُ إِلَى الْغَرِيضِ.

نسبة ما في الأخبار من الغناء

صوت

وما بي وإن أقصيتني من ضراعة ولا أفترقت نفسي إلى من يهينها
بلى بأبي إني إليك لضارعٌ فقيرٌ ونفسي ذاك منها يزينها

البيت الأول للحارث بن خالد ، والثاني ألحق به . والغناء للغريض ثقیل
أول بالوسطى عن ابن المكي . وذكر الهشامي أن لحن الغريض خفيف ثقیل
في البيت الأول فقط ، وحكى أن قافيته على ما كان الحارث قاله :

ولا أفتقرت نفسي إلى من يضيئها

وأن الثقیل الأول لعلية بنت المهدي ، ومن غنائها البيت المضاف . وأخلق بأن
يكون الأمر على ما ذكره ، لأن البيت الثاني ضعيف يشبه شعرها .

مع عائشة بنت طلحة :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر وإسماعيل بن يونس قالوا حدثنا
عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان محمد بن يحيى قال :

لما تزوج مضعب بن الزبير عائشة بنت طلحة ورحل بها الى العراق ، قال
الحارث بن خالد في ذلك :

صوت

ظعن الأمير بأحسن الخلق وغدا بليلك مطلع الشرق
في البيت ذي الحسب الرفيع ومن أهل التقى والبر والصدق
فطللت كالمقهور مهجته هذا الجنون وليس بالعشق
أترجة عمق العبير بها عمق الدهان بجانب الحق
ما صبحت أحداً برويتها إلا غدا بكواكب الطلق

وهي أبيات ، غنى ابن محرز في البيتين الأولين خفيف رمل بالسبابة في

(١) يقال : يوم طلق أي مشرق لا برد فيه ولا حر ولا شيء يؤذي ، ويقال أيضاً : ليلة طلق
وليلة طلقة . يريد : أن من تصبحه برويتها ، يرى الزمان صافياً طيباً سعيداً ، تفاؤلاً بطلعتها واستبشاراً .

مجرى الوسطى عن إسحاق ، وذكر عمرو بن بانة أن فيها لملك ثقيلاً بالوسطى ،
وذكر حبش أن فيها لملك رملاً بالوسطى ، وذكر حبش أيضاً أن فيها للدلال
ثاني ثقيلاً بالبصرة ، ولأبن سريج ومالك رملين ، ولسعيد بن جابر هزجاً
بالوسطى .

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق
عن أبيه عن محمد بن سلام عن ابن جعدبة قال :

لما أن قدمت عائشة بنت طلحة أرسل إليها الحارث بن خالد وهو أمير على
مكة : إني أريد السلام عليك ، فإذا خفّ عليك أذنت ، وكان الرسول
الغريض ، فقالت له : إنا حرّم ، فإذا أحلّنا أذنّاك ، فلما أحلت سرت على
بغلّاتها ، ولحقها الغريض بعسفان أو قريب منه ، ومعه كتاب الحارث إليها :

ما ضرّكم لو قلتم سُدّاً

- الأبيات المذكورة - ، فلما قرأت الكتاب قالت : ما يدع الحارث باطله !
ثم قالت للغريض : هل أحدثت شيئاً ؟ قال : نعم ، فأسمعي ، ثم أندفع يغني في
هذا الشعر : فقالت عائشة : والله ما قلنا إلا سُدّاً ، ولا أردنا إلا أن نشترى
لسانك ؛ وأتى على الشعر كلّهُ ، فاستحسنته عائشة ، وأمرت له بخمسة آلاف درهم
وأثواب ، وقالت : زدني ، فغنّاها في قول الحارث بن خالد أيضاً :

زعموا بأنّ الين بعد غدٍ فالقلب مما أحدثوا يَجِفُّ
والعين منذ أجدّ بينهم مثل الجمان دموعها تكِفُّ
ومقالها ودموعها سُجُمٌ أقلّ حنينك حين تنصرفُ

(١) ذكر ياقوت في معجمه عسفان فقال : قال أبو منصور : عسفان منهلة من مناهل الطريق
بين الجحفة ومكة ، وقال غيره : عسفان بين المسجدين وهي من مكة على مرحلتين ، وقيل : عسفان
قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلاً من مكة وهي حدّ تهامة .

تشكو ونشكو ما أشت بنا كل بوشك البين مغترف

- إيقاع هذا الصوت ثقیلٌ أولٌ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن الهشامي ، ولم يذكر له حمادٌ طريقاً - قال : فقالت له عائشة : يا غريض ، بحقي عليك أهو أمرك أن تغتني في هذا الشعر ؟ فقال : لا ، وحياتك يا سيدي ! فأمرت له بخمسة آلاف درهم ، ثم قالت له : غتني في شعر غيره ؛ فغناها قول عمر فيها :

صوت

أجمعت خلتي مع الفجر بينا جلل الله ذلك الوجه زينا
أجمعت بينها ولم نك منها لذة العيش والشباب قضينا
فتولت حمولها وأستقلت لم ننل طائلاً ولم نقض ديناً
ولقد قلت يوم مكة لما أرسلت تقرأ السلام علينا
أنعم الله بالرسول الذي أرسل والمرسل الرسالة عينا

- الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء للغريض خفيفٌ ثقیلٌ بإطلاق الوتر في مجرى البصر عن إسحاق ، وغيره ينسبه الى ابن سريج . وفيه لمبعدٌ خفيفٌ ثقیلٌ بالوسطى عن عمرو ، وأظنه هذا اللحن - قال : فضحكت ثم قالت : وأنت يا غريض فأنعم الله بك عينا ، وبأبن أبي ربيعة عينا ، لقد تلطفت حتى أدبت إلينا رسالته ، وإن وفاءك له لماً يزيدنا رغبةً فيك وثقةً بك . وقد كان عمر سأل

(١) أشت بنا : فرق أمرنا .

(٢) البين : الفراق . وأجمعت بينا : اعتزمته وصممت عليه .

(٣) جلال : عم ، ومنه المجلل : للسحاب الذي يجلل الأرض بالمطر أي يعمها .

(٤) ورد هذا البيت في اللسان ج ١٦ ص ٦٠ هكذا :

أنعم الله بالرسول وبالمرسل والحامل الرسالة عينا

والرسول في هذه الرواية : اسم بمعنى الرسالة ، وأصله مصدر وفعله ممت .

الغريض أن يغنيها هذا الصوت لأنه قد كان ترك ذكرها لما غضبت بنو تميم من ذلك ، فلم يجب التصريح بها وكره إغفال ذكرها ؛ وقال له عمر : إن أبلغتها هذه الأبيات في غناء فلئك خمسة آلاف درهم ، فوفى له بذلك ، وأمّرت له عائشة بخمسة آلاف درهم أخرى ؛ ثم أنصرف الغريض من عندها فلقبي عاتكة بنت يزيد بن معاوية امرأة عبد الملك بن مروان ، وكانت قد حجّت في تلك السنة . فقال لها جوارها : هذا الغريض ؛ فقالت لهن : عليّ به ، فجيء به اليها . قال الغريض : فلما دخلت سلمت فردت عليّ وسألتني عن الخبر ، فقصصته عليها ؛ فقالت : غنّني بما غنيتها به ، ففعلت فلم أرها تهشّ لذلك ، فغنيتها معرّضاً لها ومذكراً بنفسي في شعر مرة بن محكان السعديّ يُخاطب أمراًته وقد نزل به أضيف :

أقولُ والضَّيفُ مَحْشِيٌّ ذِمَامَتُهُ على الكريمِ وحقُّ الضيفِ قد وجبا

صوت

يا رَبَّةَ البيتِ قومي غيرَ صاغرةٍ ضَمِّي اليك رِحالَ القومِ والقِرَبَا
في ليلةٍ من مُجَادَى ذاتِ أُنْدِيَةِ لا يُبصرُ الكلبُ من ظَلَمائها الطُّبَا
لا يَنْبَحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ حتى يَلْفَ على خَيْشومه الدُّبَا

- الشعر لمرة بن محكان السعديّ ، والغناء لابن سريج . ذكر يونس أن فيه ثلاثة ألحان ، فوجدت منها واحداً في كتاب عمرو بن بانه رملًا بالوسطى ، والآخر في كتاب الهشاميّ خفيف ثقيل بالوسطى ، والآخر ثانيّ ثقيل في كتاب أحمد بن المكيّ - قال : فقالت وهي متبسّمة : قد وجب حقك يا غريض ، فغنيتها :

(١) الذمّامة (بالفتح وتكسر) : الذمة والعهد .

(٢) أندية : جمع ندى (وزان فتى) ، وهو ما يسقط بالليل ، وهذا الجمع شاذ ، لأن أفعلة إما يكون جمعاً لما كان ممدوداً مثل كساء وأكسية .

صوت

يا دهرُ قد أَكْثَرْتَ فَجَعْتَنَا بَسْرَاتِنَا وَوَقَرْتَ^١ فِي الْعَظَمِ
وَسَلَبْتَنَا مَا لَسْتَ مُخْلِفَهُ يا دهرُ مَا أَنْصَفْتَ فِي الْحُكْمِ
لو كَانَ لِي قِرْنٌ أَنَا ضِلَّهُ مَا طَاشَ عِنْدَ حَفِيزَةِ سَهْمِي^٢
لو كَانَ يُعْطِي التَّصْفَ^٣ قَلْتُ لَهُ أَحْرَزْتَ سَهْمَكَ فَأَلَهُ عَنِ سَهْمِي^٤

فَقَالَتْ : نَعْطِيكَ التَّصْفَ وَلَا نُضَيِّعُ سَهْمَكَ عِنْدَنَا ، وَنُجْزِلُ لَكَ قِسْمَكَ ، وَأَمَرْتُ
لِي بِخَمْسَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَثِيَابٍ عَدَنِيَّةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَطَافِ ، وَأَتَيْتُ الْحَارِثَ
أَبْنُ خَالِدٍ فَأَخْبَرْتَهُ الْخَبَرَ وَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ؛ فَأَمَرَ لِي بِمِثْلِ مَا أَمَرْتَا لِي بِهِ جَمِيعاً ،
فَأَتَيْتُ أَبْنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَأَعْلَمْتُهُ بِمَا جَرَى ، فَأَمَرَ لِي بِمِثْلِ ذَلِكَ ، فَمَا أَنْصَرَفَ وَاحِدٌ مِنْ
ذَلِكَ الْمَوْسَمِ بِمِثْلِ مَا أَنْصَرَفْتُ بِهِ ، بِنَظَرَةٍ مِنْ عَائِشَةَ وَنَظَرَةٍ مِنْ عَاتِكَةَ وَهُمَا مِنْ
أَجْمَلِ نِسَاءِ عَالَمِهِنَّ ، وَبِمَا أَمَرْتَا لِي بِهِ ، وَبِالْمَنْزِلَةِ عِنْدَ الْحَارِثِ وَهُوَ أَمِيرُ مَكَّةَ ، وَأَبْنُ
أَبِي رَبِيعَةَ ، وَمَا أَجَازَانِي بِهِ جَمِيعاً مِنَ الْمَالِ .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْمَوْزِيَّ قَالَ
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ عَنْ يُونُسَ قَالَ :

لَمَّا حَجَّتْ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ أُرْسِلَ إِلَيْهَا الْحَارِثُ بْنُ خَالِدٍ وَهُوَ أَمِيرُ مَكَّةَ :
أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ عَلَيْنَا وَحَيَّاكَ ، وَقَدْ أَرَدْتُ زِيَارَتَكَ فَكَرِهْتُ ذَلِكَ إِلَّا عَنْ أَمْرِكَ ،
فَإِنْ أَذِنْتَ فِيهَا فَعَلْتُ ؛ فَقَالَتْ لِمَوْلَاةِهَا جَزَلَةٌ^٥ : وَمَا أَرُدُّ عَلَى هَذَا السَّفِينَةِ ،
فَقَالَتْ لَهَا : أَنَا أَكْفِيكَ ، فَخَرَجَتْ إِلَى الرَّسُولِ وَقَالَتْ لَهُ : أَقْرَأْ عَلَيْهِ السَّلَامَ ، وَقُلْ

(١) وقر العظم : صدعه .

(٢) النصف مثله : اسم بمعنى الانتصاف .

(٣) السهم : النصيب والحظ ، والسهم في البيت الذي قبله : ما يرمى به وهو واحد النبل .

(٤) الجزلة : العاقلة الأصيلة الرأي .

له : وأنت أنعم الله بك عينا وحيآك ، نقضي نُسْكنا ثم يأتيك رسولنا إن شاء الله ، ثم قالت لها : قومي فطوفي وأسعي وأقضي عُمرتك وأخرجني في الليل ، ففعلت ؛ وأصبح الحارثُ فسأل عنها فأخبر خبرها ، فوجه إليها رسولا بهذه الآيات ، فوجدوها قد خرجت عن عمل مكة ، فأوصل الكتاب إليها ، فقالت لمولاتها : خذيه فإني أظنه بعض سفاهاته ، فأخذته وقرأته وقالت له : ما قلنا إلا سَدَدًا وأنت فارغ للبطالة ، ونحن عن فراغك في شغل .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب ابن نصر المهلبي وإسماعيل بن يونس السَّعِيّ قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : زعم كلثوم بن أبي بكر بن عمر بن الضحَّاك ابن قيس الفهري قال :

قدم المدينة قادمٌ من مكة فدخل على عائشة بنت طلحة ، فقالت له : من أين أقبل الرجل ؟ قال : من مكة ، فقالت : فما فعل الأعرابي ؟ فلم يفهم ما أرادت ، فلما عاد الى مكة دخل على الحارث ، فقال له : من أين ؟ قال : من المدينة ، قال : فهل دخلت على عائشة بنت طلحة ؟ قال : نعم ، قال : فعماذا سألتك ، قال : قالت لي : ما فعل الأعرابي ، قال له الحارث : فعد إليها ولك هذه الراحلة والحلة ونفقتك لطريقك وأدفع إليها هذه الرقعة ، كتب إليها فيها :

صوت

من كان يسأل عنا أين منزلنا فالأقحوانة^١ منا منزل قمن^٢

(١) ويروى : « سداداً » . والسدد والسداد في القول : أن يكون صواباً .

(٢) البطالة (بفتح الباء) : اتباع اللهو .

(٣) الأقحوانة : موضع قرب مكة . قال الأشمي : هي بين بئر ميمون الى بئر ابن هشام .

(٤) القمن (بالتحريك) : الخلق والجدير كالقمن (بكسر الميم) إلا أن الأول لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث ، لأنه مصدر وصف به بخلاف الثاني فإنه نعت ، ويعدى بالباء ومن ، يقال : هو قمن به ومنه ، وهذا المنزل لك موطن قن أي جدير أن تسكنه . ويحتمل أن يكون « قمن » في البيت بمعنى قريب .

إِذْ نَلَبَسَ الْعَيْشَ صَفْوًا مَا يَكْدَرُهُ طَفَنُ الْوُشَاةِ وَلَا يَنْبُو بِنَا الزَّمَنُ

قال إسحاق : وزادني غيرُ كلثوم فيها :

لَيْتَ الْهَوَى لَمْ يَقْرَبْنِي إِلَيْكَ وَلَمْ أَعْرِفَكَ إِذْ كَانَ حَظِي مِنْكُمْ الْحَزَنُ

غنى في هذه الأبيات ابنُ مُحَرَّرٍ خفيفٌ ثَقِيلٌ بِإِطْلَاقِ الْوَتَرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ
عَنِ إِسْحَاقَ، وَذَكَرَ يُونُسُ أَنَّ فِيهَا لَحْنًا وَلَمْ يُجَيِّسْهُ، وَذَكَرَ عَمْرُو أَنَّ فِيهِ لَبَابُؤِيَّةً ثَانِيَةً
ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ .

غضب على الغريض :

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ :

لَمَّا وَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ الْحَارِثُ بْنُ خَالِدِ الْمَخْزُومِيَّ مَكَّةَ بَعَثَ إِلَى
الْغَرِيضِ فَقَالَ لَهُ : لَا أَرَيْتَكَ فِي عَمَلِي، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يَطْلُبُهُ وَيَسْتَدْعِيهِ فَلَا
يُجِيبُهُ، فَخَرَجَ الْغَرِيضُ إِلَى نَاحِيَةِ الطَّائِفِ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَارِثُ فَرَقَّ لَهُ فَرْدُهُ وَقَالَ
لَهُ : لِمَ كُنْتَ تُبَغِضُنَا وَتَهْجُرُ شِعْرَنَا وَلَا تَقْرُبُنَا؟ قَالَ لَهُ الْغَرِيضُ : كَانَتْ هَفْوَةٌ
مِنْ هَفْوَاتِ النَّفْسِ، وَخَطَرَةٌ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ، وَمِثْلُكَ وَهَبَ الذَّنْبَ، وَصَفَحَ
عَنِ الْجُرْمِ، وَأَقَالَ الْعَاثِرَةَ، وَغَفَرَ الزَّلَّةَ، وَلَسْتُ بِعَائِدٍ إِلَى ذَلِكَ أَبَدًا؛ قَالَ : وَهَلْ
غَنَيْتَ فِي شَيْءٍ مِنْ شِعْرِي؟ قَالَ : نَعَمْ، قَدْ غَنَيْتُ فِي ثَلَاثَةِ أَصْوَاتٍ مِنْ شِعْرِكَ،
قَالَ : هَاتِ مَا غَنَيْتَ، فَغَنَيْتُ :

صوت

بَانَ الْخَلِيطُ فَمَا عَاجُوا وَلَا عَدَلُوا إِذْ وَدَّعُوكَ وَحَنَّتْ بِالنَّوَى الْإِبِلُ

(١) فِي عَمَلِي أَيِ فِي الْبَلَدِ الَّذِي تَحْتَ حَكْمِي .

كَأَن فِهِم غِدَاةَ الْبَيْنِ إِذ رَحَلُوا أَدْمَاءُ طَاعَ لَهَا الْحَوْذَانُ^١ وَالنَّقْلُ^٢
 - الْغِنَاءُ لِلْغَرِيضِ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ وَحَبَشَ؛ قَالَ حَبَشَ: وَفِيهِ
 لِأَبْنِ سُرَيْجٍ خَفِيفُ رَمَلٍ بِالْبَنْصَرِ، وَلَا إِسْحَاقَ ثَانِي ثَقِيلُ بِالْبَنْصَرِ - فَقَالَ لَهُ:
 أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا غَرِيضُ، هَاتِ مَا غَنَيْتَ فِيهِ أَيْضاً مِنْ شَعْرِي، فغَنَاهُ فِي قَوْلِهِ:

صوت

يَا لَيْتَ شَعْرِي وَكَمْ مِنْ مُنِيَّةٍ قُدِرَتْ وَفَقَا وَأُخْرَى أَتَى مِنْ دُونِهَا الْقَدَرُ
 وَمُضْمَرِ الْكَشْحِ يَطْوِيهِ الضَّجِيعُ لَهُ طَيِّ الْجَمَالَةِ لَا جَافٍ وَلَا فَقْرُ^٣
 لَهُ شَبِيهَانِ لَا نَقْصُ يَعْيِيهِمَا بَحِثْ كَانَا وَلَا تُطُولُ وَلَا قِصَرُ
 - لَمْ أَعْرِفْ لِهَذَا الشَّعْرَ لَحْنًا فِي شَيْءٍ مِنَ الْكُتُبِ وَلَا سَمِعْتُهُ - فَقَالَ لَهُ الْحَارِثُ:
 أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا غَرِيضُ، إِيَّاهُ، وَمَاذَا أَيْضاً؟ فغَنَاهُ قَوْلَهُ:
 عَقَّتِ الدِّيَارُ فَمَا بِهَا أَهْلُ خَزَانُهَا^٤ وَدِمَائُهَا السَّهْلُ
 إِنِّي وَمَا نَحَرُوا غِدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجِمَارِ تَوْدُهَا الْعُقْلُ^٥

(١) الأدماء: الظبية البيضاء يعلوها جُدَدٌ فِيهَا غَبْرَةٌ، وَقِيلَ هِيَ الْبَيْضَاءُ الْخَالِصَةُ الْبَيَاضُ، وَقِيلَ:
 هِيَ الَّتِي لَوْنُهَا كَلَوْنُ الْجِبَالِ.

(٢) يقال: طَاعَ لَهُ الْمَرْتَعُ: أَيِ اتَّسَعَ وَأَمَكَنَهُ رَعِيهِ مَتَى شَاءَ.

(٣) الحوذان: نَبْتُ سَهْلٍ حَلَوِ طَيِّبُ الطَّعْمِ.

(٤) النفل: نَبْتُ مَنْ أَحْرَارَ الْبَقُولِ نَوْرَهُ أَصْفَرُ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ.

(٥) الجمالة: عِلَاقَةُ السَّيْفِ.

(٦) الفقر: الْكَسِيرُ الْفَقَارُ، وَالْفَقَارُ: مَا انْتَضَدَ مِنْ عِظَامِ الصَّلْبِ مِنْ لَدُنِ الْكَاهِلِ إِلَى الْعَجَبِ.

(٧) خَزَانٌ - بَضْمُ الْحَاءِ وَكُسْرُهَا وَتَشْدِيدُ الزَّايِ - : جَمْعُ «حَزِيْزٍ» وَهُوَ مَوْضِعٌ مِنَ الْأَرْضِ
 كَثُرَتْ حِجَارَتُهُ وَغُلِظَتْ كَأَنَّهَا السَّكَاكِينُ، أَوْ هُوَ مَا غُلِظَ وَصَلَبَ مِنْ جِلْدِ الْأَرْضِ مَعَ إِشْرَافٍ
 قَلِيلٍ؛ وَفِي قَصِيدَةِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ:

تَرْمِي الْغُيُوبَ بَعِيْنِيْ مَفْرَدٍ لَهَقٍ إِذَا تَوَقَّدَتْ الْخَزَانُ وَالْمِيلُ

(٨) الدماث: السُّهولُ مِنَ الْأَرْضِ.

— الأبيات المذكورة وقد مضت نسبتها معها — فقال له الحارث : يا غريضُ لا لومَ في حبك، ولا عذرَ في هجرِك، ولا لذةَ لمن لا يروِّحَ قلبه بك، يا غريض لو لم يكن لي في ولايتي مكةَ حظٌّ إلا أنتَ لكان حظاً كافياً وافياً، يا غريض إنما الدنيا زينة، فأزَيْنُ الزينة ما فرَّحَ النفس، ولقد فهمَ قَدَرَ الدنيا على حقيقته من فهمَ قَدَرَ الغناء .

أخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير عن مُصعب الزُّبيريّ قال :

أُنشِدْتُ سُكَيْنَةَ بنتَ الحسين قولَ الحارث بن خالد :

ففرَّغَن من سَبْعٍ وقد جُهِدَتْ أَحشاؤهن موائِلَ الخمرِ

فقلت : أَحَسَنُ عندكم ما قال ؟ قالوا : نعم، فقالت : وما حُسْنُهُ ! فوالله لو طافت الإبل سَبْعاً لَجُهِدَتْ أَحشاؤها .

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن كلثوم بن أبي بكر قال :

لما مات عمر بن عبد الله التَّيْمِيّ عن عائشة بنت طلحة وكانت قبله عند مُصعب بن الزبير قيل للحارث بن خالد : ما يمنعك الآن منها ؟ قال : لا يتحدث والله رجالٌ من قريش أنّ نسيبي بها كان لشيء من الباطل .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمي عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال :

لما خرج ابنُ الأشعث على عبد الملك بن مروان سُغِلَ عن أن يولِّيَ على الحجّ رجلاً، وكان الحارثُ بن خالد عامِله على مكة، فخرج أبانُ بن عثمان من المدينة وهو عامله عليها، فغدا على الحارث بمكة ليُخجَّ بالناس؛ فنازعه الحارثُ وقال له : لم يأتني كتابُ أمير المؤمنين بتوليّتك على المَوسِم، وتعالبا فغلبه أبانُ بن عثمان بنسبه، ومال إليه الناسُ فحجَّ بهم؛ فقال الحارث بن خالد في ذلك :

فإن تنج منها يا أبان مسلماً فقد أفلت الحجاج خيل شبيب
وكاد غداة الدير يُنفذ حُضنه غلام بطعن القرن جد طيب
وأنسوه وصف الدير لما رأهم وحسن خوف الموت كل معيب

فلقيته الحجاج بعد ذلك، فقال: مالي ولك يا حارث! أينازعك أبان عملاً فتذكرني!
فقال له: ما أعتدت مساءتك ولكن بلغني أنك أنت كاتبته، قال: والله ما
فعلت، فقال له الحارث: المَعْدرة إلى الله وإليك أبا محمد.

هذا كلام معان:

نسخت من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات: حدثني عمرو بن سلم
قال حدثني هارون بن موسى القروي قال حدثني موسى بن جعفر أن يحيى قال
حدثني مؤدب لبني هشام بن عبد الملك قال:

بينما أنا ألقى على ولد هشام شعر قريش إذ أنشدتهم شعر الحارث بن خالد:
إن أمراً تعاده ذكرٌ منها ثلاث مني لذو صبر

وهشام مضغ إليّ حتى ألقيت عليهم قوله:

ففرغن من سنع وقد جهدت أحشاؤهن موائل الخمر

فأنصرف وهو يقول: هذا كلام معان.

عائشة في العمرة:

أخبرني محمد بن خلف بن الكرزبان قال حدثني أبو عبد الله السدوسي قال
وحدثنا أبو حاتم السجستاني قال أخبرنا أبو عبيدة قال:

(١) هو دير الجماجم، وفيه كانت الوقعة بين الحجاج بن يوسف وعبد الرحمن بن الأشعث.

قدِمتْ عائشةُ بنت طلحة مكة تريد العمرة، فلم يزل الحارث يدور حولها
وينظر اليها ولا يُمكنه كلامها حتى خرجت، فأنشأ يقول - وذكر في هذه
الآيات بُسرة حاضنتها وكنتي عنها - :

صوت

يا دارُ أَقْفَرِ رَسْمُها بين المَحْصَبِ والحجونِ^١
أَقْوَتُ وَغَيْرَ آيِها مرُّ الحوادثِ والسَّنينِ
وَأَسْتَبْدَلُوا ظَلْفُ الحجا ز وُسْرَةَ^٢ البلدِ الأَمينِ
يا بُسرِ إني فَأَعْلَمِي باللهِ مَجْتَهِداً يَمِينِي
ما إِنْ صَرَمْتُ حِبالَكم فَصِلِي حِبالِي أَوْ ذَرِينِي

في هذه الآيات ثاني ثقل لمالك بالبصرة عن الهشامي وحَبَشٍ، قال : وفيها
لأَبْنِ مَسْجَحٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ، وذكر أحمد بن المكي أَنَّ فيها لأَبْنِ سَرِيحٍ رملاً بالبصرة؛
وفيها لمعبد ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى عن حَبَشٍ .

شَبَّ بِزَوْجَتِهِ :

أَخْبَرَنِي الطُّوسِيُّ وَالْحَرَمِيُّ بَنِ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ
حَدَّثَنِي مُصْعَبُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ مُصْعَبِ بْنِ عُروَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَأَخْبَرَنِي بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ
خَلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ زُهَيْرٍ عَنْ مُصْعَبِ الزُّبَيْرِيِّ قَالَ :

(١) المحصب : موضع فيما بين مكة ومنى وهو الى منى أقرب .

(٢) الحجون : جبل بأعلى مكة، وقال السكري : مكان من البيت على ميل ونصف ميل
(انظر معجم البلدان لياقوت في اسم الحجون) .

(٣) الظلف : ما لان من الارض، وقيل : ما صلب وغلظ منها، وفي ذلك أقوال كثيرة .

(٤) سرّة البلد : وسطه .

كانت أم عبد الملك بنت عبد الله بن خالد بن أسيد عند الحارث بن خالد، فولدت منه فاطمة بنت الحارث، وكانت قبله عند عبد الله بن مطيع، فولدت منه عمران ومحمد، فقال فيها الحارث وكنّاها بأبنها عمران :

يا أم عمران ما زالت وما برحت بي الصباية حتى شفي الشفق^١
القلب تاق اليكم كي يلاقكم كما يتوق إلى منجاةه الفرق^٢
تنبيل تزرأ قليلاً وهي مشفقة^٣ كما يخاف ميس الحية الفرق^٢

قال مصعب بن عثمان : فأنشد رجل يوماً بحضرة أبنها عمران بن عبد الله بن مطيع هذا الشعر، ثم فطن فأمسك؛ فقال له : لا عليك، فإنها كانت زوجته . وقال ابن المرزبان في خبره : فقال له : امض رحك الله وما بأس بذلك، رجل تروج بنت عمه وكان لها كفناً كريماً فقال فيها شعراً بلغ ما بلغ، فكان ماذا ! .

شبيب بام بكر :

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن عبد الرحمن التميمي عن أبي شعيب الأسدي عن القحذمي قال :

بينما الحارث بن خالد واقف على حجرة العقبة إذ رأى أم بكر وهي ترمي الحجرة فرأى أحسن الناس وجهاً، وكان في خدّها خالٌّ ظاهر، فسأل عنها فأخبر بأسمها حتى عرف رَحَلها، ثم أرسل إليها يسألها أن تأذن له في الحديث، فأذنت له، فكان يأتيها يتحدث إليها حتى أنقضت أيام الحج، فأرادت الخروج إلى بلدها، فقال فيها :

ألا قل لذات الخال يا صاح في الحدّ تدوم إذا بانت على أحسن العهد

(١) الشفق : رقة من حب تؤدّي الى خوف .

(٢) الفرق : بكسر الراء ككتف وبضمها كرجل : الشديد الفزع، وقيل يقال : رجل فرق (بكسر الراء) اذا فزع من الشيء وليس من جبلته، ورجل فرق (بضمها) اذا فزع وكان منه الفزع جبلة .

ومنها علاماتٌ بمجرى وشاحها وترعى من الودّ الذي كان بيننا
وقل قد وعدت اليوم وعداً فأجزى وجودي عليّ اليوم منك بنائل
فمن ذا الذي يُبدي السرور إذا دنت دنوكمُ منّا رخاء نناله
كثير إذا تدنو أعتباطي بك النوى أقول ودمعي فوق خدي مُحْضِلٌ
لقد منح الله البخيلة ودناً وأخرى ترين الجيد من موضع العقد
فما يستوي راعي الأمانة والمبدي ولا تُخلفني، لا خير في مُخلف الوعد
ولا تبخني، قدّمتُ قبلك في اللحد بك الدار أو يُعنى بنائكم بعدي
ونائكم والبعدُ جهدٌ على جهدٍ ووجدي إذا ما ينتم ليس كالوجد
له وشلٌّ قد بلّ تَهْتَانُهُ خدي وما مُنحت ودّي بدعوى ولا قصد

شَبَّ بَلِيلِي :

أخبرني محمد بن خلف قال وحدثت عن المدائني ولست أحفظ من حدثني به قال :

طافت ليلي بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود وأُمّها ميمونة بنت أبي سفيان
أبن حرب بالكعبة، فرآها الحارث بن خالد فقال فيها :

أطافت بنا شمسُ النهار ومن رأى من الناس شمساً بالعشاء تطوفُ
أبو أمّها أوفى قريشٍ بذمةٍ وأعمامها إماً سألتَ ثقيفُ

وفيها يقول :

(١) مُحْضِلٌ : مندٍ .

(٢) الوشل : الماء الكثير أو القليل فهو من أسماء الأضداد، والمراد به هنا الكثير .

أَمِنْ طَلَلٍ بِالْجُرْعِ مِنْ مَكَّةِ السِّدْرِ عفا بين أكناف المُشَقَّرِ فَالْحَضِرِ
ظَلَلَتْ وَظَلَّ الْقَوْمُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ لَدُنْ غُدُوَةٍ حَتَّى دَنَتْ حَزَّةُ الْعَصْرِ
يُبْكُونُ مِنْ لَيْلَى عَهْدًا قَدِيمَةً وَمَاذَا يُبْكِي الْقَوْمُ مِنْ مَنْزِلِ قَفَرِ

الغناء في هذه الأبيات لآبَن سُرَيْج ثاني ثَقِيل بِالْحَنْصَرِ وَالْبَنْصَرِ عَنْ يَحْيَى الْمَكِّي، وَذَكَرَ غَيْرُهُ أَنَّهُ لِلْغَرِيضِ . وَفِي لَيْلَى هَذِهِ يَقُولُ - أُنْشَدَنَاهُ وَكَيْعٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلِيبٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُنْذِرِ الْحِزَامِيِّ لِلْحَارِثِ بْنِ خَالِدٍ، وَفِي بَعْضِ الْأَبْيَاتِ غَنَاءُ - :

صوت

لَقَدْ أَرْسَلْتُ فِي السَّرِّ لَيْلَى تَلُومَنِي وَتَرْعُمَنِي ذَا مَلَّةٍ طَرِفًا جَلْدَا
وَقَدْ أَخْلَفْتُنَا كُلَّ مَا وَعَدْتُ بِهِ وَوَاللَّهِ مَا أَخْلَفْتُهَا عَامِدًا وَعَدَا

(١) كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسخِ، وَلَمْ يَظْهَرْ لَنَا وَجْهٌ لِإِضَافَةِ مَكَّةَ إِلَى السِّدْرِ لِأَنَّ يَرَادُ أَنَّهَا تَنْتَبَهُ، عَلَى أَنَّهُ ذَكَرَ فِي يَاقُوتَ فِي الْكَلَامِ عَلَى مَكَّةَ : « إِنْ لَيْسَ بِهَا شَجَرٌ مِثْلُ شَجَرِ الْبَادِيَةِ فَذَا جَزَتْ الْحَرَمَ فَهَنَّاكَ عَيُونَ وَأَبَارَ وَحَوَائِطَ وَأُودِيَةَ ذَاتِ خَضَرٍ وَمَزَارِعَ وَنَخِيلَ، وَأَمَّا الْحَرَمُ فَلَيْسَ بِهِ شَجَرٌ مِثْلُ شَجَرِ الْبَادِيَةِ سِوَةِ مَتَفَرِّقَةٍ . وَبِحُجُوزٍ أَنْ تَكُونَ مَحْرُوقَةً عَنْ كَلِمَةِ « أَيْكَةٍ » .
(٢) الْمَشَقَّرُ، كَمَا فِي مَعْجَمٍ مَا اسْتَعْجَمَ لِلْبَكْرِيِّ : سَوْقُ الطَّائِفِ، وَذَكَرَ أَنَّ الْأَخْفَشَ رَوَى بَيْتَ أَبِي ذُؤَيْبٍ الْهَذَلِيَّ :

حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرْوَةٌ بِصَفَا الْمَشْرِقِ كُلِّ يَوْمٍ تَقْرَعُ

« بِصَفَا الْمَشَقَّرِ » : وَقَدْ رَوَى بَيْتَ أَبِي ذُؤَيْبٍ هَذَا بِهَذِهِ الرِّوَايَةِ (فِي كِتَابِ الْمُنْتَقَى فِي أَخْبَارِ أُمِّ الْقُرَى طَبَعَ أَوْرَبَا ص ٣) .

(٣) الْحَضَرُ : الْمُرَادُ بِهِ فِي هَذَا الْبَيْتِ : مَوْضِعُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَهُوَ الْمَذْكُورُ فِي شَعْرِ بَعْضِ الْهَذَلِيِّينَ : أَيْ أَلَيْتَ شَعْرِي هَلْ تَغْيِرُ بَعْدَنَا أَرْوَمَ وَأَرَامَ وَشَابَةَ وَالْحَضَرَ

(٤) لَدُنْ مِنَ الظُّرُوفِ الَّتِي تَجْرُ مَا بَعْدَهَا، وَقَدْ سَمِعَ نَصْبَ غُدُوَةٍ بَعْدَهَا وَهُوَ نَادِرٌ .

(٥) الْحَزَّةُ : السَّاعَةُ وَالْحَيْنَ، قَالَ سَاعِدَةُ بْنُ الْعَجَلَانَ :

وَرَمِيتُ فَوْقَ مِثْلَاءٍ مَحْبُوكَةٍ وَأَبْنَتُ لِلْأَشْهَادِ حَزَّةً أَدْعِي

(٦) الْطَرَفُ : مَنْ لَا يَثْبِتُ عَلَى صَاحِبٍ .

قُلتُ مُحبباً للرسول الذي أتى تُراه، لكَ الْوَيَالَتُ، من قولها جِدّاً؟
إذا جئتها فأقرّ السلامَ وقلْ لها دَعِيَ الْجُودَ ليلي وأسلُكي مِنْهَجاً قَصِداً
أني مُكثنا عنكم ليالٍ مَرَضَتْها تَريدُني ليلي على مَرَضِي جَهداً
تَعْدِينِ ذنباً واحداً ما جَنَيْتُهُ عليّ وما أَحْصِي ذُنُوبَكُمْ عِداً
فإن شئتِ حرمتُ النساءِ سِوَاكُمْ وإن شئتِ لَمْ أَطْعَمْ نَقَاحاً ولا بَرْداً
وإن شئتِ غُرنا بعدكم ثم لم نزل بمكةَ حتى تَجْلِسِي قايلاً نَجداً

الغناء للغريض ثاني ثقیلہ بالسبابة في مجرى الوسطى . وذكر ابنُ المكيّ أن فيه لدحمانَ ثانيَ ثقیل بالوسطى لا أدري أهذا أم غيره . وفيه ثقیلٌ أولٌ للأجر عن يونس والهشامي . وفيه لأبنُ سُرَيْجٍ دَمَلٌ بالبصرة . ولعرار خفيفٌ ثقیل عن الهشامي وحَبَش .

أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني محمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا أبو الحسن المدائني قال :

كان الحارث بن خالد والياً على مكة ، وكان أبان بن عثمان ربما جاءه كتاب الخليفة أن يُصَلِّيَ بالناس ويُقيمَ لهم حَجَّهم ، فتأخر عنه في سنة الحرب كتابه ولم يأتِ الحارث كتابٌ ، فلما حضر الموسمُ شَخَّصَ أبان من المدينة ، فصلى بالناس وعاونته بنو أمية ومواليهم فقلب الحارث على الصلاة ، فقال :

فإن تنج منها يا أبانُ مسلماً فقد أفلتَ الحجاجَ خيلُ شبيب

فبلغ ذلك الحجاجَ فقال : ما لي وللحارث ! أَيْغَلِبُهُ أبان بنُ عثمان على الصلاة ويهتف

(١) النقاخ : الماء البارد العذب الصافي الخالص الذي يكاد ينقح - أي يكسر - الفؤاد ببرده ، هكذا ذكره صاحب اللسان واستشهد له بهذا البيت ونسبه إلى العرجي ، وفسر البرد في قوله : « ولا برداً » بالريق .

(٢) غار الرجل : أتى الغور .

(٣) جلس الرجل : أتى نجداً ، ومنه قول القائل :

قل للغزوق والسفاهة كاسها إن كنت تاركاً ما أمرتك فاجلس

بي أنا! ما ذِكرُهُ إِيَّاي! فقال له عُبيد بن مَوْهَب: أَتَأْذَنُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ فِي إِجَابَتِهِ وَهَجَائِهِ؟ قال: نعم؛ فقال عبيد:

أَبَاوَابِصِ رَكِبَ عَلَاتِكَ^١ وَأَلْتَمِسُ مَكَاسِبَهَا إِنْ اللَّثِيمُ كَسُوبُ
وَلَا تَذْكُرِ الْحَجَّاجَ إِلَّا بِصَالِحٍ فَقَدْ عِشْتَ مِنْ مَعْرُوفِهِ بِذَنْوَبٍ^٢
وَلَسْتُ بِوَالٍ مَا حَيْتَ إِمَارَةً لُمُسْتَخْلَفٍ إِلَّا عَلَيْكَ رَقِيبُ

قال المدائني: وبلغني أَنَّ عبد الملك قال للحارث: أَيُّ الْبِلَادِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟
قال: مَا حَسُنْتَ فِيهِ حَالِي وَعَرُضُ وَجْهِ، ثُمَّ قَالَ:

لَا كُوفَةٌ أُمِّي وَلَا بَصْرَةٌ أَبِي وَلَسْتُ كَمَنْ يَثْنِيهِ عَنْ وَجْهِهِ الْكَسَلُ^٣

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

منها في تشبيب الحارث بأمرأته أمِّ عِمْرَانَ:

صوت

بَانَ الْخَلِيطُ الَّذِي كُنَّا بِهِ نَثِقُ بَانُوا وَقَلْبُكَ مَجْنُونٌ بِهِمْ عَلِقُ
تُنِيلُ تَزْرَأُ قَلِيلًا وَهِيَ مُشْفَقَةٌ كَمَا يَخَافُ مَسِيسَ الْحَيَّةِ الْفَرَقُ
يَا أُمَّ عِمْرَانَ زَالَتْ وَمَا بَرِحَتْ بِي الصَّبَابَةُ حَتَّى شَقَّنِي الشَّقَقُ
لَا أَعْتَقُ اللَّهَ رَقِّي مِنْ صَبَابَتِكُمْ مَا ضَرَّنِي أَنْنِي صَبُّ بَكْمِ قَلِقُ

(١) العلاة في الأصل: الزبرة التي يضرب عليها الحداد الحديد، وتطلق أيضاً على الناقة تشبيهاً لها بالزبرة في صلابتها.

(٢) الذنوب: الحظ والنصيب، وفي هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروي.

(٣) دخل على هذا البيت الحزم وهو سقوط حركة من أوله.

ضَحِكْتَ عَنْ مُرْهَفِ الْأَنْيَابِ ذِي أُشْرِ^٢ لَا قَضَمَ^٣ فِي ثَنَائِهِ وَلَا رَوَقُ^٤
يَتَوَقُّ قَلْبِي إِلَيْكُمْ كَمَا يَتَوَقُّ إِلَى مَنَاجَاتِهِ الْغَرَقُ

غَنَى ابْنُ مُحَرِّزٍ فِي الثَّالِثِ ثُمَّ السَّادِسِ ثُمَّ الْخَامِسِ ثُمَّ الثَّانِي، وَلَحْنُهُ مِنَ الْقَدْرِ
الْأَوْسَطِ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوُسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ، وَلِلْغَرِيضِ
فِي الرَّابِعِ وَالثَّانِي وَالثَّالِثِ وَالسَّادِسِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو، وَلِسَلْسَلٍ
فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي ثَقِيلٌ أَوَّلٌ مُطْلَقٌ عَنْ الْهَشَامِيِّ، وَلَا ابْنَ سُرَيْجٍ فِي الثَّانِي وَالْأَوَّلِ
وَالرَّابِعِ وَالْخَامِسِ رَمَلٌ بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ، وَلِلْهَذَلِيِّ فِي الثَّانِي
ثُمَّ الْأَوَّلِ هَزَجٌ عَنْ الْهَشَامِيِّ. وَذَكَرَ حَبَشٌ أَنَّ فِيهَا لِابْنِ سُرَيْجٍ ثَانِي ثَقِيلٌ
بِالْوُسْطَى، وَلَا ابْنَ مُحَرِّزٍ ثَانِي ثَقِيلٌ آخِرٌ بِالْبَنْصَرِ. وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّ لِابْنِ سُرَيْجٍ
فِي الْأَبْيَاتِ خَفِيفَ رَمَلٍ.

وَمِمَّا يَغْنَى فِيهِ مِنْ شِعْرِ الْحَارِثِ بْنِ خَالِدٍ فِي عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ تَصْرِيحًا وَتَعْرِيزًا
بِبُسْرَةٍ جَارِيَتِهَا :

صوت

يَا رُبْعَ بُسْرَةٍ بِالْجَنَابِ تَكَلَّمْ وَأَيْنَ لَنَا خَبْرًا وَلَا تَسْتَعْجِمِ
مَالِي رَأَيْتُكَ بَعْدَ أَهْلِكَ مُوَحِّشًا خَلَقًا كَحَوْضِ الْبَاقِرِ الْمُتَهَدِّمِ
تَسْبِي الضَّجِيعِ إِذَا النُّجُومُ تَغَوَّرَتْ طَوْعُ الضَّجِيعِ أُنَيْقَةُ الْمُتَوَسِّمِ

(١) الأثر : حدة ورقة تكون في الاسنان .

(٢) القضم (بفتحين) : انصداع في السن وقيل : تلم وتكسر في أطراف الاسنان، وفي رواية :
« لا قضم » بالصاد المهملة والقضم (بفتحين) : انشقاق السن عرضاً، يقال : قصمت سنه قصماً أي
انشقت عرضاً، ورجل أقضم الثنايا إذا كان متكسرها من النصف، وفي رواية : « مقضم » وهو مصدر
ميمي من قصمت الاسنان أي تكسرت وتفللت . وفي هذا الشطر « الطي » وهو هنا ذهاب الرابع
الساكن من « مستفعلن » الأولى .

(٣) الروق : أن تطول الثنايا العليا على السفلى، وهو عيب في الاسنان .

(٤) الباقر : جماعة البقر .

قُبُّ البطون أو انسٌ مثلُ الدُّمى يَخْلُطن ذاك بَعْقَةً وتكرُم

الغناء لمعبدٍ خفيفٌ رَمَلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . والأبياتُ أكثر
من هذه إلا أنني اعتمدتُ على ما غَنِّيَ فيه .

ومنها صوتٌ قد جُمعتُ فيه عدَّةُ طرائقَ وأصواتٍ في أبياتٍ من القصيدة :

أَعْرِفتَ أَطْلَالَ الرُّسومِ تَنَكَّرْتُ بَعْدِي وَبَدَلِ آيَهِنَّ دُثُوراً^١
وَتَبَدَّلْتُ بَعْدَ الْأُنَيْسِ بِأَهْلِهَا عُفْراً^٢ بَوَاغِمٍ^٣ يَرْتَعِينَ وَعُوراً
مِنْ كُلِّ مُصَيِّبَةِ الْحَدِيثِ تَرَى لَهَا كَفَلاً كَرَابِيَةَ الْكَثِيبِ وَثِيراً
دَعُ ذَا وَلَكِنْ هَلْ رَأَيْتَ ظَعَانَنَا قَرَبْنَ أَجْالاً لَهِنَّ بُكُوراً
قَرَبْنَ كُلَّ خُحَيْسٍ^٤ مُتَحَمِّلٍ بُزْلاً^٥ نُشِيَهَ هَامَهِنَّ قُبُوراً
يَفْتَنَ لَا يَأْتُونُ كُلَّ مُغْفَلٍ يَمْلَأْنَهُ بِجَدِيثِهِنَّ سُرُوراً
يَا دَارُ حَسْرَهَا^٦ الْبَلَى تَحْسِيراً وَسَفَتْ عَلَيْهَا الرِّيحُ بَعْدَكَ بُوراً
دَقَّ التَّرَابُ^٧ نَحِيلُهُ فُخَيْمٍ بِعِرَاصِهَا وَمُسِيرَ تَسِيرِ
يَا رُبَّعَ بُسْرَةٍ إِنْ أَضَرَّ بِكَ الْبَلَى فَلَقَدْ عَهْدْتُكَ أَهْلاً مَعْمُوراً

(١) القُبُّ : جمع قُبَاء وهي الدقيقَةُ الخضر الضامرة البطن .

(٢) دُثْرُ الرِّسْمِ دُثُوراً : درس وبلي .

(٣) العُفْرُ جمع عُفْرَاء وهي من الظباء التي يعلو بياضها حمرة .

(٤) يقال : بَغَمْتُ الظبية بَغُوماً وبَغَمْتُ بَغَاماً : صاحَتْ إلى ولدها بأَرْخَمَ ما يكون من صوتها
فهي باغمة وبغوم .

(٥) الخُحَيْسُ : المذلل .

(٦) البزل : جمع بازل وهو البعير الذي فطر نابه بدخوله في السنة التاسعة .

(٧) حَسْرَهَا : أَضَرَّ بها وأذهب بهجتها .

عَقَبَ الرِّذَاذُ خِلَافَهُمْ فَكَأَنَّمَا بَسَطَ الشَّوَاطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرًا
 إِنَّ يُمِسَ جَبْلُكَ بَعْدَ طَوْلِ تَوَاصُلٍ خَلَقًا وَيُصْبِحُ بَيْنَكُمْ مَهْجُورًا
 فَلَقَدْ أَرَانِي، وَالْجَدِيدُ إِلَى يَلَى، زَمَنًا يَوْصِلُكَ قَانِعًا مَسْرُورًا
 جَذَلًا بِمَالِي عِنْدَكُمْ لَا أَبْتَغِي لِنَفْسٍ غَيْرَكَ خُلَّةً وَعَشِيرًا
 كُنْتُ الْمُنَى وَأَغْرَ مَنْ وَطَى الْحَصَا عِنْدِي وَكُنْتُ بِذَلِكَ مِنْكَ جَدِيرًا

غنى في الاول والثاني من هذه الأبيات معبد، ولحنه ثقيل أول بالبصر عن عمرو، مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق، وللغريض فيه ثقيل أول بالبصر عن عمرو، ولا إسحاق فيها ثاني ثقيل، ولا إبراهيم فيها وفي الثالث خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى عن ابن المكي، وغنى الغريض في الثالث والسادس والرابع والخامس ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وغنى معبد في السابع والثامن والعاشر خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى عن يحيى المكي، وفيها ثاني ثقيل ينسب إلى طويس وابن مسجح وابن سريج، ولمالك في التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى عن يحيى المكي، وفيها بأعيانها لابن سريج رمل بالسبابة والوسطى عن يحيى أيضاً، وليحيى المكي في الحادي عشر وما بعده إلى آخر الأبيات ثاني ثقيل، ولا إبراهيم فيها بعينها ثقيل أول عن الهشامي، وفيها لإسحاق رمل، وفي الثالث والرابع لحن لخليفة المكية خفيف رمل عن الهشامي أيضاً.

(١) كذا ورد في اللسان في مادة «عقب» ومادة «خلف» غير أنه ورد في مادة «خلف» هكذا: «عقب الربيع» فذكر «الربيع» بدل «الرذاذ». وفي الأصول: «عفت الرذاذ خلافة»، فالظاهر أن كلمة «عفت» معرفة عن «عقب» و«خلافة» معرفة عن «خلافة». و«خلافة» : بعدم. وفي اللسان أيضاً «نشط» بدل «بسط».

(٢) الشواطب : جمع شاطبة، والشاطبة من النساء : التي تشق الجريد لتعمل منه الحصير، قال مالك بن خالد :

إذا أدركوهم يلحفون سراتهم بضرب كما جد الحصير الشواطب

(٣) كذا في الأصول والبيان : الصلة والقراءة، ويحتمل أيضاً أن يكون «يبتكم» بالناء.

(٤) كذا في جميع النسخ، والمناسب للسياق «فيها» بالثنية كما هو ظاهر.

ومنها من أبيات قالها بالشأم عند عبد الملك أولها :

هل تعرفُ الدارَ أضحتَ آيها عجباً كالرقِ أجري عليها حاذقٌ قلماً
بالخيفِ هاجتِ شؤوناً غيرَ جامدةٍ فأنهلتِ العينُ تذرِي واكفاً سجياً
دارٌ لبُصرةٍ أمست ما تُكَلِّمنا وقد أبنتُ لها لو تعرفُ الكلماً
واهاً لبُصرةٍ لو يدنو الأميرُ بها يا ليت لبُصرةٍ قد أمست لنا أمماً

صوت

حَلَّتْ بِمَكَّةَ لَا دَارُ مُصَاقِبَةٌ هِيَهَاتَ جَيْرُونَ مَتَنَ يَسْكُنُ الْحَرَمَا
يَا بُسْرُ إِنَّكُمْ شَطَّ الْعِبَادُ بِكُمْ فَا تُنِيلُونَنَا وَصَلَا وَلَا نِعْمَا
غَنَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ الْهَذَلِيَّ ثَانِيَّ ثَقِيلٍ بِالْوَسْطَى، وَفِيهِمَا لِيَحْيَى الْمَكِّيَّ ثَقِيلٍ
أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ، جَمِيعاً مِنْ رَوَايَتِهِ :
قَدْ قُلْتُ بِالْخَيْفِ إِذْ قَالَتْ لَجَارَتَهَا أَدَامَ وَصَلُ الَّذِي أَهْدَى لَنَا الْكَلِمَا

صوت

لَا يُرْغَمُ اللَّهُ أَنْفًا أَنْتَ حَامِلُهُ بَلْ أَنْفُ شَانِيكَ فِيمَا سَرَّكَ رَغْمَا

(١) الرق : الصحيفة البيضاء، وهو أيضاً جلد رقيق يكتب فيه .

(٢) الشؤون : الدموع .

(٣) أمماً : قريبة .

(٤) مصاقبة : مقاربة .

(٥) جيرون : بناء عند باب دمشق يقال : إن الجن بنته في عهد سليمان بن داود، وهو سقيفة مستطيلة على عمد ومقائف وحوله مدينة تطيف به، وذكروا أن اسم الشيطان الذي بناه «جيرون» فسمي به . وقيل : إن أول من بنى دمشق جيرون بن سعد بن عاد بن إرم بن سام بن نوح وبه سمي «باب جيرون» وسميت المدينة «إرم ذات العماد» وفي ذلك أقوال كثيرة غير هذه . (راجع معجم البلدان لياقوت في اسم «جيرون») .

إِنْ كَانَ رَابِكُ شَيْءٍ لَسْتُ أَعْلَمُهُ مَتَى فَهَذَا يَمِينِي بِالرَّضَا سَلَامًا
أَوْ كُنْتُ أَحْبَبْتُ شَيْئًا مِثْلَ حَبْكُمُ فَلَا أُرْحَتُ إِذَا أَهْلًا وَلَا نَعْمًا
لَا تَكْلِينِي إِلَى مَنْ لَيْسَ يَرْحُمُنِي وَقَالَ مَنْ تُبْغِضِينَ الْحَتْفَ وَالسَّقْمَا
إِنْ الْوُشَاةُ كَثِيرٌ إِنْ أَطْعِمُهُمْ لَا يَرْقُبُونَ بِنَا إِلَّا وَلَا ذِمًّا
غَنَى ابْنُ مُحْرَزٍ فِي :

لَا يُرْغَمُ اللَّهُ أَنْفًا أَنْتَ حَامِلُهُ

خَفِيفَ ثَقِيلٍ بِالْبَنْصَرِ، وَلَا ابْنَ مَسْجَحٍ فِيهِ ثَانِي ثَقِيلٍ عَنْ حَبَشٍ، وَفِي :

لَا تَكْلِينِي إِلَى مَنْ لَيْسَ يَرْحُمُنِي

لَا ابْنَ مُحْرَزٍ ثَقِيلٍ أَوَّلَ بِالْبَنْصَرِ عَنْ حَبَشٍ وَالْهَشَامِيِّ .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْيَدٍ وَالْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى قَالَا أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ
عَنْ الزُّبَيْرِيِّ قَالَ :

أُذِّنَ الْمُؤَذِّنُ يَوْمًا وَخَرَجَ الْحَارِثُ بْنُ خَالِدٍ إِلَى الصَّلَاةِ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ عَائِشَةُ
أَبْنَةُ طَلْحَةَ : إِنَّهُ بَقِيَ عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْ طَوَافِي لَمْ أَتِمَّهُ، فَقَعَدَ وَأَمَرَ الْمُؤَذِّنِينَ فَكَفُّوا
عَنِ الْإِقَامَةِ وَجَعَلَ النَّاسُ يُصَيِّحُونَ حَتَّى فَرَّغَتْ مِنْ طَوَافِهَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ الْمَلِكِ
ابْنَ مِرَانَ، فَغَزَلَهُ وَوَلَّى مَكَّةَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ، وَكُتِبَ
إِلَى الْحَارِثِ : وَيْلَكَ، أَتَرَكْتَ الصَّلَاةَ لِعَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ ! فَقَالَ الْحَارِثُ : وَاللَّهِ لَوْ
لَمْ تَقْضِ طَوَافِهَا إِلَى الْفَجْرِ لَمَا كَبَّرْتُ؛ وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

لَمْ أَرْحَبْ بِأَنْ سَخِطْتَ وَلَكِنْ مَرْجَبًا أَنْ رَضِيتَ عَنَّا وَأَهْلًا
إِنَّ وَجْهًا رَأَيْتُهُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَيْهِ أَنْتَنِي الْجَمَالُ وَحَلًّا

(١) السلم : الاسم من التسليم .

(٢) فِي هَذَا الْبَيْتِ « الطِّي » وَهُوَ هُنَا حَذَفَ الرَّابِعَ السَّاكِنَ مِنْ « مُسْتَفْعِلِنَ » الْأَوَّلَى .

(٣) الْإِلَّ : الْعَهْد .

وجْهها الوجه لو يُسألُ به المُرُّ نٌ من الحسنِ والجمالِ أَسْتَهْلًا
 إنَّ عندَ الطَّوافِ حينَ أتته لجمالاً فَعَمَّا وَخُلِقًا رِفْلًا
 وكَسِينِ الجَمالِ إنَّ غِبْنَ عنها فإذا ما بدتْ لهنَّ أَضْحَلًا

الغناء في شعره :

في شعر الحارث هذا غناء قد جمع كلَّ ما في شعره منه على اختلاف طرائقه ،
 وهو :

صوت

أَثَلَ جُودِي على المَتِّمِ أثلاً لا تريدي فؤاده بكِ خَبلاً
 أثَلَ إني والراقصاتِ بِجَمْعٍ يتبارين في الأَزْمَةِ فُتْلاً
 ساحناتٍ يقطعن من عرفاتٍ بين أيدي المطيِّ خَزْناً وسَهلاً
 والأَكْفِ المضمرات على الركنِ بَشْعَثٍ سَعَوْا إلى البيتِ رَجْلى
 لا أخونُ الصديق في السرِّ حتى يُنْقَلَ البحرُ بالغراييل نقلاً
 أو تمرَّ الجبالُ مرَّ سحابٍ مُوتَقٍ قد وعى من الماءِ ثِقْلاً
 أنعم الله لي بذا الوجهِ عيناً وبه مرحباً وأهلاً وسَهلاً
 حين قالت لا تُفْشِيَنَّ حديثي يأبن عمي أقسمت قلت أجلٌ لا^١

(١) يسأل : يسأل سهلت همزته .

(٢) الفعم : الممتلىء المستوي؛ والرفل : الواسع .

(٣) الراقصات : النوق السرعات في سيرها، وجمع : المزدلفة وهو الشعر الحرام، سمي جمعاً لاجتماع الناس فيه .

(٤) فتلا : جمع فتلاء، وهي الناقة الثقيلة المتأطرة الرجلين، أو هي الناقة التي في ذراعيها «فتل» وهو تباعدهما عن الجنين كأنها فتلا .

(٥) رجلى : ماشين على أرجلهم، جمع رجلان كمجلان وعجلى .

(٦) المعنى : «نعم لا أفشي» .

إِتَّقِ اللَّهَ وَأَقْبِلِي الْعَذَرَ مِنِّي وَتَجَاوِيْ عَنْ بَعْضِ مَا كَانَ زَلًّا
لَا تُصَدِّي قَتَقْتُ لِي ظُلْمًا لَيْسَ قَتْلُ الْمَحَبِّ لِلْمَحَبِّ حِلًّا
مَا أَكُنْ سَوُّتُكُمْ بِهِ فَلَكِ الْعُتْبِيُّ لَدَيْنَا وَحَقٌّ ذَاكَ وَقَلَّا
لَمْ أَرْحَبْ بِأَنْ سَخِطْتَ وَلَكِنْ مَرْجَبًا أَنْ رَضِيتَ عَنَّا وَأَهْلًا
إِنَّ شَخْصًا رَأَيْتُهُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَيْهِ أَنْتَى الْجَمَالُ وَحَلَّا
جَعَلَ اللَّهُ كُلَّ أَنْثَى فِدَاءً لَكَ بَلْ خَدَّاهَا لِرَجْلِكَ نَعْلًا
وَجْهَكَ الْبَدْرُ لَوْ سَأَلْتُ بِهِ الْمَرْءَ مَنْ مِنَ الْحَسَنِ وَالْجَمَالِ أَسْتَهْلًا

غَنَى مَعْبُدٌ فِي الْأَبْيَاتِ الْأَرْبَعَةِ الْأُولَى خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو، وَلَا بَنَ
تَيَزَنَ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي ثَقِيلٌ أَوَّلٌ عَنْ إِسْحَاقَ، وَلَا بَنَ سَرِيحٌ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي
وَالْخَامِسَ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ عَنْ الْمُهَاشِمِيِّ، وَلِلْغَرِيضِ فِي الْخَامِسِ إِلَى الثَّامِنِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ
بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو، وَلِدَحْمَانَ فِي التَّاسِعِ وَالْعَاشِرِ وَالثَّلَاثَ عَشَرَ وَالرَّابِعَ عَشَرَ
خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو، وَلِمَالِكٍ فِي التَّاسِعِ إِلَى آخِرِ الثَّانِي عَشَرَ لَحْنٌ ذَكَرَهُ
يُونُسُ وَلَمْ يَحْتَسِمْ، وَلَا بَنَ سَرِيحٌ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ بَعْضُهَا رَمَلَ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو،
وَالْغَرِيضُ فِيهَا أَيْضًا خَفِيفٌ رَمَلَ بِالْبَنْصَرِ عَنْ ابْنِ الْمَكِيِّ، وَلَا بَنَ عَائِشَةُ فِي
الْخَامِسِ إِلَى آخِرِ الثَّامِنِ لَحْنٌ ذَكَرَهُ حَمَّادٌ عَنْ أَبِيهِ وَلَمْ يَذْكُرْ طَرِيقَتَهُ.

ومنها :

صوت

أَحَقًّا أَنْ جِيرْتَنَا اسْتَجَبُوا حُزُونِ الْأَرْضِ بِالْبَلَدِ السَّخَاخِ
إِلَى عُقْرِ الْأَبَاطِحِ مِنْ ثَبِيرٍ إِلَى ثَوْرٍ قَدْ دَفَعْتُ ذِي مُرَاخٍ

(١) السخاخ : الارض اللينة الحرة .

(٢) ثبير : جبل بمكة .

(٣) ثور : جبل بمكة .

(٤) المدفع : أحد مدافع المياه التي تجري فيها .

(٥) ذو مراخ : موضع قريب من المزدلفة، وقيل : هو من بطن كساب جبل بمكة .

فتلك ديارهم لم يَبْقَ فيها سوى طللِ المَعْرَسِ والمناخِ
وقد تَغْنَى بها في الدار حورٌ نواعمٌ في الجاسدِ كالإِراخِ^١
غَنَى في هذه الأبيات الغريضُ، ولحنُه من الثقيل الأول بالوسطى عن الهشامي.
وأخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبَان قال حدثنا عبد الله بن محمد قال أخبرني
محمد بن سَلَام قال :

كانت سوداء المدينة مشغوفةً بشعر عمر بن أبي ربيعة ، وكانت من مولدات
مكة ، فلما ورد على أهل المدينة نَعْيُ عمر بن أبي ربيعة أكبوا ذلك وأشدَّ
عليهم ، وكانت السوداء أشدَّهم حزناً وتَسَلُّباً وجعلت لا تمرُّ بسكة من سكك
المدينة إلا نَدَبَتْه ، فلقبها بعضُ فتيان مكة ، فقال لها : خَفِضِي عليك ، فقد
نشأ ابنُ عمِّ له يشبه شعره شِعْرَه ، فقالت : أَنشِدْنِي بعضه فأنشدتها قوله :

إني وما نَحْروا غداة مِنِّي عند الجمار تؤودُها العُقلُ

الأبيات كلها ، قال : فجعلت تمسح عينيها من الدموع وتقول : الحمد لله الذي
لم يُضَيِّع حَرَمَه .

أخبرني اليزيدي قال حدثني عمي (جَدُّ عبيد الله) عن ابن حبيب عن ابن
الأعرابي قال :

مناضلة :

ناضلَ سليمانُ بن عبد الملك بين الحارث وبين رجل من أخواله من بني عَبَس
فرمى الحارث بن خالد فأخطأ ورمى العبسي فأصاب ، فقال :

(١) تغنى : تقيم ، من غنى الرجل بالمكان إذا أقام .

(٢) الجاسد : جمع مجسد وهو القميص الذي يلي البدن .

(٣) الإراخ : بقر الوحش .

(٤) التسلب : حداد المرأة على زوجها ، وقد يكون على غير الزوج ، وهو أيضاً لبس المَحْدَرِ

ثياب الحداد السود .

(٥) يقال : ناضله مناضلة ونضالا ونيضالا فنضله : باراه في رمي السهام فغلبه ، والمعنى المراد هنا أنه

جعلها يتباويان في الرمي بالسهام .

أَنَا نَضَلْتُ الْحَارِثَ بْنَ خَالِدٍ

ثُمَّ رَمَى الْعَبْسِيُّ فَأَخْطَأُ وَرَمَى الْحَارِثُ فَأَصَابَ ، فَقَالَ الْحَارِثُ :

حَسِبْتُ نَضَلَ الْحَارِثَ بْنَ خَالِدٍ

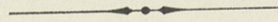
وَرَمَيْتُ فَأَخْطَأُ الْعَبْسِيُّ وَأَصَابَ الْحَارِثُ ، فَقَالَ الْحَارِثُ :

مَشِيكَ بَيْنَ الزَّرْبِ وَالْمَرَابِدِ

وَرَمَيْتُ فَأَخْطَأُ الْعَبْسِيُّ وَأَصَابَ الْحَارِثُ ، فَقَالَ الْحَارِثُ :

وَإِنَّكَ النَّاqصُ غَيْرُ الزَّائِدِ

فَقَالَ سَلِيَانُ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ يَا حَارِثُ إِلَّا كَفَفْتُ عَنِ الْقَوْلِ وَالرَّمْيِ
فَكَفَّ .



(١) الزرب (بفتح الزاي وكسر ها) : موضع الغنم .

(٢) المرابد : محابس الإبل ، واحدها «مربد» (بكسر الميم) .

أخبار الایجر ونسبه

الایجر لَقَبٌ غلب عليه، واسمه عُبَيد الله بن القاسم بن ضبية^١ ويُكنى أبا طالب، هكذا روى محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق، وروى هارون بن الزيات عن حماد عن أبيه: أن اسمه محمد بن القاسم بن ضبية، وهو مولى لكنانة ثم لبني بكر، ويقال: إنه مولى لبني ليث.

نشأته :

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن مَهرويه وهارون بن الزيات قالَا حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن مالك قال :

كنا يوماً جالوساً عند إسحاق، فغَنَّتْنا جارية يقال لها « سَمْحَةُ » :

إِنَّ الْعِیُونَ الَّتِیْ فِی طَرْفِهَا مَرَضٌ^٢ قَتَلْتَنَا ثُمَّ لَمْ يُحِیْنِ قَتَلَانَا

فهبتُ إسحاق أن أسأله لِمَنِ الْغِنَاءُ، فقلت لبعض من كان معنا: سَلْهُ، فسأله فقال له إسحاق: ما كان عهدي بك في شببتك لتسألنا عن هذا، فقال: أَحَبُّهُ لِمَا أَسْنَنْتُ، فقال: لا ولكن هذا الثَّغْبَ عملُ هذا اللص، وضربَ يده إلى تلابيبي، فقال له الرجل: صدقتَ يا أبا محمد، فأقبل عليّ فقال لي: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ

(١) كذا ورد هذا الاسم في هذا الموضع وفي نهاية الأرب ج ٤ ص ٣١٤ طبع دار الكتب المصرية « مئنه » .

(٢) وفي رواية: « حور » .

إِذَا أَشْتَهَيْتَ شَيْئًا فَسَلْ عَنْهُ، أَمَّا لَا أُعْطِيكَ فِيهِ مَا تُعَايِي بِهِ مَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ، أَتَدْرِي لِمَنِ الشَّعْرُ؟ فَقُلْتُ: لَجَرِيرٍ، فَقَالَ لِي: وَالْغِنَاءُ لِلْأَجْرِ، وَكَانَ مَدَنِيًّا مَنْشُوءَ بَمَكَةَ، أَوْ مَكِيًّا مَنْشُوءَ بِالْمَدِينَةِ، أَتَدْرِي مَا أَسْمُهُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: أَسْمُهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ ضُبَيْعَةَ، أَتَدْرِي مَا كُنْيَتُهُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: أَبُو طَالِبٍ، ثُمَّ قَالَ: أَذْهَبَ فَعَايِي بِهَذَا مَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّكَ تَظْفَرُ بِهِ.

وَقَالَ هَارُونُ: حَدَّثَنِي حَمَّادٌ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: الْأَجْرُ أَسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ ضُبَيْعَةَ وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى: عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ، مَوْلَى لِبْنِي بَكْرٍ بْنِ كِنَانَةَ، وَقِيلَ: إِنَّهُ مَوْلَى لِبْنِي لَيْثٍ، يُلَقَّبُ بِالْحَسْحَاسِ.

ظوفه وحسن لباسه :

قَالَ هَارُونُ: وَحَدَّثَنِي حَمَّادٌ عَنْ أَبِيهِ قَالَ حَدَّثَنِي عَوْرُكَ اللَّهْيِيُّ قَالَ:

لَمْ يَكُنْ بِمَكَةَ أَحَدٌ أَظْرَفَ وَلَا أَسْرَى وَلَا أَحْسَنَ هَيْئَةً مِنَ الْأَجْرِ، كَانَتْ حُلَّتُهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ وَفَرُسُهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ وَمَرْكَبُهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ، وَكَانَ يَقِفُ بَيْنَ الْمَازِمَيْنِ^١ فَيَرْفَعُ صَوْتَهُ فَيَقِفُ النَّاسُ لَهُ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْكَاتِبُ عَنْ [عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ] عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خِرْدَاذِبِهِ عَنْ إِسْحَاقَ، وَأَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَا:

جَلَسَ الْأَجْرُ فِي لَيْلَةِ الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ أَيَّامِ الْحَجِّ عَلَى قَرِيبٍ مِنَ التَّنْعِيمِ^٢ فَإِذَا

(١) عَايَا صَاحِبِهِ مَعَايَا: أُلْقِيَ عَلَيْهِ كَلَامًا لَا يَهْتَدِي لَوَجْهِهِ.

(٢) الْمَازِمَانُ كَمَا فِي يَاقُوتَ: جِبَلَا مَكَةَ؛ وَقَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: هُمَا مَضِيقَا جَبَلَيْنِ؛ وَقِيلَ: هُوَ اسْمُ مَوْضِعٍ بِمَكَةَ بَيْنَ الشَّعْرِ الْحَرَامِ وَعَرَفَةَ، وَفِي ذَلِكَ أَقْوَالٌ غَيْرُ هَذِهِ.

(٣) الزِّيَادَةُ عَنْ كِتَابِهِ الْمَسَالِكِ وَالْمَهَالِكِ.

(٥) التَّنْعِيمُ: مَوْضِعٌ بِمَكَةَ فِي الْحُلِ، وَهُوَ بَيْنَ مَكَةَ وَسَرْفٍ عَلَى فَرَسَيْنِ مِنْ مَكَةَ وَقِيلَ عَلَى أَرْبَعَةٍ، وَسَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ جِبَلٌ عَنْ يَمِينِهِ يُقَالُ لَهُ نَعِيمٌ وَآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ يُقَالُ لَهُ نَاعِمٌ.

عَسْكَرٌ جَرَّارٌ قَدْ أَقْبَلَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، وَفِيهِ دَوَابٌّ تُجَنَّبُ، وَفِيهَا فَرَسٌ أَدْهَمُ
عَلَيْهِ سَرَجٌ حَلِيثُهُ ذَهَبٌ فَاَنْدَفَعُ، فَغَنَّى :

عَرَفْتُ دِيَارَ الْحَيِّ خَالِيَةً قَفْرًا كَأَنَّهَا لَمَّا تَوَهَّمَتْهَا سَطْرًا

فَلَمَّا سَمِعَهُ مَنْ فِي الْقِيَابِ وَالْحَامِلِ أَمْسَكُوا، وَصَاحَ صَائِحٌ : وَيْحَكَ ! أَعِدِ الصَّوْتَ،
فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ! إِلَّا بِالْفَرَسِ الْأَدْهَمِ بِسَرْجِهِ وَجَلَامِهِ وَأَرْبَعِمِائَةِ دِينَارٍ، فَإِذَا الْوَلِيدُ
ابْنُ يَزِيدٍ صَاحِبُ الْإِبِلِ، فَنُودِيَ : أَيْنَ مِثْلُكَ وَمَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَنَا الْأُجْرُ
وَمِثْلِي عَلَى بَابِ زُقَاقِ الْحُرَّازِينَ، فَقَدَا عَلَيْهِ رَسُولُ الْوَلِيدِ بِذَلِكَ الْفَرَسِ وَأَرْبَعِمِائَةِ
دِينَارٍ وَتَحْتَ مِنْ ثِيَابٍ وَشَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَى بِهِ الْوَلِيدَ فَأَقَامَ عِنْدَهُ، وَرَاحَ مَعَ
أَصْحَابِهِ عَشِيَّةَ التَّرْوِيَةِ، وَهُوَ أَحْسَنُهُمْ هَيْئَةً، وَخَرَجَ مَعَهُ أَوْ بَعْدَهُ إِلَى الشَّامِ.

قَالَ إِسْحَاقُ : وَحَدَّثَنِي عَوْرُكَ الْهَبِيِّ أَنَّ خُرُوجَهُ كَانَ مَعَهُ، وَذَلِكَ فِي وَلَايَةِ
مُحَمَّدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ مَكَّةَ، وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ حَجَّ الْوَلِيدُ، لِأَنَّ هِشَامًا أَمَرَهُ
بِذَلِكَ لِيَهْتِكَهُ عِنْدَ أَهْلِ الْحَرَمِ، فَيَجِدَ السَّبِيلَ إِلَى خَلْعِهِ، فَظَهَرَ مِنْهُ أَكْثَرُ مِمَّا
أَرَادَ بِهِ مِنَ التَّشَاغُلِ بِالْمَغَنِيِّينَ وَاللَّهْوِ، وَأَقْبَلَ الْأُجْرُ مَعَهُ حَتَّى قُتِلَ الْوَلِيدُ، ثُمَّ خَرَجَ
إِلَى مِصْرَ فَمَاتَ بِهَا .

نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر

صوت

عَرَفْتُ دِيَارَ الْحَيِّ خَالِيَةً قَفْرًا كَأَنَّهَا لَمَّا تَوَهَّمَتْهَا سَطْرًا
وَقَفْتُ بِهَا كَمَا تَرُدُّ جَوَابَهَا فَمَا يَبْتَغِي لِي الدَّارُ عَنْ أَهْلِهَا خَبْرًا

الغناء لأبي عَبَّادٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو، وَفِيهِ لِسِيَاطٌ خَفِيفٌ رَمَلٌ

بِالْبَنْصَرِ .

أخذه من الغريص :

قال إسحاق : وُحِدَتْ أَنْ الْأَجْرَ أَخَذَ صَوْتًا مِنَ الْغَرِيصِ لَيْلًا ثُمَّ دَخَلَ فِي الطَّوَافِ حِينَ أَصْبَحَ، فَرَأَى عَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِسْمِعْ صَوْتًا أَخَذْتَهُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مِنَ الْغَرِيصِ؛ قَالَ لَهُ : وَيْحَكَ ! أَفِي هَذَا الْمَوْضِعِ ! فَقَالَ : كَفَرْتُ بِرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ لِأَنِّي لَمْ تَسْمَعْهُ مِنِّي سِرًّا لِأَجْهَرَنَ بِهِ؛ فَقَالَ : هَاتِهِ، فَعَنَّاهُ :

صوت

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودَجِ إِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلِي تَخْرُجِي
إِنِّي أُتَيْحْتُ لِي يَمَانِيَّةٌ إِحْدَى بَنِي الْحَارِثِ مِنْ مَذْحِجٍ
نَلَبْتُ حَوْلًا كَامِلًا كُلَّهُ لَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى مَنْهَجٍ
فِي الْحِجِّ إِنْ حَجَّتْ وَمَاذَا مِنِّي وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَحْجِجْ

فَقَالَ لَهُ عَطَاءُ : الْخَيْرُ الْكَثِيرُ وَاللَّهُ فِي مِنِّي وَأَهْلِي حَجَّتْ أَوْ لَمْ تَحْجْ، فَازْهَبِ الْآنَ . وَقَدْ مَرَّتْ نِسْبَةُ هَذَا الصَّوْتِ وَخَبَرُهُ فِي أَخْبَارِ الْعَرَجِيِّ وَالْغَرِيصِ .

قال إسحاق : وَذَكَرَ عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ : خَتَنَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ بَنِيهِ أَوْ بَنِي أَخِيهِ، فَكَانَ الْأَجْرُ يُخْتَلَفُ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَغْنِي لَهُمْ .

منازعة في الغناء :

قال هارون بن محمد حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ ابْنِ أَبِي

نجيح^١ بنحطه : حدثني غرير بن طلحة الأرقمي عن يحيى بن عمران عن عمر بن حفص بن أبي كلاب قال :

كان الأجر مولانا وكان مكياً، فكان إذا قدم المدينة نزل علينا، فقال لنا يوماً : أسمعوني غناء ابن عائشكم هذا، فأرسلنا فيه فجمعنا بينهما في بيت ابن هبار فتغنى ابن عائشة، فقال الأجر : كل مملوك لي حرٌّ إن تغنى معك إلا بنصف صوتي، ثم أدخل إصبعه في شدة فتغنى، فسمع صوته من في السوق فحشر الناس علينا، فلم يفترقا حتى تشابها : قال : وكان ابن عائشة حديداً جاهلاً.

عرف سر الوليد :

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهران قال وحدثني ابن أبي سعد قال حدثني القطراني المغني عن محمد بن جبر عن إبراهيم بن المهدي قال حدثني ابن أشعب عن أبيه قال :

دُعِيَ ذات يوم المغنون للوليد بن يزيد، وكنت نازلاً معهم، فقلت للرسول : خذني فيهم؛ قال : لم أومر بذلك وإنما أمرت بإحضار المغنين وأنت بطال لا تدخل في جملتهم؛ فقلت : أنا والله أحسن غناء منهم، ثم أندفت فغنىته؛ فقال : لقد سمعت حسناً ولكنني أخاف؛ فقلت : لا خوف عليك، ولك مع هذا شرط، قال : وما هو؟ قلت : كل ما أصبته فلك شطره؛ فقال للجماعة : اشهدوا عليه، فشهدوا، ومضينا فدخلنا على الوليد وهو لقس النفس، فغناه المغنون في كل فن من خفيف وثقيل، فلم يتحرك ولا نشط، فقام الأجر إلى الخلاء، وكان خبيثاً داهياً، فسأل الخادم عن خبره، وبأي سبب هو خائر؟ فقال : بينه وبين امرأته

(١) سموا «نجيحاً» (كأمير وزير) ونجاحاً .

(٢) الحديد : الحادث في الغضب، والجاهل : ضد الحليم .

(٣) البطال : الذي يهزل في حديثه .

(٤) لقس النفس : وصف من لقت نفسه إذا غثت وخشت .

(٥) الخائر : الذي غثت نفسه .

شرٌّ، لأنه عَشِقَ أختها فَعَضِبَتْ عليه فهو الى أختها أميل، وقد عزم على طلاقها وحلف لها ألا يذكرها أبداً بمراسلة ولا مخاطبة، وخرج على هذا الحال من عندها؛ فعاد الأجر إلينا وما جلس حتى أندفع فغنى :

صوت

فِينِي فَإِنِّي لَا أَبَالِي وَأَيُّنِي أَصَدَّ بَاقِي حَبِّكُمْ أَمْ تَصَوَّبَا
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي عَزُوفٌ عَنِ الْهَوَى إِذَا صَاحِبِي مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ تَغَضَّبَا

فطَرِبَ الوليد وأرتاح وقال : أصبتَ يا عُبَيْدُ والله ما في نفسي، وأمر له بعشرة آلاف درهم وشرب حتى سكر، ولم يحظَ بشيء أحدٌ سوى الأجر، فلما أيقنتُ بَانْقِضَاءِ المجلس وثبتُ فقلت : إن رأيتَ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَأْمَرَ مَنْ يَضْرِبُنِي مِائَةَ السَّاعَةِ بِحَضْرَتِكَ ! فضحك وقال : قَبَّحَكَ اللَّهُ ! وما السببُ في ذلك ؟ فأخبرته بقصتي مع الرسول وقلت : إنه بدأنِي من المكروه في أول يومه بما اتصل عليّ الى آخره، فأريد أن أضربَ مائةً ويضربَ بعدي مثلها، فقال له : لقد لَطُفْتَ، أعطوه مائةَ دينار وأعطوا الرسولَ خمسين ديناراً من مالنا عوضاً عن الخمسين التي أراد أن يأخذها؛ فقبضتها وما حظيَ أحدٌ بشيء غيري وغيرَ الرسول . والشعر الذي غنّى فيه الأجر الوليد بن يزيد لعبد الرحمن بن الحكم أخِي مروان ابن الحكم، والغناء للأجر ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالحنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لغيره عدة ألحان نُسبت .

صوت

من المائة المختارة من رواية جَحْظَةَ

حَمْزَةُ الْمُبْتَاعُ بِالْمَالِ الثَّنَا وَيَرَى فِي يَبْنِهِ أَنْ قَدْ غَبَنُ
فَهُوَ إِنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَاضْلاً ذَا إِخَاءٍ لَمْ يُكْدِرْهُ بَتْنُ

وَإِذَا مَا سَنَّةٌ مُّجْدِبَةٌ بَرَّتِ النَّاسَ كِبَرِيَّ السَّفَنِ^١
 كَانَ لِلنَّاسِ رَيْبًا مُّغْدِقًا سَاقَطَ الْأَكْنَافُ إِنْ رَاحَ أَرْجَحَنَ^٢
 نُورَ شَرْقٍ يَبِينُ فِي وَجْهِهِ لَمْ يُصِبْ أَثْوَابَهُ لَوْ نُ الدَّرَنِ

عروضه من الرمل . الشعر لموسى شَهَوَات . والغناء لمعبد خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ
 بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاق .

(١) السَّفَنِ (بالتحريك) : كل ما يبرى وينحت به، قال زهير :

ضَرْبًا كَنَحْتِ جَذُوعِ الْأَثَلِ بِالسَّفَنِ

(٢) أَرْجَحَنَ : مَالٌ وَاهْتَرَأَ .

اخبار موسى شهوات ونسبه

وخبْرُه في هذا الشعر

هو موسى بن يسار مولى قريش ، ويُخْتَلَفُ في ولّائه فيقال : إنه مولى بني
سَهْم ، ويقال : مولى بني تيم بن مُرّة ، ويقال : مولى بني عديّ بن كعب ؛
ويُكنى أبا محمد ، وشَهوات لقبٌ غَلَبَ عليه .

وحدّثني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمرو بن شُبّة قال :

إنما لُقّب موسى شهوات لأنه كان سَوَوَلًا مُلْحِفًا ، فكان كلّما رأى مع أحدٍ
شيئًا يُعجبه من مالٍ أو مَتاعٍ أو ثوبٍ أو فرسٍ ، تَبَاكَى ، فإذا قيل : مالك ؟
قال : أَسْتَهِي هذا ؛ فَسَمِيَ موسى شهوات . قال : وذكر آخرون أنه كان من أهل
أَذْرَبِيجَانَ وأنه نشأ بالمدينة وكان يُجَلِّبُ اليه القَنْدُ والسَّكْرُ . فقالت له امرأة من
أهلِه : ما يزال موسى يَجِيئُنَا بالشهوات ؛ فَغَلَبَتْ عليه .

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبَيْرُ بن بَكَّارٍ قال :

كان محمد بن يحيى يقول : موسى شهوات مولى بني عديّ بن كعب ، وليس
ذاك بصحيح ، هو مولى تيم بن مُرّة . وذكر عبد الله بن شبيب عن الحزاميّ :
أنه مولى بني سهم .

وأخبرني وكيع عن أحمد بن أبي خَيْثَمَةَ عن مُصْعَبٍ ومحمد بن سَلَامٍ قال :
موسى شهوات مولى بني سهم .

عشقه :

وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال :

هوي موسى شهوات جارية بالمدينة فاستهم بها وساوَم مولاها فيها فاستام بها عشرة آلاف درهم ، فجمع كل ما يملكه واستاح إخوانه فبلغ أربعة آلاف درهم ، فأتى الى سعيد بن خالد العثماني فأخبره بحاله وأستعان به ، وكان صديقه وأوثق الناس عنده ، فدافعه وأعتل عليه فخرج من عنده ؛ فلما ولى تمثّل سعيد قول الشاعر :

كتبت إليّ تستهدي الجوّاري لقد أنعطت من بلد بعيد

فأتى سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فأخبره بقصته فأمر له بستة آلاف درهم ، فلما قبضها ونهض قال له : أجلس ، إذا أبتعتها بهذا المال وقد أنفدت كل ما تملك فبأي حال تعيشان ! ثم دفع اليه ألفي درهم وكسوة وطيباً ، وقال : أصلح بهذا شأنكما ؛ فقال فيه :

أبا خالد أعني سعيد بن خالد أخا العرف لا أعني ابن بنت سعيد
ولكنني أعني ابن عائشة الذي أبو أبيه خالد بن أسيد
عقيد الندي ما عاش يرضى به الندي فإن مات لم يرض الندي بعقيد
دعوه دعوه إنكم قد رقدتم وما هو عن أحسابكم برقود
قتلت أناساً هكذا في جلودهم من الغيظ لم تقتلهم بجديد

قال : فشكاه العثماني إلى سليمان بن عبد الملك ، فأحضر موسى وقال له : يا

(١) الاستيام بالشيء : ذكر ثمنه ، تقول : استمت عليه بسلعتي إذا كنت أنت تذكر ثمنها ، وتقول : استام مني بسلعتي إذا كان هو العارض عليك الثمن .

(٢) دافعه : ماطله .

(٣) عقيد الندي : الكريم بطبعه .

عاض كذا وكذا ، أتهجو سعيد بن خالد ! فقال : والله يا أمير المؤمنين ما هجوته ولكني مدحت أبن عمه فغضب هو ، ثم أخبره بالقصة ؛ فقال للعثماني : قد صدق ، إنما نسب من مدحه الى أبيه ليُعرف . قال : وكان سليمان إذا نظر إلى سعيد بن خالد بن عبد الله يقول : لعمري والله ما أنت عن أحسابنا برقود .

وأخبرني محمد بن عبد الله اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا مُضْعَب بن عبد الله بهذا الحديث فذكر نحو ما ذكره أبو عبيدة وقال فيه :

وكان سعيد بن خالد هذا تأخذه الموتة^(١) في كل سنة ، فأرادوا علاجه ، فتكلمت صاحبتُه على لسانه وقالت : أنا كريمة بنت ملحان سيّد الجن ، وإن عالجتموه قتلتموه ، فوالله لو وجدت أكرم منه لهويته .

أخبرني وكيع عن أبي حمزة أنس بن خالد الأنصاري عن قبيصة بن عمر بن حفص المهلب عن أبي عبيدة قال حدثني الحارث بن سليمان الهخيمي ، - وهو أبو خالد بن الحارث المحدث - قال : وكان عنده روبة بن العجاج ، قال :

شهدت مجلس أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك وأتاه سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أتيتك مُستَعْدِيًّا ، قال : ومن بك ؟ قال : موسى شهوات ، قال : وماله ؟ قال : سَمِعَ بي وأستطال في عرضي ، فقال : يا غلام ، علي بموسى فأتني به فأُتي به ، فقال : ويلك ! أسمعته به وأستطلت في عرضه ؟ قال : ما فعلت يا أمير المؤمنين ولكني مدحت أبن عمه فغضب هو ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : علقت جارية لم يبلغ ثمنها جدتي ، فأثبته وهو صديقي فشكوت اليه ذلك ، فلم أصب عنده شيئاً ، فأثبت أبن عمه سعيد بن خالد بن

(١) الموتة : ضرب من الجنون والصرع يعتري الانسان فاذا أفاق عاد اليه كمال عقله كالنائم والسكران .

(٢) سمع به في الناس : شهره وفضحه .

(٣) الجدة : اليسار والسعة .

عبد الله بن خالد بن أسيد فشكوتُ إليه ما شكوتُه الى هذا ، فقال : تعودُ اليَّ ، فتركته ثلاثاً ثم أتيتُه فسَهَّلَ مِن إِذْنِي ، فلَمَّا اسْتَقَرَّ بِي الْمَجْلِسُ قال : يا غلام ، قل لِقِيتِي : هاتي وديعتي ، ففتَحَ باباً بين بيتين واذا بجارية ، فقال لي : أَهْذِهِ بُغْيَتُكَ ؟ قلتُ : نعم فِدَاكَ أَيُّيَ وَأُمِّي ! قال : أَجْلِسْ ثم قال : يا غلام ، قل لِقِيتِي : هاتي ظُبِيَّةً نَفَقَتِي ، فَأُتِيَ بِظُبِيَّةٍ فَنُثِرَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَإِذَا فِيهَا مِائَةُ دِينَارٍ لَيْسَ فِيهَا غَيْرُهَا فَرُدَّتْ فِي الظُّبِيَّةِ ، ثم قال : عَتِيدَةٌ طَيِّبِي ، فَأُتِيَ بِهَا ، فقال : مِلْحَقَةٌ فِرَاشِي ، فَأُتِيَ بِهَا ، فَصَيَّرَ مَا فِي الظُّبِيَّةِ وَمَا فِي الْعَتِيدَةِ فِي حَوَاشِي الْمِلْحَقَةِ ، ثم قال : شَأْنُكَ يَهْوَاكَ وَأَسْتَعِينُ بِهَذَا عَلَيْهِ ؛ فقال له سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : فذلك حين تقول ماذا ؟ قال : قلت :

أَبَا خَالِدٍ أَعْنِي سَعِيدَ بْنَ خَالِدٍ أَخَا الْعُرْفِ لَا أَعْنِي ابْنَ بَنْتِ سَعِيدٍ
وَلَكِنِّي أَعْنِي ابْنَ عَائِشَةَ الَّذِي أَبُو أَبِيهِ خَالِدُ بْنُ أَسِيدٍ
عَقِيدُ النَّدَى مَا عَاشَ يَرْضَى بِهِ النَّدَى فَإِنْ مَاتَ لَمْ يَرْضَ النَّدَى بِعَقِيدٍ
دَعْوُهُ دَعْوُهُ إِنَّكُمْ قَدْ رَقَدْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْ أَحْسَابِكُمْ بِرَقُودٍ

فقال سليمان : عليَّ يا غلام بسعيد بن خالد ، فَأُتِيَ بِهِ ، فقال : أَحَقُّ مَا وَصَفَكَ بِهِ مُوسَى ؟ قال : وما ذاك يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ ، فقال : قد كان ذلك يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قال : فما طَوَقْتِكَ هَذِهِ الْأَفْعَالُ ؟ قال : دِينَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ؛ فقال له : قد أَمَرْتُ لَكَ بِمِثْلِهَا وَبِمِثْلِهَا وَبِمِثْلِهَا وَبِمِثْلِهَا ، فَحَمَلْتُ إِلَيْهِ مِائَةَ أَلْفَ دِينَارٍ ؛ قال : فَلَقِيتُ سَعِيدَ بْنَ خَالِدٍ بَعْدَ ذَلِكَ فَقُلْتُ لَهُ : مَا فَعَلَ الْمَالُ الَّذِي وَصَلْتُكَ بِهِ سُلَيْمَانُ ؟ قال : مَا أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ أُمْلِكُ مِنْهُ إِلَّا خَمْسِينَ دِينَاراً ؛ قلتُ : مَا أَغْتَالَهُ ؟ قال : خَلَّةٌ مِنْ صَدِيقٍ أَوْ فَاقَةٌ مِنْ ذِي رَحِمٍ .

(١) البقية (بكسر الباء وضمها) : ما ابتغي ، يقال : فلان بغيتي وعند فلان بغيتي أي طلبتي .

(٢) الظبية : جراب صغير من جلد ظبي .

(٣) العتيدة : الحقة يكون فيها طيب الرجل أو العروس .

(٤) الملحقة : الملاءة .

(٥) الخلّة : الحاجة والفقير .

أخبرني وكيع قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة عن مُصعب الزيري ومحمد بن سلام قال :

عشق موسى شهوات جارية بالمدينة فأعطى بها عشرة آلاف درهم ؛ ثم ذكر باقي الحديث مثل حديث سليمان بن أبي شيخ ؛ وقال فيه : أما والله لئن مدحته وهو سميك وأبوه سمي أبيك ولم أفرق بينكما ليقولن الناس : أهذا أم هذا ، ولكن والله لا أقولن قولاً لا يُشك فيه . وتام هذه الأبيات التي مدح بها سعيداً بعد الأربعة المذكورة منها :

فدني للكريم العنشيّ ابن خالد	بني ومالي طارفي وتليدي
على وجهه تلقى الأيا من وأسمه	وكل جوارى طيره بسعود
أبان وما أستغنى عن الثدي خيرُهُ	أبان به في المهد قبل قعود
دعوه دعوه إنكم قد رقدتم	وما هو عن أحسابكم برقود
ترى الجند والجَناب يغشون بابه	بجاعتهم من سيد ومسود
فيُعطي ولا يُعطى ويُغشى ويُجتدي	وما بابه للمجتدي بسديد
قتلت أناساً هكذا في جلودهم	من الغيظ لم تقتلهم بجديد
يعيشون ما عاشوا بغيظ وإن تحن	مناياهم يوماً تحن بحقود
فقل لبعاة العرف قد مات خالد	ومات الندى إلا فضول سعيد

قال وكيع في خبره : أمّا قوله : « لا أعني ابن بنت سعيد » فإن أم سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان آمنة بنت سعيد بن العاصي ، وعائشة عقيد الندي بنت عبد الله بن خلف الخزاعية أخت طلحة الطلحات ، وأمها صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار بن قصي ، وأم أبي عقيد الندي رمة بنت معاوية بن أبي سفيان .

(١) الجنب : جمع جانب وهو الغريب .

(٢) كذا صححه الأستاذ الشنقيطي بهامش نسخته ، وفي الأصول : « وأم ابن عقيد الندي » .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وجيب بن نصر المهليّ قالا حدثنا
عمر بن شبة قال :

لما أنشد موسى شهوات سليمان بن عبد الملك شعره في سعيد بن خالد قال له :
أتفق أسمائهما وأسماء أبويهما ، فتخوفتُ أن يذهب شعري باطلاً ففرقتُ بينهما
بأتمهما ، ولكني لا أجد اليك سبيلاً ، فأطلقه .

شاعر ومغن :

أخبرني وكيع قال حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنا
محمد بن مسلمة الثقفي قال :

قال موسى شهوات لمعبد : أأمدحُ حمزة بن عبد الله بن الزبير بأبياتٍ وتغني
فيها ويكون ما يُعطينا بيني وبينك ؟ قال : نعم ؛ فقال موسى :

حمزةُ المبتاعُ بالمال الثنا ويرى في بيعه أن قد غبن
فهو إن أعطى عطاءً فاضلاً ذا إخاء لم يُكدره بمن
وإذا ما سنةٌ مجحفةٌ برتِ الناسَ كبري بالسفن
حسرتُ عنه نقياً عرضهُ ذا بلاءٍ عندُ مخناها حسن
نور صدقٍ بينٌ في وجهه لم يُدنسْ ثوبه لونُ الدرن
كنتُ للناسِ ربيعاً مغدقاً ساقطاً الأكناف إن راح أرجحن

قال أحمد بن زهير : وأولُ هذه القصيدة عن غير ابن سلام :

شأقني اليومَ حبيبٌ قد ظعنُ ففؤادي مُستهامٌ مرتَهَنُ
إن هندا تيمّنتني حِقبةً ثم بانَتْ وهي للنفسِ شجنُ

(١) حسرت : كشفت .

(٢) مخناها : مصدر ميميّ من أخنى أي أهلك .

فَتْنَةُ الْحَقِّهَا اللَّهُ بِنَا عَائِدُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْفِتَنِ

أَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ قَالَ أَخْبَرَنِي الطَّلْحِيُّ
قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَمَّادٍ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ قَالَ :

في زفاف :

لَمَّا زُفَّتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ رَضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ
أَبْنِ عَفَّانٍ، عَارَضَهَا 'مُوسَى شَهَوَات' :

طَلْحَةُ الْخَيْرِ جَدِّكُمْ وَالْخَيْرِ الْقَوَاطِمِ
أَنْتِ لِلطَّاهِرَاتِ مِنْ فَرْعِ تَيْمٍ وَهَاشِمِ
أَرْتَجِيكُمْ لِنَفْعِكُمْ وَلِدَفْعِ الْمَظَالِمِ

فَأَمَرَ لَهُ بِكُسُوفٍ وَدَنَانِيرٍ وَطِيبٍ .

قَالَ حَدَّثَنَا الْكُرَّانِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعَزَازِيُّ عَنْ الْعُتْبِيِّ قَالَ :

كَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ تَحْتَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْغَزِيزِ، فَلَمَّا مَاتَ
عنها تَزَوَّجَهَا دَاوُدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ مَرْوَانَ وَكَانَ قَبِيحَ الْوَجْهِ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ مُوسَى
شَهَوَات :

أَبْعِدِ الْأَغْرَ بْنَ عَبْدِ الْغَزِيزِ قَرِيعَ قَرِيشٍ إِذَا يُذَكَّرُ
تَزَوَّجَتْ دَاوُدَ مُخْتَارَةً أَلَا ذَلِكَ الْخَلْفُ الْأَعْوَرُ^٢

فَكَانَتْ إِذَا سَخِطَتْ عَلَيْهِ تَقُولُ : صَدَقَ وَاللَّهِ مُوسَى، إِنَّكَ لَأَنْتَ الْخَلْفُ الْأَعْوَرُ،
فَيَسْتُثْمُهُ دَاوُدُ .

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ اعْتَرَضَهَا فِي سِيرِهَا وَمَدَحَهَا بِهَذَا الشَّعْرِ .

(٢) الْقَرِيعُ : السَّيِّدُ وَالرَّئِيسُ، يُقَالُ : فَلَانُ قَرِيعُ الْكُتَيْبَةِ أَيْ رَأْسُهَا .

(٣) الْأَعْوَرُ : الرَّدِيُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَيُقَالُ عَلَى الضَّعِيفِ الْجَبَانِ الْبَلِيدِ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ .

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثنا العُمري عن لقيط قال :

أقام موسى شهوات ليزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية على بابه بدمشق، وكان
فتى جواداً سمحاً، فلما ركب وثب اليه فأخذ بعنان دابته، ثم قال :

قم فصوت إذا أتيت دِمَشقاً : يا يزيدُ بنَ خالدِ بنِ يزيد
يا يزيدُ بن خالدٍ إن تُجِبنِي يَلْقَني طائِري بنجم السُّعودِ

فأمر له بخمسة آلاف درهم وكسوة، وقال له : كلما شئت فنادنا نُجِبك .

زواجه :

أخبرنا وكيع قال حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا مُصعب الزُّبيري قال :

زَوْج موسى شهوات بنتَ مولى لَمَعْن بن عبد الرحمن بن عوف يقال له :
داود بن أبي حميدة، فلما جُليت^١ عليه قال داود : ما للجلوة ؟ فأنشأ يقول :

تقول لي النساءُ غداةً تُحلي حميدةُ يا فتى ما للجلاءِ
فقلتُ لهم سَمَرَقُنْدٌ^٢ وبلخٌ^٣ وما بالصين من نَعَمٍ^٤ وشاءٍ^٥
أبوها حاتمٌ إن سِيلَ خيراً وليثُ كَرِيهَةٍ عند اللقاءِ

هجاء قاضٍ :

أخبرني وكيع قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب قال :

(١) يقال : جليت العروس على زوجها جلوة (بتثنية الجيم) وجلاء (بكسر الجيم) إذا عرضت
عليه مجلوة، والجلوة (بالكسر) : ما تعطاه العروس عند جلائها .

(٢) سمرقند : مدينة عظيمة وهي عاصمة الصفد مبنية جنوبي وادي الصفد، قبل : هي من أبنية
ذي القرنين .

(٣) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان .

(٤) النعم : الإبل .

(٥) الشاء : النعم .

قضى أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي سفيان بن حويطب على موسى شهوات بقضية، وكان خالد بن عبد الملك^(١) استقضاه في أيام هشام بن عبد الملك، فقال موسى يهجوهُ :

وجدتُك فهاً في القضاء مُخْلِطاً^٢ فقدتُك من قاضٍ ومن مُتأَمِّرٍ
فدعْ عنك ما شيدته ذات رحة^٣ أذى الناس لا تحشرهم^٤ كلَّ مُحْشَرٍ

ثم ولي القضاء سعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت الأنصاري، فقال يمدحه :

مَنْ سَرَّهُ الْحُكْمُ صِرْفاً لَا زِجَاجَ لَهُ مِنْ الْقَضَاةِ وَعَدْلٌ غَيْرُ مَعْمُوزٍ^٥
فَلِيَّاتِ دَارِ سَعِيدِ الْخَيْرِ إِنَّهَا أَمْضَى عَلَى الْحَقِّ مِنْ سَيْفِ ابْنِ جُرْمُوزٍ^٦

قال : وكان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، قد ولي المدينة وأشتد على السفهاء والشعراء والمغنين، ولحق موسى شهوات بعض ذلك منه، وكان قبيح الوجه، فقال موسى يهجوهُ :

قُلْ لِسَعْدٍ وَجْهَ الْعَجُوزِ لَقَدْ كُنْتَ لَمَّا قَدْ أُوتِيتَ سَعْدًا مَخِيلاً
إِنْ تَكُنْ ظَالِمًا جَهُولًا فَقَدْ كَانِ أَبُوكَ الْأَدْنَى ظَلُومًا جَهُولًا

وقال يهجوهُ :

لَعَنَ اللَّهُ وَالْعَبَادُ تُطِيطُ^٧ الْوَجْهَ لَا يُرْتَجَى قَبِيحُ^٨ الْجَوَارِ

(١) هو خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم ولي المدينة لهشام بن عبد الملك .

(٢) الفه : العيي .

(٣) يقال : خلط في كلامه إذا هذى .

(٤) كذا في الأصول .

(٥) هو عمرو بن جرموز قاتل الزبير بن العوام رضي الله عنه .

(٦) تطيط تصغير نط، والنط والأنط : الكوسج وهو الذي عري وجهه من الشعر إلا طاقات في أسفل حنكه .

(٧) ويروى « شطيط » ولا يحفظ فعل وصفاً من هذه المادة .

يَتَّبِعِي النَّاسُ فُحْشَهُ وَأَذَاهُ مِثْلَ مَا يَتَّقُونَ بُولَ الْحَجَارِ
لَا تَغُرَّتْكَ سَجْدَةُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ حَذَارٌ مِنْهَا وَمِنْهُ حَذَارٌ
إِنَّهَا سَجْدَةُ بِهَا يَخْدَعُ النَّاسُ عَلَيْهَا مِنْ سَجْدَةِ الدَّبَّارِ

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ أَخْبَرَنِي ثَعْلَبٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلِيبٍ قَالَ :

ذَكَرَ الْحَزَامِيُّ أَنَّ مُوسَى شَهَوَاتٍ سَأَلَ بَعْضَ آلِ الزُّبَيْرِ حَاجَةً فَدَفَعَهُ عَنْهَا
وَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِمَا كَانَ أَلْتَمَسَهُ مِنَ الزُّبَيْرِيِّ مِنْ
غَيْرِ مَسْأَلَةٍ فَوَقَفَ عَلَيْهِ مُوسَى وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

لَيْسَ فِيمَا بَدَأَ لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ عَابَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنَّكَ فَانِي
أَنْتَ نِعَمَ الْمَتَاعِ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنَّ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ

وَالشَّعْرُ الْمَذْكُورُ فِيهِ الْغِنَاءُ يَقُولُهُ مُوسَى شَهَوَاتٍ فِي سَحْمَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الزُّبَيْرِ وَكَانَ فَقِيًّا كَرِيمًا جَوَادًا عَلَى هَوَجٍ كَانَ فِيهِ وَوَلَّاهُ أَبُوهُ الْعِرَاقِينَ وَغَزَلَ
مُصْعَبًا لَمَّا تَزَوَّجَ سُكَيْنَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ وَأَمْرًا كُلَّ
وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

عزل مصعب :

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْخٍ عَنْ مِصْعَبِ
الزُّبَيْرِيِّ وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْغَزِيرِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرٌو بْنُ شَبَّةٍ
وَأَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ وَالْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ
الْحَارِثِ عَنْ الْمَدَائِنِيِّ وَقَالَ الْحُسَيْنُ حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ عَنْ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ
أَبِي مِحْنَفٍ :

(١) دخل على هذا الشطر «الكف» وهو حذف الساكن السابع من «فاعلاتن الأولى» .

(٢) الدِّبَارُ : الهلاك والعفاء، والظاهر أن الباء زائدة .

أَنَّ أَنَسَ بْنَ زُنَيْمٍ اللَّيْثِيَّ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ:

أَبْلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً مِنْ نَاصِحٍ لَكَ لَا يُرِيكَ خِدَاعًا
بَضَعَ الْقَتَاةَ بِالْفِ أَلْفٍ كَامِلٍ وَتَبَيَّتْ قَادَاتُ الْجِيُوشِ جِنَاعًا
لَوْ لَا بِيَّ أَحْفَصُ أَقُولُ مَقَالَتِي وَأُبَيِّثُ مَا أَبْثَثْتُمْ لَأَرْتَاعًا

فلما وصلت الأبيات إليه جزع ثم قال: صدق والله، لو لأبي حفص يقول:
إِنَّ مُصْعَبًا تَزَوَّجَ امْرَأَتَيْنِ بِالْبَنِيِّ أَلْفِ دِرْهَمٍ لَأَرْتَاعَ، إِنَّا بَعَثْنَا مُصْعَبًا إِلَى الْعِرَاقِ
فَأَغْمَدَ سَيْفَهُ وَسَلَّ أَيْرَهُ وَسَنَعَزَلَهُ، فَدَعَا بِأَبْنِهِ حَمْزَةَ، وَأُمُّهُ بِنْتُ مَنْظُورِ بْنِ
زَبَانَ الْقَزَارِيِّ وَكَانَ لَهَا مِنْهُ مَحَلٌّ لَطِيفٌ، فَوَلَّاهُ الْبَصْرَةَ وَعَزَلَ مُصْعَبًا. فَبَلَغَ
قَوْلُهُ عَبْدَ الْمَلِكِ فِي أَخِيهِ مُصْعَبٍ، فَقَالَ: لَكِنَّ أَبَا خَيْبٍ أَغْمَدَ سَيْفَهُ وَأَيْرَهُ
وَحَايَرَهُ.

وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْغَزِيرِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ قَالَ: هَذِهِ
الْأَبْيَاتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَمَّامٍ السَّائِلِيِّ.

عزل ابن الزبير ابنه حمزة لهوجه وحمقه :

قَالُوا جَمِيعًا: فَلَمَّا وَلِيَ أَبْنَهُ حَمْزَةَ الْبَصْرَةَ أَسَاءَ السَّيْرَةَ وَخَلَطَ تَحْلِيلًا شَدِيدًا،
وَكَانَ جَوَادًا شَجَاعًا أَهْوَجَ، فَوَفَدَتْ إِلَى أَبِيهِ الْوُفُودُ فِي أَمْرِهِ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ
الْأُحْنَفُ بِأَمْرِهِ وَمَا يُنْكَرُهُ النَّاسُ مِنْهُ وَأَنَّهُ يُخْشَى أَنْ تَفْسُدَ عَلَيْهِ طَاعَتُهُمْ؛ فَعَزَلَهُ
عَنِ الْبَصْرَةِ.

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْغَزِيرِ قَالَ حَدَّثَنَا الْمَدَائِنِيُّ قَالَ:

لَمَّا قَدِمَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَصْرَةَ وَالْيَأَى عَلَيْهَا، وَكَانَ جَوَادًا شَجَاعًا مُخْلِطًا:

(١) بضع: نكح.

(٢) دخل على هذا الشطر «الوقص» وهو ما سكن ثانيه المتحرك وذهب رابعه الساكن من
«متفاعلن».

يجود أحياناً حتى لا يدع شيئاً يملكه إلا وهبه ويمنع أحياناً ما لا يمنع من مثله، فظهرت منه بالبصرة خفة وضعف. وركب يوماً الى فيض البصرة، فلما رآه قال: إن هذا الغدير إن رفقوا به ليكفيهم صفتهم هذه، فلما كان بعد ذلك ركب اليه فواقفه جازراً فقال: قد رأيته ذات يوم فظننت أن لن يكفيهم، فقال له الأحنف: إن هذا ماء يأتينا ثم يغيض عنا ثم يعود. وشخص الى الأهواز فرأى جبلها، فقال: هذا قعيقان - وقعيقان: جبل بمكة - فلقي ذلك الجبل بقعيقان.

قال أبو زيد: وحدّثني غير المدائني أنه سمع بذكر الجبل بالبصرة، فدعا بعامله فقال له: أبعث فأتنا بخراج الجبل؛ فقال له: إن الجبل ليس ببلد فأتيت بخراجه. وبعث الى مردان شاه فاستحثه بالخراج فأبطأ به، فقام اليه بسيفه فقتله؛ فقال له الأحنف: ما أحد سيفك أيها الأمير! وهمم بعد العزيز بن شبيب بن خياط أن يضربه بالسياط؛ فكتب الى ابن الزبير بذلك وقال له: اذا كانت لك بالبصرة حاجة فأصرف ابنك عنها وأعد اليها مصعباً؛ ففعل ذلك. وقال بعض الشعراء يهجو حمزة ويعيبه بقوله في أمر الماء الذي رآه قد جرّ:

يا ابن الزبير بعثت حمزة عاملاً يا ليت حمزة كان خلف عثمان
أزرى بدجلة حين عب عبابها وتقاذفت بزواجر الطوفان

نوار والفردق:

أخبرني هاشم بن محمد الحتراعي قال حدّثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال:

(١) فيض البصرة: نهرها.

(٢) جازراً: من الجزر وهو نقصان مائه، وضده «المد» وهو زيادته.

(٣) في تاريخ الطبري (طبع مدينة ليدن - القسم الثاني ص ٧٥٢). وفي ابن الأثير ص ٢٥٥ ج ٤ «بعد العزيز بن بشر». وقد ورد في الطبري في قسم ٢ ص ٨٠٢ هذا الاسم هكذا «عبد العزيز بن بشر بن خياط».

(٤) في تاريخ الطبري قسم ٢ ص ٧٥٢ «كتب الأحنف».

خطب النّوار ابنة أعين المجاشعية رجل من قومها ، فجعلت أمرها الى الفرزدق ، وكان ابن عمها دنية^١ ، ليزوجها منه ، فأشهد عليها بذلك وبأن أمرها اليه شهوداً عدولاً ؛ فلما أشهدتهم على نفسها قال لهم الفرزدق : فإني أشهدكم أنني قد تزوّجتها ، ففمنعه النّوار نفسها وخرجت الى الحجاز الى عبد الله بن الزبير ، فأستجارت بأمراته بنت منظور بن زبّان ، وخرج الفرزدق فعاذ بأبنة حمزة ، وقال يمدحه :

يا حمز هل لك في ذي حاجة غرّضت^٢ أنضاؤه بمكان غير ممتور
فأنت أولى قرّيش أن تكون لها وأنت بين أي بكرٍ ومنظور

فجعل أمر النّوار يقوى وأمر الفرزدق يضعف ؛ فقال الفرزدق في ذلك :

أما بنوه فلم تنفع شفاعتهم وشفّعت بنت منظور بن زبّان
ليس الشفيع الذي يأتيك مؤثراً^٣ مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

فبلغ ابن الزبير شعره ، ولقيه على باب المسجد وهو خارج منه فضبط حلقة حتى كاد يقتله ، ثم خلاه وقال :

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشراً^٤ ولورضيت رمح آسته لاستقرت

ثم دخل الى النّوار فقال لها : إن شئت فرقت بينك وبينه ثم ضربت عنقه فلا يهجونا أبداً ، وإن شئت أمضيت نكاحه فهو ابن عمك وأقرب الناس إليك ، وكانت امرأة صالحة ، فقالت : أو ما غير هذا ؟ قال : لا ؛ قالت : ما أحب

(١) يقال : هو ابن عم دنية أي لاصق النسب .

(٢) في الأصول « عرضت » وقد صححها الأستاذ الشنقيطي « غرّضت » : ملّت وضجرت .

(٣) كذا في ديوان الفرزدق ، وفي الأصول : « متراً » بالإدغام . وإدغام الهمزة في تاء الافتعال بعضهم يميزه والأكثر على منعه .

(٤) في رواية أخرى : ألا تلکم عرس الفرزدق جاحا

(٥) يريد بقوله « رمح آسته » : طعنه في دبره ورفسه بالأرجل ، وهذا كناية عن امتهانه واحتقاره ، والرمح : الضرب بالرجل .

أَنْ يُقْتَلَ وَلَكِنِّي أَمْضِي أَمْرَهُ فَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي كَرهِي إِيَّاهُ خَيْرًا؛ فَمَضَتْ إِلَيْهِ
وَخَرَجَتْ مَعَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ .

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى وَمُحَمَّدُ بْنُ مَزِيدَ بْنِ أَبِي الْأَزْهَرِ قَالَا حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ
إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الزُّبَيْرِيِّ :

أَنْ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ كَانَ جَوَادًا ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ مَعْبِدٌ يَوْمًا وَقَدْ أَرْسَلَهُ ابْنُ قَطْنٍ
مَوْلَاهُ يَقْتَرِضُ لَهُ مِنْ حَمْزَةَ أَلْفَ دِينَارٍ فَأَعْطَاهُ أَلْفَ الدِّينَارِ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ
قِيلَ لَهُ : هَذَا عَبْدُ ابْنِ قَطْنٍ وَهُوَ يَرُوي فِيكَ شَعْرَ مُوسَى شَهَوَاتٍ فَيُحَسِّنُ رِوَايَتَهُ ،
فَأَمْرُ بَرْدَةٍ فَرُدَّ ، وَقَالَ لَهُ مَا حَكَاهُ الْقَوْمُ عَنْهُ ، فغَنَّا مَعْبِدَ الصَّوْتِ فَأَعْطَاهُ
أَرْبَعِينَ دِينَارًا ؛ وَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ رَدَّ ابْنُ قَطْنٍ عَلَيْهِ الْمَالَ فَلَمْ يَقْبَلْهُ ، وَقَالَ لَهُ :
إِنَّهُ إِذَا خَرَجَ عَنِّي مَالٌ لَمْ يَعُدْ إِلَى مَلِكِي . وَقَدْ رُوي أَنَّ الدَّخَلَ عَلَى حَمْزَةَ
وَالْمُخَاطَبَ فِي أَمْرِهِ بِهَذِهِ الْمُخَاطَبَةِ ابْنُ سُرَيْجٍ ؛ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِثَبَّتٍ ، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ ،
وَالْغَنَاءُ لِمَعْبِدٍ .

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ الشَّيْعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى
الْغَسَّالِيِّ :

أَنْ مُوسَى شَهَوَاتٌ أَمْلَقٌ ، فَقَالَ لِمَعْبِدٍ : قَدْ قَلْتُ فِي حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ شَعْرًا فغَنَّا
فِيهِ حَتَّى يَكُونَ أَجْزَلَ لَصَلَّتْنَا ؛ ففَعَلَ ذَلِكَ مَعْبِدٌ وَغَنَّى فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، ثُمَّ دَخَلَ
عَلَى حَمْزَةَ فَأَنشَدَهُ إِيَّاهَا مُوسَى ثُمَّ غَنَّا فِيهَا مَعْبِدٌ ، فَأَمْرٌ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمِائَتِي دِينَارٍ .

احد شعراء الحجاز :

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ الْمَرْزَبَانِ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْهَيْثَمِ بْنِ فِرَاسٍ قَالَ
حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاشٍ قَالَ :

كَانَ مُوسَى شَهَوَاتٌ مَوْلَى لِسُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي خَيْثَمَةَ بْنِ حَذِيفَةَ الْعَدَوِيِّ ، وَكَانَ

شاعراً من شعراء أهل الحجاز ، وكان الخلفاء من بني أمية يُحْسِنُونَ إليه ويُدِرُّون عطاءه وتَجِيئُهُ صَلَاتُهُمْ إِلَى الحجاز . وكانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز ، فلما مات عنها تزوجها داود بن سليمان بن مروان وكان دميماً قبيحاً ، فقال موسى شهوات في ذلك :

أبعد الأغرِّ ابن عبد العزيز قريع قريش إذا يُذكرُ
تزوجت داودَ مختارةً ألا ذلك الخلفُ الأعورُ

فغلبَ عليه ذلك في بني مروان ، فكان يقال له : الخلفُ الأعور .

صوت

من المائة المختارة

عوجاً خليليّ على المحضريّ والرّبع من سلامة المُفْضِرِ
عوجاً به فاستنطقاه فقد ذكّرني ما كنتُ لم أذكُرِ
ذكّرني سلمى وأيامها إذ جاورتنا بلوى عسجريّ
بالذّبع من ودّان مبداءً لنا ومحوراً ناهيك من محورِ
في محضّر كنّا به نلتقي يا حبّذا ذلك من محضريّ
إذ نحن والحيّ به جيرةً فيما مضى من سالف الأعرّصِ

(١) المحضّر : المنهل الذي يجتمع القوم فيه ويحضرون عليه .

(٢) عسجر : موضع قرب مكة . قال ياقوت في الكلام عليه بعد أن تكلم عن عسجد : « ولعله الذي قبله غير في قافية شعر » يريد « عسجداً » بالدال المهملة . وقد قال في الكلام على عسجد إنه أسم موضع بعينه ، واستشهد له بقول رزاح بن ربيعة العذري :

فلما مررن على عسجدٍ وأسهنن من مُستناخٍ سيلا

ثم قال : ويروى « عسجر » .

(٣) المبداء هنا : المبدأ سهلت همزته ، أي المبتدأ ، الذي كنا نبتدىء منه في الذهاب ، ومحوراً أي مرجعاً نرجع إليه .

الشعر للوليد بن يزيد ، وقيل : إنه لعمر بن أبي ربيعة ، وقيل : إنه للعرجي ، وهو للوليد صحيح ، والغناء واللحن المختار لأبن سريج خفيف رمل بالنصر في مجراها ، وفيه لشارية خفيف رمل آخر عن ابن المعتز ، وذكر الهشامي أن فيه لحكم الوادي خفيف رمل أيضاً .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني قال :

كان زيد بن عمرو بن عثمان قد تزوج سُكينة بنت الحسين رضي الله تعالى عنه ، فعَتَبَ عليها يوماً ، فخرج الى مال له ، فذكر أشعب أن سَكينة دعتَه فقالت له : إن ابن عثمان خرج عاتباً عليّ فأعلم لي حاله ، قلت : لا أستطيع أن أذهب اليه الساعة ، فقالت : أنا أعطيك ثلاثين ديناراً ، فأعطيتني إياها فأتيته ليلاً فدخلتُ الدارَ ، فقال : أنظروا مَنْ في الدار ، فأتوه فقالوا : أشعبُ ، فنزل عن عرشه وصار الى الأرض فقال : أُشْعِيبُ ؟ قلت : نعم ، قال : ما جاء بك ؟ قلت : أرسلتني سُكينةُ لأعلمَ خبرك ، أتذكرتَ منها ما تذكرتَ منك ؟ وأنا أعلمُ أنك قد فعلتَ حين نزلتَ عن عرشك وصرتَ الى الأرض ، قال : دعني من هذا وغتني :

عوجاً به فاستنطقاه فقد ذكرني ما كنتُ لم أذكرُ

فغَنَيْتُهُ فلم يَطْرَبْ ، ثم قال : غتني ويحك غير هذا ، فإن أصبتَ ما في نفسي فلك حلتي هذه وقد اشتريتها آنفاً بثلاثئة دينار ، فغَنَيْتُهُ :

صوت

عَلِقَ القلبَ بعضُ ما قد شجاه من حبيبِ أَمسى هوانا هواه

(١) شعيب : تصغير « أشعب » كما يقال في تصغير « أسود » « سويد » ، ويسمى هذا « تصغير الترخيم » .

ما ضراري نفسي بهجران^١ مَنْ لَيْسَ مُسِيئًا وَلَا بَعِيدًا نَوَاهُ
وَأَجْتَنَابِي بَيْتَ الْحَبِيبِ وَمَا الْخُلْدُ بِأَشْهَى إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَرَاهُ
فَقَالَ : مَا عَدَوْتُ مَا فِي نَفْسِي ، خَذِ الْحَلَّةَ ، فَأَخَذْتُهَا وَرَجَعْتُ إِلَى سَكِينَةَ
فَقَصَصْتُ عَلَيْهَا الْقِصَّةَ ، فَقَالَتْ : وَأَيْنَ الْحَلَّةُ ؟ قُلْتُ : مَعِيَ ، فَقَالَتْ : وَأَنْتِ الْآنَ
تُرِيدُ أَنْ تَلْبَسَ حَلَّةَ ابْنِ عَثْمَانَ ! لَا وَاللَّهِ وَلَا كِرَامَةَ ! فَقُلْتُ : قَدْ أَعْطَانِيهَا ، فَأَيُّ
شَيْءٍ تُرِيدِينَ مِنِّي ! فَقَالَتْ : أَنَا أَشْتَرِيهَا مِنْكَ ، فَبَعْتُهَا بِثَلَاثَةِ دِينَارٍ .

الشعر المذكور في هذا الخبر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء للدارمي خفيف
ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى ، وذكر عمرو بن بانة أنه للهذلي ، وفيه لابن
جامع ثاني ثقيل بالوسطى .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه أن رجلاً كانت له جارية يهواها
وتهواه فغاضبها يوماً وتمادى ذلك بينهما ، واتفق أن مغنية دخلت فغنتهما :

ما ضراري نفسي بهجران^٢ مَنْ لَيْسَ مُسِيئًا وَلَا بَعِيدًا نَوَاهُ
فَقَالَتْ الْجَارِيَةُ : لَا شَيْءَ وَاللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ ، ثُمَّ قَامَتْ إِلَى مَوْلَاهَا فَقَبَّلَتْ رَأْسَهُ
وَأَصْطَلَحَا .

صوت

من المائة المختارة

يا ويح نفسي لو أنه أقصر^٣ ما كان عيشي كما أرى أكدر^٤

(١) في « بهجرة من » (انظر الحاشية رقم ٣ ص ١٢٨ ج ١ أغاني من هذه الطبعة) .

(٢) أقصر فلان عن الشيء : كف عنه وانتهى .

يا من عذيري ممن كلفتُ به يشهد قلبي بأنه يسخرُ
يا ربَّ يومٍ رأيتُني مرحاً آخذُ في اللهو مُسِيلاً المَزرُ
بين ندامي تحتَ كأسهمُ عليهمُ كفُّ شادينِ أَحورُ

الشعر لأبي العتاهيه والغناء لفريدة خفيف رمل بالبنصر .



(١) الشادن من أولاد الظباء : الذي قد قوي وطلع قرنائه واستغنى عن أمه . والأحور : أن يكون البياض في العين محدقاً بالسواد كله، وإنما يكون هذا في البقر والظباء ثم يستعار للناس .

فهرس

المجلد الثالث من كتاب الاغاني

صفحة	صفحة
اخبار هلال ونسبه	ذكر قيس بن الخطيم واخباره ونسبه
٥١ أريحية المغيرة	٤ أخذه بثأر ذويه
٥٢ صفته	٨ اعجاب بشعره
٥٥ مصارعة	١٠ مع النابغة
٥٦ فراره الى اليمن	١١ مع حسان
٦٢ ادى عنه ديسم الدية لبني جلان فدحه	١٢ مصرعه
٦٤ حبسه	١٣ مهاجته حسان بن ثابت
٦٥ نهمة وكثرة أكله	١٤ الفناء بشعره
٦٧ غنى مخارق الرشيد فاعتقه	١٩ في المعامع
اخبار عروة بن الورد ونسبه	ذكر طويس واخباره
٧٠ شرفه	٢٧ اسمه وكنيته
٧١ اقوال الثناء فيه	٢٧ أول من غنى في المدينة
٧٢ مع فتاته	٢٨ حبه قريشاً
٧٥ اكرامه الصعاليك	٢٩ مع الخنثين
٧٦ في غارة	٣١ مع ابن جعفر
٧٧ مع سبية	٣٣ تعريض واغضاب
٧٩ قصته مع هذلي اغار على فرسه	٣٤ مدح ابن سريج غناه
٨١ قصة غزوه لماوان	٣٥ مع جارية
ذكر ذي الاصبع العدواني ونسبه وخبره	٣٦ مع الرجل المسحور
٨٥ تفاني عدوان	٣٧ قصة عروة وامراته سلمى الفغارية
٨٦ من قرعت له العصا	٣٨ تحريشه بالغناء
٨٧ استعراض احياء العرب	٣٩ حرب الأوس والخزرج
٨٩ بناته والزواج	٤١ قول عمر بن عبد العزيز في شعر قيس
٩٢ خرفه	ذكر الدارمي وخبره ونسبه
٩٤ وصيته	٤٤ شب بذات نخار أسود
٩٦ استنشاد معاوية شعره	٤٦ بخله وظرفه
٩٧ شعره في ابن عمه	٤٨ الدارمي والاعرابيات
٩٨ سبب تفرق عدوان وتقاتلهم	٤٩ تندرته
٩٩ قصيدته التونية	

صفحة		صفحة	
١٣٧	حسه النقدي	١٠١	قصيدته في رثاء قومه
١٣٧	اكتاره	١٠٣	شعر ابنته
١٣٨	موازنة بينه وبين مروان	١٠٣	شعره في الكبر
١٣٩	كلام الجاحظ عنه		ذكر قيل مولى العبلات
١٣٩	قوله بالرجعة	١٠٥	ولاؤه وغناؤه
١٤٠	بشار والكلام «اللاهوت»	١٠٦	ابو دهب الجمحي
١٤١	رأي الأصمعي فيه		خبر غريض اليهودي
١٤٢	مقارنته بامرئ القيس والقطامي	١١٠	نسبه وأصل قومه
١٤٣	شعره سيار		ذكر ورقة بن نوفل ونسبه
١٤٥	هجاؤه	١١٤	انتصاره لمعذب في الله
١٤٦	مع مصور	١١٥	ثناء عليه
١٤٧	مفاخره		خبر زيد بن عمرو ونسبه
١٤٧	نقده للشعر	١١٧	اعتزاله الاوثان
١٤٨	اعتداده بنفسه	١١٧	نفيه
١٤٨	مواعدة وعتاب	١١٩	امتناعه عن الذبائح
١٥٠	هجو الخليفة	١٢٠	تحفنه
١٥٢	ظرف بادرته	١٢١	مصرعه
١٥٣	ترفعه عمن عابه		قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم : انه يأتي
١٥٣	سخره	١٢١	يوم القيامة أمة وحده
١٥٥	رثاؤه ابنه	١٢٢	زهير بن ضباب وشعره في الكبر
١٥٥	نوادره	١٢٣	مدرج الريح وسبب هذه التسمية
١٥٦	دفاعه عن شعره	١٢٣	سعية بن غريض وشعره وهو يحتضر
١٥٧	حشوه شعره بما لا حقيقة له	١٢٤	سعية بن غريض ومعاوية
١٥٨	شعره في قينة		اخبار ابن صاحب الوضوء ونسبه
١٥٩	مع اعرابي	١٢٦	مدح يونس الكاتب غناه
١٦١	بشار وهلال الرأي	١٢٧	غناء في المحراب
١٦٢	دقة حسه		اخبار بشار بن برد ونسبه
١٦٣	مع ناديات	١٢٩	كنيته وطبقته في الشعراء
١٦٤	نفيه عن التشبيب	١٣٠	ولاؤه لبني عقيل
١٦٥	شعره في محبوبته فاطمة	١٣١	ابوه طيان
١٦٧	مدح خالد البرمكي	١٣٣	يلقب بالمرعث
١٦٧	بشار وصديقه	١٣٥	صفاته
١٦٨	الملاحاة بينه وبين ابن رؤبة	١٣٦	هجاؤه جريرا
١٧١	مع معشوقة		
١٧٢	بشار وابو الشمقمق		

صفحة		صفحة	
٢١٠	مدحه المهدي	١٧٢	مع المنصور
٢١٢	مدح سليمان بن هشام	١٧٥	اعتذار عن قبلة
٢١٣	استقل عطاء سليمان	١٧٥	استنجاز وعد
٢١٣	مدحه المهدي	١٧٦	نهي عن التشيب
٢١٥	وفاة ابنه	١٧٨	عند خالد البرمكي
٢١٦	صدق ظنه في تقدير جوائز الشعر	١٧٩	تظاهر بالحج
٢١٧	الحب يقضي	١٨٠	بشار والتقلاء
٢١٨	مدح واصل بن عطاء	١٨٢	هجاء جاره
٢١٩	انكاره شاعرية الكميث	١٨٢	شعره في قينة
٢٢٠	حاكاته شعراً	١٨٣	شعره في عقبة بن سلم
٢٢١	ميله الى الاخاد	١٨٤	رواية خلف الاحمر عنه
٢٢٢	عتاب صديق	١٨٥	هجاؤه
٢٢٤	شعره في رثاء بنية له	١٨٦	مدحه خالد بن برمك
٢٢٥	اجازته شعراً	١٨٦	عمر بن العلاء ومدائح الشعراء فيه
٢٢٦	الحمار الشاعر	١٨٧	شعره في جارية له سوداء
٢٢٧	معابثة	١٨٨	مع ابي الشمقمق
٢٢٩	رثاؤه اصدقاءه	١٨٩	هجاؤه العباس
٢٣١	مدحه ابن هبيرة	١٩٠	تقدير اسحاق الموصلي بشعره
٢٣٢	شعره في العشق	١٩٣	قائد المأمون يتمثل بشعره
٢٣٣	مدحه المهدي	١٩٣	غضبه لسرقه شعره
٢٣٥	تهديد المهدي له	١٩٥	دفاعه عن الشيب
٢٣٨	هجاؤه المهدي	١٩٥	مع امرأة
٢٣٩	وفاة بشار	١٩٦	دقة حسه النقدي
٢٤٠	هجاؤه يعقوب الوزير	١٩٧	مدحه خالداً
٢٤٣	شماة الناس بموته	١٩٨	مفاخرة
٢٤٤	ندم المهدي على قتله	٢٠٠	مع نزول بالبصرة
	اخبار يزيد حوراء	٢٠١	تساميه
٢٤٦	حسد الموصلي له	٢٠١	سر ميله للهجاء
٢٤٧	نظافته	٢٠٢	في صباه
٢٤٧	رثاه صديقه ابو مالك حين مات	٢٠٣	حباء عاشق له
٢٥٠	مغازلته لجارية	٢٠٣	مع النحويين
	اخبار عكاشة العمي ونسبه	٢٠٥	ذم بني سدوس
٢٥٢	بنو العم	٢٠٦	التغني بشعره
٢٥٢	اعانوا الفرزدق	٢٠٧	هجاؤه ابن مزيد
		٢٠٨	التبديل في قصيدة

صفحة

٣٠٣

غناؤه الوليد

اخبار الحارث بن خالد المخزومي ونسبه

٣٠٧

استرقاق في مقامرة

٣٠٨

بضائع ابي عمرو

٣٠٩

من شعراء قريش الخمسة

٣١٠

اعتراف له بالتقدم

٣١٢

كان مروانيا

٣١٣

توليه مكة

٣١٥

مع عائشة بنت طلحة

٣٢١

غضب على الغريض

٣٢٤

هذا كلام معين

٣٢٤

عائشة في العمرة

٣٢٥

شب بزوجه

٣٢٦

شب بأب بكر

٣٢٧

شب بليلى

٣٣٦

الفناء في شعره

٣٣٨

مناضلة

اخبار الایجر ونسبه

٣٤٠

نشأته

٣٤١

ظرفه وحسن لباسه

٣٤٣

اخذه من الغريض

٣٤٣

منازعة في الغناء

٣٤٤

عرف سر الوليد

اخبار موسى شهوات ونسبه

٣٤٨

عشقه

٣٥٢

شاعر ومغن

٣٥٣

في زفاف

٣٥٤

زواجه

٣٥٤

هجاء قاض

٣٥٦

عزل مصعب

٣٥٧

عزل ابن الزبير ابنه حمزة لهوجه وحمقه

٣٥٨

نوار والفرزدق

٣٦٠

احد شعراء الحجاز

صفحة

٢٥٣

حبه لنعيم

٢٥٤

زيارة نعيم

٢٥٥

اغتراب نعيم

٢٥٨

مع المهدي

٢٥٩

مع الهادي

٢٥٩

ما غنى فيه من شعره

اخبار عبد الرحيم الدفاف ونسبه

٢٦١

تعريضه بالرشد

اخبار الحادرة ونسبه

٢٦٦

سبب الهجاء بينه وبين زبان

اخبار ابن مسجح ونسبه

٢٧١

تلاميذه

احتراق الكعبة في عهد ابن الزبير وبنائوه لها ٢٧٢

٢٧٣

نقل غناء الفرس من بنائي الكعبة

٢٧٣

ابن مسجح في حديثه

٢٧٦

دور معاوية بمكة

٢٧٧

عند عبد الملك

اخبار ابن المولى ونسبه

٢٨١

قدومه على المهدي

٢٨٤

ليلاه

٢٨٥

مدحه ابن حاتم

٢٨٦

تشوقه الى المدينة

٢٨٨

مدح المهدي

٢٩١

مدح يزيد بن حاتم

٢٩٣

استحسان شعره

٢٩٤

مدح المهدي

٢٩٦

سؤال عبد الملك عنه

وقف لجمع بن سليمان على طريقه وأنشده

٢٩٧

شعراً

اخبار عطر د ونسبه

٣٠٠

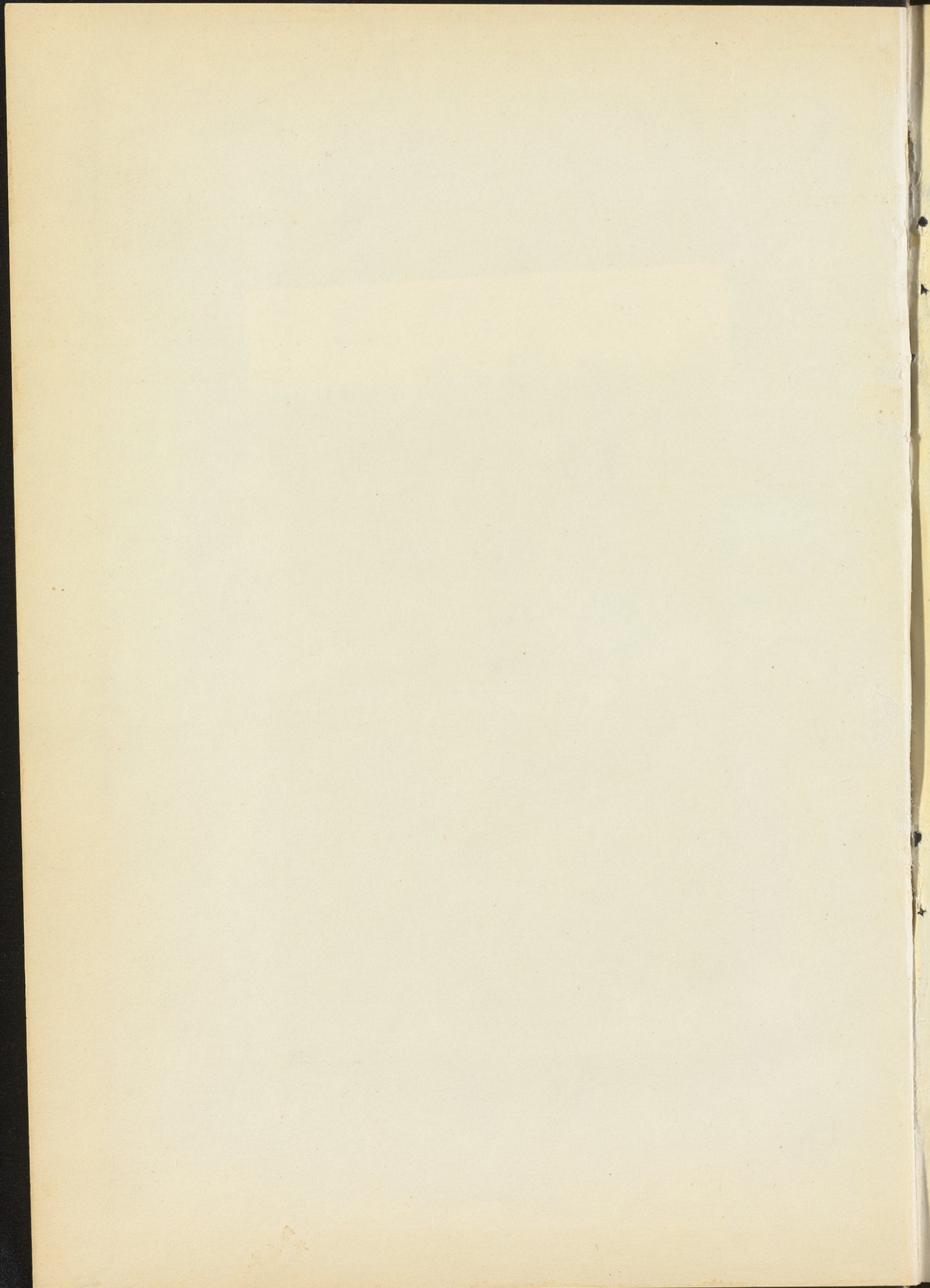
غناء ابراهيم بن خالد المعيطي

٣٠١

كان عطر د منقطعاً الى سليمان بن علي

٣٠٣

حبسه مع الغنين



COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES

RESERVE

bele

مجلد
سالم القاسم
بيروت - المزة



893.7Isl
O35
v.3

NOV 28 1956

